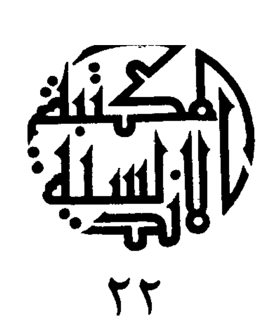


٢٢

البيان المغرب
في أخبار الأندلس والمغرب

لابن عذارى المراكشي

الجزء الأول

تحقيق ومراجعة

ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال

دار الثقافة

بيروت — لبنان

الطبعة الثالثة
١٩٨٣

فِهْرِس الأَبواب والفصُول



بسم لله الرحمن الرحيم. وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه

الحمدُ لله مُصَرِّف الأقدار، ومُحْيِي الآثار، والمُتَعالِي عن الأشباه والأنظار، المُتَنَزِّه عن تمثيل الأوهام وتكييف الأذكار؛ الذى احتجب بحجاب عزّته وقدرته، فلا تُدْرِكه الأبْصار، وهو يُدْرِك الأبْصار[1]؛ الذى خضعت لهيبته وعظَمته رقاب الأكاسِرة والجبابِرة والأشرار؛ العالِم بالكَوْنَيْن على اختِلافها، والحوادِث مع تشتيت أوْصافها، وكلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ[2]؛ مُكَوِّر الليل على النهار، والنهار على الليل ما جرى الفَلَكُ الدَّوّار، وجعلهما آيَتَيْن بيِّنَتَيْن لتفكُّر فى العظة[3] والاعتبار؛ وخصَّ الإنسان بفضل النظر والاستبصار، فقال — جلّ وتعالى! — : «فاعْتَبِروا يا أُولِى الأبْصار[4]»؛ وعلَّمه ما لم يكن يعلم، وكرَّر عليه ما لم يلحقْ من أنباء القُرون الماضية فى الأزمان والأعصار؛ وأراه مُتقلَّبهم فى هذه الدنيا الفانية التى جعلها لهم دار انتقال، ومَقَرّ وزوال، وجعل الأيّام بينهم دُوَلاً، والأقوامَ بعضَهم من بعضٍ بَدَلاً، ذلك تقديرُ العزيز القهّار! نحمده على ما أنعم به علينا من الهداية للنظر فى مَواقِع الأدِلَّة بأنّه هو اللهُ المَلِك الغفّار! ونشهد أن لاَ إلَهَ إلاَّ الله وَحْدَه، لا شريك له، وأنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه المُصْطَفى المختار، الذى اختاره لرسالته وختم به الرُّسُلَ الكِرام الأبْرار، صلَّى الله عليه وعلى آله الطيّبين وصَحْبه الأكْرَمين الأخيار، وسلَّم كثيرا!

وبَعْدُ — جَعَلَنا اللهُ ممّن نظر فاعْتَبَر، ووُعِظَ فازْدَجر! — فإنَّ خَيْرَ ما شُغِلَتْ به الأذكار والأفكار، وتحدَّثَتْ معه بالليل والنهار، حِفْظُ ما أفاد من العلوم والأخبار، وإنَّ أولى ما رَيَّضْنا بــه النفوسَ البَشَرِيَّة مُجالَسةُ العُلَماء والأخيار، ومُذاكَرةُ الأُدَباء ذَوِى الهِمَم وعُلُوّ المِقْدار، ففى مُجالَستِهم ومُذاكَرَتِهم

1) *Cor.* VI, 103. 2) *Cor.* XIII, 9. 3) B. العظمة. 4) *Cor.* LIX, 2.

ما يَسْحَرُ الذهْنَ ويُنوِّرُ الأفكار، فإن فُقِدَتْ مجالستهم، فلا عِوَضَ منها غيرُ كتاب يتّخذه جليسه، ويَجِدُه فى كلّ وقت أنيسه، ويتنسّمه روضاً يانع الأزهار، وإذا نظر اللبيبُ بفطنته الى أصْناف العِباد، ومُخْتلِف الآباد، أغناهُ ذالك عن المشاهدة، وقام له الاستماعُ مقامَ المعاينة والاستخبار.

قال المؤلّف: ولمّا كُنْتُ كَلِفْتُ بأخبار الخُلَفاء والأئمّة والأُمراء بالبلاد المَشْرِقيّة والمَغْرِبيّة وما والاهما من الأقطار، ووَلِعتُ بالمُناظرة فى ذالك مع الفُضَلاء والأخِلاّء ذَوِى الأقدار والأخطار، طَلَبَ بَعْضُهم إلىّ، ممّن يجب إكرامُه علىّ، أن أجْمع له كتاباً مُفْرَداً فى أخبار ملوك البلاد الغربيّة على سبيل الإيجاز والاختصار، ولازَمنى فى طلبه مِراراً، فلم يُمْكِنّى التوقُّفُ فى ذالك ولا الاعتذار، وحمَلَنى على جمعه وتأليفه حَمْلَ اضطرار لا اختيار. فجَمَعْتُ له فى هذا الكتاب نُبَذاً ولُمَعاً من عيون التواريخ والأخبار، ممّا أجرى الله به تصاريف الأقدار، فيما مرّ من الأزمنة والأعصار، فى بلاد المَغْرِب وما والاها من الأقطار: جمعْتُ ذالك من الكُتُب الجليلة مُقْتَضِباً من غير إسهاب ولا إكثار، فاقتطفْتُ عيونَها، واقتضبْتُ فنونَها، ووَصَلْتُ الحديث بالقديم[1]، والقديم بالحديث، لأنّه، إذا اتّصل، يُسْتَظْرَف ويُسْتَحْلَى، كما قال بَعْضُهم [كامل مجزوء]:

وسَئِمْتُ كلّ مآرِبى ... فكأنّ أطْيَبَها خَبيثُ
إلاّ الحديثَ فإنّـهُ ... عند اسمه أبَداً حَديثٌ

فنقَلْتُ — والله ولىُّ التوفيق! — من تأريخ الطَّبَرىّ، والبَكْرىّ، والرَّقيق، والقُضاعىّ، ومن كتاب «الذَّيْل» لابن شَرَف، ومن كتاب ابن أبى الصَّلْت، ومن «المجموع المُفْتَرَق»، ومن كتاب «بَهْجة النفْس ورَوْضة الأُنْس»، ومن كتاب «المِقْباس»، و«المُقْتَبَس»، و«القَبَس»، ومن مُخْتَصَرَىْ عَريب وابن حَبيب، ومن «دُرَر القلائد وغُرَر الفوائد»، ومن «القلائد» و«المَطْمَح» لابن خاقان، ومن كتاب ابن حَزْم، و«ذخيرة» ابن بَسّام، ومن «أخبار

---

1) B. بالحديث.

الدولة العامِريّة» لابن حيّان، ومن كتاب «تَقَصّى الأنباء فى سياسة الرؤساء»، ومن كتاب «الأنوار الجَلِيّة فى الدولة المُرابِطيّة»، ومن «نَظْم الجُمان فى أخبار الزمان» لابن القَطّان، ومن كتابَى الأشيرى والبَيْذَق [1]، وكتاب يوسف الكاتب، وكتاب ابن صاحِب الصّلاة أبى مروان، ومن كتاب ابن رَشيق، ومن كتاب وَجَدتُه أو تعليق، ومن شيوخ أخذتُ الأخبار الوقتيّة عنهم بتحقيق. والله الهادى الى سواء الطريق!

ولمّا كمل ما قيّدتُه وجرّدتُه، جَزّأتُهُ على ثلاثة أجزاء: كلُّ جُزْء منها كتابٌ قائمٌ بنفسه، ليكون لمُطالِعه أوضحَ بيان، وأسهلَ مرام لدى العِيان. وسمّيتُه بالبَيان المُغْرِب فى اختصار أخبار مُلوك الأندلس والمَغرب.

امّا الجُزْء الأوّل: فاختصرتُ فيه أخبار إفريقية من حين الفَتْح الأوّل، فى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان – رضه –؛ ثمّ أخبار أُمَرائها من وُلاة الخلفاء الأمويّين، ومن دخل الغَرْب منهم، ومن قام بإفْريقية من الصُّفْريّة والأباضيّة؛ ثمّ قام فيها بالدولة العبّاسيّة، ومن ملكها من بنى الأغْلَب؛ وأخبار بنى عُبَيْد الشيعة؛ وأخبار زناتة والصَّنْهاجيّين وغيرهم، وكلّ ما اشتهر من أمرهم، الى حين انتقال العُبَيْدِيّة الى البلاد المصريّة، واستخلافهم صَنْهاجة على إفريقية؛ ثمّ خلع صنهاجة لهم، واستيلائهم على إفريقية. ونذكر فتنة العرب [2] وأسبابها، ودخولهم الى القَيْرَوان وخرابها، وتنقّل أُمراء صنهاجة الى المَهْدِيّة، ومن ملكها منهم، وما اشتهر فى ذلك من الأخبار عنهم من ملوك المَنادِيّين، والحَمّاديّين، الى حين ظهور المُوَحِّدين. وَلَخّصْتُ فى ذلك كلّه أخبار أمراء البلاد الغربيّة، ومن دخلها...... [3] من أخبار الدولة العُبَيْديّة؛ وذكرتُ أخبار المِدْراريّين السِّجِلْماسيّين، والأمراء الإدريسيّين، وأخبار البَرْغَواطيّين، والزّناتيّين، ومن ملك فاساً من زناتة المَغْراويّين، ومن وُلاة الخُلَفاء الأمويّين الأنْدَلُسيّين،

1) B. من كتاب الاشيرى البَيْذق. 2) B. للعرب. 3) Ici le texte présente une courte lacune, due sans doute à l'inattention du copiste du ms. B.

على أنّ أخبار المغرب الأقصى أكثرُ من أن تُحصَى ؛ لاكنّى نسقتُها نسقَ الأسلاك ، وسقتُ من كان فيه على الوَلاء من الأملاك . من حين فتحِهِ الأوّل ، الى حين ابتداء الدولة اللَّمْتُونيَّة المُرابِطيَّة .

والجُزْء الثانى : اختصرتُ فيه أخبار جزيرة الأنْدَلُس ، وأملاكها الغابرين الدرْس ، من حين الفتح الأوّل ، ثمّ من وليها من الأمراء للخُلَفاء الأمويّين بالمشرق ، ثمّ من قام بها من العَرَب الفِهْريّين ، الى حين دخول الخلفاء الأمويّين فى ابتداء أمرهم ، ومن قام عليهم من الثوّار الأنْدَلُسيّين . وذكرتُ بعض أخبارهم وآثارهم فى غزواتهم وحركاتهم ، الى انقضاء مدّتهم بعد ذكـر حُجّابهم العامريّين ومآثرهم الى حين انقضاء الدولة العامِريَّة ، وقيام الفتنة البَرْبَريَّة . وذكرتُ فيه أخبار ملوك الطَّوائف ، بعد انقضاء دُوَل الخلائف ، من الحَمُّوديّين ، والهُوديّين ، والجَهْوَريّين ، والعبَّاديّين ، وفِتيان العامِريّين ، والصُّمادِحيّين ، والزَّنابيّين ، والبَكْريّين ، والأفْطَسيّين ، والصَّنْهاجيّين ، وغيرهم من الرؤساء الأندلسيّين ؛ وكلُّ ذلك الى حين دخول لَمْتُونة الى الأنْدَلُس سنة ٤٧٨ .

والجُزْء الثالث : اختصرتُ فيه أخبار الدولة المُرابِطيَّة اللَّمْتُونيَّة ، وخروجهم من صَحْرائهم فى ابتداء أمرهم ، واستيلائهم على مملكة أُمَراء المغرب والأنْدَلُس ، وخلعهم لجميعهم ، وتغلُّبهم على مملكة كلّ منهم ، وما تسنّى لهم فيها من الفُتوحات والمَنوحات ، الى حين ابتداء دولة المُوَحِّدين وظهورهم ، ونُبَذٍ من أحوالهم وأُمورهم ثمّ ما كان بين أُمراء الدولتَين من مُقاتَلات ومُنازَلات ، وحَصْرٍ من حُصِر ، ونَصْرٍ من نُصِر — سمح الله لهم ! — وذلك الى حين انقراض الدولة المُرابِطيَّة ، وابتداء الدولة الموحِّديَّة . ثمّ ما تخلّل بعد ذلك للموحِّدين من النصر والتأييد ، ومن فُتوح ومُنوح ، وصُنْعٍ عجيب فى البلاد الإفريقيَّة والأنْدَلُسيَّة ، الى حين انقراض دولتهم ، وذلك بسبب أحداث حدثَتْ عليهم ، وأحوال نُسِبَتْ اليهم ؛ وذكرتُ الدولـة الحَفْصيَّة المُوَحِّديَّة الهِنْتاتيَّة ، فى البلاد الإفريقيَّة ، والدولة الهُوديَّة المُتَوَكِّليَّة والنَّصْريَّة الأحْمَريَّة ، فى البلاد الأندلسيَّة ، والدولة السعيدة

المَرينيّة، فى البلاد الغَرْبيّة؛ اختصرتُ من ذلك كلّه ما اشتهر أمرُه، وأمكنَنِى ذكرُه.. وذكرتُ بعض البَيْعات والرسائل السُّلْطانيّات، وما تعلّق بها، وكان بسببها من الوقائع المذكورات، والأمور المشهورات؛ وذلك الى انقضاء الدولة المُوَحّديّة، واستيلاء الإمارة اليوسُفيّة المَرينيّة على حَضْرَتهم المَرّاكُشيّة؛ وذلك على مرور السِّنين الى عام ٦٦٧.

قال المؤلّف — سمح الله له! — : فإن كنتُ اقتصرتُ، فيما اختصرتُ، فعُذْراً فيما ظهر من تقصير، وباع قصير! فإنّ الذِّهْن كليل، والقلب شغيل. وكنتُ قد قدّمتُ نُسخةً من هذا الكتاب، ورُبّما زِدتُّ فى هذه الثانية أو نقصت، إذ كان الأَوْلَى بى والأحْرَى، ألّا أُقدِّمَ الأُولى ولا أُوخِّرَ الأُخرى؛ ولاكنّى لا أَمْلِكُ لنفسى نفعاً ولا ضَرّاً؛ وحَسْبِى الاعتراف، فهو سبيل الإنصاف! نسأل الله الإرشاد الى سواء السبيل، فهو حَسْبِى ونِعْمَ الوكيل!

ذكر حَدّ المَغْرِب وإفريقية وما اتّصل بهما وعُدّ معهما

قال أبو مَرْوان فى كتاب «المِقْباس»، وابن حَمَادُه[1] فى كتاب «القَبَس»، وغيرهما، من المؤرّخين لأخباره، المُعْتَنِين بآثاره: إنّ حَدّ المغرب هو من ضَفّة النيل بالإسْكَنْدَريّة، التى تَلِى بلاد المغرب، الى آخر بلاد المَغْرِب؛ وحَدُّه مدينةُ سَلا. وينْقَسِم أقساماً: فقِسْمٌ من الإسْكَنْدَريّة الى إطْرابُلُس؛ وهو أكْبَرُها، وأقلُّها عِمارةً؛ وقِسْمٌ من إطْرابُلُس وهى بلاد الجَرِيد، ويُقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى؛ ويَلِى هذه البلاد بلادُ الزاب الأسفل؛ وحَدُّها الى مدينة تِيهَرْت، ويَلِيها بلادُ المغرب؛ وهى بلاد طَنْجة؛ وحَدُّها مدينةُ سَلا، وهى آخر المغرب. وإذا جُزْتَ سَلا، وأخَذتَ الى ناحية الجنوب، تركْتَ مَغْرِبَ الشمس يُمْنةً، وأخَذتَ منها قافلاً الى القبلة، فتُسَمَّى تلك البلاد بلاد تامَسْنا. ويُقال لها أيضاً بلاد السُّوس الأدْنَى. وحَدُّها الى جبل دَرَن. وإذا جُزْتَ هذا الجبل، فعَنْ يمينك

1) B. حَمّادَة.

بلاد السُّوس الأقْصَى، ويُقال لها بلاد ماسّة؛ ويتّصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء الى بلاد السودان، وهى بلاد الزِّنْج. وبلاد الأنْدَلُس أيضاً من المغرب، وداخِلةٌ فيه، لاتِّصالها به. ويَليها المجاز الأعظم، الذى يسمّى بحر الزُّقاق؛ وفيه مَصَبُّ البحر الكبير، الذى يُسمَّى المُحِيط؛ ويُقال له بحر الظُّلُمات. وهذا البحر لا يُعْلَم له ساحِلٌ غير الذى عليه بلاد السُّودان وبلاد المَجُوس، الذين يَلُون بلاد الأنْدَلُس. ويَصُبُّ ماء الزُّقاق فى البحر الرومىّ؛ ويُقال له أيضاً البحر الشامىّ؛ وهو يتّصلُ الى بلاد الشام الى ناحية القُسْطَنْطِينة. وبينه وبين بحر الزُّقاق الخليجُ الذى منه. وذكر ابن حَمَادَه[1] أنّ حدَّ المغرب من بحر القُلْزوم (وهو الهابط[2] من اليَمَن الى عَدَن الى عَيْذاب الى القُلْزوم ويأتى من مِصْرَ قبلةً وشرقاً). وحدُّ المغرب من الجَوْف البحرُ الشامىّ، وهو بحر الإسْكَنْدَرِيّة. وهو المُتَفرِّغ فى بحر الزُّقاق من جزيرة طَرِيف؛ وعلامتُه صَنَمُ قادِس. وحدُّ المغرب من الغرب البحر المُحِيط المسمَّى الأبْلايُه. وصار المغرب كالجزيرة؛ دخل فيه بعضُ أعمال مِصْرَ، وإفريقيةُ كلُّها، والزابُ، والقَيْرَوانُ، والسُّوس الأدْنَى، والسُّوس الأقْصَى، وبلاد الحَبَشة. ومنه يتفرّع نيلُ مِصْرَ.

ذكر فَضْل المَغْرِب وما ورد فيه من الأَخبار والآثار

رُوِىَ عن رسول الله — صلّعم — أنّه قال: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتى بالمغرب ظاهرينَ على الحقّ حتّى تقوم الساعة!» ومن ذلك ما أخرجه مُسْلِم فى «صَحيحه» عن سَعْد بن أبى وَقّاص أنّ رسول الله — صلّعم — قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة!» وذكر البُخارىّ، عن النبىّ — صلّعم — قال: «ستَكونُ فتنةٌ، خَيْرُ الناس فيها الجُنْد الغَرْبىُّ.» وعن أنَس بن مالك، قال: سمعتُ رسولَ الله — صلّعم — يقول: «لا تزال عِصابةٌ من أُمَّتى بالمغرب، يقاتلون على الحقّ، لا يَضُرُّهم من خالَفهم، حتّى يروا قياماً فيقولون: غَشِيتُم! فيغشون سَرْعانَ خيلِهم؛

1) B. حَمَّادة. 2) B. الضابط.

فيرجعون اليهم، فيقولون: الجبال سُيّرت! فيخرّون سُجّداً فتُقْبَضُ أرواحُهم.» ورُوِىَ أنّ رسول الله — صلعم — كان يقول: «خَيْر الأرض مَغَارِبُها، وأعوذُ بالله من فتنة الغَرْبْ!» وذكر خالد بن سعيد أنّ محمّد بن عُمَر بن لُبابة كان يَرْوِى عن عُبَيْد الله بن خالد، عمّن حدّثه عن أبي زيد المِصْرِىّ، يرفع الحديث عن ابن عبّاس — رضه —، عن أبى أيّوب الأنصارىّ، قال: بينما رسول الله — صلعم — واقفٌ، إذ توَجَّه تِلْقاء المغرب، فسلَّم، وأشار بيده، فقلتُ: «على من تسلِّم؟ يا رسول الله!» قال: «على رجال من أُمّتى يكونون فى هذا المغرب، بجزيرة يُقال لها الأَنْدَلُس، حيّهم مُرابطٌ، وميّتهم شهيدٌ! وهم ممّن استثنى اللهُ فى كتابه: «فصَعِق من فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء اللهُ![1]» وصحّ وَعْدُ رسول الله — صلعم — أنّ الإسلام سيَبْلُغ مشارِقَ الأرض ومَغارِبَها. فكان الأمر كما وعد.

وقال الحُمَيْدىُّ فى قول رسول الله — صلعم — «لا يزالُ أهل الغَرْب ظاهرين على الحقّ حتّى تقوم الساعة»: هذا، وإن كان عامًّا، فللأَنْدَلُس منه حظٌّ وافرٌ بدخولها فى الإسلام، وتحقُّقِها من المغرب، وأنّها عن آخر المعمور فيه. وبعضُ ساحلها الغَرْبىّ والبحر مُحيطٌ بجميع جهاتها، فصارت بين البحر والرُّوم. وروى الرَّفيق عن عبد الله بن وَهْب، يرفع الحديث الى النبىّ، أنّه بعث سَرِيّةً فى سبيل الله، فلمّا رجعوا، ذكروا شدّة البَرْد الذى أصابهم، فقال رسول الله — صلعم —: «لاكن إفريقية أشدُّ بَرْداً وأعْظَمُ أجْراً!» وعن سُفْيان بن عُيَيْنة، إنّ النبىّ — صلعم — قال: «الشرُّ عشرة أجزاء، فتسعةٌ فى المشرق، وواحدٌ فى سائر البلدان!»

٢ *ويُقال[2] إنّ بإفريقية ساحِلاً يُقال له المُنَسْتِير، وهو بابٌ من أبواب الجنّة. وبها جبلٌ يُقال له المَمْطُور: بابٌ من أبواب جهنّمَ. وفى الحديث أنّ إفريقية يُحْشَر منها سبعون ألف شهيد، وجوهُهم كالقمر ليلة البَدْر. وعن سُفْيان بن عُيَيْنة، قال: يُروى أنّ بالمغرب باباً للتَّوْبة، مفتوحاً مسيرةَ أربعين خريفاً، لا يغلقه الله حتّى تطلع منه الشمس.

---

1) *Cor.* XXXIX, 68. 2) Ici débute la partie lisible du ms. A.

ودخل إفريقية من أصحاب رسول الله – صلّعم – من المهاجرين الاوّلين ناسٌ كثيرٌ. ودخل الأَنْدَلُسَ[1] من التابعين قومٌ. فأَوَّلُ من دخل إفريقية غازياً، فى زمن عُمَر بن الخطّاب – رضه – عَمْرو بن العاصِى؛ وكان استفتح مِصْر فى سنة ٢٠ من الهجرة، ووجّه منها عُقْبَةَ بن نافِع الفِهْرىَّ الى لُوبية وإفريقية؛ فافتتحهما. ثمّ توجّه عمرو بنفسه الى بَرْقة؛ فصالح أهلها على الجزية: دينارٌ على كلّ حالم. وتوجّه منها الى إِطْرابُلُس؛ فافتتحها بعد استغاثة أهلها بقبيل* من البربر يقال لهم نُفُوسة، إذ كانوا دخلوا معهم فى دين النصرانيّة.

P.

ابتداء التأريخ سنة إحدى وعشرين من الهجرة[2]

فيها افتتح عَمْرو بن العاصىَ مدينة الإسكندريّة.

وفى سنة ٢٢ بعدها، افتتح بلاد إِطْرابُلُس، وكتب الى أمير المؤمنين عُمَر ابن الخطّاب – رضه – يُخْبِره بما أفاء الله عليه من النصر والفتح، وان ليس أمامه إلّا بلاد إفريقية، وملوكُها كثيرٌ، وأهلُها فى[3] عدد عظيم[3]؛ وأكثرُ ركوبهم الخيل. فأمره بالانصراف عنها؛ فأمر عمرو العسكر بالرحيل قافلاً الى مِصْرَ. ثمّ استُشْهِدَ عُمَر – رضه –؛ فلمّا ولى عثمان الخلافة، عزل عمرو بن العاصى عن مِصْرَ، وولّاها عبدَ الله بن سَعْد بن أبى سَرْح، سنة ٢٥ من الهجرة.

وفى سنة ٢٧ من الهجرة، أمر أمير المؤمنين عثمان عبدَ الله بن سَعْد بن أبى سَرْح[4] العامرىَّ بغزو[4] إفريقية.

فتح إفريقية للإسلام

ندب عثمان – رضه – الناسَ الى غزوها؛ فخرج المسلمون فى جيش عظيم، فيهم مروان بن الحَكَم، وجَمْعٌ كثيرٌ من بنى أمية، وبَشَرٌ كبيرٌ من بنى أَسَد بن عبد

1) B. أندلس. 2) Ce titre manque dans A. 3—3) Manque dans A.
4—4) Manque dans A.

العزّى، وعبد الله بن الزُّبَيْر بن العوّام فى عدّة من قومه، وعبد الرحمن بن أبى بكر – رضه – وعبد الله بن عمر بن العاصى، والمُطّلب بن السائب، وبِشْر ابن أرطاة، وغيرُ هؤلاء من المهاجرين. وأعان عثمان المسلمين فى هذه الغزوة بألف بعير، يُحمل عليها ضُعَفاء الناس؛ وفتح بيوت السلاح التى كانت للمسلمين. فلمّا توافى الناسُ، جدّوا السير[1]، وذلك فى المحرّم من هذه السنة. وأمر الناس؛ فعسكروا. وقام فيهم خطيباً؛ فوعظهم، وذكّرهم وحرّضهم على الجهاد؛ ثمّ قال: «وقد عهدتُ الى عبد الله بن سَعْد* أن يُحْسِن صحبتكم، ويرفق بكم؛ وقد استعملتُ عليكم الحارث بن الحكَم، الى أن تَقْدَموا على ابن أبى سَرْح. فيكون الأمر له!»

بعض أخبار عبد الله بن سَعْد وإمْرته

نسبُه: هو عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح العامرىّ[2]. وكان يكتب الوَحْىَ الى رسول الله – صلعم –. ثمّ ارتدّ عن الإسلام، ولحق بالمُشْرِكين بمكّة. وكان مُعاوية بن أبى سُفيان بمكّة قد أسْلَم، وحَسُن إسلامُه؛ فاتّخذه رسولُ الله – صلعم – كاتباً للوحى، بعد ابن أبى سَرْح. فلمّا فتح النبىُّ – صلعم – مكّة، استجار ابن أبى سَرْح بعثمان؛ فأخذ له عثمان الأمان من النبىّ – صلعم –. وكان ابن أبى سَرْح أخاً لعثمان من الرضاعة؛ فحسُن إسلامُه من ذلك الوقت. فلما أفضت الخلافة الى عثمان – رضه – ولّاه مُلْكَ مِصْر وجُنْدَها. فكان يبعث المسلمين فى جرائد الخيل، يغيرون على أطراف إفريقية؛ فيُصيبون كثيراً من الأنفس والأموال. فكتب الى عثمان بذلك؛ فكان السبب فى توجيه الجيس اليه، وتقديمه عليه. وأمر له بالدخول لغزو إفريقية؛ فخرج عبد الله من مِصْر فى عشرين ألفاً الى إفريقية، وصاحبُها بَطْرِيقٌ يُقال له جِرْجِير؛ وكان سلطانُه من إطْرابُلُس الى طَنْجة؛ فبعث عبد الله السرايا فى آفاق إفريقية؛ فغنموا فى كلّ وجه. والتقى عبد الله مع

---

1) Tout le passage qui précède est lacunaire dans A.
2) Manque dans B.

البطريق ضحى النهار، في موضع يُعرف بسُبَيْطُلة[1]. وكان جرجير في مائة وعشرين ألفاً، فضاق المسلمون في أمرهم واختلفوا * على ابن سَعْد في الرأى. فدخل فُسْطاطَه، مُفكِّراً في الأمر. فلمّا رأى جرجير خَيْلَ العرب، اشتدّ رعبُه، وأهمّته نفسُه. فأخرج دَيْدَبانَه، وصعد فيه يُشرف على العساكر ويرى القتال؛ وأمر ابنتَه، فصعدت الدَّيْدَبان، وسَفَرت عن وجهها. وكان عدّةُ خَدَمها اللاءى صَعِدْنَ الدَّيْدَبان أربعين جارية، في الحَلْي والحُلَل، من أجمل ما يكون. ثمّ قدّم كَرَادِيسَه، كُرْدُوساً كُرْدُوساً، وهو تحت الدَّيْدَبان؛ ثمّ قال لهم: «أتعرفون هذه!» فقالوا: «نعم! هذه سيّدتُنا، ابنةُ الملك، وهؤلاء خَدَمُها!» فقال لهم: «وحقِّ المسيح ودين النصرانيّة! لئن قتل رجلٌ منكم أميرَ العَرَب عَبْدَ الله بن سَعْد، لأُزَوِّجُه ابنتي هذه، وأعطيه ما معها من الجوارى والنعمة، وأُنزِلُه المنزلة التى لا يطْمَعُ فيها أحدٌ عندى!» وما زال ذلك من قوله، حتّى مرّ على مَسامِع خَيْله ورَجْله؛ فحرّض بذلك تحريضاً شديداً.

P. ٥

وإنّ عَبْدَ الله بن سَعْد، لمّا انتهى اليه ما فعل جرجير، وما كان من قوله، نادى في عسكره؛ فاجتمعوا؛ فأخبرهم بالذى كان من جرجير؛ ثمّ قال: «وحقِّ النبيّ محمّد — صلعم —! لا قتل أحدٌ منكم جرجيراً إلّا نفّلته ابنتَه ومن معها!» ثمّ زحف بالمسلمين؛ فالتقى الجمعان، واستحرّ القتال، واشتعلت نار الحرب، والمسلمون قليلٌ، والمشركون في عشرين ومائة ألف. فأشكل الأمر على ابن سَعْد، ودخل فُسْطاطَه مُفكِّراً في الأمر[2].

ذكر قَتْل عبد الله بن الزُّبَيْر — رضه — لجرجير مَلِك إفريقية والمغرب كلّه

قال عبد الله بن الزُّبَيْر: فرأيت عَوْرةً من جرجير، والناسُ على مصافّهم؛

1) A. et B.: بسيطلة.

2) Le dernier alinéa de ce chapitre présente dans A. une lacune importante.

رأيتُه على بِرْذَوْن أشْهَب خَلْفَ أصحابه، منقطعاً عنهم، معه جاريتان له تُظِلّانِه من الشمس بريش الطواويس. فأتيتُ فسطاطَ عبد الله بن سَعْد، فطلبتُ الإذن عليه. فقال لى حاجِبُه: «دَعْه! فإنّه يفكّر* فى شأنكم، ولو اتَّجَهَ له رأىٌ لَدَعا P. 6 بالناس!» فقلتُ: «إنّى محتاجٌ الى مذاكرته!» فقال له: «أمَرَنى أن أحبس الناس عنه، حتّى يدعونى.» قال: فدُرْتُ حتّى كنتُ من وراء الفُسْطاط. فرأى وجهى. فأومأ الىّ أن «تَعالَ!» فدخلتُ عليه، وهو مُسْتَلْقٍ على فراشه، فقال: «ما جاء بك؟ يابْنَ الزُّبَيْر!» فقلتُ: «رأيتُ عَوْرةً من عدوّنا. فرجوتُ أن تكون فُرْصةً هيّأها الله لنا، وخشيتُ الفَوْتَ!» فقام من فوره، وخرج حتّى رأى ما رأيتُ. فقال: «ايها الناس! انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوّكم!» فتسرّع الىّ جماعةٌ اخترتُ منها ثلاثين فارساً. فقلتُ: «إنّى حاملٌ! فاصرفوا عن ظهرى من أرادنى! فإنّى سأكفيكم ما أمامى إن شاء الله!» قال عبد الله: فحملتُ فى الوجه الذى هو فيه، ودبّ عنّى الناسُ الذين انتدبوا معى واتّبعونى، حتّى خرقتُ صفوفَهم الى أرض خالية. فضاء بينى وبينهم. فوالله! ما حَسِبَ إلّا أنّى رسولٌ اليه حتّى رأى ما بى من أثر السلاح، فقدّر أنّى هاربٌ اليه. فلمّا أدركتُه، طعنتُه، فسقط: فرميتُ نفسى عليه، وألقتْ جاريتاه عليه أنفُسَهما، فقطعتُ يد إحداها، أجهزتُ عليه، ورفعتُ رأسه على رمحى. وجال أصحابُه. وحمل المسلمون فى ناحيتى، وكبّروا، فانهزم الرُّوم، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا. وثارت الكمائن من كلّ جهة ومكان، وسبقتْ خيولُ المسلمين ورجالُهم الى حصن سُبَيْطُلة، فمنعوهم من دخوله. وركبهم المسلمون يميناً وشمالاً فى السهل والوعر، فقتلوا أنجادَهم وفرسانَهم، وأكثروا فيهم الأسارى، حتّى لقد كنتُ أرى فى موضع واحد أكْثرَ من ألف أسير.

وذكر أشياخٌ من أهل إفريقية أنّ ابنة جرجير، لمّا قُتِل أبوها، تنازَعَ الناسُ فى قتله، وهى ناظرةٌ اليهم، فقالت: «ما لى أرى العَرَبَ يتنازعون!» فقيل لها: «فى قَتْل أبيك!» فقالت: «قد رأيتُ الذى * أدرك أبى، فقتَلَه.» P. 7

فقال لها الأمير ابن أبي سَرْح: «هل تَعرِفينَهُ؟» فقالت: «إذا رأيتُه، عرَفْتُه!» قال: فمرَّ الناسُ بين يدَيْها، حتّى مرَّ عبد الله بن الزُّبير. فقالت: «هـذا، والمسيح! قتل أبي!» فقال له ابن ابي سَرْح: «لِمَ كتَمْتَنا قتْلَك اياه؟» فقال عبد الله: «عَلِمَهُ الذى قَتَلْتُه من أجْلِهِ!» فقال الأمير: «إذاً والله! أُنَفِّلك ابنته!» فنفّله ابن أبي سَرْح ابنةَ المَلِك جرجير. فيُقال إنه اتَّخذَها أُمَّ وَلَدٍ.

ولمّا انهزمت جيوشُ جرجير، سار عبد الله بن أبي سَرْح حتّى نزل بابَ مدينته العُظْمى: قَرْطاجَنّة، فحصرها، من كان معه من المسلمين، حصاراً شديداً، حتّى فُتِحَتْ. فأصاب فيها من السَّبْى والأموال ما لا يُحيط بـه الوصفُ. وكان أكثرُ أموالهم الذهب والفضّة[1]، فكانت توضع بين يدَيْه أكوامُ الذهب والفضّة، لأنّه افترع إفريقية بِكْراً. فعجب، هو والمسلمون، من كثرة ذلك، فقال للأفارِقة: «من أين لكم هذا؟» فجعل الرجل منهم يلتمس شيئاً من الأرض، حتّى جاء بنواةِ زيتونٍ، فقال: «من هذا أصبنا الأموال، لأنَّ أهل البَحْر والجُزُر ليس لهم زيتٌ، فكانوا يمتارونه[2] من هنا!» فكان سَهْمُ الفارس ثلاثـة آلاف دينار عَيْناً، وسَهْمُ الراجل ألف دينار. وقسم[3] ابن أبي سَرْح السرايا والغارات من مدينة سُبَيْطُلة. فبلغت جيوشهُ[4] بقصر[5] قَفْصة، فسبوا كثيراً وغنموا. فأذلّت هذه الوقعة الرُّومَ بإفريقية، ورُعِبوا رُعْباً شديداً. فلجَؤوا الى الحصون والمعاقل. ثمّ طلبوا من عبد الله بن سَعْد أن يقبض منهم ثلاثمائة قنطار من الذهب فى السنة، جِزْيةً على أن يكُفَّ عنهم، ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك منهم، وقبض المال. وكان فى شرط صلحهم أنّ ما أصاب المسلمون قبل الصُّلْح فهُوَ لهم، وما أصابوه بعد الصُّلْح ردُّوه عليهم. ودعا الأمير عبدُ الله بن سَعْد عبدَ الله بن الزُّبَيْر، فقال له «ما أحدٌ أحقُّ بالبشارة منك! فامْضِ، فبَشِّر أمير المؤمنين عثمان — رضه — بالمدينة، بما أفاء اللهُ على المسلمين!» فتوجّه عبد الله بن الزُّبَيْر

---

1 Lacune importante dans A. 2) A.: يشرون الزيت. 3) A.: وبعث.
4) A.: خيوله. 5) A.: قصور.

من سُبَيْطِلة. فقيل إنّه وافى المدينة فى أربعة * وعشرين يوماً؛ وكانت إقامته P. 8
بإفريقية سنةً وشهرَيْن. ثمّ وصل فَىْء إفريقية الى المدينة؛ فبيع المَغْنَم. فطَفِق
مروان بن الحَكَم على الخُمسُ، فأَخَذَ منه خمسين ألف دينار؛ فسلّم له من ذلك
عثمان — رضه —. فكان ذلك ممّا انتقد عليه.

وفيه، وفى رَدّ الحَكَم أبيه بعد أن أنفاه رسولُ الله — صلّعم — يقول عبد
الرحمن أخو كِنْدة [متقارب]:

سَأَحْلِفُ باللهِ جَهْدَ اليَميـــنِ ما تَرَكَ اللهُ شَيْئاً سُدَى
ولٰكِنْ خُلِقْتَ لنا فِتْنــةً لِكَىْ نُبْتَلَى بِكَ وتُبْتَلَى
دَعَوْتَ اللعينَ فأَدْنَيْتَــهُ خِلافاً لِسُنَّةِ مَنْ قد مَضَى
وأعطَيْتَ مَرْوانَ خُمْسَ العِبا دِ ظُلْماً لَهُمْ وحَمَيْتَ الحِمَى

وقال مَرْوان بن الحَكَم يوماً، فى مَجلسِ مُعاوِيَة: «ثلاثٌ لم أدخُلْ فيهنّ حراماً
قطُّ: دارِى بالمدينة، ومالِى بِذِى خُشُب، وصَدَقاتُ نِسائِى!» فنظر مُعاوية الى
عبد الله بن الزُبَيْر، وكان حاضراً[1]، فقال له: «ما تقول؟ فإنّك طَعّانٌ!»
فقال «مَهْلاً! أبا عبد المَلِك! خرجنا مع ابن أبى سَرْح الى غزو إفريقية. فوالله!
ما كان مروان أحْسَنَنا وَجْهاً، ولا أكْثَرَنا نَفَقةً، ولا أعْظَمَنا فى العدوّ نِكايةً!
فطَفِق على خُمسِ إفريقية بِمَ تعلم، وتَحابَى له من تعلم؛ فبنى منه الدار، واتّخذ
منه المال، وتزوّج منه النساء!» فقال له مروان: «أتطْعنُ على أمير المؤمنين
عثمان؟» فقال له مُعاوية: «دَعْهُ وخُذْ منّى غير هذا! فإنّك صِحَّةُ ما أقول!»

قال الطَّبَرىّ: كان عثمان — رحمه الله! — قال لعبد الله بن سَعْد: «إن فتح
الله عليك إفريقية. فلَكَ ممّا أفاء الله على المسلمين خُمسُ الخُمُسِ نَفْلاً.»
فلما فتح إفريقية فى هذه السنة، وهى سنة ٢٧، قسم عبدُ الله الفَىْء على المسلمين.
فأبقى الخُمُس لنفسه، وبعث بأربعة أخماسه الى عثمان، وضرب فسطاطه فى
أرض القَيْرَوان؛ فوفد وَفْدٌ على عثمان، يشكون بابن أبى سَرْح فيما أخذ من

1) Série de lacunes dans A. jusqu'à la fin du chapitre. Il manque tout un feuillet.

الخُمُس؛ فقال لهم عثمان «أنا نفّلتُهُ أيّاه! وذلك الآن اليكم؛ فإن رَضِيتُمْ، فقد جاز، وإن غَضِبْتُم، فهو رَدٌّ!» قالوا: «فإنّا نَسْخَطُ!» فكتب عثمان الى ابن سَعْد بردّ ذلك. قالوا: «فاعزِلْه عنّا؛ فإنّا لا نُريد أن يتأمَّرَ علينا، وقد وقع ما وقع!» فكتب اليه أن «استخلِفْ على إفريقية رجلاً ترضاه ويرضَوْنه؛ واقسِمْ خُمُسَ الخُمُس الذى كنت نفّلتُك فى سبيل الأخماس؛ فإنّهم قد سَخِطوا النفل!» ففعل ذلك عبدُ الله، ورجع الى مِصْر، وقد فتح الله إفريقية. فما زالوا من أسْمَعِ أهْلِ الأقاليم وأطْوَعِهم، الى زمن هشام بن عبد الملك. ثمّ ورد الخُمُس على أمير المؤمنين عثمان؛ فكان من أمر مروان بن الحَكَم فيه ما تقدّم ذِكْرُه.

وفى سنة ٢٨، غزا حَبِيب بن مَسْلَمة قُورية من أرض الروم. ذكر ذلك الطَّبَرىُّ وغيرُه.

وفى سنة ٢٩، افتتح عبد الله بن عامِر أرض فارِس.

وفى سنة ٣٠، سقط الخاتَم من يد عثمان – رضه – فى بئر أريس؛ وقد ذكرنا خَبَر سقوطه فى كتابنا المسمّى بـ «البَيان المُشْرِق، فى أخبار المَشرِق».

وفى سنة ٣١، كانت غزوة ذات الصوارى، وغزوة الأساوِرة، فى قول الواقدِىّ.

وفى سنة ٣٢، توفّى عبد الرحمن بن عَوْف – رضه –؛ وهو ابن خمس وسبعين سنة، وفيها مات عبد الله بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل. وفيها مات أبو طَلْحة، وأبو ذَرّ – رضهم –. وبها توفّى عبد الله بن مسعود؛ فدُفِن بالبَقيع.

وفى سنة ٣٣، كانت غزوة عبد الله بن أبى سَرْح إفريقية، مرّةً ثانيةً، حين نقض أهلُها العَهْدَ. هكذا ذكره عَرِيب فى مُخْتَصَره. وقد تقدّم خبر ابن أبى سَرْح على الجُمْلة دون تعيين سنة.

وفى سنة ٣٤، مات عُبادة بن الصامِت فى قول الواقدِىّ، وهو ابن اثنين وتسعين سنة؛ ودُفِن بالرَّمْلة. وفيها غزا مُعاوية بن حُدَيْج[1] إفريقية؛ وهى أوّل غزواته الى المغرب، ثمّ اشتغل الناس بعد ذلك بأمر عثمان – رضه – وبوقائع

---

1) B. خَدِيج.

الجمل وصِفّين وغيرها، الى أن اعتدلت الخلافة لمُعاوية بن أبي سُفْيَان.

وفي سنة ٣٥، استُشْهِد عثمان – رضه –. واستخلفه أمير المؤمنين عليٌّ – رضه – فنازعه مُعاوية ولم يبايعه.

وفي سنة ٣٦، عزل عليٌّ – رضه – ابن أبي سَرْح عن مِصْرَ، وأقام عليها قَيْس بن عُبادة الأنصاريّ.

وفي سنة ٣٧، كان العامل على مِصْرَ محمّد بن أبي بكر الصِّدّيق.

وفي سنة ٣٨، قُتِل محمّد بن أبي بكر الصِّدّيق بمِصْرَ، قتله مُعاوية بن حُدَيْج بأمر مُعاوية بن أبي سفيان. وقد ذكرنا شرح مقتله في «[البيان المُشْرِق] في أخبار المَشْرِق».

وفي سنة ٤٠، كانت مهادنةٌ بين عليّ – رضه – وبين مُعاوية، الى أن توفّى عليٌّ. وفيها دُعِيَ مُعاوية بأمير المؤمنين؛ وكان قبل ذلك يُدْعَى الأمير.

وفي سنة ٤٠ المذكورة، توفّى أمير المؤمنين أبو الحسن عليٌّ بن أبي طالب – رضه –؛ وبويع بالخلافة ابنه الحَسَن – رضهما.

وفي سنة ٤١، كان تسليمُ الحَسَن – رضه – الأمر لمُعاوية، واستوسقت المَمْلَكة له. وفيها غزا مُعاوية بن حُدَيْج إفريقية المرّة الثانية. قال عَرِيب في مُخْتَصَره: ذكر أهل العِلْم بأخبار إفريقية أنّ مُعاوية بن حُدَيْج نزل جبلاً فيها، فأصابه فيه مطرٌ شديدٌ، فقال: «إنّ جَبَلَنا هذا لمَمْطُور!» فسُمِّيَ البلد مَمْطُوراً الى الآن. وقال: «اذهبوا بنا الى ذلك القَرْن.» فسُمِّيَ ذلك الموضع قَرْناً. وكانت لمُعاوية هذا الى إفريقية ثلاث غزوات.

وفي سنة ٤٢، وُلِد الحَجّاج بن يوسف الثَّقَفيّ؛ وولّى مُعاوية مروانَ بن الحَكَم المدينةَ. وفيها غزا عُقْبة بن نافِع إفريقية. قال عَرِيب في مُخْتَصَره للطَّبَرِيّ: فيها غزا عُقْبة بن نافِع المَغْرِب، وافتتح غَدامِس، فقَتَل فيها وسبى.

وفي سنة ٤٣، مات عمرو بن العاصي بمِصْرَ، يومَ الفطر. فذُكِر أنّه عَمِلَ فيها لعُمَر بن الخطّاب – رضه – أربعَ سنين، ولعثمان – رضه – أربعَ سنين، ولمُعاوية سنتَيْن إلاّ شَهْراً.

وفى سنة ٤٤، عمل مروان بن الحَكَم المَقْصُورة بمسجد المدينة -كرّمها الله!- وعملها أيضاً مُعاوية بالشام.

وفى سنة ٤٥، غزا مُعاوية بن حُدَيْج الكِنْدىّ إفريقية. وكانت حَرْباً كلّها. قال الطَّبَرىّ: وذلك أنّ حُباحِبة الرومىّ قدم على مُعاوية بن أبى سفيان، فسأله أن يبعث معه جيشاً الى إفريقية؛ فوجّـه مُعاوية بن حُدَيْج فى عشرة آلاف مُقاتل. فسار حتّى انتهى الى الإسْكَنْدَرِيّة؛ فاستعمل عليها حُباحِبة الرومىّ. ومضى ابن حُدَيْج حتّى دخل إفريقية. وكان معه عبد الله بن عمر بن الخطّاب -رضى الله عنه وعن أبيه!- وعبد الله بن الزُّبَيْر -رضى الله عنه وعن أبيه!- وعبد الملك بن مروان ويحيى بن الحَكَم بن العاصى، وغيرهم من أشراف قُرَيْش. فبعث مَلِك الرُّوم الى إفريقية بَطْرِيقاً يُقال له نجفور[1]، فى ثلاثين ألفاً مقاتِل. فنزل الساحل فأخرج اليه مُعاوية بن حُدَيْج عبدَ الله بن الزُّبَيْر فى خيل كثيفة؛ فسار حتّى نزل على شَرَفٍ عالٍ، يُنْظَر منه الى البحر، بينه وبين مدينة سُوسة اثنا عشر ميلاً. فلمّا بلغ ذلك نجفوراً[2]، أقلع فى البحر، منهزماً من غير قتال. فأقبل ابن الزُّبَيْر حتّى نزل على باب سوسة؛ فوقف على البحر، وصلّى بالمسلمين صلاة العَصر، والرومُ يتعجّبون من جُرْءته. فأخرجوا اليه خَيْلاً، وابن الزُّبَيْر مُقْبلٌ على صلاته، لا يهولُه خَبَرُها، حتّى قضى الصلاة. ثمّ ركب، وحمل على الروم بمن معه*؛ فانكشفوا منهزمين. ورجع ابن الزُّبَيْر الى مُعاوية بن حُدَيْج، وهو بجبل القَرْن.

ثمّ وجّه ابن حُدَيْج عبدَ الملك بن مروان فى ألف فارس الى مدينة جَلُولا؛ فحاصرها، وقتل من أهلها عدداً كثيراً، حتّى فتحها عَنْوَةً؛ فقتل المقاتلة، وسبى الذُّرّيّة، وأخذ جميع ما كان فى المدينة، وحمل ذلك كلّه الى مُعاوية بن حُدَيْج؛ فقسمه على المسلمين. فيُقال إنّـه أصاب كلُّ رجل منهم مائتَىْ مثقال.

وأغزى مُعاوية بن حُدَيْج جيشاً فى البحر الى صِقِلِّيّة فى مائتى مركب؛

---

1) B. عفور. 2) B. عفوراً.

فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً، ثمّ انصرفوا الى إفريقية بغنائم كثيرة، ورفيق، وأصنام منظومة بالجوهر، فاقتسموا فيئهم. وبعث ابن حُدَيْج بالخُمس الى مُعاوية ابن أبى سفيان. هكذا نصّ عَريب فى مُختَصَره للطّبرىّ.

ومن أخبار مُعاوية بن حُدَيْج الكِنْدىّ بإفريقيّة

ذكر الرَّقيق فى كتابه قال: كان هِرَقْل مَلِك القُسْطَنْطِينة[1] العُظمى ورُومة[1] يؤدّى اليه كلُّ نصرانىّ، فى برّ أو بحر، جِزيته؛ منهم المُقَوْقِس، صاحب الإسكندريّة وبَرْقة؛ ومنهم صاحب إطرابُلُس وصَبْرة؛ ومنهم صاحب صِقلّيّة، وزُوم إفريقية والأنْدَلُس. فلمّا بلغه ما صالح عليه أهلُ إفريقية عبدَ الله بن أبى سَرْح، بعث الى إفريقية بَطْريقاً يُقال له اوليمة، وأمره أن يأخذ ثلاثمائة قنطار من الذهب، كما أخذ ابن أبى سَرْح. فنزل قَرْطاجَنّة، وأخبرهم بذلك. فأبوا عليه، وقالوا: «إنّ الذى كان بأيدينا من الأموال، فَدَيْنا به أنْفُسَنا من العَرَب! وأمّا المَلِك، فهو سيّدُنا؛ فيأخُذُ عادَتَه منّا!» وكان القائم بأمرهم رجلاً يُقال له حُباحِبة؛ فطردوا وليمة الواصل اليهم، واجتمع رأيهم على تقديم الاطربون. وصار حُباحِبة الى الشام؛ فقدم على معاوية. فوصف له حال إفريقية، وساله أن يبعث معه جيشاً من العَرَب[2]؛ فوجّه معه مُعاوية بن حُدَيْج، فى جيش كثيف؛ وذلك سنة ٤٥. فسار ابن حُدَيْج حتّى وصل إفريقية، وقد صارت ناراً. وكان معه جماعةٌ من قُرَيْش، قد تقدّم ذِكرُهم. وبعث ملكُ الروم البطريقَ المتقدّم ذكرُه فى ثلاثين ألفاً؛ فبعث ابن حُدَيْج اليه عبدَ الله بن الزُّبَيْر؛ فقاتَلَه. فأقلع منهزماً فى البحر. وحاصر ابن حُدَيْج جَلُولا؛ فكان يقاتلهم وَسَطَ النهار، وينصرف الى عسكره. فلمّا انصرف ذاتَ يوم، نسى عبدُ الملك بن مروان قوساً له معلّقةً بشجرة؛ فانصرف اليها؛ فإذا بجانب من [سور] المدينة قد انهدم. فصاح فى أثـر الناس. فرجعوا؛ فكان بينهم قتالٌ شديدٌ، حتّى دُخِلت المدينة عنوةً؛

1—1) Manque dans B. 2) Lacune de quelques lignes dans A.

واحتوى المسلمون على جميع ما فيها، كما تقدّم ذكرُه. وكان بين مُعاوية بن حُدَيْج وعبد الملك بن مروان تنازُعٌ فى ذلك، لأنّ عبد الملك أراد مُحاباةَ إخوانه وأصحابه، لأنه كان سَبَبَ فتح المدينة. فقال حَنَش الصَّنْعانىّ يوماً لعبد الملك: «ما شأنُك؟ فوالله! لَتَلِيَنّ [1] الخلافة، ويصير هذا الأمرُ اليك! فلا تَغْتَمّ!» فلمّا أفضت الخلافة الى عبد الملك، بعث الحجّاج بن يوسف لقتال عبد الله بن الزُّبَيْر، فأخذ حنشاً الصّنْعانىّ أسيراً، وبعث * الى عبد الملك بن مروان. فلمّا وقف بين يدَيْه، قال له: «ألَسْتَ أنْتَ الذى بشّرتنى بالخلافة يوم جَلُولا؟» قال: «نعم!» قال: «فَلِمَ مِلْتَ عنّى الى ابن الزُبَيْر؟» فقال: رأيتُه يريد [2] الله، ورأيتك تريد [3] الدنيا! فلذلك مِلْتُ اليه!» فقال: «قد عفَوتُ عنك!»

P. 11

وفى سنة ٤٦، قال البَلاذُرىّ: أوّلُ من غزا صِقِلِّيَةَ مُعاوية بن حُدَيْج؛ بعث اليها عبدَ الله بن قَيْس. ففتحها، وأصاب فيها أصناماً من ذهب وفضّة مكلّلة بجَوْهَرٍ، فحُمِلت الى مُعاوية بن أبى سفيان. فبعث بها الى الهِنْدِ، فأخذ ثَمَنَها. فأنكر الناسُ عليه ذلك إنكاراً كُلِّيًّا. وكان العاملُ على بلاد إفريقية من قِبَل مُعاوية بن أبى سفيان مُعاويةَ بن حُدَيْج الكِنْدىّ.

وفى سنة ٤٧، عزل مُعاوية بن أبى سفيان عبدَ الله بن عَمْرو بن العاصى عن مِصْرَ، وولّاها مُعاويةَ بن حُدَيْج الكندىّ [4]. وكان عثمانيًّا [4]؛ فسار متوجّها اليها من إفريقية. وكان قد قتل محمّد بن أبى بكر الصِّدّيق — رضه —؛ فلقيه عبد الرحمن بن أبى بكر، فقال له: «يا مُعاوية! قد أخذتَ أجْرَكَ من مُعاوية بن أبى سُفيان، حين قتلتَ محمّد بن أبى بكر، ليُوَلّيك مصر! فقد وَلّاكها.» فقال: «ما قتلتُ محمّد بن أبى بكر لولايةٍ! وإنّما قتلتُه لِمَا فعل بعثمان — رضه —!»

وفى سنة ٤٨، كان العاملُ على مِصْرَ وإفريقية لمُعاوية بن أبى سُفيان معاويةَ بن حُدَيْج.

---

1) A. لتلبسن. 2) A. يرفع. 3) A. ترفع. 4—4) Manque dans A.

وفى سنة ٤٩، غزا عُقْبة بن نافِع الفِهْرىُّ الرُّومَ فى البحر بأهل مِصْرَ.
وفيها[1] عزل مُعاويةُ مَرْوانَ بن الحَكَم عن المدينة، وأَمَّر عليها سعيد بن
العاصى. وكانت ولايةُ مروان المدينةَ لمُعاوية ثمانى سنين وشهرَيْن.
وفى سنة ٥٠ من الهجرة، عزل مُعاوية بن أَبى سُفيان مُعاويةَ بن حُدَيْج
عن إفريقية، وأَقرّه على ولاية مِصْرَ؛ ووجّه الى إفريقية عُقْبة بن نافِع الفِهْرىَّ.

ذكر ولاية عُقْبة بن نافِع إفريقية وغَزَواته فيها واختِطاطه مدينة القَيْرَوان

نَسَبُه: هو عُقْبة * بن نافِع بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامِر بن أُميَّة بن ١٢ .?
طرف بن الحارث بن فِهر[2]. ومن فِهْر بن مالك تفرّقت القبائل. وقال
ابن أَبى الفَيّاض: إنّ عُقْبة وُلِدَ قبل وفاة رسول الله – صلّعم – بسنةٍ واحدة.
قال إبراهيم بن القاسم: ووصل عُقْبة بن نافِع الفِهْرىُّ الى إفريقية فى عشرة
آلاف من المسلمين؛ فافتتحها، ودخلها، ووضع السيف فى أهلها؛ فأَفْنَى من
بها من النصارى. ثمّ قال: «إنّ إفريقية، إذا دخلها إمامٌ، أَجابوه الى الإسلام؛
فإذا خرج منها، رجع من كان أَجاب منهم لدين الله الى الكفر! فأرى لكم،
يا مَعْشَرَ المسلمين! أن تتّخذوا بها مدينةً تكون عِزًّا للإسلام الى آخر الدهر!»
فاتّفق الناسُ على ذلك، وأن يكون أهلها مُرابِطين؛ وقالوا «نَقْرُب من البحر ليتمّ
لنا الجهاد والرباط!» فقال عُقْبة: «إنّى أَخاف أن يَطْرُقَها صاحبُ القُسْطَنْطينة
بَغْتةً، فيملكَها! ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يُدْرِكها صاحبُ البحر،
إلّا وقد عُلِم به؛ وإذا كان بينها وبين البحر ما لا يُوجب فيه التقصيرَ للصلاة،
فهم مُرابِطون!» فلمّا اتّفق رأيُهم على ذلك، قال: «قَرِّبوها من السَّبْخة. فإنّ
دوابَّكم الإبل، وهى التى تحمل أثقالكم؛ فإذا فَرَغْنا منها، لم يكن لنا بُدٌّ من

1) Lacune de plusieurs lignes dans A. 2) B. ajoute ici: وقُرَيْشٌ لَقَبٌ.

الغزو والجهاد، حتّى يفتح الله لنا منها الأوّل فالاوّل، وتكون إبلنا على باب قصرنا فى مَراعيها، آمِنةً من عاديــة البربر والنصارى.» قال الإشبيلىّ فى «مَسالِك»ـه: إنّ البَرْبَر حين دخلوا المَغْرِب، وجدوا الإفرَنْج قد سبقوهم اليه، فأخلُوهم حتّى اصطلحوا، على أن يسكن البَرْبَرُ الجبالَ، وتسكن الإفرنج الأوطئة. فبنوا المدائن بها.

(رجع الخَبَرُ) وفى سنة ٥١[1]، شرع عُقْبة –رضَه– فى ابتداء بناء مدينة القَيْرَوان، وأجابه العَرَب الى ذلك. ثمّ قالوا: «إنّك أمَرْتَنا بالبناء فى شعارى وغياض لا تُرام. ونحن نخافُ من السباع والحيّات وغير ذلك!» وكان فى عسكره ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله –صلّعم–، وسائرُهم من التابعين. فدعا الله –سبحانه!– وأصحابُه يؤمّنون على دُعائه؛ ومضى الى * السبخة وواديها، ونادى: «أيّتُها الحيّات والسباع! نحن أصحابُ رسول الله –صلّعم–. فارحلوا عنّا! فإنّا نازلون! ومن وجدناه بعد هذا قتلناهُ!» فنظر الناس بعد ذلك الى أمر مُعْجِب، من أنّ السباع تخرج من الشِعْرَى، وهى تحمل أشبالها سمعاً وطاعةً، والذئب يحمل جِرْوَه، والحيّة تحمل أولادها. ونادى فى الناس: «كُفّوا عنهم، حتّى يرحلوا عنها!» فلمّا خرج ما فيها من الوحش والسباع والهوامّ، والناسُ ينظرون اليها، حتّى أوجعهم حرُّ الشمس؛ فلمّا لم يروا منها شيئًا، دخلوا؛ فأمرهم أن يقطعوا الشجر. فأقام أهل إفريقية بعد ذلك أربعين عاماً لا يرون بها حيّةً، ولا عقرَباً، ولا سَبُعاً. فاختطّ عُقْبة أوّلاً دار الإمارة؛ ثمّ أتى الى موضع المسجد الأعظم؛ فاختطّه، ولم يُحْدِث فيه بناء[2]. وكان يصلّى فيه وهو كذلك؛ فاختلف الناس عليه فى القبلة، وقالوا: «إنّ جميع أهل المغرب يَضَعون قِبْلَتَهم على قِبْلة هذا المسجد. فاجهَدْ نفسك[3] فى تقويمها!» فأقاموا أيّاماً ينظرون الى مَطالِع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس. فلمّا رأى أمرهم قد اختلف، بات مغموماً؛ فدعا الله –عزّ وجلّ!– أن يُفَرِّج عنه. فأتاه آتٍ فى منامه؛ فقال له «إذا أصبحتَ،

P. ١٣

1) A. ٥٠ 2) B. فيها أمرا. 3) B. نفسه.

فخذ اللواء فى يدك، واجعله على عُنُقك. فإنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحدٌ من المسلمين غيرُك. فانظر الموضع الذى ينقطع عنك فيه التكبير: فهو قِبْلتُك ومِحْرابُك! وقد رَضِىَ اللهُ لك أمْرَ هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة! وسوْفَ يُعِزُّ الله بها دينَه، ويُذِلُّ بها من كفر به!» فاستيقظ من منامه، وهو جَزِعٌ، فتوضَّأ للصلاة، وأخذ يُصَلِّى، وهو فى المسجد ومعه أشرافُ الناس. فلما انفجر الصُّبْح، وصلَّى ركعتَى الصُّبْح بالمسلمين، إذا بالتكبير بين يدَيْه. فقال لمن حَوْلَه: «أتسمعون ما أسمع؟» فقالوا: «لا!» فعلم أنَّ الأمر من عند الله. فأخذ اللواء، فوضعه على عُنُقه، وأقبل يتبع التكبير، حتَّى وصل الى موضع المحراب. فانقطع * التكبير. فركز لواءه، وقال: «هذا مِحْرابُكم!» فاقتدى به ١٤ سائر مساجد المدينة. ثمّ أخذ الناس فى بناء الدُّور والمساكن والمساجد، وعمرت، وشدَّ الناسُ اليها المطايا من كلّ أُفُق، وعظم قدرُها. وكان دَورُها ثلاثة عشر ألف ذراع وستّمائة ذراع، حتّى كمُل أمرُها.

وكان عُقْبة خيْرَ والٍ وخيْرَ أميرٍ، مُسْتَجابَ الدعوة.

وفى سنة ٥٥، استعمل مُعاوية بن أبى سفيان على مصر وإفريقية مَسْلَمة بن مُخَلَّد الأنصارىّ، وعزل مُعاوية بن حُدَيْج عن مِصْر، وعزل عُقْبة بن نافع عن إفريقية. فكانت ولايتُه عليها أربعة أعوام. وكان مُعاوية قد ولَّى مَسْلَمة مِصْرَ؛ فلما ولَّى مَسْلَمة الآن إفريقية، عزل عنها عُقْبة، وولَّى عليها مولاه أبا المُهاجِر ديناراً؛ وبقى هو صاحب مِصْر: جمع ذلك كلَّه مُعاوية له، من أطراف إقليم مِصْر الى طَنجة. وهو أوّلُ من جُمع له المَغْرِبُ كلُّه؛ فلم يزل والياً عليه حتّى هلك مُعاوية.

ولاية أبى المُهاجِر إفريقية وعَزْل عُقْبة

لمَّا جمع مُعاوية ولاية المَغْرِب لمَسْلَمة بن مُخَلَّد، استعمل عليه مولاه ديناراً، ويُكنَى أبا المُهاجِر، وعزل عُقْبة عن إفريقية. فقيل لمَسْلَمة بن مُخَلَّد

والى مِصْر: «لو استعملْتَ عُقْبة، وأَقْرَرْتَه على إفريقية؟ فإنّ له فضلاً وسابِقةً! وهو الذى بنى القَيْرَوان!» فقال مَسْلَمة: «إنّ أَبا المُهاجِر، كأَحدِنا، صبر علينا فى غير ولاية، ولا كبير نَيْل! فنحن نحبُّ أن نكافيه ونصطنعه!» فقدم أبو المُهاجِر إفريقية. فأَساء عَزْلَ عُقْبة، ونزل خارجاً عن المدينة، وكره أن ينزل الموضع الذى اختطّه عُقْبة. ومضى حتّى خلفه بميلَيْن، ممّا يَلِى طريق تُونُس؛ فاختطّ[1] بها مدينةً، وأراد أن يكون له ذِكْرُها، ويُفْسِدَ عَمَلَ عُقْبة. فبنى مدينةً، وأخذ فى عمرانها، وأمر الناس أن تحرق القَيْرَوان ويُعَمِّروا مدينته. فخرج عُقْبة منصرفاً. وأدركه الخبرُ فى الطريق؛ فتوجّه الى المشرق، آسِفاً على أبى المُهاجِر، ودعا الله عليه ان يُمَكِّنَه منه. فبلغت أَبا المُهاجِر دعوتُه؛ فقال: «هو عَبْدٌ لا تُرَدُّ دعوتُه!» ولم يزل أبو المُهاجِر خائفاً منه، نادِماً على ما فعل معه. ولمّا قدم عُقْبة على مُعاوية، قال له: «فتحتُ البلاد، ودانَتْ لى. وبنيتُ المنازِل، واتخذتُ مسجداً للجماعة، وسكّنتُ الناس. ثمّ أرسلتَ عَبْدَ الأنصار؛ فأساء عَزْلى!» فاعتذر له مُعاوية، وقال له: «قد عرفتَ مكانَ مَسْلَمة بن مُخَلَّد من الإمام عثمان، وبَذْلَه مُهْجَتَه، صابراً مُحْتَسِباً! طِعْ مَنْ أطاعه من قومه ومواليه، وأنا أُرَدِّدك الى عملك!» وتراخى الأمر حتّى توفّى مُعاوية وأفضى الأمر الى يزيد ابنه. فلمّا علم حال عُقْبة، قال: «ادركْها قبل أن تفسد!» فردّه والياً على إفريقية، وقَطَعَها على مَسْلَمة بن مُخلّد والى مِصْرَ.

وفى سنة ٥٦ من الهجرة، دعا مُعاوية بن أبى سُفيان الى بيعة يزيد، وجعله ولىّ عهده من بعده. فانقاد له الناس كلّهم، إلّا خمسة نفر: الحُسَيْن بن علىّ، وعبد الله بن الزُّبَيْر، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبى بكر الصِّدّيق، وعبد الله بن عبّاس — رضهم —.

وفى سنة ٥٧، عزل مُعاويةُ مروانَ عن المدينة، واستعمل الوليد بن عُقْبة

---

[1]) Lacune d'au moins deux feuillets dans A.

وكان العامل على مِصْرَ وإفريقية مَسْلَمة بن مُخَلَّد؛ وولىَّ مَسْلَمة على إفريقية أبو المُهاجِر. وبقى الحال على ذلك، الى وفاة مُعاوية.

وفى سنة ٦٠، توفّى مُعاوية بن أبى سفيان، يومَ الجمعة مُنْتَصفَ رَجَب، وهو ابن اثنَيْن وثمانين سنة. وتولَّى الخلافة من بعده يزيد ابنُه، وتلقّب بالمُسْتَنْصِر بالله فى بعض الأقوال؛ وكُنْيَتُه أبو خالِد؛ وقد ذكرنا أخباره فى تأليف.

وفى سنة ٦١، كان مقتل الحُسَيْن بن علىّ – رضَهما –. وفيها أظهر عبد الله بن الزُبَيْر الخِلافَ بمكّة، وخلع طاعة يزيد بن مُعاوية. وخَبَرُها [مشهورٌ.]

وفى سنة ٦٢، ولّى يزيد بن مُعاوية على بلاد إفريقية والمَغْرِب كلِّه عُقْبَة ابن نافِع الفهرىَّ؛ وهى ولايتُه الثانية على إفريقية.

ذكر فَتْح المَغرِب الأَقْصى على يد عُقْبة – رضَه – وغزواتـه

فرحل عُقْبة من الشام، ومعه خمسة وعشرون رجلاً من أصحاب رسول الله – صلَعم –. فلمَّا مرَّ على مَسْلَمَة بن مُخَلَّد صاحب مِصْرَ، خرج اليه، واعتذر من فعْل أبى المُهاجِر، وأقسم له أنَّه خالَفَه فيما صنع، وأنَّه كان قد أوصاه بتقوى الله وحُسْن السيرة، وأن يُحْسِن عِشْرَةَ عُقْبة. فقبل منه عُقْبة، ومضى خَنِقاً على أبى المُهاجِر، حتّى قدم إفريقية. فأوثق أبا المُهاجِر فى الحديد، وأمر بتخريب مدينته التى بناها، وردَّ الناسَ الى القَيْرَوان. وركب فى وجوه العسكر ومن معه من الصحابة والتابعين؛ فدار بهم حَوْلَ مدينة القَيْرَوان، وهو يدعو لها، ويقول: «يا ربِّ! امْلأها عِلْماً وَفِقْهاً! وامْلأها بالمُطيعين لك! واجعلْها عِزًّا لدينك، وذُلاًّ على من كفر بك!» ثمَّ عزم – رضَه – على الغزو فى سبيل الله، وترك بها جُنْداً من المسلمين، واستخلف عليهم زُهَيْرَ بن قَيْس البَلَوىَّ؛ وكان رجلاً صالحاً. ودعا عُقْبة أولاده؛ فقال لهم: «إنّى قد بِعْتُ نَفْسى من الله – عزَّ وجلّ! – وعزمتُ على من كفر به، حتّى أُقْتَلَ فيه، وأُلْحَقَ به! ولَسْتُ أدرى أتَرَوْنى بعد يَوْمى هذا

أم لا، لأنّ أمَلِى الموتُ فى سبيل الله!» وأوصاهم بما أحبّ؛ ثمّ قال: «عليكم سلامُ الله! اللّهمّ! تقبّلْ نفسى فى رِضاك!» ثمّ مضى بعسكره. فكانت النصارى تهرب من طريقه يميناً وشمالاً، وهو يستفتح البلدان. ويغزو فى سبيل الله.

وشرع عُقْبة فى هذه الغزوات المذكورة بَعْدُ. فلا أعْلَمُ هل كانت مُتّصِلةً فى هذا العام وحده، أو فيه وفيما بعده من بقيّة أيّام يزيد بن مُعاوية؛ فرأيتُ إيرادَ غزواته هنا مجموعةً مختصرةً، لئلاّ ينقطع خبرُها، إذ مَبْدأوها فى هذه السنة وفى ولاية يزيد؛ فهو منسوبٌ اليه. فخرج — رحمة الله عليه! — غازياً للرّوم والبربر، وهم إذ ذاك مَجُوسٌ ونَصارى، وذلك بمدينتى باغاية[1] وقَرْطاجَنّة وما والاها. فهزمهم، وقتّلهم تقتيلاً، وأخذ المسلمون من سَبْيهم وخَيْلهم شيئاً كثيراً.

وغَزْوتُه الى مدينة باغاية[1]، وذلك أنّــه لجأ اليها الرومُ واجتمعوا بها. فنزل بجمعه عليهم، وحاصرهم. فخرجوا اليه فى جمع كبير؛ فقاتلهم قتلاً ذريعاً؛ وأخذ لهم خيلاً كثيرة. فلم يَــرَ المسلمون فى مغازيهم أصْلَبَ منها. وكانت من نِتاج جَبَل أوْراس المُطِلّ عليها. ودخل على الروم حصنهم؛ فكَرِهَ أن يُقيم عليهم. وكان قد حَصَرَ صاحِبَ قلعة باغاية[2]؛ فمضى الى مدينة المُنَسْتِير؛ وكانت فى ذلك الزمان من أعظم مدائن الرّوم. فلجأ اليها من كان حَوْلَها منهم، وخرجوا اليه فى عِدّة وقوّة. فقاتلهم قتالاً شديداً، حتّى ظنّ أنّه الفناء، الى أن هزمهم الله الى باب حصنهم. فأصاب المسلمون غنائم كثيرة. ورحل عنهم.

وغَزْوَتُه أيضاً الروم بمدينة المُنَسْتِير ثانيةً؛ وكانت من أعظم مدائن الروم؛ فخرجوا اليها، واجتمع جميعُهم بها، وخرجوا لحربه. فهزمهم الله، وقُتِلوا تقتيلاً، وأُصيب من غنائمهم ما لم يُعْهَد مثله.

وغَزْوَتُه لهم أيضاً بالزاب وقتاله اياهم على وادى المَسِيلة؛ فهزمهم، وقتلهم. وذهب عِزُّ الروم ومُلْكُهم من الزاب الى آخر الدهر.

وغَزْوَتُه لهم أيضاً بتِيهَرْت، وقد اجتمع الروم والبربر فى إقليم تِيهَرْت

---

1) B. باغية.　　2) B. بجاية.

اجتماعاً عظيماً. فخطب عُقْبة الناس، ووعظهم؛ ثمّ زحف الى الكفّار، فالتحم الجَمْعانِ. فولّى الكفّارُ منهزمين؛ فأباد فرسانهم، وقتل حُماتهم، وفرّق جَمْعهم. وسبقتهم خيلُ المسلمين الى باب مدينتهم، فأفنَوْهم وقطعوا آثارهم.

صِفةُ مدينة تِيهَرْت، على ما ذكره ابن القطّان. قال: هى مدينتانِ: القديمةُ منهما هى المذكورة فى هذه الغزاة، على خمسة أميال من الحديثة؛ وفى شرقيّها قَصْرٌ لبعض القبائل. والحديثةُ مشهورةٌ، ولها أربعة أبواب: باب الصَّفّ، وباب المَنازِل، وباب الأنْدَلُس وباب المواجن. وهى فى سفح جبل* يُقال له جَزُول. ولها قَصَبةٌ مُشْرِفة على السوق، يُقال لها المَعْصُومة. وهى على نَهْر يأتيها من القبلة. وهى كثيرة البرد والثلج والأمطار، حتّى قيل لبعضهم: «كم زمان الشتاء عندكم؟» قال: «ثلاثة عشر شهراً!» وقال بَعْضُهم [سريع]:

ما أطْوَلَ البَرْدَ ورَيْعانَــهُ　　وأطْرَفَ الشَّمْسَ بتيهَرْتِ
تَبْدُو مِن الغَيْمِ إذا ما بَدَتْ　　كأنّما تُنْشَرُ مِن تَخْتِ
فنَحْنُ فى بَحْرٍ بِــلا لُجّةٍ　　تَجْرِى بنا الرِّيحُ على السَّمْتِ
نَفْرَحُ بالشَّمْسِ إذا ما بَدَتْ　　كَفَرْحَــةِ الذِّمِّيّ بالسَّبْتِ

وبقِبْليّها من القبائل: لُواتة، وهوّارة؛ وبغَرْبيّها: زُواغة؛ وبجوفيّها مَطْماطة وزَنانة. وكان إحداث تِيهَرْت الحديثة بعد سنة ١٤٠ من الهجرة، والقديمة قبل ذلك بما لا يُعرف أوّلُــه. وللحديثة أسواقٌ كثيرةٌ عامرةٌ وإثنا عشر حَمّاماً؛ وحَواليها من قبائل المغرب أُمَمٌ كثيرةٌ. وهى من آخر إفريقية.

وغَزْوَتُه أيضاً الى طَنْجة. وذلك أنّه، لمّا توالَت الهزائم على نصارى إفريقية وبَرْبَرِها، وكثُر القتل فيهم حتّى كاد يستأصلهم، لجأ من بقى منهم الى الحصون والمَعاقِل؛ فلم يبرحوها. فكَرِهَ المُقام على مُحاصرتهم، فيفوته الغزوُ وقَتْلُ غيرهم من طوائف الكفّار، إذ كانت أُمَمُ المغرب من نصارى وبَرابِر لا يُحْصَوْنَ كثرةً وانتشاراً، ولا يُكاثَرون بالرمل والحصا. فترك أهْلَ إفريقية مُتَحَصِّنين

بحصونهم، وأوغل فى الغَرْب، يقتل ويأسر أُمَّةً بعد أُمَّة، وطائفةً بعد طائفة، بائعاً نفسه من مولاه، لا تروعه كثرةٌ، ولا تعتريهِ هو ومن معه سآمةٌ ولا فترةٌ، حتّى صار بأحواز طَنْجة. وكان بها مَلِكٌ اسمه يلْيان، يملك منها الى ساحل المَجاز بسَبْتة. وكان من أشراف ملوك الروم وأعاظِمِهم، وذوى العقل والدهاء فيهم. فلمَّا قاربه، وجَّه اليه أرساله، مستعطِفاً ومستلطِفاً، وبعث له هديّة عظيمة، وسأل منه المسالَمة، وأن ينزل على حكمه. فقبل منه، واجتمع به، وسأله عن الأنْدلُس؛ فعظَّم عليه أمرها، وقال له: «قد تركتَ الرومَ وراء ظهرك؛ وما أمامَكَ إلاّ البربر؛ وهم مثل البهائم، لم يدخلوا فى دين نصرانيّة ولا غيرها؛ وهم يأكلون الجِيَف، ويأكلون مواشيهم، ويشربون دماءها من أعناقها؛ فقد كفروا بالله العظيم: فلا يعرفونه! ومُعْظَمُهم المَصامِدة.» قال: فسار عُقْبة نحو المَصامِدة بعد فَتْحه طَنْجة، على ما ذكرنا من الصُّلْح والمسالَمة بسياسة يلْيان. وهى طَنْجة القديمة فى التواريخ، وفيها آثارٌ كثيرة للأُوَل.

صِفَةُ طَنْجة: قيل: عَمَلُها مسيرة شهر فى شهر. وانّها كانت دارَ مملكة ملوك المغرب. وإنَّ ملكاً من ملوكها كان فى عسكره إذا اجتمع ثمانون ألفاً. ومسافةُ ما بين القَيْرَوان وطَنْجة مسيرة ألفَىْ ميل. وهى قديمة أزليّةٌ، ليس بالمغرب أقدم منها؛ لاكنّها غلب عليها الرَّمْلُ. والعمارةُ اليوم فَوْقَها. وهى طَنْجة المذكورة فى هذه الغزاة؛ ويُحْفَرُ خرابُها، فيوجَدُ فيه أصنافُ الجواهر. هكذا ذكر البَكْرىُّ فى كتابه. وقال الوَرّاق: إن كُورة طَنْجة هى مَساكِن صَنْهاجة الهَبْط بطريق الساحل ممّا يَلى سَبْتة. وبُطونُ صَنْهاجة كثيرةٌ، تفْتَرِق من قبيلتَيْن؛ وبُطونُ مَصْمودة تتشعَّب من أربع قبائل: دُغاغ، وآصاد، وبنى سَمْغرة، وكُتامة.

(رجع الخبَر الى ذكر عُقْبة المُجاب.) وغزْوَتُه أيضاً للبربر بالسُّوس الأدْنَى، وهى بلاد تامَسْنا، وهى بلاد المَصامِدة. فهزمهم، وأفناهم، وبثَّ الخيل فى بلادهم؛ فافترقت فى طلبهم الى كلّ موضع هربوا اليه، لا يدفعهم أحَدٌ.

وغزْوَتُه أيضاً للسُّوس الأقْصَى. فاجتمع بـه البربر فى أُمَم لا تُحْصَى، ولا

تُكاثَر بالحَصا ؛ فقتلهم قتالاً ما سمع أهل المغرب بمثله ، [حتّى] هزمهم ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ؛ وأصاب منهم نساء لم يَـرَ الناسُ فى الدنيا مثلهُنّ. قيل إنّ الجارية منهنّ كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوَها . وهرب الناس أمامه ، لا يُدافِعه أحَدٌ ، ولا يقوم له ، تأييداً من الله لأوليائــه . وسار حتّى بلغ البحر المُحيط ؛ فدخل فيه ، حتّى بلغ الماء بطن فرسه ؛ ثمّ رفع يديه الى السماء ، وقال: « يا رَبِّ ! لو لا انّ البحر منعنى ، لمضيتُ فى البلاد الى مَسْلَك ذى القَرْنَيْن ، مدافعاً عن دينك ، مقاتلاً من كفر بك ! » ثمّ قال لأصحابه : « انصرفوا على بركة الله ! » فجلا الناسَ أمامَه بكلّ ناحية هاربين ، وخافت المُشركون أشدّ مخافة ، حتّى أنّ قلوبهم تنخَلِع لذكره . وانصرف قافلاً من السوس الأقْصَى .. قال ذلك ابن أبى الفَيّاض وغيرُه .

وقال غيرُه : ونزل من دَرْعة الى بلاد صَنْهاجة ، ثمّ الى بلاد هَسْكُورة ؛ ثمّ نزل أغْمات وَريكة ؛ ثمّ نزل منها على وادى نَفِيّس . وقام عُقْبة من وادى نَفِيس ، وسار حتّى نزل إيجْلِى بالسوس ، وبنى فيه مسجداً . أخبرنى الشيخ الصالح أبو علىّ صالح بن أبى صالح أنّه لم يصحّ عنده أنّ عُقْبة — رضه — حضر بنيان شىء من المساجد بالمغرب ، إلاّ مسجد القَيْرَوان ، ومسجداً بدَرْعــة ، ومسجداً بالسوس الأقصى ؛ وأمّا غير ذلك من المساجد المسمّاة باسمه ؛ فإنّ الناس — والله أعلم ! — بنوها بموضع نزوله . وقال الإشْبِيلِىُّ فى كتابه « المَسَالِك » له : إنّ المسجد الذى على وادى نَفِيس ، بناه عُقْبة — رضه — . قال أبو علىّ : ثمّ سار عُقْبة من إيجْلِى ، حتّى وصل ماسّة ؛ فأدخل فرسه فى البحر ، حتّى وصل الماء تَلابيبَه ، وقال : « السلامُ عليكم ! يا أولياء الله ! » فقال له أصحابُه : « على من نُسَلِّمُ ؟ » قال : « على قوم يُونُسَ — عم ! » ثمّ قال : « اللّهُمّ ! إنّك تعلم أنّى لم أطلب إلاّ ما طلب عبدُك ووليُّك ذو القَرْنَيْن ألاّ يُعْبَدَ فى الأرض غيرُك ! »

ثمّ رجع عُقْبة قافِلاً الى المغرب الأوسط ، وسلك على اِيغير ان يطوف ؛ ثمّ الى تارنا ، ثمّ الى موضع شاكِر ، وترك به صاحبه شاكِراً ؛ فسُمِّىَ باسمه . ثمّ رحل

منه الى بلاد دُكَّالة ؛ فوجد فيها قوماً ؛ فدعاهم الى الإسلام ؛ فامتنعوا ؛ فقاتلهم ؛ فقتلوا جملةً من أصحابه ؛ فسُمِّيَ ذلك الموضع مَقْبَرة الشُّهَداء الى الآن. ثمّ رجع من دُكَّالة الى بلاد هَسْكُورة الى موضع يُقال له اطار ؛ فوجد فيه أقوامًا ؛ فدعاهم الى الإسلام ؛ فامتنعوا ؛ فتقاتَل معهم حتّى فرّوا أمامه. فلم يقاتِله بعد ذلك أحَدٌ من أهل المغرب.

قال ابن عبد البَرّ: فتح عُقْبة عامّةَ بلاد البربر، الى أن بلغ طَنْجة ؛ وجال هنالك، ولا يقاتله أحَدٌ، ولا يعارضه، حتّى فتح كُورةً من كُوَر السودان. وقال أبو عليّ المذكور: لمّا رجع عُقْبة من بلاد جَزُولة، سلك على بلاد صَوْدة. قال ابن القَطّان: ثمّ سار عُقْبة الى إفريقية.

وغَزْوَته أيضاً للروم والبربر بقرب من إفريقية، قافِلا اليها بعد تلك الغزوات ؛ فتفرّق عنه جيشهُ، للإياب الى أحيائهم، والبدارِ الى عيالهم ؛ فبقى فى جمع قليل.

ذكر وفاة عُقْبة بن نافِع – رضه

وذلك أنّ عُقْبة، لمّا وصل الى مدينة طُبْنة، أمر أصحابه ؛ فتقدّموا ثِقةً منه بما دوّخ من البلاد، وأنّه لا يقوم له أحَدٌ لينفذَ قدرُ الله ومرادُه، ويتعجّلَ لعبده من كرامته ميعادُه. فصرف أصحابه الى منازلهم عند قُرْبهم منها ؛ وسار هو الى مدينة تَهُودا، لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان. فلمّا انتهى اليها فى بقيّة من معه وكانوا قليلاً، نظر الروم اليهم ؛ فطمعوا فيهم ؛ فأغلقوا باب حصنهم، وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنَّبْل، وهو يدعوهم الى الله – عزّ وجلّ ! – فلمّا توسّط البلاد، بعث الروم الى كُسَيْلة بن لمزم الأَورَبيّ، وقيل: البُرنُسيّ ؛ وقد كان فى عسكر عُقْبة. وذلك أنّ أبا المُهاجِر فى ولايته لإفريقية، كان نهض الى المغرب ؛ فنزل عيوناً عند تِلِمْسان، تُعْرَف الآن بعيون أبى المُهاجِر. فزحف منها الى كُسَيْلة، وهو فى عدّة من قبائل البرانِس. فظَفَر به أبو المُهاجِر، وعرض

عليه الإسلام؛ فأسلم. وأحسن اليه أبو المُهاجِر واستبقاه. فلمّا قدم عُقْبة، وعُزِل أبو المُهاجِر، [عرّفه] بحال كُسَيْلة، وأنّه من ملوك البربر، ولم يستحكم الإسلام بقلبه. فاستخفّ به عُقْبة. وأتى عُقْبَةَ يوماً بذَوْدِ غَنَمٍ، فأمر بذبحها للعسكر، وأمر كسيلةَ أن يسلَخَ منها مع السلاّخين. فقال كُسَيْلة: «أصلح الله الأمير! هؤلاء فِتْيانى وعَبيدى يكْفونى [المونة]!» فقال عُقْبة «لا!» فقام كُسَيْلة مُغْضِباً. فكان، كلّما دحس، مسح بلِحْيته؛ فجعل العَرَب يمرّون به، فيقولون: «يا بَرْبَرِىّ! ما تَصْنَع؟» فيقول: «هذا جَيِّدٌ للشعر!» حتّى مرّ به شيخٌ من العرب؛ فقال لهم: «كلاّ! إنّ البربرىّ يتوعّدُكم!» فقال أبو المُهاجِر لعقبة: «بِئْسَ ما صَنَعْتَ! كان رسول الله — صلّعم — يتألّف جبابِرةَ العرب، وانت تأتى الى رجل جبّار فى قومه، فى دار عِزّه، قريب العهد بالشِّرْك؛ فتُهينه!» فتهاون عُقْبة بكلامه. فانتهز كُسَيْلةُ فُرْصةً، فنكث، وقام فى أهل بيته وقبائله من البربر. فقال أبو المُهاجِر: «عاجِلْهُ قبل أن يستَعْجِلَ أمْرَه!» فوقف اليه عُقْبة؛ فتنحّى أمامَه. فقالت له البربر: «لِمَ تتنحّى عنه؟ وهو فى خمسة آلاف، ونحن فى خمسين ألفاً فى الزيادة! والرجل ليس عنده من يَمُدُّه، وقد سار عنه أصحابُه!» فركّبه البربر فى الجيوش العظيمة، وغَشِيَهُ بهم كُسَيْلة بقرب تَهُودا. فنزل عُقْبة — رضه — وركع ركعتَين، وقال لأبى المُهاجِر: «الحقْ بالمسلمين، فقُمْ بأمرهم! فأنا أغْتَنِمُ الشهادة!» فقال له أبو المُهاجِر: «وأنا، والله! أغْتَنِمُها معك!» فكسر كلُّ واحد منهما جَفْنَ سيفه، وكسر المسلمون كذلك أغماد سيوفهم، وأمرهم أن يترجّلوا عن خيولهم. فقاتلوا قتالاً شديداً، حتّى بلغ منهم الجَهْدُ، وكثُر فيهم الجراح. وتكاثر عليهم العدوُّ؛ فقُتِل عُقْبة، وأبو المُهاجِر، ومن كان معهما من المسلمين؛ ولم يفلت منهم أحدٌ إلاّ بعض وجوههم أُسِروا؛ ففَداهُم صاحبُ قَفْصة، وبعث بهم الى زُهَيْر بن قَيْس؛ وكان عُقْبة قد خلّفه أميراً على القَيْرَوان وعلى تلك البلاد فى كثير من المسلمين، فلمّا بلغ ذلك زُهَيْراً، أراد الانصراف الى مِصْر. فقيل له: «الهزيمة بالمسلمين من إفريقية الى مِصْر؟» فعزم على القتال. فاجتمع الى كُسَيْلة أهل

المَغْرِب قاطِبةً وزحف يريد القَيْرَوان. واضطرمت إفريقية. وكان وصول عُقْبة الى الغَرْب سنة ٦١. وقيل: سنة ٦٢. وجال فى المغرب ثلاثة أعوام، يُجاهِد فى سبيل الله — رحمة الله عليه!

ويُرْوَى أنّ النبىّ — صلعم — أنذر بقتل عُقْبة — رضه — وأصحابه — رضهم —، وأنّه — عليه الصلاة والسلام! — نهى عن سُكْنَى مدينة تَهُودا، وقال: «سَوْفَ يُقْتَلُ عليها رجالٌ من أُمّتى مُجاهِدون فى سبيل الله! ثوابُهم كثواب أهل بَدْرٍ! ما بدّلوا ولا غيّروا، يأتون يومَ القيامة، وسيوفُهم على عواتِقهم!» وكان شَهْر بن حَوْشَب يقول: واشَوْقاهُ اليهم!» وكان يقول: «سألتُ أكثر العلماء عن هذه العِصابة؛ فقالوا: ذلك عُقْبة بن نافع وأصحابُه، قتله البربر والروم بمدينة تسمّى تَهُودا؛ فمنها يُحْشَرون حتّى يَقِفوا بين يدى الله — سبحانه!» وقال ابن القَطّان فى «نَظْم الجُمان»: وأُخْبِرْتُ أنّ عُقْبة كان قَدِم بِمِصْر، وعليها عمرو بن العاصى فى خلافة مُعاوية. فنزل مَنْزِلاً من بعض قُراها، ومعه عمرو بن العاصى، وعبد الله، وجماعةٌ من أصحاب رسول الله — صلعم —. فوُضِع بينهم طعامٌ. فلما تناولوا منه، ضربت حِداةٌ على الطعام الذى بين أيديهم؛ فأخذَتْ منه. فقال عُقْبة: «اللّهُمّ! دُقّ عُنُقَها!» فأقبلت الحِداةُ حتّى ضربت برأسها الى الأرض، وقد اندقّ عُنُقُها. فاستوجع عمرو بن العاصى يوماً؛ فقال له عُقْبة: «ما لك؟ يا أبا عبد الله! *تتوجع[1]؟» P. ١٥ فقال له: «بلغنى أنّ قوماً من قُرَيْش يستشهَدون جميعاً!» فقال عُقْبة: «اللّهُمّ! وأنا منهم!» فكان منه ما تقدّم ذكرُه.

وصِفَة مدينة تَهُودا: هى مدينة أزَليّة، بُنيانُها بالحجارة. لها أسواقٌ كثيرةٌ، ورَبَضٌ واحدٌ. وبها جامعٌ جليلٌ، ومساجدُ، وفنادِقُ كبارٌ. ويسكنها قوم من البربر.

وفى سنة ٦٤، دخل كُسَيْلة البُرْنُسىُّ مدينة القَيْرَوان، وانتزعها من أيدى المسلمين، فى مُحَرّم. وذلك أنّه اجتمع معه جميعُ أهل المغرب، وزحف الى

1) Reprise du ms. A.

القَيْرَوان. فعظُم البلاء على المسلمين. فقام زُهَيْر بن قَيْس خطيباً فى الناس؛ فقال: «يا مَعْشَرَ المسلمين! إنّ أصحابكم قد دخلوا الجنّة، وقد منّ الله عليهم بالشهادة! فاسْلُكوا سبيلهم! ويفتح الله لكم دون ذلك!» فقال حَنَشٌ الصَّنْعانىُّ: «لا! والله! ما نقبل قولك، ولا الك علينا ولايةٌ! ولا عَمَلٌ أفضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين الى مَشْرِقهم!» ثمّ قال: «يا مَعْشَرَ المسلمين! من أراد منكم القفول الى مَشْرِقه، فَلْيتّبعْنى!» فاتّبعه الناس. ولم يَبْقَ مع زُهَيْر إلّا أهل بيته. فنهض فى أثره ولحق بقصره ببَرْقة؛ فأقام بها مُرابِطاً الى دولة عبد الملك ابن مروان.

وأقبل كُسَيْلة البُرْنُسىُّ بعساكره. فلمّا قرب من القَيْرَوان، خرج من كان فيها هاربين، إذ لم يكن لهم طاقةٌ بقتاله، لعظيم ما اجتمع عنده من البربر والروم. فأمّن كُسَيْلة من بقى بالقَيْرَوان من المسلمين، وأقام بالقَيْرَوان أميراً على سائر إفريقية والمَغرِب، وعلى من فيه من المسلمين، الى أن وُلِّىَ الخلافة عبدُ الملك بن مروان.

وفى سنة ٦٥ من الهجرة، وُلِّىَ عبدُ الملك بن مروان. فلمّا اشتدّ سلطانُه، واجتمع أكابر المسلمين عليه، سألوه تخليص إفريقية، ومن بها من المسلمين، من يد كُسَيْلة اللّعين. فقال: «لا يصْلُح للطلب بِدَمِ عُقْبة من الروم والبربر إلّا من هو * مِثْلُهُ ديناً وعقلاً!» فاستشار مع وزرائه؛ فاجتمع رأيهم على تقديم زُهَيْر بن قَيْس البَلَوىّ، وقالوا: «هذا صاحبُ عُقْبة، وأعْلَمُ الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دَمِه!» فوجّه عبد الملك الى زُهَيْر، وهو ببَرْقة، يأمره بالخروج على أعِنّة الخيل الى إفريقية، ليستنْقِذ من بالقَيْرَوان. فكتب اليه زُهَيْر يُعرّفه بكثرة من اجتمع على كُسَيْلة من البربر والروم؛ فأمدّه عبد الملك بن مروان بالخيل والرجال والأموال، وحشد اليه وجوهَ العرب، وبعثهم اليه. فوفدت الجيوش على زُهَيْر، وتسرّع الناس معه الى إفريقية.

وفى سنة ٦٩، أقبل زُهَيْر بن قَيْس البَلَوىُّ فى عسكر عظيم الى إفريقية.

P. ١٦

فبلغ كُسَيْلَةَ بن لَمْزَم قدومُهُ اليه، وعزمُه عليه. فجعل لا يَهابُه ولا يخاف منه
وكان كُسَيْلة فى خَلْقٍ عظيم من البربر والروم، أضعاف ما مع زُهَيْر مُضاعَفةً.
فدعا كُسَيْلة أشراف البربر وقال لهم: «إنّى رأيتُ أن أرحل عن هذه المدينة؛
فانّ بها قوماً من المسلمين، لهم علينا عهودٌ. ونحن نخاف، إن أخذنا القتال
معهم، أن يكونوا علينا. ولاكن ننزل على موضع مَمْس[1] وهى على الماء[2]. فإنّ
عسكرنا خلقٌ عظيمٌ؛ فإن هزمناهم الى إطرابُلُس، قطعنا آثارهم؛ فيكون لنا
الغرب الى آخر الدهر! وإن هزمونا، كان الجبل منّا قريباً والشَّعْراء!
فنتحصّن[3] بهما!»

ذكْر محاربة زُهيْر بن قَيْس البلوىّ مع كُسيْلة ابن لمْزَم البُرْنُسىّ

لمّا رحل كُسيْلة عن القَيْرَوان، نزل عليها زُهَيْر بن قَيْس[4] ثلاثةَ أيّام، ولم
يدخلها؛ وفى اليوم الرابع رحل عنها حتّى أشرف على عسكر كُسَيْلة فى آخر
النهار، فأمر الناس بالنزول. فلمّا أصبح وصلّى، * زحف اليه. وأقبل كُسيْلة P. ١٧
ومن معه؛ فالتقى الجمعان، والتحم القتال بين الفريقَيْن؛ ونزل الضرُّ وكثر
القتل فى الفريقين، حتّى يئس الناسُ من الحياة. فلم يزالوا كذلك حتّى انهزم
كُسَيْلة وقُتِلَ. ومضى الناسُ فى طلب البربر والروم؛ فلحقوا كثيراً منهم، وقتلوهم،
وجدُّوا فى طلبهم الى وادى مَلْوِيَة بالغَرْب؛ ففى تلك الوقعة ذهب رجالُ الروم
والبربر المشركين، وقُتِلَ ملوكُهم وأشرافُهم وفرسانُهم. ثمّ انصرف زُهَيْر الى
القَيْرَوان؛ فأوطنها. ففزع منه أهلُ إفريقية، واشتدّ خوفُهم؛ فلجؤوا الى الحصون
والقِلاع. ثمّ إنّ زُهَيْراً رأى بإفريقية مُلْكاً عظيماً؛ فأبى أن يقيم بها، وقال:
«إنّى ما قدمتُ إلّا للجهاد! وأخافُ أن تَميلَ بى الى الدنيا فأهْلَكَ!» وكان من

---

1) A. مسيرهم. B. ميسر. 2) *Sic* dans A. et B.

3) A. et B. نتحصنوا. 4) A. حرب.

رؤساء العابدين، وكبراء الزاهدين. فترك القَيْرَوان آمِنَةً، وانصرف عنها. وأقام بها كثيراً من أصحابه.

خروج زُهَيْر الى بَرْقة وكيفيَّة مقتله بها

ثمّ رحل زُهَيْر الى المشرق فى خلق عظيم. فبلغ الرومَ خروجُه من إفريقية الى بَرْقة، فأمكنهم ما يريدون. فخرجوا اليها فى مراكب كثيرة، وقوّة عظيمة. فأغاروا على بَرْقة، فأصابوا فيها سبياً كثيراً، وقتلوا ونهبوا. ووافق ذلك قدوم عسكر زُهَيْر الى بَرْقة من إفريقية، فأُخْبِرَ زُهَيْر بخبرهم. فأمر عسكره بالمسير الى الساحل، طمعاً أن يدرك سبى المسلمين، فيستنقذهم. فأشرف على الروم، وإذا هم فى خلق عظيم. فلم يقدر على الرجوع [1]، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا، والروم يُدْخِلونهم المراكِب. فنادى بأصحابه النُّزولَ، فنزلوا. وكانوا أشراف العابدين، ورؤساء العرب المجاهِدين، أكثرُهم من التابعين. فنزل الروم اليهم وتَلَقَّوْهم بعدد عظيم. والتحم* القتال، وتكاثرت عليهم الروم، ١٨ فقُتِل زُهَيْر — رضه — وأشرافُ من كان معه من العرب. ومضى المسلمون الى دِمَشْق، فدخلوا على عبد الملك بن مروان، فأخبروه أنّ أميرَهم وأشرافَ رجالهم قد استُشْهِدوا. فعظُم ذلك عليه، لفضل زُهَيْر ودينه. وكانت مُصيبتُه مثل مُصيبة عُقْبة قَبْلَه. فاجتمع أشرافُ العرب، وسألوا عبد الملك أن ينظر لإفريقية مَنْ يَسُدُّ ثَغْرَها، ويُصْلِح أمرها. فقال لهم عبد الملك: «ما أرى أحداً كُفْوًا لإفريقية كحَسَّان بن النُّعْمان!»

وفى سنة ٧٤ [2]، مات عبد الله بن عمر بن الخطّاب — رضهما —. ذُكِر أنّ الحجّاج بن يوسف سمّه، فى خبر طويل.

---

1) B. الركوع.

2) Tout ce passage, jusqu'à la fin du chapitre, manque dans B.

وفى سنة ٧٦، كان حدوث السِّكَّة فى الإسلام. وأمر أمير المؤمنين عبد الملك بضرب الدنانير والدراهم بنقش الإسلام.

وفى سنة ٧٧، ثار المطرِّف بن المُغيرة بن شَعْبة على عبد الملك بن مروان؛ فكايده عبد الملك، واحتال عليه الى أن قُتل. وفيها كان [قتلُ] روٴساء الخوارج.

ولاية حَسَّان بن النُّعْمان إفريقية والمغرب

وفى سنة ٧٨، قدم حَسَّان بن النُّعمان إفريقية. اختاره لها عبد الملك بن مروان، وقدَّمه على عسكرٍ فيه أربعون ألفاً: أقامه أوّلاً فى مِصْر بالعسكر، عدّةً لِما يَحْدُث. ثمّ كتب اليه، يأمره بالنهوض الى إفريقية، ويقول له: «انّى قد أطلقتُ يدك فى أموال مِصْر. فأعْطِ مَن معك ومَن وَرَدَ عليك، وأعْطِ الناسَ، واخْرُجْ الى بلاد إفريقية، على بركة الله وعونه!»

بعض أخبار حَسَّان بن النُّعْمان

P. ١٩ نَسَبُه: هو حَسَّان بن النُّعمان بن عدِى بن بَكْر بن مُغيث* بن عمرو بن مزيقيا بن عامرِ بن الأزْد. قدم إفريقية فى عسكرٍ عظيم؛ فلم يدخل المسلمون قطُّ إفريقية بمثل ما دخلها حَسَّان بن النُّعمان. فلمَّا حصَل بالقَيْرَوان، سأل أهل إفريقية: «من أعْظَمُ الملوك بها قدرًا؟» فقالوا: «صاحبُ قرطاجَنّة دار مُلْك إفريقية!» فسار حَسَّان حتّى نزل عليها. وكان بها من الروم خَلْقٌ لا يُحْصَى كثرةً. فخرجوا اليه مع مَلِكهم؛ فقاتلهم حَسَّان حتّى هزمهم، وقتل أكثرهم. ثمّ نازَلَها حتّى افتتحها، وهى كانت دارَ المُلْك بإفريقية.

ذكر قرطاجَنّة إفريقية. ويسمّيها أهلُ تُونُس اليوم[1] بالمُعَلَّقة. وكانت قرطاجَنّة مدينةً عظيمةً، تضرب أمواجُ البحر سورَها. وهى من مدينة تُونُس على إثنَىْ عشر ميلاً. وكان بينهما قُرًى مُتَّصِلةٌ[2] عامرةٌ. وكان البحر لم يُخْرَق الى

---

1) B. أهل إفريقية.   2) Manque dans A.

تُونِس، وإنّما انخرق بعد ذلك. وفى هذه المدينة آثارٌ عظيمةٌ، وأبنيةٌ ضخمةٌ، وأعْمِدةٌ ثابِتةٌ غليظةٌ، تدلُّ على عِظَم قُدرة الأُمَم الداثرة. وأهل تُونُس، الى الآن، لا يزالون يَطَّلِعُون فى خرابها على أعاجيب ومَصانِع لا تَنْقَطِعُ بطول الأزمان لمُتَأَمِّل.

فلمّا قدم حَسّان اليها، وقتل فُرسانَها ورجالَها، اجتمع رأىُ من بقى بها على الفرار منها. وكانت لهم مَراكِبُ كثيرةٌ؛ فمنهم من مضى الى صِقِلِّيَة، ومنهم من مضى الى الأَنْدَلُس. فلمّا انصرف عنها حَسّان، وعلم أهل بواديها وأقاليمها هُروبَ الملك عنها، بادروا اليها؛ فدخلوها. فرحل اليها حَسّان، ونزل عليها. فحاصَرَها حِصاراً شديداً حتّى دخلها بالسيف. فقتلهم قتلاً ذريعاً، وسباهم، ونهبهم. وأرسل لمن حَوَاليها؛ فاجتمعوا اليه مُسارعين، خَوْفاً من عظيم سطوته، وشدّة بأسه. فلمّا أتوه، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ، أمرهم بتخريب قَرْطاجَنّة وهَدْمِها. فخرّبُوها حتّى صارت كأَمْسِ الغابِر. ثمّ بلغه أنّ النصارى اجتمعوا، وأمدّهم البربر * بعسكر عظيم فى بلاد صَطْفُورة. فرحل اليهم حَسّان حتّى لقيهم. وقاتَلَهم حتّى هزمهم، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً، وحمل عليهم أعِنّة خيله؛ فما ترك من بلادهم مَوْضِعاً إلاّ وَطِئَهُ. ولجأ الرومُ هاربين خائفين الى مدينة باجة؛ فتحصّنوا بها؛ وهرب البربرُ الى إقليم بُونة. وانصرف حَسّان الى القَيْرَوان. P. ٢٠

خبر حَسّان مع المَلِكة الكاهِنة وهزيمتها له

لمّا دخل حَسّان القَيْرَوان، أراح بها أيّاماً. ثمّ سأل أهلها عمّن بقى من أَعْظَم ملوك إفريقية، لِيَسيرَ اليه، فيُبِيدَه أو يُسْلِمَ؛ فدلُّوه على امْرأَةٍ، بجبل أَوْرَاس، يُقال لها الكاهِنة؛ وجميعُ من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميعُ البربر لها مُطيعون. «فإن قتلْتَها، دان لك المَغْرِب كلُّه، ولم يَبْقَ لك مُضادٌّ ولا مُعانِدٌ!» فدخل بجيوشه اليها. وبلغ الكاهِنةَ خبرُه؛ فرحلت من الجبل فى عدد لا يُحصى، ولا يُبْلَغ بالاستقصاء، وسبقَتْه الى مدينة بَاغَاية. فأخرجت منها

الرومَ، وهدمَتْها، وظنّت أنّ حسّاناً يريد مدينةً ليتحصّن بها منها. فبلغ خبرُها حسّانـاً؛ فنزل بِوادى مَسْكِيَانة[1]. فرحلت الكاهِنة حتّى نزلت على الوادى المذكور. فكان هو يشرب من أعلى الوادى، وهى من أسفله. فلمّا توافت الخيلُ، دنا بعضُهم من بعض؛ فأبى حسّان أن يقاتلها آخر النهار. فبات الفريقان ليلتَهم على سروجهم. فلمّا أصبح الصباح، التقى الجمعان؛ فتقاتلوا قتالاً لم يُسْمَع بمثله؛ وصبر الفريقان صبراً لم ينْتَهِ أحَدٌ اليه، الى أن انهزم حسّان بن النُّعْمان، ومن معه من المسلمين. وقتلت الكاهنة العرب قتلاً ذريعًا، وأسرت ثمانين رجلاً من أعيان أصحابه. *وسُمِّىَ ذلك الوادى وادى العَذَارَى. واتّبعَتْه الكاهنة حتّى خرج من عَمَل قابِس. فكتب حسّان الى أمير المؤمنين عبد الملك يُخبره بذلك، وأنّ أُمَمَ المغرب ليس لها غايةٌ، ولا يقفُ أحدٌ منها على نهاية؛ كلّما بادَتْ أُمّةٌ، خَلَفَتْها أُمَمٌ؛ وهى من الجَهْل والكثرة كسائمة النَّعَم. فعاد له جوابُ أمير المؤمنين يأمره أن يقيم حَيْثُما وافاه الجواب؛ فورد عليه فى عمل بَرْقة. فأقام بها وبنى هنالك قصوراً تُسَمَّى الى الآن بقصور حسّان.

P. ٢١

وملكت الكاهِنة المَغْرب كلّه بعد حسّان خمس سنين. فلمّا رأت إبطاء العرب عنها، قالت للبربر: «إنّ العرب إنّما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضّة؛ ونحن إنّما نريد منها المزارع والمراعى! فـلا نرى لكم إلّا خراب بلاد إفريقية كلّها، حتّى ييْئَسَ منها العرب؛ فلا يكون لهم رجوعٌ اليها الى آخر الدهر!» فوجّهت قومها الى كلّ ناحية: يقطعون الشجر، ويهدمون الحصون؛ فذكروا أنّ إفريقية كانت ظِلّاً واحداً من إطْرابُلُس الى طَنْجة، وقُرًى متّصلةً، ومدائن منتظمةً، حتّى لم يكن فى أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم إفريقية والمَغْرِب، مَسِيرةَ ألفَىْ ميلٍ فى مثله. فخربت الكاهنة ذلك كلّه، وخرج يومئذ من النصارى والأفارِقة خَلْقٌ

1) A. سكتانة. B. سكنانة.

كثيرٌ، مُسْتَغيثين ممّا نـزل بهم من الكاهنة؛ فتفرّقوا على الأَنْدَلُس وسائر الجُزُر البحريّة.

وكانت الكاهنة، لمّا أسرت ثمانين رجلاً من أصحاب حَسّان، أحسنت اليهم، وأرسلت بهم الى حَسّان؛ وحَبَسَتْ عندها خالِد بن يزيد. فقالت له يوماً: «ما رأيتُ فى الرجال أجمل منك، ولا أشجع! وأنا أُريد أن أُرْضِعَك، فتكون أخاً لوَلَدَىَّ! وكان لها ابنان أحَدُهما بَرْبَرىٌّ، والآخر يونانىٌّ. وقالت * له: «نحن P. ٢٢ جماعةُ البربر لنا رَضاعٌ: إذا فعلناه، نتوارَثُ به!» فعمدت الى دقيق الشعير؛ فلَتَّتْهُ بزيت، وجعلَتْه على ثَدْيَيْها، ودعت وَلَدَيْها، وقالت: «كُلا معه على ثَدْيَىَّ!» ففعلا؛ فقالت: «قد صِرْتم إخْوَةً!»

ذكر مقتل الكاهِنة المَلِكة

ثمّ إنّ حسّاناً توافت عليه فُرْسانُ العرب ورجالُها من قِبَل أمير المؤمنين عبد الملك. فدعا حَسّان عند ذلك برجل يَثِقُ به، وبعثه الى خالد بن يزيد بكتاب. فقرأه وكتب فى ظهره: «إنّ البربر مُتَفَرِّقون. لا نِظامَ لهم ولا رأىَ عندهم! فاَطْوِ المراحِل، وجِـدَّ فى السَّير!» وجعـل الكتاب فى خبزة وجعلها زاداً للرجل، ووجّهه بها الى الأمير حَسّان. فلم يَغِبْ عن خالد ابن يزيد إلاّ يسيراً حتّى خرجت الكاهنة ناشرةً شعرهـا، تضرب صدرهـا، وتقول: «يا وَيْلَكم! يا مَعْشَرَ البربر! ذهب مُلْكُكم فيما يأكله الناس!» فافترقوا يميناً وشمالاً يطلبون الرجل؛ فسترهُ الله تعالى حتّى وصلَ حسّاناً؛ فكسر الخبزة وقرأ الكتاب الذى كتبه اليه خالد؛ فوجده قد افسدَتْه النارُ. فقالَ له حَسّان: «ارجع اليه!» فقال الرجل: «إنّ المرأة كاهنةٌ: لا يخفى عليها شىءٌ من هذا!» فرحل حَسّان بجنوده اليها. وبلغ الكاهنةَ خبره؛ فرحلت من جبل أوْراس فى خلق عظيم. ورحل اليها حَسّان. فلمّا كان فى الليل، قالت لابْنَيْها: «إنّى مقتولةٌ!» وأعلمَتْهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يَدَىْ مَلِك العرب

الأعظم الذى بعث حسّاناً. فقال لها خالِد: «فارحلى بنا، وخلّى له عن البلاد!» فامتنعت، ورأته عاراً لقومها. فقال لها خالدٌ وأولادُها: «فما نحن صانعون بعدك؟» فقالت: «أمّا انت، يا خالِد! فستُدْرِك مُلْكاً عظيماً عند المَلِك الأعظم! وأمّا أولادى، فيدركون سلطاناً مع هذا الرّجُل الذى يقتلنى ويَعْقِدون للبربر * غَرَائِمَ[1]!» ثمّ قالت: «اركبوا واستأمِنوا اليه!» فركب خالد وأولادها فى الليل، وتوجّهوا الى حسّان. فأخبره خالِدٌ بخبرها، «وإنّها علمت قتلها، وقد وجّهت اليك بأولادها.» فوكّل بهما من يحفظهما، وقدّم خالداً على أعِنّة الخَيْل. وخرجت الكاهنة ناشرة شعرها؛ فقالت: «انظروا ما دهمكم! فإنّى مقتولةٌ!» ثمّ التحم القتال، واشتدّ الحرب والنزال. فانهزمت الكاهنة، واتّبعها حسّان حتّى قتلها.

P. ٢٢

وكان مع حسّان جماعةٌ من البربر استأمنوا اليه. فلم يقبل أمانهم إلّا أن يعطوه من قبائلهم اثنَىْ عشر ألفا يُجاهِدون مع العرب. فأجابوه وأسلموا على يَدَيْه. فعقد لولَدَى الكاهنة، لكلّ واحد منهما على ستّة آلاف فارس، وأخرجهم مع العرب يجولون فى المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر. وانصرف حسّان الى مدينة القَيْرَوان، بعد ما حسن إسلامُ البربر وطاعتهم، وذلك فى شهر رمضان سنة ٨٢. وفى هذه السنة، استقامت بلاد إفريقية لحسّان بن النُّعمان؛ فدوّن الدواوين، وصالَح على الخَراج، وكتبه على عَجَم إفريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانيّة.

وأقام حسّان بعد قتل الكاهنة، لا يغزو أحداً، ولا ينازعه أحَدٌ. ثمّ عزله عبدُ العزيز بن مروان الوالى على مِصْر؛ وكان الوالى على مِصْر يُوَلِّى على إفريقية؛ فعزل حسّاناً وأمره بالقدوم عليه. فعلم حسّان ما أراد عبد العزيز ابن مروان، أخو عبد الملك؛ فعمد الى الجَوْهَر والذَّهَب والفضّة، فجعله فى قِرَب الماء، وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة، وأنواع الدوابّ، والرقيق،

1) A. زأ

وسائر انواع الأموال. فلمّا قدم على أمير مِصْر عبد العزيز بن مروان، أهدى اليه مائتىْ جارية من بنات ملوك الروم والبربر. فسلبه عبد العزيز جميعَ ما كان معه من الخيل والأحمال والأمتعة والوصائف والوصفان. * ورحل حسّان بالأثقال التى بقيت له، حتّى قدم على الوليد؛ فشكا له ما صنع به عبدُ العزيز. فغضب الوليد على عمّه عبد العزيز. ثمّ قال حسّان لمن معه: «ائتونى بقِرَب الماء!» ففرّغ منها من الذهب والفضّة والجوْهر والياقوت ما استَعْظَمَهُ الوليد. وعجب من أمر حسّان، فقال له الوليد: «جزاك الله خيراً، يا حسّان!» فقال: «يا أمير المؤمنين! إنّما خرجتُ مُجاهِداً فى سبيل الله، ولبس مثلى يخون اللهَ والخليفةَ!» فقال له الوليد: «أنا أرُدُّك الى عملك، وأحسن اليك، وأنَوِّهُ بك!» فحلف حسّان: «لا أوَلِّى لبنى أُمَيّة أبداً!» فغضب الوليد بن عبد الملك على عمّه عبد العزيز. P. ٢٤

وكان حسّان يُسمّى الشيخ الأمين. وغَزَواتُ حسّان لم تَنْضَبِطْ بتأريخ محقّق[1]، ولا فَتْحُهُ لمدينة قَرْطاجَنّة وتُونُس، ولا قَتْلُه للكاهنة. وذكر ابن القَطّان أنّ عَزْل حسّان وولاية موسى بن نُصَيْر كان من قِبَل عبد العزيز بن مروان، دون أمر أخيه عبد الملك، ولا مَشْوَرَته.

ذكر ولاية أبى عبد الرحمن موسى بن نُصَيْر إفريقية والمغرب وبعض أخباره - رحمة الله عليه!

نَسَبُه: قيل إنّه من لَخْم. وقيل من بَكْرْ بن وائل. وذكر ابن بَشْكُوال، فى كتاب «الصِلة» له، أنّه موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد. وكان موسى على خَراج البَصْرة، قدّمه عليها عبد الملك بن مروان؛ فاحتجن الأموال، على ما ذُكِر، لنفسه. فأوصى الحَجّاج به ألّا[2] يَفُوتَه؛ فخافَهُ موسى وقصد الى عبد

1) B. معيّن.   2) A. B. لا.

العزيز بن مروان صاحب مِصْر، لانقطاعٍ كان منه اليه. فتوجّه عبد العزيز مع * موسى الى الشام؛ فوفدا على عبد الملك؛ فأغْرَمه عبد الملك مائة ألف دينار؛ فغرم عنه عبد العزيز نصفها. وعاد مع عبد العزيز الى مِصْر؛ فولّاه منها إفريقية. P. ٢٥

فأوّلُ فتوحه قَلْعة زَغْوان ونواحيها. وبينها وبين القَيْرَوان مسيرة يوم كامل. وبنواحى زَغْوان قبائل بَرْبَر بَعَثَ اليهم موسى خمسمائة فارس؛ ففتحها الله. فبلغ سبيهم عشرة آلاف. وهو أوّل سَبْى دخل القَيْرَوان فى ولاية موسى. ثمّ وجّه ابناً له اسمه عبد الله الى بعض نواحى إفريقية؛ فأتى بمائة ألف رأس من السبى. ثمّ وجّه ابنه مروان؛ فأتى بمثلها. فكان الخُمُس يومئذٍ ستّين ألفا. فكتب موسى الى عبد العزيز يُعلمه بالفتح، ويُعلمه أنّ الخُمُس بلغ ثلاثين ألفاً. وكان ذلك وهماً من الكاتب: كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستّين ألفاً. فلمّا قرأ عبد العزيز بن مروان الكتاب، وأنّ الخُمُسَ من السبى ثلاثون ألفاً، استكثر ذلك، ورأى أنّه وَهْمٌ من الكاتب لكثرته. فكتب الى موسى يقول له: «إنه قد بلغنى كتابُك تذكر أنّ خُمُسَ ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس. فاستكثرتُ ذلك، وظننتُه وَهْماً من الكاتب. فاكتب بالحقيقة!» فكتب اليه موسى: «قد كان ذلك وهماً من الكاتب على ما ظنّه الأمير! والخُمُس، أيّها الأمير! ستّون ألف رأس ثابتاً بلا وَهْم!» فلمّا بلغه الكتاب، عجب كلّ العجب، وامتلأ سروراً. وقد كان عبد الملك كتب الى أخيه عبد العزيز: «قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك فى عَزْل حسّان وتولية موسى. وقد أمضى لك امير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية من ولّيتَ». فكتب عبد العزيز الى أخيه يُعلمه بالفتح وبكتاب موسى. ثمّ وجّه عبد الملك رجلاً الى موسى، ليقبضَنّ ذلك منه على ما ذكر؛ فدفع موسى اليه مثل ذلك، وزاد ألفاً.

وكان موسى عند وصوله الى * إفريقية، لمّا صار فى الجيش الأوّل، أتى عصفورٌ حتّى نزل على صدره. فأخذ به موسى، وذبحه، ولطّخ بدمه صدره P.

من فوق الثياب، ونتف ريشه، وطرحه على نفسه، وقال: «هو الفَتْحُ! وَرَبِّ الكعبة!»

قال ابن قُتَيْبة: فتح موسى بن نُصَيْر سَجُومة وقتل ملوكها. وأمر أولاد عُقْبة: عِيَاضاً وعثمان وأبا عَبْدة، أن يأخذوا حقّهم من قاتل أبيهم؛ فقتلوا من أهل سَجُومة ستّمائة رجل من كبارهم. ثمّ قال لهم: «كُفّوا!» فكَفّوا. وذلك سنة ٨٢ (على قول من قال إنّه ولى فيها[1]).

ثمّ فتح موسى هُوّارة وزَناتة وكُتامة. فأغار عليهم وقتلهم وسباهم. فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس. وكان عليهم رجلٌ يقال له طامون[2]؛ فبعث به موسى الى عبد العزيز بن مروان؛ فقتله عند البِرْكة التى عند قرية عُقْبة؛ فسُمِّيت بِرْكة طامون[2] الى اليوم. وكانت كُتامة قد قَدِمت على موسى؛ فولّى عليهم رجلاً منهم، وأخذ منهم رهائن من خيارهم.

وفى سنة ٨٥، تُوُفّى عبد العزيز بن مروان، صاحبُ مُلْك مِصْر من قِبَل أخيه عبد الملك بن مروان. ووليها عبدُ الله بن مروان أخو عبد الملك. وكان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع أخاه عن مِصْر فى هذه السنة، على ما فعل من عزل حَسّان بن النُّعْمان وفَيْئه. فنهاه قُبَيْصة بن ذُؤَيْب، وقال: «لعلّ الموت يأتيه! فنستريح منه!» فكفّ عبد الملك عنه؛ وبقيت نفسُه تُنازعه أن يخلعه. فبينا هو على ذلك، ورَوْحُ بن زِنْباع الجُذامىُّ يقول له يومًا: «لو خَلَعْتَهُ، ما انتطَحَ فيه عِنْزانِ!» إذ دخل عليهما قُبَيْصة؛ فقال: «آجَرَك * اللهُ يا أمير P. ٢٧ المؤمنين فى أخيك! فقال: «وهل تُوُفّى؟» قال: «نعم!» فقال عبد الملك: «كفانا الله يا ابا زُرْعة! ما كُنّا أجْمَعْنا عليه!» وكانت وفاة عبد العزيز فى جمادى الأولى من السنة المؤرّخة.

وفى سنة ٨٦، توفّى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين؛ فكتب الوليد الى عمّه عبد الله بن مروان بولاية موسى بن نُصَيْر إفريقية والمغرب، وقطعها عن عمّه. وكانت أكثر مُدُن إفريقية خاليةً باختلاف البرابر عليها.

---

1) Manque dans B. 2) A. كامون.

فَتْح المغرب الأَقصى على يدى الأَمير أَبى عبد الرحمن موسى بن نُصَيْر

ثمّ خرج موسى — رحمه الله! — غازياً من إفريقية الى طَنْجة. فوجد البربر قد هربوا[1] الى الغَرْب خوفاً من العرب. فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى منهم سَبْياً كثيراً، حتّى بلغ السُّوسَ الأَدنى، وهو بلاد دَرْعة. فلمّا رأى البربر ما نزل بهم، استأْمنوا وأَطاعوا. فولّى عليهم والياً، واستعمل مَوْلاه طارِقاً على طَنْجة وما والاها، فى سبعة عشر الفاً من العرب واثْنَىْ عشر أَلفاً من البربر. وأَمر العرب أَن يُعلِّموا البرابرَ القرآنَ، وأَن يُفَقِّهوهم فى الدين. ثمّ مضى موسى قافلاً الى إفريقية.

قال ابن القَطّان: وذُكِر أَنّ موسى بن نُصَيْر بعث إِثر بيعته للوليد، فى هذه السنة المؤَرّخة، زُرْعة بن أَبى مُدْرِك الى قبائل من البربر، فلم يُلْقِ حرباً منهم. فرغبوا فى الصلح منه، فوجّه رؤساءهم الى موسى بن نُصَيْر، فقبض رهونهم. ثمّ عقــد لعيّاش بن أَخْيَل على مَرَاكب إفريقية، فمشى فى البحر الى صِقِلّيّة، فأَصاب مدينةً يقال لها سِرَقُوسة، فغنمها وجميعَ ما بها، وقفل سالماً غانماً.

ولمّا حمل أَبو مُدْرِك زُرْعة بن ابى مُدْرِك رهائن المَصامِدة، جمعهم موسى مع رهائن * البربر الذين أَخذهم من إفريقية والمغرب، وكانوا على طَنجــة، وجعل عليهم مَوْلاه طارِقاً، ودخل بهم جزيرة الأَنْدَلُس. وترك موسى بن نُصَيْر سبعة عشر رجلاً من العرب، يعلّمونهم القرآن وشرائع الإسلام. وقــد كان عُقْبة بن نافِع ترك فيهم بعض أَصحابه يُعلِّمونهم القرآنَ والإسلام: منهم شاكِر صاحب الرباط[2] وغيرُه. ولم يدخل المغربَ الأَقصى أَحدٌ من ولاة خُلَفاء بنى أُمَيّة بالمشرق إلاّ عُقْبة بن نافِع الفهرىّ، ولم يعرفْ المصامدة غيرَه. وقيل إنّ أَكثرهم أَسلموا طوعاً على يدَيْه. ووصل موسى بن نُصَيْر بعده.

P. ٢٨

1) A. خرجوا.

2) Manque dans A.

وفى سنة ٩٢ من الهجرة، جاز طارق الى الأَنْدَلُس، وافتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر، ورهائنهم الذين ترك موسى عنده، والذين أَخذهم حسّان من المغرب الأَوسط قِبْلَه. وكانت ولاية طارق على طَنْجة والمغرب الأَقصى فى سنة ٨٥. وفى هذا التأريخ، تمّ إسلامُ أَهل المغرب الأَقصى، وحوّلوا المساجد التى كان بناها المُشْرِكون الى القِبْلة، وجعلوا المنابر فى مساجد الجماعات. وفيها صُنِعَ مسجد أَغمات هَيْلانة.

ونَسَبُ طارِق: هو طارِق بن زِيَاد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نَفْزاو. فهو نَفْزىٌّ. ذُكِرَ أَنّه من سَبْى البربر؛ وكان مَوْلَى موسى بن نُصَيْر.

وفى سنة ٩٣، جاز موسى بن نُصَيْر الى الأَنْدَلُس؛ فعبر البحر غاضِباً على طارِق، ومشى على غير طريقه، وفتح فتوحاً كثيرةً، يَقَعُ ذِكْرُها، إن شاء الله، فى الجُزْء الثانى من هذا الكتاب، فى فتح الأَنْدَلُس.

وفيها وُلِّيَ عبدُ الله بن موسى إفريقية عِوَضاً من أَبيه، حين توجّه الى الأَنْدَلُس، الى أَن وصل أَبوه منها متوجّهاً الى المشرق؛ فقدم مدينة القَيْرَوان فى أَواخر سنة ٩٥.

وفى سنة ٩٥، انصرف موسى من * الأَنْدَلُس الى إفريقية، بما أَفاء الله P. ٢٩ عليه؛ فاجاز الأَموال من الذهب والفضّة والجَوْهر فى المراكب الى طَنْجة. ثمّ حملها على العَجَلات.

قال الرَّقِيق: كانت وَسْقَ مائة عَجَلة وأَربع عشرة عَجَلة. وفيها المائدة؛ وكانت من ذهب، يشوبه شىء من فضّة، مُطَوَّقةً بثلاثة أَطواق: طَوْق ياقوت، وطَوْق زَبَرْجَد، وطَوْق جَوْهر[1]؛ وحُمِلت يوماً على بغل عظيم أَفْرَه وأَقوى ما وُجِد؛ فما بلغ المرحلة حتّى تفسّخَتْ[2] قوائمُه.

قال اللَّيْث بن سَعْد: لم يُسْمَع قطُّ بمثل سبايا موسى بن نُصَيْر فى الإسلام.

---

1) A. لؤلؤ.   2) A. et B. تفتّحت.

ولمّا قدم عليه ابنُه من السوس، خرج للقائه مع وجوه الناس. فلمّا التقيا، قال مروان بن موسى لرجاله: «مرُوا لكلّ من خرج مع والدى بوصيف أو وصيفة». وقال موسى: «مُرُوا انتُمْ لهم من عندى بمثل ذلك!» فرجع الناس كلُّهم بوصيف أو وصيفة. ومن أخبار موسى بن نُصَيْر أيضاً — رحمه الله! — لمّا انصرف من الأَنْدَلُس، ولّى عليها ابنه عبد العزيز، وشخص قافلاً الى إفريقية. فقدم القَيْرَوان فى آخر سنة ٩٥؛ فلم يدخلها، ونزل بقصر الماء. ثمّ قعد فى مجلسه، وجاءته جيوشُ العرب من القَيْرَوان؛ فمنهم من سافَرَ معه، ومنهم من تخلّف مع ابنه عبد الله بإفريقية. فقال لأصحابه: «أصبحتُ اليومَ فى ثلاث نِعَمٍ: منها كتابُ أمير المؤمنين بالشكر والثناء (ثمّ وَصَفَ ما أجرى الله على يَدَيْه من الفتوحات)؛ ثمّ كتابُ ابنى عبد العزيز يَصِفُ ما فتح الله عليه فى الأَنْدَلُس بحمد الله تعالى! (فقاموا اليه، فهنّؤوه)؛ وأمّا الثالثة، فأنا أُرِيكُموها!» وقام؛ فأمر برفع ستر. فإذا فيه جَوَارٍ مُخْتَلِفات، كأنّهُنّ البدور الطوالع، من بنات ملوك الروم والبربر، عليهنّ الحِلْىُ والحُلَلُ. فُهنِّىَ ايضاً بذلك. فقال علىُّ ابن رَباح السُلَمىُّ: «ايُّها الأمير! أنا أَنْصَحُ الناسِ اليك: ما من شىء انتهى إلاّ وَرَجَعَ! فارْجِعْ * قَبلَ أن يُرْجَعَ اليك!» قال: فانكسر موسى، وفرّق جواريه من حينه على الناس. P. ٣٠

ثمّ رحل الى المشرق، وخلف على إفريقية ابنه عبد الله، وعلى الأَنْدَلُس ابنه عبد العزيز، وعلى طَنْجة ابنه عبد الملك.

وقال ابن القَطّان: الأكثرون يقولون إنّ مُسْتَقَرّ طارِق قبل مُحاوَلة الأَنْدَلُس كان بطَنْجة. ومنهم من يقول: كان بموضع سِجِلْماسة؛ وإنّ سَلاَ، وما وراءها من أرض فاس وطَنْجة وسَبْتة، كانت للنصارى. قال: واختلف الناسُ هل دخل موسى القَيْرَوان فى هذه الوجهة أم لا.

ثمّ رحل عنها مع بقيّة أولاده: مروان، وعبد الأعلى، وغيرهما، ومعه أشراف الناس من قُرَيْش والأنصار وسائر العرب؛ ومن وجوه البربر، مائة

منهم بنو كُسَيْلة بن لَمْزَم، وبنو يسُّور ومَزْدانة مَلِك السُّوس ومَلِك ميورقة ومنورقة، ومن أولاد الكاهِنة، ومائة من وجوه ملوك الروم الأنْدَلُسيِّين، وعشرون مَلِكاً من ملوك المدائن التى افتتحها بإفريقية. وخرجوا معه بأصناف ما كان فى كلّ بلد من طُرَفها، حتّى انتهى الى مِصْر. فلم يَبْقَ بها فقيهٌ ولا شريفٌ إلاّ وَصَلَهُ وأعطاه. ثمّ خرج من مِصْر متوجِّهاً الى فِلَسْطين. فتلقّاه آلُ رَوْح بن زَنْباع ونحروا له خمسين بعيراً. ثمّ خرج وترك عندهم بعض أهله وصغار ولده، فأعطى آلَ رَوْح بن زَنْبَاع عطاء جزْلاً. ثمّ وافاه كتابُ الخليفة الوليد بن عبد الملك، يأمره بشدِّ السَّيْر اليه، ليُدْرِكه فى قَيْد الحياة؛ وكان مريضاً. ووافاه كتابٌ من سليمان بن عبد الملك ولىّ عَهْد أخيه الوليد، يأمره بالتأنّى والتربُّص. فأسرع موسى، ولم ينظر فى كتاب *سليمان، الى أن وصل الى الوليد قَبْل موته بثلاثة أيّام. فقال سليمان: «لَئِنْ ظَفِرْتُ به، لأُصَلِّبَنَّهُ!» فدفع موسى الأموال والمائدة والدُّرّ والياقوت والتيجان والذهب والفضّة الى الوليد بن عبد الملك.

وقال المَسْعُوديّ، فى كتابه المسمّى بـ«عجائب البلاد والزمن»، قال: لمّا فتح طارِق طُلَيْطُلَة، وجد بها بيت الملوك؛ ففتحه. فوجد فيه زَبُورَ داوود -- عم -- فى ورقات ذهب. مكتوباً بماء ياقوت محلولٍ، من عجيب العمل، الذى لم يَكَدْ يُرَ مثلُه، ومائدة سليمان -- عم -- وقد تقدّم وصفُها. ووجد فيه أربعة وعشرين تاجاً منظومةً بعَدَد ملوك القُوطِيّين بالأنْدَلُس: إذا توفّى أحَدُهم، جعل تاجه بذلك البيت، وفعل الملكُ بعده لنفسه غيرَه؛ جرت عوائدُهم على ذلك. ووجد فيه قاعةً كبيرةً مملوّةً بإكسير الكِيمِيَاء. فحمل ذلك كلّه الى الوليد بن عبد الملك.

وفى سنة ٩٦، توفّى الوليد بن عبد الملك فى جُمادى الأخيرة. ووُلِىَ الخلافة سليمان. فغضب على موسى غَضَباً عظيماً، وأمر عليه. فأُوقِفَ، فى يوم شديد الحرّ، فى الشمس؛ وكان رجلاً بادناً ذا نسمةٍ. فوقف حتّى سقط مَغْشيّاً

عليه. وقال له سليمان: «كتبتُ اليك. فلم تنظر كتابى! هَلُمَّ مائة أَلف دينار!» قال: «يا أَمير المؤمنين! قد أَخذتُمْ ما كان معى من الأَموال. فمن أَين لى مائة الف دينار؟» قال: «لا بدّ من مائتى أَلف!» فاعتذر، فقال: «لا بدّ من ثلاثمائة أَلف دينار!» وأَمر بتعذيبه، وعزم على قتله. فاستجار بيزيد ابن المُهَلَّب، وكانت له حُظوةٌ عند سليمان، فاستوهبه منه، وقال: «يُؤَدِّى ما عنده!» وقيل إن موسى افتُدِىَ من سليمان بأَلف أَلف دينار. ذكر ذلك ابن حَبِيب وغيره. ثمّ إنّ يزيد بن المُهَلَّب سهر ليلةً مع الأَمير موسى، فقال له: P. ٣٢ «يا أَبا عبد الرحمن! فى كَمْ كُنْتَ تَعْتَدُ، * انت وأَهلُ بيتك، من الموالى والخُدّام؟ أَتكونون فى أَلف؟» فقال: «نعم! وأَلف أَلف الى منقطع النفس!» قال: «فَلِمَ القيتَ بنفسك الى التَّهْلُكة؟ أَفلا أَقَمْتَ فى قَرار عزّك، وموضع سلطانك؟» فقال: «والله! لو أَردتُ ذلك، لَمَا نالوا من أَطرافى شيئا! ولاكنّى آثَرْتُ الله — عزّ وجلّ! — ورسوله، ولم أَرَ الخروج عن الطاعة!» وقيل إنّ سليمان بن عبد الملك، بعد ما افْتُدِىَ منه موسى، دعا يوماً بطِسْتٍ من ذهب، فرآه موسى ينظر اليه. فقال له: «يا أَمير المؤمنين! إنّك لتعجبُ من غير عجب! والله! ما أَحْسِبُ أَنّ فيه عشرة آلاف دينار! والله! لقد بعثتُ الى أَخيك الوليد بتَنُّورٍ من زَبَرْجَد أَخضر كان يصبُّ فيه اللبن فيخْضَرّ، ولقد قُوِّمَ بمائة أَلف دينار! ولقد أَصبتُ كذا وكذا!» وجعل يكثر عليه فى ذلك حتّى بهت الأَمير من قوله.

وكان مَوْلِد موسى بن نُصَيْر سنة ١٩، ووفاته سنة ٩٨. فكان عمره تسعاً وسبعين سنة. وفى سنة ٨٨، ولى إفريقية، فأَقام عليها أَميراً وعلى الأَنْدَلُس والمغرب كلّه نحو ثمان عشرة سنة، الى أَن مات. وممّا ذُكر فى وفاته، أَنّه حجّ مع سليمان. فلمّا وصلا المدينة، قال موسى بن نُصَيْر لأَصحابه: «لَيَمُوتَنّ بعد غد رجلٌ قد ملأَ ذِكْرُه المشرق والمغرب!» فمات موسى فى ذلك اليوم[1].

---

1) Ce dernier membre de phrase manque dans A

ولاية محمّد بن يزيد إفريقية والمغرب

قال الواقدىّ: ثمّ إنّ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك قال لرَجاء بن حَيْوة: «أُريد رجلاً، له فضلٌ فى نفسه، أُوَلِّيه إفريقية.» فقال له: «نعم!» فمكث أيّاماً. ثمّ قال: «قد وجدتُ رجلاً له فضلٌ.» قال: «من هو؟» قال: «محمّد بن يزيد مَوْلى قُرَيْش.» فقال: «أَدْخِلْه علىّ!» فأدخله عليه. فقال سليمان: «يا محمّد بن يزيد! اتّقِ الله *وَحْدَه لا شريكَ له! وقُمْ فيما P. ٣٣ وَلَّيْتُك بالحقّ والعدل! وقد وَلَّيْتُك إفريقية والمغرب كلّه!» قال: فودّعه وانصرف، وهو يقول: «ما لى عُذْرٌ عند الله إن لم أَعْدِلْ!»

وفى سنة ٩٧ من الهجرة، استقرّ محمّد بن يزيد بإفريقية بأحسن سيرة وأعدلها. ثمّ وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى بن نُصَيْر، وتعذيبه، واستئصال أموال بنى موسى. فسجنه محمّد وعذّبه. ثمّ قتله بعد ذلك. وكان سليمان قد أمره بأَخْذِ أهل موسى وولده وكلِّ من تلبّس به، واستئصال أموالهم، وتعذيبهم، حتّى يؤدّوا ثلاثمائة ألف دينار. وتولّى قَتْلَ عبد الله بن موسى خالدُ ابن أبى [1] حَبيب القُرَشىّ. وأمّا عبد العزيز بن موسى، فخلع دعوة بنى مروان واستبدّ بأمره لمّا بلغه ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته. وجاءت الكُتُب الى حَبيب بن أبى عَبْدة ووَجوهِ العرب من سليمان بن عبد الملك، يأمرهم بقتله؛ فقتلوه. وحُمِل رأسه ورأس أخيه عبد الله حتّى وُضِعا بين يدى أبيهما موسى، وهو فى عَذابه. فكان فِعْلُ سليمان هذا بموسى وبنيه، وقد فعل من الفتح فى الإسلام ما فعل، من هَفَوات سليمان التى لم تزَلْ تُنقم عليه.

واستعمل محمّد بن يزيد على الأَنْدَلُس الحُرَّ بن عبد الرحمن الثَّقَفىّ [2]. وكانت الأَنْدَلُس إذ ذاك الى والى إفريقية، كما كان أيضاً والى إفريقية من قِبَل والى مِصرَ. وكان محمّد بن يزيد يبعث السريّة الى ثغور إفريقية. فما أصابه قَسَمَه عليهم. وكانت ولايته سنتَيْن وأَشْهُراً.

1) Manque dans A. 2) A. et B. القيسى.

وفى سنة ٩٩، توفّى سليمان بن عبد الملك. واستُخلِف عُمَر بن عبد العزيز – رضَه – يومَ وفاته. فاستعمل على إفريقية إسماعيل بن عبد الله بن أبى المُهاجِر، مَوْلى بنى مَخْزُوم.

وفى سنة ١٠٠، وُلِّىَ إسماعيل بن أبى المُهاجِر إفريقية من قبَل أمير المؤمنين عمر بن * عبد العزيز. فكان خَيْرَ أمير وخَيْرَ والٍ. وما زال حريصاً على دُعاء البربر الى الإسلام حتّى أسلم بقيّةُ البربر بإفريقية على يديه، فى دولة عمر بن عبد العزيز. وهو الذى علَّم أهل إفريقية الحَلال والحَرام. وبعث معه عُمرَ – رضَه – عشرة من التابعين أهل علم وفضل، منهم عبد الرحمن بن نافِع، وسَعْد[1] بن مسعود التُّجيبىُّ، وغيرها. وكانت الخمر بإفريقية حلالاً، حتّى وصل هؤلاء التابعون؛ فبيّنوا تَحْريمَها – رضَهم –.

P. ٣٤

وفيها استخلف إسماعيل بن أبى المُهاجِر على الأنْدَلُس السَّمْحَ بن مالك الخَوْلانىّ. فكان حلولُه بها فى رمضان من السنة.

وفى سنة ١٠١، توفّى عُمر بن عبد العزيز – رضَه – بدَيْر سَمْعان، لستّ خلون من شعبان. فكانت خلافتُه سنتَيْن وخمسة أشهر. وولى الخلافة بعده يزيد ابن عبد الملك. فولّى على إفريقية يزيد بن أبى مُسْلِم، مَوْلى الحَجّاج بن يوسف وصاحب شُرْطته.

وفى سنة ١٠٢، قَدِمَ على إفريقية، والياً عليها، يزيد بن أبى مُسْلِم. وكان ظَلُوماً غَشُوماً. وكان البربر يَحْرُسُونه. فقام على المنبر خطيباً، فقال: « إنّى رأيت أن أرسم اسم حَرَسى فى أيديهم كما تصنع ملوكُ الروم بحرسها. فأرسم فى يمين الرجل اسمه، وفى يساره « حرسىّ »، ليُعْرَفوا بذلك من بين سائر الناس؛ فإذا وقفوا على أحد، أسرع لِمَا أمرتُ بـه. » فلمّا سمعوا ذلك منـه، أعنى حَرَسَه، اتّفقوا على قتله، وقالوا: « جَعَلَنا بمنزلـة النصارى! » فلمّا خرج من داره الى المسجد، لصلاة المغرب، قتلوه فى مُصَلّاه. فتكلّم الناسُ فى رجل

1) A. سعيد.

يقوم بأمرهم، حتّى يأتيهم أمْرُ الخليفة. فتراضَوْا بالمُغيرة بن أبى بُرْدة[1]. وكان شجاعاً كبيراً. فقال له ابنه عبد الله: «إنّ يزيد بن أبى مُسْلِم قُتِل *بحضرتك. P. ٣٥ فإنْ قُمْتَ بهذا الأمر، اتُّهِمْتَ بقتله! ولاكن الرأى أن نتراضى لمحمّد بن أَوْس الأنصارىّ!» وكان غازياً بصِقِلِّيّة. فلم يلبث إلّا يسيراً حتّى قدم بغنائم قد أصابها. فقلّدوه أمر إفريقية. فكتب الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حَدَثَ من الأمر. فاستعمل على إفريقية بِشْرَ بن صَفْوان.

ولاية بِشْر بن صَفْوان إفريقية

هو بِشْر بن صَفْوان بن تَوِيل[2] بن بِشْر بن حَنْظَلة بن عَلْقَمة بن شَرَاحِيل ابن عَزِيز بن خالِد. وُلِّىَ إفريقية سنة ١٠٣. فاستصفى بقايا آل[3] موسى بن نُصَيْر، ووفد بعد ذلك الى يزيد بن عبد الملك. فألفاه قد هلك.

وفى سنة ١٠٥، هلك يزيد بن عبد الملك فى ربيع الأوّل. وولى هشام ابن عبد الملك. فردّ بِشْر بن صَفْوان الى إفريقية. فلمّا قدمها، ولّى على الأنْدَلُس عَنْبَسة بن سُحَيْم الكَلْبىّ. ثمّ إنّ بِشْر بن صَفْوان غزا بنفسه صِقِلِّيّة. فأصاب بها سبياً كثيراً، وقفل الى القَيْرَوان. فلمّا حضرَتْه الوفاة، قالت جاريتُه: «وا شَماتَةَ الأعداء!» فقال لها: «قُولى للأعداء لا يموت[4]!» واستخلف العبّاس بن باضِعة الكَلْبىّ.

وفى سنة ١٠٧، ولّى بِشْر بن صَفْوان على الأنْدَلُس يحيى بن سَلَمة الكَلْبىّ. فقدمها فى شوّال. وفى هذه السنة اختلط أمر ولاة مِصْر اختلاطاً كثيراً.

وفى سنة ١٠٩، تُوُفِّى بِشْر بن صَفْوان والى إفريقية بمدينة القَيْرَوان؛ فكانت ولايتُه سبع سنين. وبقى نائبُه على القَيْرَوان حتّى وصل والٍ من قِبَل الخليفة هشام بن عبد الملك.

---

1) B. بريدة. 2) A. et B. نوفل. 3) B. مال. 4) B. لا يموتوا.

P. ٢٦ * ولاية عُبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمىّ إفريقية والمغرب

وهو ابن أخى أبى الأعْوَر السُّلَمىّ صاحبِ خَيْل مُعاوية بِصِفّين. فقدم إفريقية سنة ١١٠ فى ربيع الأوّل. فدخل القَيْرَوان فجأةً، وذلك يوم الجمعة. فألفى خليفة بِشْر بن صَفْوان قد تهيّأ لشهود الجُمُعة، ولبس ثيابه. فقيل له: « هذا عُبَيْدة قد قدم أميراً! » فقال: « لا حَوْلَ ولا قوّةَ الّا بالله! هكذا تقوم الساعةُ بغتةً! » وألقى بنفسه، فما حملتْه رِجْلاه. ودخل عُبَيْدة، فأخذ عُمّال بِشْر وأصحابَه، فحبسهم وأغرمهم وعذّب بَعْضَهم.

وفى سنة ١١٠، ولّى عُبَيْدة بن عبد الرحمن المذكور عثمان بن أبى نِسْعة على الأنْدَلُس، فقدِمها فى شعبان.

وفى سنة ١١١، قَدِم على الأنْدَلُس، والياً أيضاً من قِبَل عُبَيْدة بن عبد الرحمن صاحبِ إفريقية والمَغْرِب كلّه، حُذَيْفَةُ بن الأحْوَص القَيْسىُّ. وقيل: الأشْجَعىُّ. وذلك فى غُرّة مُحرَّم من السنة المذكورة.

وفى سنة ١١٢، ولّى عُبَيْدة المذكور على الأنْدَلُس أيضاً الهَيْثَم بن عُبَيْد الكِنانىّ، فقدمها فى محرَّم أيضاً من هذه السنة. ثمّ توفّى سنة ١١٤. فكانت ولايتُه سنتَين وأيّاماً.

ولمّا أخذ عُبَيْدة عُمّال بِشْر وأصحابَه، وأغْرَمهم، وعذّبهم، كان فيهم أبو الخَطّار الحُسامُ بن ضِرار الكَلْبىُّ. وكان شريفاً فى قومه، مع فصاحةٍ وبراعةٍ. وكان ولى فى إفريقية ولايات كبيرة فى أيّام بِشْر بن صَفْوان، فعزله عُبَيْدة ونكّل به، فقال [طويل]:

P. ٢٧ * أَفَأْتُمْ بنى مَرْوانَ قَيْساً دِماءَنا ... وفى الله إن لم تُنْصِفوا حَكَمٌ عَدْلُ
كأنّكم لم تَشْهَدوا مَرْجَ راهِطٍ ... ولم تَعْلَموا مَنْ كان ثَمّ له الفَضْلُ
تَعَامَيتُم عَنّا بعينٍ جَلِيّةٍ ... وانتم كذا ما قد علمنا لنا فعلُ[1]

---

1) On a suivi pour ces trois vers le ms. A.; ils se présentent ainsi dans B.:

أبادت بنو مروان قيساً دماءَنا ... وفى الله إن لم يعدلوا حكم عدلُ
كأنّهم لم يشهدوا مرج راهط ... ولم يعلموا من كان ثمّ له الفضلُ
تغافلتم عنّا كأن لم نكن لكم ... صديقاً وانتم ما رعيتم لنا فعلُ

وبعث بهذه الأبيات الى الخليفة هشام بن عبد الملك. فأمر هشام بعزل عُبَيْدة من إفريقية والمغرب. فقفل منه واستَخْلَفَ عُقْبَة بن قُدامة، وذلك فى شوّال سنة ١١٤. فكان مُلْكُ عُبَيْدة بإفريقية أربع سنين وستّة أشهر. وتوجّه الى الشام سنة ١١٤ بهدايا وتُحَف عظيمة. وبقى خليفته على القيْرَوان ستّة أشهُر.

وفى سنة ١١٣، كان عُمَّال إفريقية والأنْدَلُس الذين كانوا فى السنة قبلها. ثمّ ولى الأنْدَلُس عبد الرحمن بن عبد الله الغافِقىّ. فغزا الروم، واستشهد مع جماعة من عسكره، سنة ١١٥، بموضع يُعرف ببَلاط الشُهَداء. وفيها أصاب الناسَ مجاعةٌ عظيمة.

• ولاية عُبَيْد الله بن الحَبْحاب إفريقية والمغرب كلّه

P. ٢٨

وهو مَوْلى بنى سَلُول. وكان رَئيساً نبيلاً، وأميراً جليلاً، بارعاً فى الفصاحة والخطابة، حافظاً لأيّام العرب وأشعارها ووقائعها. فقَدِمَ إفريقية فى ربيع الآخر من سنة ١١٦. وهو الذى بنى المسجد الجامع ودار الصِناعة بتُونُس. وكان أوّلَ الأمر كاتِباً. ثمّ تناهَتْ به الحال الى ولاية مِصْرَ وإفريقية والأنْدَلُس والمغرب كلّه؛ فاستخلف على مِصْر ابنه القاسم؛ واستعمل على الأنْدَلُس عُقْبة ابن الحَجّاج السَّلُولىّ؛ واستعمل على طَنْجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه إسماعيل؛ ثمّ عُمَرَ بن عبد الله المُرادىّ.

وبعث حَبِيب بن أبى عَبْدة بن عُقْبة بن نافِع الفِهْرىّ غازياً الى السُّوس الأقصى. فبلغ أرض السودان؛ ولم يقابِلْه أحَدٌ إلّا ظهر عليه، ولم يَدَعْ بالمغرب قبيلةً إلا داخلها وأصاب من السبى أمراً عظيماً. ووجد جاريتَيْن ليس لكلّ واحدة منهما إلّا ثَدْىٌ واحدٌ. ثمّ رجع سالماً ظافراً. فغزا صِقِلّيّة وظفر بأمر لم يُرَ مثلُه.

ثُمّ إنّ عُمَر بن عبد الله المُرادىّ، عاملَ طَنْجة وما والاها، أساء السيرة

وتعدّى فى الصدقات والعُشْر، وأراد تخميس البربر. وزعم أنّهم فَىْءُ المسلمين؛ وذلك ما لم يرتكبْه عاملٌ قبلَه؛ وإنّما كان الولاة يُخَمِّسون من لم يَجِبْ للإسلام. فكان فعلُه الذَّميم هذا سبباً لنقض[1] البلاد ووقوع الفِتَن العظيمة المُؤَدِّية الى كثير القَتْل فى العِباد. نعوذ بالله من الظلم الذى هو وبال على أهله[2]!

فلمّا علم البربر خروجَ حبيب بن أبى عَبْدة الى بلاد الروم، نقضوا P. ٣٠ الطاعة * لعُبَيْد الله بن الحَبْحاب بطَنْجة وأقاليمها، وتداعت برابر المغرب بأسره. فثارت البربر بالمغرب الأقصى؛ فكانت أوّلَ ثورة فيه وفى إفريقية فى الإسلام.

وفى سنة ١٢٢، كانت ثورة البربر بالمغرب؛ فخرج مَيْسَرة المَدْغَرىّ، وقام على عُمَر بن عبد الله المُرادىّ بطَنْجة؛ فقتله. وثارت البرابر كلّها مع أميرهم مَيْسَرة الحَقير. ثمّ خَلَّفَ مَيْسَرَة على طَنْجة عبد الأعلى بن حُدَيْج، وزحف الى إسماعيل بن عبيد الله بن الحَبْحاب الى السوس؛ فقتله. ثمّ كانت وقائعُ كثيرةٌ بين أهل المغرب الأقصى وأهل إفريقية، يطولُ ذِكْرُها. وكان بالمغرب حينئذٍ قومٌ ظهرت فيهم دعوةُ الخَوارج، ولهم عَدَدٌ كثيرٌ وشوكةٌ كبيرةٌ، وهم بَرَغْواطة.

وكان السبب فى ثورة البربر وقيام مَيْسرة أنّها أنكرت على عامل ابن الحَبْحاب سوءَ سيرته كما ذكرنا. وكان الخُلَفاء بالمشرق يستحبّون طَرائف المغرب، ويبعثون فيها الى عامل إفريقية؛ فيبعثون لهم البربريّات السنيّات. فلمّا أفضى الأمر الى ابن الحَبْحاب، منّاهم بالكثير، وتكلّف لهم أو كلّفوه أكْثَرَ ممّا كان. فاضطرّ الى التعسّف وسوء السيرة. فحينئذٍ عدت البرابر على عاملهم؛ فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحَبْحاب.

وكان لعُبَيْد الله بن الحَبْحاب أولادٌ قد اعجبَتْهم أنفسُهم. فقدم عُقْبة بن الحجّاج عليهم. وكان أبو عُقْبة قد أعتق الحَبْحابَ والِدَ عُبَيْد الله. فلمّا دخل

1) Manque dans A.   2) Ce membre de phrase est omis dans B.

عُقْبة على عُبَيْد الله، قام اليه، وأعظمه، وأقعده على سريره. فلمّا خرج عُقْبة من عنده، أنكر ذلك عليه أولادُه؛ فقال لهم: «ما رأيكم؟» قالوا: «أن تعطيه شيئاً وتَصْرِفَه عنّا! فلا يكسر شرفنا!» فقال لهم: «نعم!» فلمّا كان فى غدٍ، أمر الناس؛ فدخلوا عليه ودخل عُقْبة فى جُمْلَتهم*. فقام اليه، وأجلسه على سريره، ووقف قائماً. فقال: «ايّها الناس! إنّ بَنِيَّ هؤلاء غرّتهم غِرّةُ الشيطان لعزّة السلطان، وأرادوا أمراً أخرج به عن الحقّ، وأنكروا ما رأوا من بِرّى بهذا الرجل! وإنّما أُخبِرُكم أنّه مَوْلاى، وأنّ أباه أعتق أبى! وأنا أكْرَهُ كِتْمان أمرِ اللهُ — سبْحانَه! — شهيدٌ به علىّ!» ثمّ خَيّرَ عُقْبَةَ فى ولاية ما شاءه من سلطانه؛ فاختار الأنْدَلُس؛ فولّاه عليها، وذلك فى سنة ١١٦. وأقام بها الى سنة ١٢١. وقام عليه عبد الملك بن قَطَن الفِهْرىّ؛ فخلعه. وقيل: بل هو استخلفه.

P. ٤

رَجَعَ الخَبَر الى مَيْسرة المَدْغَرىّ، رأس الصُفْرية[1]، أمير الغرب: لمّا بلغ عُبَيْدَ الله بن الحَبْحاب قتلُ عامله ووَلَدِه، كتب الى حَبِيب بن أبى عَبْدة، يأمره بالرجوع من صِقِلّيّة، ليأخذ فى الحَرَكة مع أهل إفريقية الى مَيْسَرة. وولّى ابنُ الحَبْحاب على عَسْكَر إفريقية وأشرافهم ووجوههم خالدَ بن ابى حَبيب الفِهْرىّ. فشخص الى مَيْسَرة، ووصل حَبيب بن أبى عَبْدة فى إثره. وسار خالد حتّى عبر وادى شَلَف، وهو نهرٌ بمقربة تِيهَرْت. ثمّ قدم حَبيب؛ فنزل على مجاز الوادى المذكور؛ فلم يبرح منه. ومضى خالد من فوره حتّى لقى مَيْسَرة بمقربة من طَنْجة؛ فاقتتل معه قتالاً شديداً لم يُسمع قطّ بمثله. ثمّ انصرف مَيْسَرة الى طَنْجة فأنكرت البربر عليه سوء سيرته وتغيّره عمّا كانوا بايعوه عليه.

قال الرَّقيق: وكان مَيْسَرة قد تسمّى بالخلافة، وبويع عليها؛ فقتلوه وولّوا أمرهم بعده خالد بن حُمَيْد الزَّناتىّ. فالتقى خالد بن أبى حَبيب بالبربر؛ فكان بينهم قتالٌ شديد. فبيناهم كذلك إذ غشيهم خالد بن حُمَيْد الزَّناتىّ من خلفهم

1) Manque dans B.

بعسكر عظيم؛ فتكاثرت عليهم البربر؛ فانهزم العرب وكَرِهَ خالد بن ابى حبيب أن يهرب؛ فألقى بنفسه، هو وأصحابه، الى الموت * أَنفةً من الفرار[1]. فقُتل ابن أبى حبيب ومن معه، حتّى لم يبْقَ من أصحابه رجلٌ واحد. فقُتِل فى تلك الوقعة حُماةُ العرب، وفرسانُها، وكُماتُها، وأَبطالُها؛ فسُمِّيَتْ الغزوة غزوة الأشراف؛ فانتقضت البلاد. وبلغ أهل الأندلُس ثورةُ البربر؛ فوثبوا على أميرهم؛ فعزلوه وولَّوا عبد الملك بن قَطَن. فاختلَّت الأُمور على ابن الحَبْحاب؛ فاجتمع الناس عليه وعزلوه. وبلغ ذلك الخليفةَ هشام بن عبد الملك فقال: «والله! لأَغْضَبَنَّ لهم غَضْبَةً عَرَبيّةً ولأَبْعَثَنَّ لهم جَيْشاً أَوَّلُه عندهم وآخِره عندى!» ثمّ كتب الى ابن الحَبْحاب بقدومه عليه؛ فخرج فى جُمادى الأُولى من سنة ١٢٣. P. ٤١

ولاية كُلْثوم بن عِيَاض إفريقيــة ومُقاتلتــه مــع أمير الغَرْب خالد بن حُمَيْد الزَّناتىّ

لما بلغ هشامَ بن عبد الملك انتقاضُ البلاد الغربيّة والأندلسية، بعث كُلْثومَ بن عِيَاض هذا الى إفريقية، وعقد لـه على إثنى عشر الفاً من أهل الشام. وكتب الى والى كلّ بلد أن يخرج معه بمن معه. فصارت عُمَّال مِصْرَ وإطْرابُلُس وبَرْقة معه حتّي قدم إفريقية فى رمضان سنــة ١٢٣. فنكب عن القَيْرَوان. وكان على طَلائعه بَلْجُ بن بِشْر القُشَيْرىُّ ابنُ عمّه. فلمّا وصل بَلْج، قال لأهل إفريقية: «لا تَغْلِقوا أبوابكم، حتّى يعرف أَهلُ الشام منازلكم.» ومع ذلك كلامٌ كثير يُغيظهم به. فكتبوا الى حَبيب بن أبى عَبْدة، يُعرِّفونه بمقالة بَلْج. فكتب الى كُلْثوم: «إنّ ابن عمّك السفيه قال كذا وكذا. فأَرْحَلْ بعسكرك عنهم، وإلاّ حوَّلْنا أَعِنَّةَ الخيل اليك!» فكتب كُلْثوم يعتذر اليه ويأمره أن * يُقيم بشَلَف حتّى يقدم عليه. فاستخلف كُلْثوم على القَيْرَوان عبدَ الرحمن بن P. ٤٢

1) Manque dans A.

عُقْبة الغَفَّارىّ، وسار حتّى وصل عَسْكَرَ حبيب؛ فرفضه، واستهان به؛ وسبّ بَلجُ بن بِشْر لحبيب وتنقّصه، وقال: «هذا الذى يُحوّل أَعنّةَ الخيل الينا!» فقام اليه عبد الرحمن بن حبيب، وقال: «يا بَلْج! هذا حبيبٌ! فإذا شئتَ، فاْعْرِض له للمقابلة!» وصاح الناسُ: «السلاح! السلاح!» فمال أهل إفريقية الى ناحيةٍ، ومعهم أهلُ مصر. ثمّ سعى بينهم فى الصلح. فكان هذا الاختلاف سَبَبَ هلاكهم، مع سوء رأى كُلْثوم وبَلْج.

ولمّا قدم كُلْثوم على وادى سُبُو، وهو فى ثلاثين ألفاً، قال ابن القَطّان: فيهم عشرة آلاف من صُلْب بنى أُميّة، وعشرون ألفاً من سائر العَرَب. فتوجّه اليهم خالدُ بن حُمَيْد الزَّناتىُّ الذى تولّى الأمر بعــد مَيْسَرة. فوجّه كُلْثوم بَلْجاً ليلاً، لِيُوقِعَ بالبربر. فسرى ليلَتَه، وأوقع بهم عند الصباح؛ فخرجوا اليه عُراةً؛ فهزموه ووصلوا الى كُلْثوم. فأمر بدَيْدَبان فنُصِبَ له، وقعد عليــه. ثمّ نشب القتال، وقعدت البربــر تحت الدَّرَق. وناشبت الخيلُ الخيلَ، وكشفت خيلَ العرب خيلُ البربر؛ ثمّ انكشفت خيلُ العرب، والتفّت الرجّالة بالرجّالة. فكان صَبْرٌ وقتالٌ. وخالطت خيلُ البربر ورجّالتُهم كُلثوماً وأصحابَه. فقُتل كُلْثوم، وحَبيب بن أبى عَبْدة، وسليمان بن أبى المُهاجِر، ووجوهُ العرب. فكانت هزيمة أهل الشأم الى الأنْدَلُس، وهزيمةُ أهل مِصْر وإفريقية الى إفريقية.

* قال ابن القطّان: لمّا بعث هشام بن عبد الملك كُلْثوماً والياً على إفريقية والمغرب، أمره بالجدّ والاجتهاد فى أمرها، إذ كان بنو أُميّــة يجدون فى الدرايات[1] أنّ مُلْك القائمين عليهم لا يُجاوِز الزاب. فتوهّموا أنّه زابُ مصْر، وإنّما كان زابَ إفريقية. وعهد اليه فى سَدِّها وضَبْطها، وعهد إن * حَدَثَ ٤٣ بكُلْثوم حَدَثُ أن يكون ابنُ أخيه بَلْج مكانَه. فدارت بينه وبين البربر حروبٌ، هزموا فى بعضها كُلْثوم بن عياض وقتلوه، وصار أمر العرب بإفريقية الى بَلْج بالعهد المذكور. ولجأ فلُّهم الى سَبْتة، وبقوا بها حتّى ضاق عليهم الأمر؛ فكاتب

1) B. الروايات.

بلج وأصحابه عبدَ الملك بن قَطَن أمير الأنْدَلُس، وسألوه إدخالَهم الأنْدَلُس. فلم يأمَنْهم عبدُ الملك، ومطلهم بالميرة والسُّفُن. ثمّ اضطرّ الى إدخالهم الأندلس بعد ذلك، لسبب أشْرَحُهُ فى الجُزء الثانى إن شاء الله؛ وهو موضعُه فى أخبار الأندلس. فكاتبهم، وشرط عليهم إقامة سَنَةٍ فى الأندلس، ثمّ يخرجون عنها. فرضَوْا بذلك؛ وكانوا نحو عشرة آلاف من عَرَب الشام.

ولمّا دخلوا الأندلس وأقاموا فيها سَنَةً، ترفَّهوا بها. فأمرهم عبدُ الملك بالخروج منها، كما اشترط عليهم. فامتنعوا، وقتلوا عبدَ الملك بن قَطَن، واستولى بَلْج على الأندلس، وبقى بها أحد عشر شهراً، أميراً. وقد شرحنا أمره فى أخبار الأندلس فى الجزء الثانى.

وقال الرَّقيق: لم ينهزم من أهل إفريقية إلاّ عبـدُ الرحمن بن حبيب؛ فإنّه جاز الى الأندلس، فقال لأميرها عبـد الملك بن قَطَن: «هؤلاء أهلُ الشام يقولون: ابْعَثْ لنا مَرَاكِبَ نجوز فيها، وهم، إن جازوا اليك، لم نأمنهم عليك!» فلمّا أجازهم اليها، ما لبثوا فيها إلاّ سنةً حتّى وثبوا عليـه مع بَلْج. فكانت بينهم إثنتا عشرة وقيعة، كلُّها على عبد الملك بن قَطَن حتى قتله بَلْجٌ واستولى على الأندلس.

وفى سنة ١٢٤، قُتل بَلْج بالأندلس، ووليها ثَعْلَبة بن سَلامة العامِلىُّ، أقعده أصحابُ بَلْج مكانَه بما عَهِدَ به هشامٌ اليهم، وبايعوه. فثار فى أيّامه بقايا البربر بمارِدة؛ فغزاهم ثَعْلَبة، وقتل منهم خلقاً كثيراً * وأسر منهم نحو الألف، وانصرف الى قُرْطُبة. فكانت ولايتُه عشرة أشهر. وفيها كان ابتداء ظهور بَرَغْواطة.

ذكر بَرَغْواطة وارْتِدادِهم عن الإسلام[1]

قال ابن القطّان وغيرُهُ: كان طَرِيف من ولد شِمْعُون بن إسحاق – عَم – وإنّ الصُّفْرِيّة رجعت الى مدينة القَيْرَوان لِنَهْبِها واستباحَتِها فى ثلاث مائـة

1) Ce chapitre manque dans B.

ألف من البربر مع أمير منهم. وكانوا قد اقتسموا بلاد إفريقية وحريمها وأموالها؛ فهزمهم الله تعالى بأهل القَيْرَوان، وهم فى إثنى عشر ألف مُقاتل، نصرهم الله تعالى عليهم؛ وخبرُهم طويل، يمنع من إيراده هنا خيفةَ التطويل. وكان طَرِيف هذا من جملة قوّاد هذا العسكر؛ واليه تُنسب جزيرةُ طَرِيف. فلمّا هزمهم الله بأهل القيروان، وتفرّقوا، وقُتل من قُتل منهم، وتشتّت جمعُهم، سار طَرِيف الى تامَسْنا، وكانت بلاد بعض قبائل البربر. فنظر الى شِدّة جَهْلهم؛ فقام فيهم، ودعا الى نفسه. فبايعوه وقدّموه على أنفسهم. فشرّع لهم ما شرّع، ومات بعد مدّة. وخلف من الولد أربعة. فقدّم البربر ابنه صالحاً. فأقام فيهم على الشرع الذى شرّعه أبوه طَرِيف. وكان قد حضر مع أبيه حربَ مَيْسَرة الحقير ومَغْرُور بن طالُوت الصُّفْرِيّيْن، اللذان كانا رأس الصُّفْرِيّة. فادّعى أنّه أُنزل عليه قُرْآنُهم، الذى كانوا يقْرءونه؛ وقال لهم إنّه صالحُ المؤمنين، الذى ذِكره الله فى كتابه العزيز. وعهد صالح الى ابنه إلْيَاس * بديانته، وعلّمه شرائعه، وفقّهه فى دينه، وأمره ألّا يُظْهِر الديانة حتّى يَظْهَر أمرُه، وينتشر خبرُه، فيَقْتُلَ حينئذٍ من خالَفَه. وأمره بموالاة أمير المؤمنين بالأنْدَلُس. وخرج صالِحُ الى المشرق، ووعد أنّه يرجع فى دولة السابع ممن ملوكهم، وزعم أنّه المهديُّ الذى يكون فى آخر الزمان لقتال الدَّجّال وأنّ عيسى — عم — يكون من رجاله وأنّه يُصَلِّى خَلْفَه. وذكر فى ذلك كلاماً نسبه الى موسى — عم — [1]. P. ٤٥

فولى بعد خروجه الى المشرق ابنُه إلْيَاس خمسين سنة. فكتم شريعته الى سنة ١٧٣. فخُرِّج عن ذلك كلّه من أمر صالح وابنه أنّ ابتداءه كان فى هذه السنة، أو التى قبلها؛ وما يأتى بعدها من السنين، إذ خمسون سنة آخرُها سنة ١٧٣، مبدأُها سنة ١٢٤ أو نحوها؛ والله أعلم.

1) A. ajoute ici: تعالى الله عن قوله.

ولاية حَنْظَلة بن صَفْوان إفريقية والمغرب كلّه

ولمّا بلغ أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قَتْلُ كُلْثوم بن عِيَاض وأصحابه، بعث الى إفريقية والمغرب حَنْظَلة بن صَفْوان الكَلْبيّ. وكان عامِلَه على مِصْر، ولّاه عليها سنة ١١٩. فقدمها فى شهر ربيع الآخر منها. فبعث اليه أهلُ الأندلس أن يبعث اليهم عاملاً، فوجّه اليهم أبا الخَطّار حُسام بن ضِرار الكَلْبيّ. فسار فى البحر من تونُس الى الأندلس، والياً عليها. فقدمها فى رجب. وسأذْكُر خبره فى أخبار الأندلس إن شاء الله.

ومن أخبار حَنْظَلة أمير إفريقية مع أُمراء بعض القبائل الغربيّة: وذلك لما استقرّ حَنْظَلة بالقَيْرَوان، لم يمكُثْ فيها إلّا يسيراً، حتى زحف اليه عُكّاشة الصُّفْرىُّ الخارجىُّ، فى جمع *عظيم من البربر؛ وزحف أيضاً الى حَنْظَلة عبدُ P. ٤٦ الواحد بن يزيد الهُوّارىُّ فى عدد عظيم. وكانا افترقا من الزاب. فأخذ عُكّاشة على طريق مَجّانــة. فنزل بالقَيْرَوان، وأخذ عبدُ الواحد على طريق الجِبال. وعلى مَقْدَمته أبو قُرَّة المَغيلىُّ. فرأى حَنْظَلةُ أن يُعجِّل قتال عُكّاشة، قبل أن يجتمعا عليه. فزحف اليه بجماعة أهل القَيْرَوان. فالتقوا بالقَرْن؛ وكان بينهم قتالٌ شديد. فهزم الله عُكّاشة ومن معه؛ وقُتِل من البربر ما لا يُحصى كثرةً. وقيل إنّ حَنْظَلة، لمّا رأى ما دَهِمَه من البربر، قال لأصحابه: « نَسْتَمِدُّ أميرَ المؤمنين! » فقال له شابٌّ جميل الوجه: « بَلْ، نخرج الى عدوّنا حتّى يحكم الله بيننا! » فعزم حَنْظَلة، وخرج. فهزم الله عُكّاشة فى خبر طويل.

قال عبد الله بن أبى حسّان: فأخرج حَنْظَلة كلّ ما كان فى الخزائن من السلاح، وأحضر الأموال، ونادى فى الناس. فأوّل من دخل عليــه، رجلٌ من يَحْصُب. فقال له: « ما اسمك؟ » فقال: « نَصْر بن يَنْعَم! » قال: فتبسّم حَنْظَلة كالمكذِّب له وقال له: « بالله! اصْدُق! » فقال: « والله! مالى اسمٌ غير ما قُلْتُ لك! » فتفاءل بــه وقال: « نَصْرٌ وفَتْحٌ! » فأعطى الناس، وخرج

لمقابلة الصُّفْرِيَّة، وهم الخَوَارِج. فكان بينه وبينهم حربٌ يطول ذكرها؛ فالتحم فيها القتال، وتداعى الأبطال، ولزم الرجّالة الأرض؛ فلا تسمع إلّا وَقْع الحديد على الحديد، وتقابُض الأيدى بالأيدى. وكانت كَسْرةً على مَيْسَرة العَرَب؛ ثمّ انكسرت مَيْسَرةُ البربر وقَلْبهم؛ ثمّ كرّت العرب على مَيْمَنة البربر؛ فكانت الهزيمة. وسِبِقَ الى حَنْظَلة رأسُ عبد الواحد، وأُخذ عُكّاشة أسيراً؛ فأُتى به الى حنظلة؛ فقتله وخرّ لله ساجداً.

وقيل إنّه ما عُلم فى الأرض مقتلة كانت أعظم منها. * أراد حَنْظَلة أن يُحْصِىَ من قُتل؛ وأمر بعدّهم. فما قُدر على ذلك. فأمر بقَصَب؛ فطُرح قصبةٌ على كلّ قتيل. ثمّ جُمعت القصب، وعُدّت؛ فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفا. وكانوا صُفْرِيّةً يستحلّون النساء وسَفْكَ الدماء. P. ٤٧

وكتب بذلك حَنْظَلة الى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك. فسُرّ بذلك سروراً عظيماً. وكان اللَّيْثُ بن سَعْد يقول: «ما [من] غزوة كنتُ أُحبُّ أن أشْهَدَها، بعد غزوة بَدْر، أحبُّ إلىّ من غزوة القَرْنَ والأصنام!»

وفى سنة ١٢٥، تُوفّى أمير المؤمنين هشامُ بن عبد الملك بعلّةَ الذُّبْحة. وعُمّاله فى هذه السنة هم الذين كانوا فى السنة قبلها؛ ومن جُمْلتهم حَفْص بن الوَليد على مِصْر، وحَنْظَلة بن صَفْوان على إفريقية والمغرب، وأبو الخَطّار على الأندلس. ثمّ استُخْلِف بعده الوليدُ بن يزيد، يومَ موت هشام بن عبد الملك، وذلك يوم الأربعاء لستّ خَلَوْن من ربيع الآخر.

وفى سنة ١٢٦، تُوفّى الوليد بن يزيد مقتولاً، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة، قتله يزيد بن الوليد المسمّى بالناقِص واسْتُخْلف يزيد. ولم يكن فى أيّامــه فى هذه السنة بإفريقية أمرٌ. وبويع بدِمَشْق وجعل العهد بعده لابنه إبراهيم. وتوفّى فى ذى الحجّة من هذه السنة؛ واستخلف إبراهيم بن يزيد؛ فأقام نحو شهر ونصف. ثمّ خلع نفسه لمروان الجَعْدىّ. فقيل إنّــه نبش على يزيد بن الوليد وأخرجه من قبره وصلّبه.

انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفِهْرىّ بإفريقية وبعض أخباره

P. ٤٨ كان عبد الرحمن بن حَبيب هذا قد هرب الى الأندلس * عند هزيته من الوقيعة التى قُتل فيها أبوه حَبيب بن أبى عَبْدة بن عُقْبة بن نافِع، مع كُلْثوم بن عِياض. فلم يزل، وهو بالأندلس، يُحاوِل أن يتغلّب عليها. فلم يمكنه مـا أراد، الى أن وجّه حَنْظَلة أبا الخَطّار اليها؛ فخاف على نفسه، وخرج مُسْتَتِراً؛ فركب البحر الى تونُس؛ فنزل بها، وذلك فى جمادى الأُولى سنـة ١٢٧. فدعا الناس الى نفسه؛ فأجابوه. وأراد حَنْظَلة الخروج اليه، والزحف لقتاله. ثمّ كره قتال المسلمين. وكان ذا وَرَع ودين؛ فوجّه الى حَنْظَلة جماعةً من وجوه إفريقية يدعونه الى مراجعة الطاعة. فلمّا قدموا عليه، أَوْثَقَهم فى الحديد، وأقبل بهم الى القَيْرَوان، وقال: «إن رمى أَحَدٌ من أوليائهم بحجر، قتلتُهم!» وكانوا وجوهَهم ورؤساءهم. فلمّا رأى حَنْظَلـة ذلك، دعا القاضى والعُدول، وفتح بيت المال؛ فأخذ منـه ألف دينار، وترك الباقى، وقال: «لا أتلبّس منه إلّا بقدر ما يكفينى ويبلِّغُنى!» ثمّ شخص عن إفريقية فى سنة ١٢٩، فى جمادى الأُولى. وأقبل عبـد الرحمن حتّى دخل القَيْرَوان، ونادى مُناديه: «لا يَخْرُجَنَّ أحدٌ مع حَنْظلة، ولا يشيّعه أحدٌ!» فرجع عنه الناسُ خوفاً من عبد الرحمن. ولمّا[1] قفل حَنْظَلَةُ الى المشرق، دعا على عبد الرحمن وعلى أهل إفريقية، وكان مُستجابَ الدعوة. فوقع الوباء والطاعون بإفريقية سبع سنين، لا يكاد يرتفع إلّا مرّةً فى الشتاء ومرّةً فى الصيف.

وقال بعض المؤرّخين إنّ مروان بن محمّد الجَعْدىّ بعث الى عبد الرحمن ابن حبيب بولايته على إفريقية بعد تغلُّبه عليها.

ولمّا ولى عبد الرحمن، ثار عليه جماعةٌ من العرب والبربر. ثمّ ثار عليه

1) Lacune de quelques mots dans A.

عروة بن الوَليد الصَّدَفىّ؛ فاستولى على تونُس، وثار عليه عَرَبُ الساحل، وقام عليه ابن عَطّاف الأَزدىّ. وثارت * البربر فى الجبال. وثار ثابت P. ٤٩ الصَّنْهاجىّ بباجة؛ فأَخذها. فخرج اليه إِلْيَاس بن حَبيب، أَخو عبد الرحمن، فى ستّمائة فارس؛ ولم يُظْهِر أَنّه خرج اليه، بل أَعمل الحيلة مع أَخيه فى ذلك. ولمّا وصله الجاسوسُ، وقال: «إِنَّ القوم آمِنون غافلون»، خرج العسكر اليهم؛ فقتل ابن عطّاف وأَصحابه، وأَمعن عبدُ الرحمن بن حبيب فى قتل البربر، وامتحن الناس بهم، وابتلاهم بقتل الرجال صبراً، يؤْتَى بالأَسير من البربر، فيأْمر مَنْ ينهمه بتحريم دمه بقتله؛ فيقتله. وكانت بإِفريقية حروبٌ ووقائع يطول ذكرُها.

وكان عبد الرحمن بن حبيب قد كتب الى مروان بن محمّد، وأَهدى اليه الهدايا. فكتب اليه مروان، يأْمره بالقدوم عليه. ثمّ ضعف أَمر بنى أُميّة بالمشرق، واشتغل مروان بحرب المُسَوِّدة. فأَقام عبد الرحمن بالقَيْروان، حتّى كانت سنة ١٢٥. فغزا تِلِمْسان، وخلّف ابنه حبيباً على القَيْروان؛ فظفر بطوائف من البربر، وعاد الى القَيْروان. ثمّ أَغزى صِقِلّيَّة. ثمّ بعث الى سَرْدَانِية؛ فقتل من بها قتلاً ذريعاً؛ ثمّ صالحوه على الجزية. وبعث الى إِفْرَنْجة؛ فأَتى بسبيها؛ ودوّخ المغرب كلّه، وأَذلّ من به من القبائل، لم يهزم له عسكرٌ، ولا رُدَّت له رايةٌ. وداخل جميعَ أَهل المغرب الرعبُ والخوفُ منه.

وقُتل مروان بن محمّد بالمشرق، وزالت دولة بنى أُميّة. وبقى عبد الرحمن ابن حبيب أَمير إِفريقية والمغرب. وهرب جماعةٌ من بنى أُميّة خوفاً من بنى العبّاس، ومعهم حُرَمُهم. فتزوّج منهم عبدُ الرحمن وإِخوتُه. وكان فيمن قدم ابنانِ للوليد بن يزيد؛ وكانت ابنة عمّهما عند إِلْيَاس بن حَبيب، فأَنزلهما عبدُ الرحمن فى دار؛ ثمّ احتال فى بعض الليالى؛ فاطّلع عليهما من موضع خفىّ، وهما على نبيذٍ، ومَوْلاهُما يسقيهما، إِذ قال أَحدهما: «أَيظنّ عبدُ الرحمن * أَنّه يبقى أَميراً معنا، ونحن أَولادُ الخليفة!» فلما سمع هذا منه، انصرف. ثمّ P. ٥٠

دعاها، وأظهر لها بشراً، حتّى أتاها مَنْ أخبرها أنّ عبد الرحمن سمع كلامهما. فَرَكِبا جَمَلَيْن وهَرَبا. فبعث عبد الرحمن الخيلَ فى طلبهما، وأُدْرِكا. فأمر بضرب أعناقهما. وكانت ابنة عمّهما عند إلْياس؛ فقالت له: «قتل أختانك، وانت صاحبُ حربه وصاحبُ سيفه! وجعل العهد من بعده لحَبِيب ولده! فهذا تَهاوُنٌ بك!» ولم تزل به حتّى اجتمع رأىُ إلْياس وأخيه عبد الوارث على قتل أخيهما عبد الرحمن. وهاوَدَهما على ذلك جماعةٌ من أهل القَيْرَوان على ما يأتى ذكرُه.

وفى سنة ١٢٧، كان دخول عبد الرحمن بن حَبِيب هذا إفريقية ودُعاؤه لنفسه، كما تقدّم. وفيها كان انتزاء ثُوَابة بن سَلامة بالأَنْدَلُس، وبويع بها. وكان قد هزم أبا الخَطَّار سنة ١٢٥. وتمّ له الأمر فى هذه السنة، لا كن لا بعهد من بنى أُميَّة، ولا من بنى العبّاس، بل عنوةً بالسيف. وأقام معه الصُّمَيْل؛ فكان السلطان لثُوَابة والأمر للصُّمَيْل.

وفى سنة ١٢٨، هلك أمير الأَنْدَلُس ثُوَابة فى شعبان؛ فكانت دولتُه نحو سنة، حسبما أذكر ذلك فى أخبار الأَنْدَلُس، إن شاء الله. فبقيت الأَنْدَلُس دون أمير أربعة أشهر. فاجتمع الناس على الصُّمَيْل بن حاتِم؛ فوقع نظرُه ونظرُهم على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفِهْرىّ.

وفى سنة ١٢٩، استقلّ يوسف الفِهْرىّ بولاية الأَنْدَلُس؛ فكانت ولايته إيّاها عشر سنين: فما من سنة من هذه السنين إلّا ويمكن أن يكون له فيها غزو، إذ قالوا إنّه واصل الجهاد؛ وسيأتى ذِكْرُه وخَبَرُه فى خَبَر الأَنْدَلُس، إن شاء الله.

P. ٥١ وفيها كانت بالأَنْدَلُس حروبٌ ووقائعُ وغلاء فى السعر. وقيل إنّ ولاية يوسف كانت فى صَفَر من هذه السنة، وإنّهم كتبوا لعبد الرحمن * بن حبيب عامِل القيروان؛ فأنفذ اليه عهده بولاية الأَنْدَلُس.

وفى سنة ١٣٠، كان استيلاء أبى مُسْلِم على مَرْو، وتفريقُه كَلِمة العَرَب،

واختياره اليمانيّة لنُصْرته، وتشريدُه المُضَريّة. وكان له غزوات ومواقعات؛ وعبد الرحمن بن حبيب أميرُ إفريقية كذلك، فى حروب ووقائع مع البربر.

وفى سنة ١٣١، كان استيلاء أبى مُسْلِم على خُراسان، وعاملُ مِصْر وإفريقية والأَنْدَلُس على ما كان عليه قبل ذلك. وفيها بنى عبد الرحمن بن حبيب سُورَ مدينة إطْرابُلُس، وانتقل الناسُ اليها من كلّ مكان.

وفى سنة ١٣٢، كانت الوقعة التى هزم فيها الأُمويُّون مع ابن هُبَيْرة، وفَتْحُ العبّاسيّة للكُوفة. ثمّ اتّصلت الولايات العبّاسيّة، والفتوح للبلاد الشرقيّة، وخروجُها عن الأَمويّة واحداً بعد واحد. فقتِل مروان بن محمّد الجَعْدىُّ فى هذه السنة، وانقطعت الدولة الأَمَويّة. وكانت دولتهم ٩١ سنة وتسعة أَشهر وخمسة أَيّام. وَهُمْ أَربعة عشر رجلاً: منها أَيّامُ ابن الزُّبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً. ثمّ تفرّقت بنو أُميّة فى البلاد هرباً بأَنفسهم، وهرب عبد الرحمن ابن مُعاوية الى الأَنْدَلُس. فبايعه أَهلُها وتجدّدت لهم بها دولةٌ استمرّت الى بعد الأَربع والعشرين والأَربعمائة. فانقطعت دولتهم ستّ سنين أَو نحوها، من هذه السنة الى حين دخول عبد الرحمن الأَندلس. وجدّدها فى سنة ١٣٧. فإن صحّ أَنّ عَهْدَ عبد الرحمن بن حبيب، صاحب القَيْرَوان وإفريقية من قِبَل بنى أُميّة، وَصَلَ الى يوسف بن عبد الرحمن المتغلّب على الأَنْدَلُس، الذى أَدخل عبد الرحمن اليها وهو أَميرُها، فعلى هذا، كانت لهم دولةٌ متّصلةٌ بالأَنْدَلُس. فتأَمّلْ هذا: فإنّه، إنْ صحّ، نُكْتَةٌ غريبةٌ وفائدةٌ عَجيبةٌ.

قال أَبو محمّد بن حَزْم: وانقطعت دولة بنى أُميّة. وكانت على * علاتها دولةً عَرَبيّة، لم يتّخِذوا قاعِدةً ولا قَصَبَةً، إنّما كان سُكْنَى كلّ أَمير[1] منهم فى داره وضيعته التى كانت له قبل خلافته، ولا كلّفوا المسلمين أَن يخاطبوهم بالعبوديّة والملك ولا تقبيل يَدٍ[2] ولا رِجْلٍ، إنّما كان غَرَضُهم التَّوْلِيَة والعَزْل فى أَقاصِىَ البلاد؛ فكانت عُمّالُهم وَوُلاتُهم فى الأَنْدَلُس، وفى الصِّين، وفى

P. ٥٢ 1

1) A. امْرئ. 2) A. أَرض.

السِّنْد، وفى خُرَاسان، وأَرمينية، واليَمَن، والشأم، والعِراق، ومِصْرَ، المَغْرِب، وسائر بلاد الدنيا[1]، ما عدى الهِنْد[1].

انتقل الأمر الى بنى العبّاس فى هذه السنة. قال ابن حَزْم فى جُملة كلامه أيضاً: فكانت دولتهم أَعْجَمِيَّةً: سقطَتْ فيها دَواوينُ العَرَب، وغلب عَجَمُ خُراسان على الأمر، وعاد الأَمْر مُلْكاً عضُوضاً كِسْرَوِيًّا، إلّا أنّهم لم يُعْلِنوا بسبِّ أحدٍ من الصحابةِ — رضوان لله عليهم! — وافترقت فى دولة بنى العبّاس دعوةُ المسلمين وكَلِمَتُهم؛ فتغلّبت على البلاد طوائفُ من الخَوَارِج والشيعة والمُعْتَزِلة ومن ولد إدريس وسليمان ابْنَىْ عبد الله بن الحَسَن بن الحَسَن بن علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنهم أجمعين! — ظهروا فى المَغْرِب الأقصى، وتملّكوا فيه. ومنهم من ولد مُعاوية تغلّبوا على الأَنْدَلُس، وكثيرٌ من غيرهم أيضاً. وفى خلال هذه الأُمور، تغلّبت الكَفَرة على أكثر بلاد الأَنْدَلُس وأكثر بلاد السِّنْد.

وفى سنة ١٣٢ المذكورة، كان المُوَلُّون للعُمّال[2] بالبلاد أربعة أُمراء: وهُمْ مروان بن محمّد، وأبو سَلَمة الخَلّال، وأبو مُسْلِم، وأبو العبّاس السفّاح. فأمّا مروان، فعزل الوليد بن عُرْوة[3] عن المدينة، وولّاها أخاه عيسى؛ وأمّا أبو سَلَمة، فاستعمل محمّد بن خالد على الكوفة الى أن ظهر أبو العبّاس السفّاح ظُهوراً تامًّا؛ وأمّا أبو مُسْلِم، فهو كان السلطان الأعظم الذى لا يُرَدُّ أمره؛ وهو الذى قدّم محمّد بن الأَشْعَث على فارِس، وأمره أن يأخذ عُمّال أبى سَلَمة فيضربَ أعناقهم؛ ففعل ذلك؛ وأمّا *أبو العبّاس، فوجّه بعد ذلك إسماعيل بن علىّ والياً على فارِس، وأخاه أبا جَعْفر على الجزيرة وأرمينية وأذَرْبيْجان؛ وولّى أخاه يحيى بن محمّد بن علىّ على المَوْصِل[4]؛ وولّى على مِصْرَ أبا عَوْن عبد الملك بن يزيد؛ وولّى على إفريقية عبد الرحمن بن حبيب لأنّه، لمّا بلغتْه بيعةُ أبى العبّاس، كتب اليه بالسمع والطاعة؛ فأقرّه[5].

P. ٥٢

1—1) Manque dans A. 2) A. ajoute ici: وغيرهم. 3) B. عقبة.

4) A. ajoute ici: وولى سائر البلاد الشرقية. 5) Manque dans A.

وفى سنة ١٣٣، ولّى أبو العبّاس السفّاح عمّه سليمان بن علىّ البَصْرة وأعمالَها والبَحْرَيْن وغيرَ ذلك ؛ وولّى عمّه إسماعيل على الأهْواز، وولّى عمّه داوود المدينة، وولّى عُمّالَه سائر البلاد الشرقيّة ؛ وإفريقية والأنْدَلُس على ما كانت عليه.

وفى سنة ١٣٤، بعث أبو العبّاس السفّاح موسى بن كَعْب فى اثنَىْ عشر ألفاً لقتال منصور بن جُمْهُور من المُنْتَزِين على بنى العبّاس ؛ فسار اليه حتى لحقه بأرض الهند ؛ فهزمه ومن كان معه، ومضى ؛ فمات عطشاً فى الرمال.

وفيها كان أيضاً العَزْلُ والولايات بالمشرق. وبقى على مِصْر أبو عون، وعلى إفريقية عبد الرحمن بن حَبيب، وعلى الأنْدَلُس يوسف الفِهْرىّ.

وفى سنة ١٣٥، كانت غزوة عبد الرحمن بن حَبيب صاحب إفريقية صِقِلّيَةَ ؛ فسبى وغنم. وغزا أيضاً سَرْدانِيَة، وصالحهم على الجزيــة. وغزا أرض البربر بجهة تِلِمْسان. ومدينة تِلِمْسان قاعدةُ المَغْرِب الأوسط، وهى دارُ مَمْلَكة زَناتة.

قال البَكْرىّ[1]: بنو يَغْمُراسن من هَوّارة يعتدّون فى ستّين ألفاً. وتلمسان دارُ مملكة زناتة[1] على قديم الزمان، مُتَوسِّطة بلاد القبائل من زناتة وغيرهم، ومَقْصِدُ التجار ؛ ونزلها محمّد بن سليمان من ذُرِّيَّة علىّ بن أبى طالب — رضه —. ومن ذُرِّيَّته أبو العَيْش عيسى بن إدريس بن * محمّد بن سليمان الذى بنى P. ٥٤ مدينة جراوة.

ونسب زناتة: قال أبو المَجْد المَغِيلىّ، وعلىّ بن حَزْم، وغيرُهما: إنّ زناتة هم أولاد جانا بن يحيى بن صُولات بن ورتناج[2] بن ضرى بن سفكو بن فيدواد ابن شعبا[3] بن مادغيس بن هود[4] بن هرسق بن كداد بن مازيغ. وذكروا أنّ ضرى هو ابن وَزْجيج بن مادغس بن برّ ؛ فولد ابن برنوس. وولد برنوس كُتامة، ومَصْمُودة، وأوْرَبة، ووَزْدَاجة، وأوزيغة ؛ فولد أوزيغة هَوّارة، ومن قبيل هَوّارة بنو كَهْلان ومَلِيلة ؛ وولد يحيى جذانا وسَنْجان ووَرْسَطِيف ؛ وولد جذانا وَرْسِيج ؛ وولد وَرْسِيج مَرِين ؛ وولد مرين نَجْدة ونَمالة ؛ وولد وَرْسَطِيف

1—1) Manque dans B. 2) A. وزناج. B. ورثاج. 3) A. كمبلا. 4) A. هدك.

وَرْكُونة ومِكْناسة؛ وولد ضرى أيضاً تَمْزِيت؛ وولد تَمْزِيت مَطْماطة، ومَدغرَة، وصَدِينة، ومغِيلة [1] ومَلْزُوزة، ومَدْيُونة؛ وولد وزجيج لاوى الكبير؛ وولد لاوى الكبير [1] لاوى الصغير، ومَغْراوة، وإيفْرَن [2]؛ وولد لاوى الصغير [2] نَفْزاو [3]؛ وولد نَفْزاو [3] يطوفت؛ وولد لاوى الصغير أيضاً كطوف؛ وولد كطوف ونيطط؛ فولد ونيطط سَدْراتة؛ وكانت سَدْراتة إخوان بنى مَغْراوة لأمّهم؛ وكان أولاد مَغْراوة وبنى يفْرَن من أعظم بطون زَناتة.

قال رُجار فى كتابه: كان بنو مَرِين يسكنون وراء تِلِمْسان؛ وهم من زَناتة، من ولد جانا بن يحيى بن ضريس بن لوا بن نفزاو بن بتر بن قَيْس غَيْلان ابن الياس بن مُضَر. قال: وبنو مَرِين من العَرَب الصريحيّون.

وفى سنة ١٣٦، كان ابتداء أبى العبّاس السفّاح مُحاولةَ الغَدْر بأبى مُسْلِم، وظفرُ أبى مُسْلِم بمن حاوَلَ ذلك، وقتلُه لهم؛ وذلك فى خبر طويل [4]. وقيل: بل كان ابتداء تلك المحاولة فى سنة ١٣٥ قبلها [4]. وقدم *أبو مُسْلِم فى هذه P. ٥٥ السنة على أبى العبّاس مستأذِناً فى الحجّ؛ فهمّ أبو العبّاس بقتله؛ ثمّ انثنى عن ذلك. وحجّ أبو مُسْلِم وأبو جعفر.

وفيها توفّى أبو العبّاس السفّاح فى ذى الحجّة، بعد أن ولّى العهد لأخيه أبى جعفر المنصور؛ فاستوسقت له الأمور، وبايعه الجمهور.

وفى سنة ١٣٧، كان قدومُ أبى جعفر المنصور من مكّة [5]، وتميمُ بيعته؛ فدخل أبو جعفر الكوفة وصلّى الجمعة؛ ووافاه كتابُ أبى مُسْلِم بالحيرة؛ ثمّ شخص أبو مُسْلِم الى الأنْبار.

وفيها انتزى عبد الله بن علىّ على ابن أخيه وامتنع من بيعته؛ فبعث اليه أبو جعفر أبا مُسْلِم؛ فحاربه. وفيها قتل المنصور أبا مُسْلِم. وكَيْفِيّةُ ذلك فى [تأريخ] أخبار المَشْرِق.

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans A. 3—3) Manque dans A.
4—4) Manque dans B. 5) Manque dans A.

بقيّة أخبار عبد الرحمن بن حبيب بإفريقية

لما صار الأمر الى أبي جعفر المنصور، كتب الى عبد الرحمن يدعوه الى الطاعة. فأجابه، ودعا له، ووجّه اليه بهديّة كان فيها بُزاةٌ وكِلابٌ،[1] وكتب اليه [1]: «إنّ إفريقية اليوم إسلاميّةٌ كلّها، وقد انقطع السّبيُ منها». فغضب أبو جعفر وكتب اليه يتوعّده. فلما وصل اليه الكتاب، غضب غضباً شديداً؛ ثمّ نادى: «الصلاةُ جامعةٌ!» فاجتمع الناسُ؛ وخرج عبد الرحمن فى مطرف خزّ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثمّ أخذ فى سبّ أبي جعفر، وقال: «إنى ظننتُ أنّ هذا الخائن يدعو الى الحقّ ويقوم به، حتّى تبيّن لى خلافُ ما بايعتُه عليه من إقامة العدل! وإنّي الآن قد خلعتُه، كما خلعتُ نَعْلى هذا!» وقذفه من رجله. ثمّ دعا بخلع السود وأمر بتخريقها،[2] وقال: «هذا لباس أهل النار فى النار[2]!» قال الرقيق: *كان قد لَبِسها قبل ذلك، ودعا فيها لأبي جعفر؛ فقُطِّعت قِطَعاً وأُحرِقَتْ. وقال ابن القطّان: كان عبد الرحمن بن حبيب يُظْهِرُ الطاعة لأبي جعفر، ويدعو له على المنابر، إلاّ أنّه لم يلبس السواد، وقال: «إنّ هذا لباس أهل النار فى النار!» ثمّ خلعه ونبذ طاعته.[3] وحقّق عَرِيب أنّ خلعه لطاعة أبي جعفر كان فى هذه السنة[3].

P. ٥٦

مقتل عبد الرحمن

كان عبد الرحمن يُوَجِّه أخاه غازياً؛ فإذا ظفر، كتب عبد الرحمن بالفتح، ويزعم أنّ ابنه كان يتولّى الفتوح. وكان قد ولاّه عهده؛ فعمد إلياس الى قتل أخيه عبد الرحمن، وشاورَ فى ذلك أخاه عبد الوارث؛ فأجابه. ودَعَوَا الى ذلك قوماً من أهل القَيْرَوَان من العرَب على أن يقتلوا عبد الرحمن، ويؤمّروا إلياس بن حبيب، وتكون الطاعة لأبي جعفر. وكان عبد*الرحمن ولّى أخاه

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans A. 3—3) Manque dans B.

إلياسَ تونُس، وودّعه للخروج اليها؛ وعبد الرحمن إذ ذاك مريضٌ. فدخل
عليه، وهو فى غِلالةٍ ورِداء، وابنٌ له صغيرٌ فى حجره؛ فقعد طويلاً، وعبد
الوارث يَغْمِزه. فلمّا قام يُوَدِّعه، أكبَّ عليه ووضع السكّين بين كتفَيْه حتّى
وصل الى صدره؛ ثمّ ردَّ يده على السيف؛ فضربه، وخرج هارباً دَهِشاً. فقال
له أصحابُه: «ما فعلتَ؟» قال: «قتلتُه!» قالوا: «ارجعْ! فحزَّ رأْسَه!»
فرجع وحزّه. وثارت الصيحةُ. وأخذ إلياس أبواب دار الإمارة؛ وسمع ابنُه
حبيبٌ الصيحة؛ فأُخبِر بقتل والده؛ فاختفى؛ ثمّ تحامل على وجهه الى باب
تونُس، أحدِ أبوابِ القَيْرَوان؛ فخرج منه ومضى الى عمّه عِمْران بن حبيب،
وهو والى تونُس لوالدِه. فكانت ولايةُ عبد الرحمن بن حبيب إفريقيةَ عشر
سنين وسبعة أشهر. وكان أوّلَ ثائر متغلّب على بلاد إفريقية.

* ولاية إلياس بن حبيب إفريقية

P. ٥٧

ولما قتل أخاه، وُلِّيَ أمور إفريقية والقَيْرَوان، وحبيبٌ عند عمّه عِمْران
بتونُس. فأخبره بخبر أبيه، ولحق بهما مَوَاليهما وعبيدُها من كلِّ ناحية. فخرج
إلياس، وأتاه حبيبٌ وعِمْرانُ بن معهما؛ فهمّوا بالقتال. ثمّ اصطلحوا على أن
يعود عِمْران الى ولاية تونُس وصَطْفورة والجزيرة، ويكون حبيبٌ على قَفْصَة
وقَسْطِيلِيَة، وإلياس لسائر إفريقية والمغرب. ومضى إلياس مع أخيه عِمْران
الى تونُس؛ فوثب عليه إلياس، وبعث به الى الأَنْدَلُس. وولّى على تونُس محمّد
ابن المُغيرة، وانصرف الى القَيْرَوان؛ فبلغه عن حبيب أخبارٌ كَرِهَها. فعلم
ذلك حبيبٌ؛ فدسّ له من زيّن له الخُروج الى الأَنْدَلُس؛ ففعل، ووجّه معه
شقيقَه عبد الوارث ومن أحبَّ من مواليه. فركبوا البحر، وقد تعذَّرَتْ بهم
الريح؛ فكتب حبيبٌ الى إلياس يُعْلِمه بأنَّ الريح ردّتْه، ووقفوا بطَبَرْقة. فكتب
إلياس الى عامله بها يُحَذِّرُه من أمْرِهِ. فسمع به موالى عبد الرحمن وأهل
طاعته؛ فأتوا اليه من كلّ ناحية، وطرقوا سليمان بن زِيَاد عامل إلياس ليلاً،

وهو فى معسكره يحارس حبيباً. فاسّروه، وشدّوا وثاقه، وركبوا الى حبيب؛ فأخرجوه الى البرّ.

ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب على عمّه إلياس وتغلّبه على بلاد إفريقية

لما خرج حبيب هذا الى البرّ، واجتمعت عليه أهل طاعة أبيه، ظهر أمرُه، وشاع ذكرُه. وتوجّه الى الأُرْبُس؛ فأخذها. وبلغ خبره الى * إلياس؛ فخرج P. ٥٨ يريدُه، واستخلف على القَيْرَوان محمّد بن خالد القُرَشىّ. فلما قرب إلياس منه، تحارَبَا حرباً خفيفةً. فلما أمسى حبيب، أوقد النيران ليظنّ الناس أنّه مقيمٌ. ثمّ سَرَى؛ فأصبح بجَلُولا. ثمّ نفذ الى القَيْرَوان؛ فاستولى عليها. ثمّ رجع إلياس فى طلبه؛ ففسد عليه من كان معه، وتقوّى حبيبٌ وخرج اليه فى جمع عظيم. فلما التقيا، ناداه حبيبٌ: «لِمَ نقتل صنائعَنا وموالينا، وهم لنا حِصْنٌ! ولاكن أبْرُزُ أنا وأنت: فأيّنا قتل صاحبَه، استراح منه!» فناداه الناسُ: «قد أنْصَفَك يا إلياس!» فخرج كلٌّ واحد منهما الى صاحبه، ووقف أهل العَسكر ينظرون اليهما؛ فتَطاعَنا حتّى تكسّرت قناتاهما؛ ثمّ تضارَبا بسيوفهما، وعجب الناسُ من صبرهما. ثمّ ضرب إلياس حبيباً ضربةً[1] فى ثيابه ودرعه، ووصلت الى جسده؛ وضرب حبيبٌ عمّه إلياس ضربةً[1] أسقطَتْه. ثمّ أكبّ عليه؛ فحزّ رأسه، وأمر برفعه على رمح، وأقبل به الى القَيْرَوان. فدخلها وبين يَدَيْه رأْسُ عمّه ورؤوسُ أصحابه، فيهم عمُّ أبيه محمّد بن أبى عَبْدة بن عُقْبة، ورأْسُ محمّد بن المُغيرة القُرَشىّ وغيرهما من وجوه العَرَب. وذلك فى عام ١٢٨؛ فكانت ولاية إلياس الى أن قُتِلَ نحوَ سنة وستّة أشهر.

وفى سنة ١٢٨، قام البربر بإفريقية على حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب. ولما قتل حبيبٌ عمّه إلياس، هرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه

1—1) Manque dans B.

من عسكر إلياس أخيه الى بَطْن من البربر، يُقال لهم وَرْفجومة من نَفْزة، لاجئين اليهم. فنزلوا عليهم، وأميرهم عاصِم بن جَميل. فكتب اليه حبيب يأمره بتَوْجيهِهم اليه. فلم يفعل. فزحف اليه حبيب؛ ولقيه عاصِم، ومعه كلُّ من هرب من حبيب. فاقتتلوا؛ وانهزم حبيبٌ. وكان إذا خرج اليهم، استخلف على القَيْرَوان أبا كُرَيْب القاضى. فكتب بعض * أهل القَيْرَوان الى عاصم وأشياخ وَرْفَجُومة، وظنّوا أنّهم يُوفُون لهم بالعهد، وأظهروا لهم أنّهم إنّما يريدون أن يدعوا لأبى جعفر. فزحف عاصِم بن جميل وأخوه مكرم بمن كان معهم من البربر، ومن لجأ اليهم من العَرَب، بعد أن هزموا حبيباً، وساروا الى ناحية قابِس، حتّى انتهوا الى القَيْرَوان. فلما دنا بعضُهم من بعض، خرج جماعة من عسكر عاصم؛ فقتلوا منهم أناساً. وتفرّق الناس عن القاضى أبى كُرَيْب، ورجعوا الى القَيْرَوان، ولم يعلموا ما يحلّ بهم من البربر. وثبت أبو كُرَيْب فى نحو ألف رجل من أهل الدين، مستسلمين للموت. فقاتلوا حتّى قُتل أبو كُرَيْب وأكثرُ أصحابه. ودخل وَرْفَجُومة القَيْرَوان؛ فاستحلّوا المحارم، وارتكبوا الكبائر. ونزل عاصِمٌ بمُصَلَّى رَوْح. ثمّ استخلف على القَيْرَوان عبد الملك بن أبى الجعْد اليفرَنىّ، وسار الى حبيب، وهو بقابِس. فانهزم حبيب ولَحِق بجبل أوْراس. فسار اليه عاصِم؛ فهزمه حبيبٌ، وقتله مع جملة من أصحابه. وأقبل حبيب الى القَيْرَوان؛ فخرج اليه عبد الملك بن أبى الجعْد؛ فاقتتلا؛ فانهزم حبيب وقُتل فى المحرّم من سنة ١٤٠. فكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب نحو عشر سنين وأشهراً، وولاية أخيه إلياس سنة وستّة أشهر[1].

P. ٥٩

ثمّ تغلّب على إفريقية بعضُ القبائل الصُّفْرِيّة بعد قتل حبيب وعاصِم؛ فدخلوا القَيْرَوان وربطوا دوابّهم فى المسجد الجامع، وقتلوا كلّ من كان من قُرَيش، وعذّبوا أهلها. وأساءت وَرْفَجُومة لأهل القَيْرَوان سوء * العذاب، وندم الذين استدعوهم أشدّ ندامة. ثمّ قام أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السَّمْح

P. ٦٠

---

1) A ajoute ici : وكان حبيب ثائراً غالباً.

١

المَعَافِرىُّ، وكان ثائراً متغلّباً خرج من إطرابُلُس بعد ما كان استولى عليها، يريد القَيْرَوان لقتال وَرْفَجُومة. فالتقى معهم وقاتلهم. ثمّ هزمهم وتبعهم يقتلهم. ثمّ انصرف الى القَيْرَوان؛ فولّى عليها عبدَ الرحمن بن رُسْتُم صاحبَ تِيهَرْت بعد ذلك. ومضى أبو الخطّاب الى إطْرابُلُس. وكانت مدّةُ هذه الأهوال والفِتَن التى اختصرناها هنا مُجْمَلَةً فى نحو ثلاثة أعوام.

وفى سنة ١٣٩، كان الفِداء بين أبى جعفر المنصور والروم؛ فاستنقذ المنصور منهم أُسارى المسلمين. ولم تكن بعد ذلك صائفةٌ للمسلمين الى سنة ١٤٦.

وفى سنة ١٤١ [1]، كان ابتداء بناء سِجِلْماسة. وفيها [2] كان خروج أبى الخطّاب الى القَيْرَوان لقتال وَرْفَجُومة؛ فخرج اليه واليها عبدُ الملك؛ فخذله أهل القَيْرَوان وانهزموا عنه؛ فقُتِل عبد الملك وأصحابه فى صفر. وكان تغلُّب وَرْفَجُومة على القَيْرَوان سنةً وشهرَيْن.

وفى سنة ١٤٢، أقبل أبو الأحْوَص العِجْلىُّ بالمُسَوِّدة. فخرج اليه أبو الخطّاب. فالتقوا بمِقْدَاس [3] على شاطىء البحر؛ فانهزم أبو الأحْوَص وأصحابُه، واحتوى أبو الخطّاب على عسكرهم. ورجع أبو الأحْوَص الى مِصْر. وانصرف أبو الخطّاب الى إطْرابُلُس. وكانت إفريقية كلُّها فى يديه الى أن وجّه المنصورُ ابنَ الأشْعَث.

[4] وفى سنة ١٤٣، اتّصل بأبى الخطّاب أنّ ابن الأشْعَث [4] يريد القَيْرَوان. فخرج اليه فى زهاء مائتَىْ ألف؛ فعسكر بهم فى أرض سُرْت. واتّصل ذلك بمحمد بن الأشْعَث.

وفى سنة ١٤٤، ولى إفريقية محمّد بن الأشْعَث الخُزاعىُّ.

---

1) A.: ١٤٠ 2) A. وفى سنة ١٤١. 3) Cette vocalisation est fournie par B. 4—4) Manque dans B.

ذكر ولاية محمّد بن الأَشْعَث الخُزاعىّ إفريقية [1]

لما غلبت الصُّفْرِيَّة على إفريقية، بعد أن قتلت وَرْفَجُومة من قتلت من قُرَيْش وغيرهم، * خرج جماعةٌ من عَرَبها الى المنصور يستنصرون به على البربر، ويصفون له ما نالهم منهم. فولّى أبو جعفر ابنَ الأَشْعَث مِصْر. فوجّه أبا الأَحْوَص. فهزمتْه البربر كما تقدّم. فكتب أبو جعفر الى ابن الأَشْعَث أن يسير بنفسه؛ فخرج الى إفريقية فى أربعين ألفـاً، عليها ثمانيـة وعشرون قائداً. فالتقوا بأبى الخطّاب؛ وكان قد جمع أصحابه فى كلِّ ناحية؛ ومضوا فى عدد عظيم. فضاق ذَرْعُ ابن الأَشْعَث بلقاء أبى الخطّاب لما بلغه كثرة جيوشه. ثمّ إنّ زَناتة وهُوّارة تنازعَتْ فيما بينها، واتّهمت زَناتة أبا الخطّاب فى ميله مع هُوّارة. ففارَقَه جماعةٌ منهم. وبلغ ذلك ابن الأَشْعَث؛ فسُرَّ به ورحل اليـه. فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزم البربر. وقُتـل أصحاب أبى الخطّاب وأبو الخطّاب. فظنّ ابن الأَشْعَث ألّا بقيّةَ بعد أبى الخطّاب. ثمّ طلع عليهم أبو هُرَيْرة الزَّناتىّ فى ستّة عشر ألفاً. فتلقّاهم ابن الأَشْعَث؛ فهزمهم وقتل بعضهم؛ وذلك فى ربيع الأوّل من السنة. ووجّه ابن الأَشْعَث برأس أبى الخطّاب الى بغداد. ولما انتهى الى عبد الرحمن ابن رُسْتُم قتلُ أبى الخطّاب، ولّى هارباً الى موضع تِيهَرْت. فاختطّها ونزلها. وأخذ أهلُ القَيْرَوان عامِلَه عليها؛ فأوثقوه فى الحديد وولّوا على أنفسهم عمرو بن عثمان القُرَشىّ، الى أن وفد عليهم ابن الأَشْعَث ودخل القَيْرَوان غُرّة جمادى الأُولى من السنة.

P. ٦١

وفى هذه السنة، أمر ابن الأَشْعَث ببناء سور القَيْرَوان فى ذى القعدة. وكان تمامُه فى رجب سنة ١٤٦. وضبط ابن الأَشْعَث إفريقية وأعمالها، وأمعن فى كلّ من خالَفه من البربر بالقتل. فخافوه وأذعنوا له بالطاعة. ثمّ ثار عليه عيسى بن موسى بن عَجْلان، كان أحد جنده، فى جماعة من قوّاده. فأخرجوا ابن

1) Ce titre manque dans A.

الأَشْعَث من القَيْرَوان * من غير قتال. فكان خروج ابن الأَشْعَث من القَيْرَوان P. ٦٢
فى ربيع الأوّل سنة ١٤٨. فكانت ولايتُه بها ثلاثة أعوام وعشرة أشهر، فى خلافة
أبى جعفر المنصور.

وفى سنة ١٤٥، اشتغل ابن الأَشْعَث ببناء سور القَيْرَوان. وأَخصبتْ بلاد
إفريقية. وكان قد بعث الى زُوَيْلة ووَدّان، فافتتحهما وقتل من بهما من
الأَباضيّة. وقتل عبد الله بن حِيان الأَباضيّ، وكان رأس أهل زُوَيْلة. وسكّن
ابن الأَشْعَث أحوال أهل إفريقية فى هذه السنة. فلم تكن بها حركةٌ له.

[1]وفى سنة ١٤٦، استتمّ ابن الأَشْعَث بناء سور مدينة القَيْرَوان. وفيها
أيضاً استتمّ المنصور بناء بَغْداد، ولازم العمل فيها، وانتقل الى سكناها فى
شهر صفر من هذه السنة[1].

وفى سنة ١٤٧، كان الأمير على مِصْرَ يزيد بن حاتم، وعلى إفريقية محمّد
ابن الأَشْعَث الخُزَاعىّ. وليس هو محمّد بن الأَشْعَث[2] الكِنْدىّ ابن أخت
عائشة — رضها.

وفى سنة ١٤٨، ثار الجند على محمّد بن الأَشْعَث[2] بإفريقية، وسألوه الخروج
عنهم. فخرج فى ربيع كما تقدّم ذكره. ثمّ اتّفق الجند على تولية عيسى بن موسى
الخُراسانىّ.

ثورة[3] عيسى بن موسى بالقَيْرَوان وببعض بلاد إفريقية

فتغلّب عليها بعضُ العَرَب والجُنْد من غير عهد من المنصور، ولا رضىً منه،
ولا تراضٍ من العامّة، وذلك فى شهر ربيع الآخر من عام ١٤٨ المذكور. فكانت
مدّتُه ثلاثة أشهر.

1—1) Manque dans B. 2—2) Manque dans B.

3) B.; تولية.

ولاية الأَغْلَب بن سالِم التَّميمىّ

P. ٦٣ لما بلغ المنصور ما كان من امر قوّاد الجند المِضْرِيّة وصرفهم محمّد بن الأَشْعَث، بعث الى الأغلب بن سالم بن عقال التّميمىّ عَهْدَه بولايته، فى آخر جمادى الآخرة من السنة المؤرّخة. فاستقامت له الحال. وكان من أهل الرأى وذوى المشورة. ووصله كتاب المنصور بعد كتاب العهد، يأمره بالعدل فى الرعيّة، وحسن السيرة فى الجند، وتحصين مدينة القَيْرَوان وخَنْدَقِها، وترتيب حَرَسها ومن يترك فيها إذا رحل الى عدوّه، وغير ذلك من أموره.

وسنة ١٤٩ لم يكن فيها حركةٌ.

وفى سنة ١٥٠، ثار الحسن بن حَرْب الكِنْدىّ بالقَيْرَوان على الأَغْلَب بن سالم؛ وسبب ذلك أنّ أبا قُرّة الصُّفْرِىّ خرج فى جمع كبير من البربر؛ فسار اليه الأغلب فى عامّة القوّاد الذين معه، وخلّف على القَيْرَوان سالم بن سَوَادة. فلما علم أبو قُرّة أنّ الأَغْلَب قرب منه، هرب، وتفرّق أصحابُه. وقدم الأَغْلَب الزاب، وعزم على الرحيل منه الى تِلِمْسان، قاعدةِ زَناتة؛ ثمّ الى طَنْجة. فكره الجند المسير معه، وقالوا: «قد هرب أبو قُرّة الذى خرجنا اليه!» وجعلوا يتسلّلون عنه الى القَيْرَوان. فلم يبْقَ معه إلاّ نفرٌ يسيرٌ من وجوهم. وكان الحسن ابن حرب بتونُس. فلما خرج الأغلب يريد أبا قُرّة، كاتَبَ جميع القوّاد. فلحق به بعضُهم، وأقبل معهم الى القَيْرَوان؛ فدخلها، وأخذ سالِم بن سَوادة عاملَها؛ فحبسه. وبلغ الخبر الأَغْلَبَ؛ فأقبل فى عِدّة يسيرة، وكتب اليه، يُعَرّفه بفضل الطاعة، ووَبال المعصية. فأعاد الجواب الى الأَغْلَب؛ وفى آخره [وافر]:

أَلاَ قُولُوا لِأَغْلَبَ غَيْرَ سُوء ... مُغَلْغِلةٍ عن الحَسَنِ بن حَرْبِ

P. ٦٤ * بأنّ البَغْىَ مَرْتَعُهُ وَخيمٌ ... عَلَيْكَ وقُرْبُه لك شَرُّ قُرْبِ

فإنْ لم تَنْثَنِى لِتنالَ سِلْمِى ... وَعَفْوِى فأذَنُ من طَعْنِى وضَرْبِى

وأقبل الأَغْلَب يحثّ السير بعد ما مضى الى قابِس؛ وقدم رسولُ المنصور

عليه بكتاب منه اليه وإلى الحَسَن بن حَرْب، يدعو الحَسَن الى الطاعة. فلم يقبل. فأَقبل اليه الأَغْلَب. فاقتتلوا، وانهزم الحَسَن ومضى راجعاً الى تونُس؛ ودخل الأَغْلَبُ القَيْرَوان. ثُمَّ حشد الحسن وسار فى عدّة عظيمة الى القَيْرَوان. ثمّ إنّ الأَغْلَب، لما بلغه قدوم الحَسَن اليه، جمع أَهل بيته وخاصّته، وخرج اليه. فأَصابه سهمٌ؛ فمات منه فى شعبان من السنة المؤرَّخة. فكانت ولايتُه سنةً واحدةً وثمانية أَشهر.

ولاية عمرو بن حفص بن قبيصة إفريقية

ثمّ ولى إفريقية[1] عمرو بن حفص بن قبيصة سنة ١٥١. وكان * شجاعاً بطلاً. وسبب ولايته أَنّ أَبا جعفر، لما بلغه قتلُ الأَغْلَب بن سالم، وجّهه فى نحو خمسمائة فارس. فأَقام بالقَيْرَوان ثلاث سنين وأَشهراً من ولايته، والأُمورُ لـه مستقيمةٌ. ثمّ سار الى الزاب، واستخلف حَبِيبَ بن حَبِيب بن يزيد بن المُهَلَّب. فخَلَت إفريقية من الجنـد، وثار بها البربر. فخرج اليهم حبيب والتقى معهم؛ فهزموه وهزموا عسكر إطرابُلُس معه. فاشتدّت الفتنة بإفريقية واشتعل نارُها. وأَتاها أُمراء القبائل من كلّ فجّ، واجتمعوا فى اثْنَى عشر عسكراً، وتوجّهوا الى الزاب، وليس مع عمرو بن حَفْص إلاّ خمسة عشر أَلفاً وخمسمائة. وكان أُمراء المغرب فى ذلك الوقت ورؤساؤهم أَبو قُرَّة الصُّفْرىّ فى أَربعين أَلفاً، وعبد الرحمن بن رُسْتُم الأَباضىّ فى خمسة عشر أَلفاً، وأَبو حاتِم فى عَدَد كثير، وعاصِم السَّدْراتىّ فى عَدَد كثير: قيل فى ستّة آلاف، والمصور الزَّناتىّ فى عشرة آلاف، وعبـد الملك بن سكرديد الصُّنْهاجىّ الصُّفرىّ فى أَلفَيْن سوى جماعاتٍ أُخَر. قال الرقيق: لم أَذْكُرْهم.

فلما رأى عمرو بن حفص ما أَحاط به من العساكر بمدينة طُبْنة بالزاب، جمع قوّاده؛ فاستشارهم، وقال لهم: «إنّى أُريد مُناهَضةَ هذا العدوّ!» فأَشاروا عليـه أَلاّ يبرح[2] من مدينة طُبْنة، وقالوا لـه: «أَخْرِجْ مِنّا من أَردتَ الى

P. ٦٥

1) B. المغرب. 2) B. يخرج.

عدوّك ولاتَخرُجْ انت! فإنّك، إن أُصِبْتَ، تَلِفَ المَغرِبُ وفَسَد!» فوجّه عمرو الى أَبى قُرَّة مالاً كثيراً وكِسّى[1] كثيرةً، على أن ينصرف عنه. فقال: «لا حاجةَ لى بذلك!» فانصرف الرسول بذلك الى أخيه. فدفع له بعض المال والثياب على أن يعمل فى صَرْف أخيه أبى قُرَّة والصُّفْرِيّة الى بلادهم. فعَمِل فى ليلته تلك، واجتمع بأهل العسكر؛ فلم يعلم أبو قُرَّة حتّى انصرف عنه أكثرُ أهل العسكر. فلم يجد بُدًّا من * اتّباعهم. P. ٦٦

فلما انصرف الصُّفْرِيّة، وجّه عمرو الى ابن رُسْتُم عسكراً؛ وكان فى تَهُودا. فانهزم ابن رُسْتُم، وقُتِل من أصحابه نحو ثلاثة آلاف. ووصل منهزماً الى تِيهَرْت.

ورجع عمرو بن حفص الى القَيْرَوان؛ فجعل يُدخل اليها كلَّ ما يصلحه من الطعام والمرافِق وعُدَّة الحصار. ثمّ أقبل أبو حاتم فى جموعه حتّى نزل عليه. وكثُرت الفِتَن ببلاد إفريقية. ويقال إنّ عِدَّة من حاصر القَيْرَوان مائةُ ألفٍ وثلاثون ألفاً. وكان ابن حفص يخرج اليهم فى كلّ يوم، فيُحاربهم. فلم يزالوا كذلك حتّى ضاق أَمْرُهم، وأكلوا دوابّهم وكلابهم وسنانيرَهم، [2] وماتوا جوعاً[2]. وانتهى المِلْح عندهم أُوقيّة بدرهم. واضطرب على ابن حفص أمره وساءتْ خُلُقُه، وبلغه أنّ يزيد بن حاتم بعثه أميرُ المؤمنين فى ستّين ألفاً لنصرة القَيْرَوان. فقال: «لا خَيْرَ فى الحياة بعد أن يقالَ: يزيد أَخْرَجَه من الحصار! إنّما هى رقدةٌ وأُبْعَث الى الحِساب!» وخرج؛ فجعل يطعن ويضرب حتّى قُتِل فى النصف من ذى الحجّة من سنة ١٥٤. ولم يُعْطِ الحالُ تفصيلَ هذه السنين من سنة ١٥١ الى ١٥٣ بعدها سنةً سنةً: فأَجملتُ أَمرها هنا إجمالاً مختصراً، [3] يُغنى عن إعادتها فى كلّ واحدة منها[3].

ولما قُتل عمرو بن حَفْص، بايع الناس أخاه جَمِيل بن حفْص بالقَيْرَوان. فلما طال عليه[4] الحصار، دعاه الاضطرار الى مُصالحة أبى حاتم. على أنّ جميلاً وأَصحابَه لا يخلعون طاعة سلطانهم، ولا ينزعون سوادَهم. فغضب أبو حاتم.

---

1) [illegible] 2—2) Manque dans A. 3—3) Manque dans B. 4) B. اشتدّ.

وأحرق أبواب القَيْرَوان، وثَلَمَ سورها، ودخلها. ولما دخل أبو حاتم القَيْرَوان، أخرج أكثر أهلها الى الزاب. ثمّ بلغه قدومُ يزيد بن حاتم، فتوجّه للقائه نحو إطرابُلُس، واستخلف على القَيْرَوان عبد العزيز المعافريّ. فقام عليه عمر بن عثمان، وقتل أصحاب أبي حاتم. * فزحف اليهم أبو حاتم الى القَيْرَوان، فاقتتل معهم. وتوجّه P. ٦٧ أبو عثمان الى تونُس، ورجع أبو حاتم الى إطرابُلُس، حين بلغه قدومُ يزيد ابن حاتم. فقيل إنّه كان بين العَرَب والبربر، من لدُن قاتلهم عمرو بن حَفْص الى انقضاء أمرهم، ثلاثمائة وخمس وسبعون وقيعة.

وفى سنة ١٥١، ولّى المنصورُ عمرو بن حفص المتقدِّم الذكر إفريقية. فقدمها فى صفر فى خمسمائة فارس. وكان قد ولى إفريقية سنة ١٥٠، بعد موت الأغْلَب، المُخارقُ بن غفار الطائىّ، استخلفه الأغْلَب على القَيْرَوان؛ واجتمع الناس عليه فى رمضان؛ فوجّه الخيل فى طلب الحَسَن بن حَرْب؛ فهرب من تونُس الى كُتامة. فأقام شهرَين، ورجع الى تونُس؛ فخرج اليه من بها من الخيل؛ فقُتِلَ الحَسَن بن حَرْب.

وفى سنة ١٥٢، كان ما تقدّم ذكـرُه على الجملة بإفريقية، وفيها عزل المنصورُ يزيدَ بن حاتِم عن مِصْر، وولّاها محمّد بن سعيد. وكان سائر عمّاله الذين كانوا فى السنة قبلها.

وفى سنة ١٥٣، قال الطَبَرىّ: قُتِل عمرو بن حَفْص: قتله أبو حاتم الأباضىّ، وأبو غادِى، ومن كان معهما من البربر؛ وكانوا فيما ذُكِر ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً، ومعهم أبو قُرّة اليَفْرَنىّ، أمير تِلِمْسان، فى أربعين ألفاً. وكان يُسَلَّم عليه بالخلافة. هكذا ذكر ابن القَطّان فى « نَظْم الجُمان ». [1] وقد تقدّم أنّ قتل عمرو بن حَفْص كان فى سنة ١٥٤. ذكر ذلك الرَّقِيق وابن حمّاده وغيرُهما [1].

قال الرَّقِيق وعَرِيب: وفى سنة ١٥٣، زحف أبو قُرّة من تِلِمْسان فى جمع

1—1) Manque dans B.

كثير من البربر الى القَيْرَوان؛ فصالَحه[1] عمرو بن حَفْص، وانصرف. وفيها ثارت البربر بإطرابُلُس، وقدّموا أبا حاتم * الأَباضىّ: واسمه يعقوب بن لَبِيب.
وفى سنة ١٥٤، قال عَرِيب: استخلف عمرو بن حَفْص على طُبْنة المُهَنّأ بن المُخارِق[2]، وخرج عمرو الى القَيْرَوان؛ فأقبل اليه أبو حاتِم الأَباضىُّ الى أن قتل عمرو كما تقدّم ذكرُه. ولما بلغ المنصورَ قتلُ عمرو، بعث الى إفريقية يزيد ابن حاتِم، على ما سيأتى ذكُره إن شاء الله تعالى.
وفى سنة ١٥٥، قال الطَّبَرىُّ: فيها افتتح يزيد بن حاتم إفريقية، وقتل أبا عادى وأبا حاتِم؛ واستقامت بلاد المغرب، ودخل يزيد بن حاتم القَيْرَوان.
وفيها انصرف أبو حاتم الأَباضىُّ من إطْرابُلُس الى القَيْرَوان؛ ثمّ قدم يزيد.

ولاية يزيد بن حاتم إفريقية والمغرب

هو يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب؛ وكان يُكنى أبا خالد. ولاّه أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور العبّاسىُّ. وحالُه فى كرمه، وجوده، وشجاعته، وبُعْدِ صيته، ونفاذِ رأيه، وتقدُّمه، معروفٌ غيرُ مُنْكَرٍ[3]. وكان كثيرَ الشبه بجدِّه المُهَلَّب ابن أبى صُفْرة فى حروبه وكرمه. وكان له أولادٌ مذكورون بالشجاعة والإقدام. ويقال إنّه انتهى ولد المُهَلَّب ثلاثمائة ولد من الذكور والإناث، من مات منهم ومن عاش. وكان أبو جعفر المنصور عالماً ببلاد إفريقية؛ وكان لا يبعث اليها إلاّ خاصّته. وكان يزيد هذا حسن السيرة. فقَدِم إفريقية، وأصلحها، ورتّب أسواق القَيْرَوان، وجعل كلَّ صناعة فى مكانها. ولم تزل البلاد هادنة الى أن ثارت عليه البربر. فزحف لهم وأوقع بهم. وله فيهم مَلاحِمُ مشهورةٌ. وفيه قيل: «شَتّانَ ما بين اليزيدَيْن!» يعنى يزيد بن سُلَيْم ويزيد بن حاتم. ومن شعر رَبيعة فيه فى قصيدة [طويل]:

---

1) Manque dans A. 2) Blanc dans B. 3) B. نكير.

P. ٦٩

*حلفتُ يميناً غيرَ ذى مثنويــة　　يمين امرئ آلى وليس بآثمِ

لَشتّانَ ما بين اليَزيدَيْنِ فى النّدى　　يزيدِ سُلَيْم والأغرّ ابن حاتِمِ

وقدم يزيد على إفريقية، ومعه من كلّ جند من الشأم والعراق وخُراسان؛ فنزل أوّلاً إطْرابُلُس؛ وسار اليه أبو حاتم؛ فزحف اليه يزيد، واقتتل معه قتالاً شديداً. فانهزم أبو حاتم وقُتِل هو وكثيرٌ من أصحابه. وأتبع سائرَهم؛ فقتل من أدرك منهم. واستعمل يزيد على إطْرابُلُس سعيدَ بن شَدّاد، وحينئذٍ نهض الى القَيْرَوان؛ فدخلها يوم الإثنين لعشر بقين لجمادى الآخرة من هذه السنة.

وفى هذه السنة، أنكرت الصُّفريّةُ المجتمعةُ بسِجِلْماسة على أميرهم عيسى بن يزيد أشياء؛ فشدّوه وثاقاً، ووضعوه على قُنّة جَبَل؛ فلم يزل كذلك حتّى مات، وقدّموا سَمْغُو بن وَاسُول بن مدلان المِكْناسىّ جَدّ مِدْرار.

وفى سنة ١٥٦، بعث يزيدُ بن[1] حاتِم العلاء[1] بن سعيد المُهَلَّبىّ مدَداً للمخارِق بمدينة طُبْنة بالزاب، ودخل قلعة[2] حَبْحَاب بجبل كُتامة؛ وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها. وقتل العلاء جماعةً ممّن أدْرَكَ فيها. ثمّ انصرف الى القَيْرَوان.

وثار على يزيد بن حاتِم أبو يحيى بن قَرْياس الهَوّارىّ بناحية إطْرابُلُس؛ واجتمع اليه كثيرٌ من البربر. وكان بها عبد الله بن السِّمْط الكِنْدىّ قائداً ليزيد؛ فالتقوا على شاطئ البحر، واقتتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزم أبو يحيى وقُتل عامّةُ أصحابه. وتهدّنت إفريقية ليزيد بن حاتِم، وضَبَطَها.

وفى سنة ١٥٧، جدّد يزيد بناء المسجد الجامع بالقَيْرَوان. وكان غايةً فى الجود والحُسْن. وفيها توفّى أبو جعفر المنصور، فى ذى الحجّة من السنة المؤرّخة.

P. ٧٠

*وفى سنة ١٥٨، ولى الخلافة المهدى: بويع يوم مات أبو جعفر بمكّة – شرّفها الله! – بعهد من أبيــه، وذلك يوم السبت لستٍّ خلون لذى الحجّة. واستقلّ بالملك والخلافة فى هذه السنة. وكان أديباً، جواداً، محبّاً لأهل الأدب والشعر.

1—1) Blanc dans B.　　2) Manque dans. B.

وقد ذكرنا بعض أشعاره وأخباره فى تأريخ المشرق، والغرضُ هنا ذكرُ أخبار المغرب الأقصى والأوسط.

وفى سنة ١٦٢، توفّى أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم، القاضى بالقَيْرَوان؛ وصلّى عليه أميرُ إفريقية يزيد بن حاتِم، وتمثّل بهذا البيت لما رأى ازدحام الناس عليه [بسيط]:

يا كَعْبُ ما راحَ من قَوْمٍ ولا ابْتَكَروا إلاّ وَلِلموتِ فى آثارِهم حَادى

وكان مرضُه أنّه أكل حوتاً وشرب عليه لبناً على مائدةِ يزيد؛ وكان قد جاوز تسعين سنةً؛ فهلك من ليلته.

وفى سنة ١٦٣، أمر المهدىُّ يحيى بنَ خالد بن بَرْمَك أن يكون كاتباً لابنه هارون، وقال له: «إنّى اخترتُك وولّيتك الكتابة.» وأمر له بمائة ألف درهم، معونةً على سفره مع هارون ابنه.

وفى سنة ١٦٥، أغزى المهدىُّ ابنه هارون الى بلاد الروم، فى خمسة وتسعين ألفاً، بمائة ألف ألف من العَيْن، وبعشرين ألف ألف من الورق. فبلغ خليج البحر على القُسْطَنْطينيّة؛ وأذعن له الرومُ بالجزية تسعين ألف دينار فى كلّ سنة. وانصرف بخمسة آلاف من الأسرى وبالغنائم.

وفى سنة ١٦٦، قدم هارون ابن أمير المؤمنين من غزوته هذه؛ وقدمت الروم بالهديّة والجزية. وفيها سخط المهدىُّ على وزيره يعقوب بن داوود. وكان قد فوّض اليه أمور خاصّته[1].

وفى سنة ١٦٩، توفّى المهدىُّ بن المنصور – رحمه الله! – واختُلِف فى سبب موته: فقيل مسموماً غلطاً، وقيل غير ذلك. واستُخْلف ابنُه موسى الهادى.

وفى سنة ١٧٠، توفّى موسى الهادى فى ربيع الأوّل، وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة ونصف؛ فكانت خلافته سنةً * وشهرَيْن. واستُخْلِف هارون بن محمّد الرشيدُ. P. ٧

1) A. أمر خلافته.

وفى سنة ١٧١، توفّى أمير إفريقية يزيد بن حاتِم ؛ وكان خاصّاً بأبى جعفر المنصور ؛ وتولّى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب : منها أرمينية ، والسِّنْد ، ومِصْر ، وأَذَرْبَيْجان ، وغير ذلك . وكانت ولايتُه مِصْر سنة ١٤٤ الى سنة ١٥٢ . وكان حسن السيرة بإفريقية ؛ امتدحه كثيرٌ من فحول الشعراء ؛ فأجزل لهم العطاء .

قال الزُّبَيْر بن بكّار عمّن حدّثه من الشعراء ، قال : « كنتُ أمدح يزيد بن حاتِم من غير أنْ أعْرِفَه ولا ألقاهُ . » فلما ولّاه المنصور مِصْرَ ، أخذ على طريق المدينة ؛ فلقيَه . فأنشده مُنْذُ خَرَجَ من مسجد رسول الله — صلعم — الى مسجد الشَّجَرة . فأعطاه رَزمتَىْ ثيابٍ وعشرة آلاف دينار . هكذا ذكر الرَّقيق . وممّا قيل فيه [كامل] :

يا واحِدَ العَرَبِ الذى دانَتْ له قَحْطَانُ قاطِبةً وسَادَ نِزارا
إنّى لأرجو إذ بَلَغْتُكَ سالماً ألّا أُكابِدَ بَعْدَكَ الأسْفارا

وفيه قيل [طويل] :

لَشتّانَ ما بَيْنَ اليزيدَيْن فى الندى إذا عُدَّ فى الناس المكارم والمجد [1]

[2] وقولُه : « لشتّانَ ما بَيْن اليزيدَيْن » مَثَلٌ يُمثَّلُ بـه فى كلّ ناحية على لسان كلّ سائر [2] . وكان على ربيعة الشاعر دِيَةٌ ؛ فأعطاه عشر دِيَات ، ووَصَلَه ، وأحسن اليه . وكان سَخِيًّا . ومن قول يزيد بن حاتِم — رحمه الله ! — [بسيط] :

ما يألفُ الدِّرْهَمُ المضروبُ خِرْقَتَنا إلّا لَماماً يسيراً ثُمَّ يَنْطَلِقُ
يَمُـرُّ مَرًّا عليها وَهْىَ تَلْفِظُـهُ إنّى امرؤٌ لم يحالِفْ خِرْقتى [3] الوَرِقُ

* ومن أخباره بإفريقية — رحمه الله ! — رُوى أنّ بعض وكلائه زرع فولاً كثيراً فى بعض رياضاته . فقال له : « يابْنَ اللخناء ! أتُريد أن أُعَيَّر بالبَصْرة ؛ P. ٧٢

1) Le second hémistiche est ainsi donné par B.: يزيد زُرَيْع والأغرّ بن حاتم.

2—2) B. وهو مثل سائر؛ تقول العرب: شتّان ما بين اليزيدين.   3) A. سرّتى (pour صرّتى).

فيُقال: يزيد بن حاتم باقِلّانى! » ثمّ أمر بأن يُباحَ للناس. وخرج أيضاً يوماً فى طريقه من القَيْروان مُتَنَزّهاً، فنظر الى غنم كثيرة كانت لابنه. فزجره عليها، وأمر بذبحها وأن تُباحَ للناس؛ فانتهبوها، وأكلوها، وجعلوا جُلودها فى كُدْية؛ فهى تُعرف من ذلك الوقت بكُدْية الجُلُود. وكانت وفاتُه فى رمضان من سنة ١٧١؛ فكانت ولايتُه خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، فى بعض خلافة المنصور، وخلافة المهدى كلّها، وبعض خلافة هارون الرشيد.

ولاية داوود بن يزيد بن حاتِم إفريقية

استَخْلَفَه أبوه فى مرضه؛ فأقام والياً بإفريقية تسعة أشهر ونصفاً، يحارب أُمراء قبائل البربر محاربةً عظيمةً. وكان بينه وبينهم مواقِفُ كثيرةٌ فى جبال باجة وغيرها. وقام عليه نُصَيْر بن صالِح الأَباضىّ؛ فخرج اليه المُهَلّب بن يزيد؛ فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعةً. فوجّه اليهم داوودُ سليمانَ بن يزيد فى عشرة آلاف؛ فهرب البربر أمامَهم؛ فتبعهم، وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف. وأقام داوود على إفريقية الى أن قدم عليه عمُّه رَوْح بن حاتم أميراً على المَغرِب.

ذكر ابتداء الدولة الهاشميّة بالبلاد الغَرْبيّة، وَهُمْ الأَدارِسة — رحمهم الله!

اتّفق جماعة المؤرّخين أنّ دخول إدريس بن عبد الله — رضَه — الى المغرب كان فى سنة ١٧٠. وهو إدريس بن عبد الله بن حسن * بن الحسن ابن علىّ — رضَه —. وكان دخوله فى إمارة يزيد بن حاتم إفريقية، وإمارة هشام ابن عبد الرحمن الداخل بقرطبة، وأوّلِ ظهور بنى مِدْرار بسِجِلْماسة. وكان نزولُه بوادى الزَّيْتون، بموضع يُعرف بمدينة البَلَد. وكان وصولُه مع مَوْلاه راشِد.

P. ٧٤

وقال البَكْرِىّ فى « المجموع المُفْتَرِق » : وكان نزوله بوَلِيلَى، وهى اسمٌ لطَنْجة باللسان البَرْبَرىّ. وذكر محمّد بن يوسف انّها كانت على مسافةِ يومٍ من موضع فاس الآن. وكانت مدينةً أزليّةً، وبها مات إدريس — رضه —. وكان سَبَبُ وصول إدريس الى المغرب، على ما ذكره الرَّقيق والنَّوْفَلِىّ فى « المجموع المُفْتَرِق »، وغيرُها من المؤرّخين، وذلك أنّ الحسين[1] بن علىّ بن حسن[2] ابن حسن بن حسن[3] بن علىّ بن أبى طالب — رضه — كان قد قام بالمدينة أيّامَ موسى الهادى؛ ثمّ خرج الى مكّة فى ذى الحجّة سنة ٦٩، وخرج معه جماعةٌ من إخوانه وبنى عمّه، منهم إدريس ويحيى ابنا عبد الله بن حسن. وبلغ ذلك الهادى؛ فولّى حَرْبَه محمّدَ بن سليمان بن علىّ. وكانت الوقعة بفَخّ؛ فقُتِل الحسين[4] ابن علىّ وأكثرُ أصحابه. وأفلت إدريس هذا الداخلُ الى المغرب؛ فهرب[5] الى مِصْرَ؛ وكان على بريدها واضحٌ، مَوْلَى صالح بن المنصور؛ فحَمَلَه على البريد الى أرض المغرب. فوقع بمدينة وَلِيلة من أرض طَنْجة؛ فاستجاب له من بها من قبائل البَرْبَر. ولما ولى الرشيدُ وبلغه أمْرُه، بعث الى واضح؛ فضرب عنقه، ودسَّ الى إدريس الشَّمّاخَ مَوْلَى الهادى؛ فخرج حتّى وصل وَلِيلة، وذكر أنّه مُتَطَبِّبٌ من شيعتهم العَلَويّة، ودخل[6] الى إدريس؛ فأَنِسَ* به واطْمَأَنَّ اليه. ثمّ إنّه شكا له عِلَّةً فى أسنانه؛ فأعطاه سَنُوناً مسموماً قاتلاً، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر؛ فأخذه منه. وهرب الشّمّاخ من تحت ليلته. فلما طلع الفجر، استنّ إدريس، وأكثر منه فى فِيه[7]؛ فسقطت أسنانه[7]، ومات من وقته. وطُلِب الشّمّاخ؛ فلم يُظْفَرْ به؛ وقَدِمَ على الرشيد؛ فولّاه بَرِيدَ[8] مِصْرَ. هكذا ذكر الرّقيق فى كتابه.

P. ٧٤

وفى سنة ١٧٣، اجتمعت القبائل على إدريس بن عبد الله من كلّ جهة ومكان؛ فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم، وأقاموا معه مُغْتَبِطين بطاعته،

---

1) B. الحسن. 2) B. حسين. 3) Manque dans B. 4) B. الحسن.
5) A. فوقع. 6) A. et B. ورحل. 7—7) Manque dans B. 8) A. مَوْلاه يُريدُ.

ومُتَشَرِّفين بخدمته طُولَ حياته. وكان[1] رجلاً صالحاً[1]، مالكاً لشَهَواته، فاضلاً في ذاته، موثِراً للعدل، مُقْبِلاً على أعمال البرّ.

وفى سنة ١٧٣، كان خروجُه بعساكر القبائل الغربيّة حتّى انتهى الى بلاد السُّوس الأقصى، ودخل ماسّة؛ فغنم وسبى؛ ورجع الى الغرب سالماً غانماً.

وفى سنة ١٧٤، توجّه بعسكره الى رباط تازا[2] لما قفل من حركة السوس[2]؛ فوجد فى جَبَلها معدن الذهب. وأجابه جميع القبائل الغربيّة، وأطاعوه، وبايعوه فى هذه السنة؛ وكملت له الإمارة فيهم.

ولاية رَوْح بن حاتِم بن قَبِيصة بن المُهَلَّب إفريقية

ولّاه عليها أميرُ المؤمنين هارونُ بن محمّد الرشيد؛ فقدمها فى سنة ١٧١. وكان له ولايات كثيرة: فحجب المنصور، ثمّ ولّاه البَصْرة؛ وولى الكوفة فى أيّام المهدى، وولى السِّنْد وطَبَرِسْتان وفِلَسْطين وغير ذلك. ونظر رجلٌ الى رَوْح ابن حاتِم واقِفاً فى الشمس عند باب المنصور؛ فقال له: «لقد طال وقوفُك فى الشمس!» فقال له: «ليطول بذلك[3] وقوفى فى الظلّ!» وتُوفِّى له ابنٌ؛ فدخل عليه أصحابُه، وهو ضاحكٌ؛ فتوقّفوا عن تعزيته؛ فعرف ذلك منهم؛ فأنشأ يقول [طويل]:

P. ٧٥ * وَإنّا لَقَوْمٌ ما تَفِيضُ دُموعُنا ‌ ‌ على هالِكٍ مِنّا وإنْ قُصِمَ[4] الظَّهْرُ

وقيل إنّه بعث لكاتبة ثلاثين ألف درهم، ووقّع اليه: «إنّى بعثتُ اليك بكذا، لا أستقِلُّها لك تكَبُّراً، ولا استكْثِرُها تَمَنُّناً، ولا أقْطَعُ عنك بها رجاءً بَعْدُ. والسلام!»

وكان رَوْح أكبر سنًّا من أخيه يزيد وأكْثَرَ ولايةً. وعند ما يطول جُلوسُه بالقَيْرَوان، رُبّما خطر عليه النعاسُ من الضُّعْف والشاخة. وكان يُكَنّى أبا خالد.

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans B. 3) B. بك.

4) A. قسم.

تُوفّى ليلةَ الأحد لسبع بَقِينَ من رمضان المعظّم من سنة ١٧٤؛ فكانت ولايته ثلاثَ سنين وثلاثةَ أشهر.

ولاية نَصْر بن حَبيب المُهلّبىّ إفريقية

وكان صاحبُ البريد وأبو العَنْبر القائدُ قد كتبا [1] الى الرشيد، فى جملة من كتب اليه من القوّاد، يُعلِمانِه بضُعْف رَوْح بن حاتِم وكبره، وأنّهما لا يأمَنانِ موته عن قريب، وإفريقية ثغرٌ كبيرٌ لا يصلُح بغير سلطان. وكان نَصْر هذا على شرطة يزيد بن حاتِم بمِصْر وإفريقية؛ وكان محمود السيرة. فكتب الرشيد عَهْدَه، وبعثه به سرًّا اليه. فلما مات رَوْح، بويِع قَبيصة ابنه فى المسجد الجامع، وأجمع الناس على بيعته. وكان الفَضْل بن رَوْح عامِلاً فى الزاب؛ فركب أبو العَنْبَر وصاحبُ البريد بعهد أمير المؤمنين هارون الى نَصْر ابن حبيب؛ فأوصلاه اليه، وسلّما عليه بالإمارة، وركبا معه الى * المسجد فيمن معهما، حتّى أتيا قَبيصة، وهو جالسٌ على الفراش. فأقاماه، وأقعدا نَصْر بن حبيب، وأعلما الناس بأمره. وقُرِئَ الكتابُ الواصل من أمير المؤمنين هارون الى نَصْر بن حبيب على الناس؛ فسمعوا وأطاعوا. وكان ذلك فى العشر الأواخر لرمضان المعظّم من عام ١٧٤. فحسنت سيرته، وعدل فى أحكامه. فولى سنتَيْن وثلاثة أشهر.

وفى سنة ١٧٥، عقد الرشيد لابنه محمّد بمدينة السلام ولاية عهد المسلمين من بعده، وأخذ عليه بيعة القوّاد والجُنْد، وسمّاه بالأمين؛ وله يومئذٍ خمسُ سنين.

وفى سنة ١٧٦، ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ بن أبى طالب بالدَّيْلَم، واشتدّت شوكتُه، وقَوِىَ أمره؛ فاغتمّ الرشيد لذلك. ولم

[1] A. et B.: وكان نصر هذا قد كتب. On suit ici la leçon de Dozy, d'après Nuwairī.

يكن فى تلك الايّام يشرب النبيذ ؛ فصرف اليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألف رجل ؛ فانهزم يحيى بن عبد الله.

وفى سنة ١٧٧، ولى إفريقية النَضْل بن رَوْح بن حاتِم، ولّاه أمير المؤمنين الرشيد عليها، وكتب بعزله نَصْرَ بن حبيب، وأن يقوم بأمر الناس المُهَلَّب ابن يزيد الى أن يقدم النَضْل. فكان قدومُه فى محرَم من هذه السنة. ولما قدم النَضْل، ولّى ابن أخيه المُغِيرة تونُس ؛ وكان غير ذى تَجْرِبة ولا سياسة للجُمْهور ؛ فاستخفّ بالجُنْد، وسار بهم سيرةً قبيحةً ؛ فاجتمعوا، وكتبوا كتاباً لعمّه النَضْل، يخبرونه بما صنع المُغِيرة فيهم، وبقبح سيرته ؛ فتثاقل النضل عن جوابهم. فقالوا : «كلُّ جماعة لا رأسَ لها لا ينجحُ سَعْيُهم ولا مَطْلَبهم!» فقال بعضُهم: «أُشيرُ عليكم بعبد الله بن عبد رَبّه بن الجارُود.» فانطلقوا اليه وقالوا له: «قد رأيتَ ما صنع بنا المُغِيرة ؛ وقد خاطَبْنا عمَّه ؛ فلم يَصِلْنا جوابُه. وانت المنظورُ اليه، * والمُعَوَّل فى الأمور عليه ؛ ونحن نُصيّرُ أمْرَنا اليك، ونعتمد فيه عليك.» P.

فقال لهم: «ليس لى من الجواب إلاّ النصيحة لى ولكم، وأنا أخافُ على نفسى وأقنع بالعافية ؛ وإن كان أمرٌ، كنتُ فيه كأحَدِكم.» فقالوا له : «ما لك من هذا بُدٌّ!» فقال لهم: «أعطونى من بيعتكم ما أثِقُ به!» فبايعوه وأطاعوه.

وفى سنة ١٧٨، ثار الجُنْد على أمير إفريقية الفَضْل بن رَوْح بن حاتِم، وقدّموا ابن الجارُود بتُونس. ثمّ ساروا الى المُغِيرة، وهو بدار الإمارة [1] ؛ فقالوا له : «الْحَقْ بصاحبك انت ومن معك!» وكتب للفَضْل بن رَوْح: «من عبد الله بن الجارُود. أمّا بعدُ، فإنّا لم نُخرِج المُغِيرة خروجاً عن الطاعة، ولاكن لأحداثٍ أحْدَثَها فينا، ظهر فيها فسادُ الدولة. فَعَجِّلْ لنا مَنْ ترضاه [2] يقوم بأمرنا ؛ وإلاّ نظَرْنا لأنفسنا!» وكتب الفَضْل الى عبد الله بن الجارُود: «أمّا بعدُ، فإنّ الله يُجرِى قَضاءَهُ على ما أحبّ الناس أو كرهوا، وليس اختيارى أن أُولّى عليكم! فاختاروا لأنفسكم! ولاكن أُوَجِّهُ اليكم عاملاً.» فوجّه عبد الله

1) A. ajoute بها. 2) B. ترتضيه.

ابن محمّد الى تُونُس. فلما وصل اليها، قال لهم ابن الجارُود: «كيف تصنعون ذلك، وانتم قد أخرجتم ابن أخيه وشتمتموه؟ والله! ما بعثه اليكم إلاَّ ليطيبكم[1]، حتّى ترجعوا عن رأيكم؛ فإذا اطمأننتم أخذتم[2] واحداً بعد واحد!» قالوا له: «فما رأيك؟» قال: «الذى ذكرتُ لكم.» فخرجوا حتّى التقوا بالعسكر الواصل مع العامل من قِبَل النَضْل [3]أمير إفريقية والقَيْرَوان[3] بموضع الزَّيْتون؛ فدفعوه عن أنفسهم، وجرى بين الجُنْد كلامٌ كثيرٌ يطولُ ذكرُه، الى أن وقعت الحرب بين ابن الجارُود وعسكر النَضْل؛ فهزمهم ابن الجارُود

P. ٧٨ * واتّبعهم الى القَيْرَوان؛ فنزل عليها. فاجتمع النَضْل مع بنى عمّه وخاصّته، وتشاوَرَ معهم فى أمره. فاضطرب الأمر عليه، ولم يَصِحَّ له أمرٌ. فلما أصبح، أقبل عبد الله بن عبد رَبّهِ بن الجارُود فى عسكره، والنَضْل فى دار الإمارة مع أصحابه. وكان بعض القوّاد على الأبواب؛ فلما قرب ابن عبد رَبّهِ منها، فتحوها له؛ فدخل أصحابه، لا يدافعهم أحدٌ، ونزل ابن عبد رَبّهِ خارجَ المدينة؛ ثمّ دخل دار الإمارة؛ فأمّن النَضْلَ وأصحابه؛ ثمّ أمرهم بالخروج الى قابِس وقال لهم: «إنّى لا آمَنُ أصحابى عليكم، ولاكن أوجّهُ معكم من يوصلكم[4] الى قابِس.» فوجّه لهم أبا الهَيْثَم فى جماعة، وأخذ عليه الأيمان ألاّ يَسلّم النَضْل. فخرج النَضْل معه، مع ثلاثة من بنى عمّه وبعض أصحابه من بابٍ آخر. فقال لهم البوّاب: «اخرجوا، يا كلاب النار! لا رحمكم الله!» فقال النَضْل عند ذلك: «لا إله إلاّ الله! لم يبقَ أحدٌ إلاّ صار علينا، حتى مَنْ أعتقناه!» وسار ليلَه ونهارَه حتّى دنا الغُروب؛ فسمع طبْلاً؛ فقال: «ما هذا؟» فقالوا: «فلان جاء بمائة فارس، بعثه ابن الجارُود اليك لأنّه خاف عليك الجُنْدَ!» ثمّ سمع طبْلاً آخَرَ؛ فإذا هو منصورُ بن هاشِم. فقال له: «ما جاء بك؟» فقال: «كذا وكذا.» ثمّ سمع طبْلاً آخَرَ؛ فإذا هو صاحبُ شُرْطة ابْن عبد رَبّهِ بن الجارُود؛ فقيل للنَضْل: «إذاً[5] جاء لِيَرُدَّكَ!» وذلك أنّه أشار على ابن

1) A. ليطلبكم. 2) A. أخذكم. 3—3) Manque dans B. 4) B. يدخلكم. 5) B. إنّه.

الجارود جماعةٌ من أصحابه أن :«[أَنْ] نتركوا الفَضْلَ يدخل إطرابُلُس لِئَلَّا يقومَ الناسُ معه ويرجعَ الى القَيْرَوَان.» فنادى مُناديه: «من كان من طاعة ابن الجارود، فَلْيَنْعَزِلْ!» فانعزل الناسُ. ولم يَبْقَ مع الفَضْل أحدٌ. فردُّوه الى القَيْرَوَان، بعدما خلوا عن المُهَلَّب وجميع الناس الذين كانوا مع الفَضْل إلَّا محمَّد بن هشام والفَضْل بن يزيد؛ فانطلقوا بهما حتَّى جعلوا * فى الدار معه. ثمَّ قُتِلَ الفَضْلُ بن رَوْح فى شعبان من سنة ١٧٨؛ فكانت ولايته سنةً واحدةً وخمسةَ أشْهُرٍ؛ فكانت دولة المَهالِبة بإفريقية ثلاثاً وعشرين سنةً.[1] وثار ابن الجارود فى جمادى الآخرة من سنة ١٧٨ [1]؛ فكانت له مع البربر وقائعُ عظيمةٌ؛ ثمَّ أمَّنَهُ الرشيد [2]؛ فأجاب الى الطاعة.

P. ٠٧٩

وفى سنة ١٧٩، كتب ابن الجارود المتغلّب على إفريقية الى يحيى بن موسى، وهو بإطْرابُلُس، أن: «اقْدَمِ القَيْرَوَان: فإنّى مُسَلِّمٌ اليك سلطانَها!» فخرج يحيى بن موسى بمن معه، فى محرَّم؛ فلمَّا بلغ قابِس، تلقَّاه بها عامَّةُ الجند من القَيْرَوَان، ومعهم النَّضْر بن حَفْص، وعمرو بن مُعاوية. فخرج ابن الجارود من القَيْرَوَان، واستخلف عليها المُنَزَّج بن عبد الملك؛ فكانت أيَّامُ ابن الجارود سبعةَ أشْهُرٍ.

وأقبل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد مُتسابِقَيْن الى القَيْرَوَان؛ فسبقه العلاء اليها؛ فقتل بها جماعةً من أصحاب ابن الجارود؛ فبعث اليه يحيى بن موسى أن يُفَرِّق جموعه إن كان فى الطاعة. فأمر من كان معه أن ينصرفوا الى مواضعهم. ورحل العَلاء الى إطْرابُلُس؛ وكان ابن الجارود قد وصل إليها قبل وصول العلاء؛ فلقى بها يَقْطِين بن موسى؛ فخرج معه سائراً الى المشرق؛ فلقوا هَرْثَمة بن أعْيَن قد وصل بولاية إفريقية. وقد كان العلاء كتب الى هَرْثَمة يُعْلِمه بأنَّه هو الذى أخرج ابن الجارود من إفريقية؛ فأجازه بجائزة سنيَّة. وكان يحيى بن موسى قَدَّمَهُ هَرْثَمة. ولما لقى هَرْثَمة ابنَ الجارود، سيَّره الى أمير المؤمنين الرشيد.

1—1) Manque dans B. 2) A. وأعطاه الرشيد الأمان.

P. ٨٠

•ولاية هَرْثَمة بن أَعْيَن إفريقية

ولّاه عليها أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ فقدم القَيْرَوان غُرّة ربيع الآخر ؛ فأنّس الناس، وسكّنهم، وأحسن اليهم. قال ابن حَمّاده : وصل هَرْثمة فى جيش كثيف، حتّى نزل تِيهَرْت ؛ فخرج اليه ابن الجارود، واقتتل معه ؛ فهزم ابن الجارود، وطاعت البربر لهَرْثمة، وانصرف راجعاً الى القَيْرَوان. وهو الذى بنى القصر الكبير المعروف بالمُنَسْتِير. قالَهُ الرَّقِيق.

وفى سنة ١٨٠، كانت الزلزلة العُظْمَى بأرض مِصْر، وسَقَطَ رأْسُ منار الإسكندريّة.

قال الرَّقِيق : لما رأى هَرْثَمة بن أَعْيَن ما رأى من الخلاف بإفريقية، وسوء طاعة أهلها، طلب الاستعفاء ؛ فكتب اليه الرشيد بالقدوم عليه ؛ فرجع الى المشرق.[1] وهو الذى بنى سور إطرابُلُس[1].

ولاية محمّد بن مُقاتِل العَكّىّ إفريقية

وفى سنة ١٨١، ولّى أمير المؤمنين الرشيد على إفريقية محمّد بن مُقاتل بن حكيم العَكّىّ ؛ فقدمها فى رمضان. وكان رضيع الرشيد ؛ وكان أبوه من كبار أهل دولته. وكان محمّد هذا غير محمود السيرة ؛ فاضطرب أمرُه، واختلف عليه جندُه. ولو لم يكن من سوء سيرته، وقبيح ما يؤثَر عنه من أخباره، إلّا إقْدامُه على عابِد زمانه ووَرِع عصره البَهْلُولِ[2] بن راشد، فضَرَبَهُ بالسياط ظلماً وحَبَسَهُ، فكان ذلك سَبَبَ موته. ومن أخباره أنّه اقتطع أرزاق الجند، وأساء السيرة فيهم وفى الرعيّة ؛ فمشى القائدُ فَلاح فى أهل خُراسان وأهل الشام ؛ فلم يزل بهم حتّى اجتمع رأيهم على مَخْلَد بن مُرّة الأَزدىّ. وخرج على العَكّىّ تَمّامُ بن تميم التميمىّ ؛ وكان عامله بتُونُس.

1—1) Manque dans B. 2) A. البهلوان.

P. ٨١ *ثورة تَمَّام بن تميم التَّميمىّ على محمَّد بن مُقاتل العَكِّىّ

وفى سنة ١٨٣، زحف تمَّام من تُونُس مع جماعة القوّاد والأجناد من أهل الشام وخُراسان، متوجِّهاً الى القَيْرَوان، فى النصف من رمضان. فخرج اليه العَكِّىُّ؛ فتقاتلا. فانهزم العَكّىُّ ورجع الى القَيْرَوان؛ فتحصّن فى داره التى بناها، وترك دار الإمارة. وأقبل تَمَّام؛ فنزل بعسكره خَلْفَ باب أبى الربيع. فلما أصبح تَمَّام، فُتِحَتْ له الأبواب؛ فدخل القَيْرَوان يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان سنة ١٨٣؛ فأمَّن تمَّامٌ العَكِّىَّ على دمه وأهله وماله. فكانت ولايتُه، الى أن أخرجه تمَّام من القَيْرَوان، سنتَيْن وعشرة أشهر. ثمَّ ولى إفريقية أبو الجَهْم تمَّام بن تميم التميمىُّ. وكان ثائراً متغلِّباً من غير عَهْدٍ من الرشيد؛ وهو جدُّ أبى العَرَب بن تميم صاحب التواليف. فدخل القَيْرَوان؛ وخرج العَكِّىُّ منها بأمانه، ومشى لإطْرابُلُس. ولحق به قومٌ من أبناء خُراسان، منهم طَرْخُون صاحبُ شرطته؛ فاجتمع رأيُهم على أن يُدخلوه؛ فدخلها. وأقام تمَّام مُلْك القَيْرَوان؛ فنهض اليه إبراهيم بن الأغْلَب من الزاب؛ وكان أميراً عليه. فلما بلغ تمَّاما إقباله اليه، سار الى تُونُس؛ فدخل ابن الأغْلَب القَيْرَوان، وابتدر المسجد الجامع، وصعد المنبر؛ وكان فصيحاً بليغاً؛ فأعلم الناس أنَّه ما وصل إلَّا لنصرة العَكِّىّ محمّد بن مُقاتل، وأنّه هو أميرهم المقدَّم عليهم من أمير المؤمنين. وكتب الى العَكِّىّ يخبره بما فعل فى حقِّه، ويؤكِّد عليه فى الوصول. فأقبل راجعاً، حتّى دخل هو ومن معه القَيْرَوان. فمشى يوماً فى أزِقَّتها؛ فنادَتْه امرأةٌ من طاقها، تقول له: «اشكُرْ إبراهيم *بن الأغْلَب! فهو الذى P. ٨٢ ردَّ عليك مُلْك إفريقية!» فكبُر ذلك عليه. وكان تمَّام بن تميم بتُونُس. فقال لأصحابه: «إنَّ إبراهيم بن الأغْلَب قد ردَّ المُلْك على العَكِّىّ. والذين مع العَكِّى قد ملئُوا رُعْباً من وقعتنا بهم؛ وإذا بلغهم خروجى من تُونُس، يُسْلِمونه ويصلون الىَّ! ومع هذا فإنَّ العَكِّىَّ حسودٌ؛ لابدَّ أن يخالف إبراهيم بن الأغْلَب

فيما يشير به عليه.» وكان الناس يقولون: «استَرَحْنا من العَكّىّ، فردّه إبراهيم علينا! فالموتُ خيرٌ لنا من الحياة فى سلطان العَكّىّ!» ففزع الناس الى تمّام بن تميم التميمىّ. فلما رأى كثرة من معه، طابت نفسه لقتال العَكّىّ. فكتب تمّام الى العَكّىّ: «امّا بعدُ، فإنّ إبراهيم بن الأَغلَب لم يبعث اليك فيَرُدَّك من كرامتك عليه، ولا للطاعة التى يظهرها للخليفة؛ ولاكن كَرِهَ أن يبلغ اليك أَخْذُه البلاد فترجع اليه؛ فإن منعك، كان مخالفاً لأَمير المؤمنين؛ وإن دفعها اليك، كان ما فعله لغيره، فبعث اليك لترجع؛ ثمّ يُسْلِمك الى القتل. وغداً تعرف ما جرَّبتَ من وقعتنا الك بالأَمْسِ!» وفى آخر كتابه [طويل]:

وما كان إبراهيمُ من فَضْلِ طاعةٍ يردُّ عليك المُلْكَ لاكن ليُقتَلا
فلَوْ كنتَ ذا عَقْلٍ وعِلْمٍ بكَيْده لَما كُنْتَ منه يا ابْنَ عَكٍّ لتقْبَلا

فلما وصل كتابُه الى محمّد بن مُقاتِل العَكّىّ، قرأه ودفعه الى ابن الأَغْلَب؛ فقرأه وضحك، وقال: «قاتَله اللهُ! ضَعُفَ رأْيُه!» وكتب اليه ابن العكّىّ: «من محمّد بن مُقاتل الى الناكث ابن تميم. امّا بعدُ، فقد بلغنى كتابُك، ودلّنى على قلّة رأيك. وفهمتُ قَوْلَك فى إبراهيم؛ فإن كانت نصيحةٌ، فليس مَنْ خان اللهَ والخليفةَ مقبولٌ منه ما نصح بــه! وإن كانت خديعةٌ، فأَقْبَحُ الخدائع ما فُطِنَ له!» وفى آخر كتابه [طويل]:

*وإنّى لأَرجو إن لقيتَ ابن أَغْلَبٍ غــدًا فى المنايا أَن تُفَلَّ وتُقْتَلا P. ٨٣
نُلاقِى فتًى يستصحبُ الموتَ فى الوغَى ويَحْمِى بصدر الرُّمْحِ عــزًّا مُؤَثَّلا

وأَقبل تمّام من تُونُس بعسكر عظيم؛ وأَمر ابنُ العكّىّ من كان معه من أَهل الطاعة بالخروج اليه، مع إبراهيم بن الأَغْلَب؛ فتقاتلوا قتالاً شديداً؛ فانهزم تمّام، ورجع الى تُونُس. وانصرف ابنُ العكّىّ الى القَيْرَوان، وأَمر إبراهيمَ ابن الأَغْلَب بالمسير الى تُونُس.

وفى سنة ١٨٤، خرج العسكر من القَيْرَوان لحصار تُونُس وقتالِ تمّام؛

وذلك، فى محرّم منها. فلما بلغ تَمَاماً إقبالَه، طلب الأَمان منه؛ فأَمَّنه إبراهيم، وأَقبل به الى القَيْرَوان، يومَ جمعةٍ، لثمان خلون من المحرّم المذكور.

ولاية إبراهيم بن الأَغْلَب بن سالم بن عِقال التميمىّ إفريقية

وَصَلَهُ عَهْدُ الرشيد فى العشرِ الوَسَطِ لجمادى الأَخيرة من سنة ١٨٤؛ وقال له فيه: « قد تقدّم لكم بإفريقية أَمْرٌ. » وكان الرشيد ولّاه بلاد الزاب، وهى بلاد الجَرِيد، وابنُ العَكّىّ على إفريقية. وكان إبراهيم بن الأَغْلَب فقيهاً، أَديباً، شاعراً، خطيباً، ذا رأى ونجدة وبأس وحَزْم وعِلْم بالحروب ومكايدها، جَرِىَ الجَنان، طويلَ اللسان، لم يَلِ إفريقيةَ أَحسنُ سيرةٍ منه، ولا أَحسنُ سياسةٍ، ولا أَرْأَفُ برعيّة، ولا أَوفى بعَهْد، ولا أَرعى لحُرمة منه. فطاعت له قبائلُ البربر، وتمهّدت إفريقية فى أَيّامه. وعزل العَكّىّ عنها، واستقامت الأَحوال بها.

وكان إبراهيم قد سمع من اللَّيْث بن سَعْد، ووهب له جَلاجِل أُمّ ِ ولده لمكانه منه. ولقد قال * اللَّيْث يوماً: « لَيكونَنَّ لهذا الفتى شأنٌ! » وكان لإبراهيم فضائلُ جمّةٌ ومآثر حسنةٌ. وكان له مع راشِد أَمير الغرب مولى إدريس الحَسَنىّ مواقِفُ ومحاربةٌ؛ وكان راشد قد علا أَمرُه. P. ٨٤

ومن قول إبراهيم، وكان قد خلّف أَهْلَه بِمِصْر [بسيط]:

ما سِرْتُ مِيلاً ولا جاوزتُ مرحلةً   إلّا وذِكْرُكِ يثنى دائماً عُنُقى
ولا ذكرتُكِ إلّا بِتُّ مرتقِباً   أَرْعَى النجومَ كأَنَّ الموتَ مُعْتَبِقى [1]

ولما ملك إفريقية، قمع أَهل الشرّ بها وضبط أَمرها. وكان له مع بربرها حروبٌ يطول ذكرُها. وأَحسن الى عرب جيشها [2].

وفى سنة ١٨٥، شرع إبراهيم فى بناء مدينة القَصْر القَدِيم؛ وصار بعد ذلك دارَ الأُمَراء بنى الأَغْلَب. وكان على ثلاثة أَميال من القَيْرَوان؛ وكان قد

---

1) A. معتنقى.   2) A. قريش (ms. قريشا).

اشترى موضعه من بنى طالُوت، فبناه ونقل اليه السلاح والعُدَد سرًّا، وسكّن حوله عَبِيْدَه وأهل الثقة بـه من خَدَمَته. وكان حافظاً للقرآن، عالماً بـه. وثار عليه الكندىُّ بتُونُس، وكانت له معـه وقائع وافقَتْ محاربة المأمون للأمين، بعد موت الرشيد. وفيها، قال الطَّبَرىُّ: وقعَتْ بالمسجد الحرام صاعقة، فقتلت رجلَيْن.

وفى سنة ١٨٦، حجّ بالناس هارونُ الرشيد، وأخرج معه ابنَيْه محمّداً الأمين، وعبد الله المأمون، وقوّاده، ووزراءه، وقُضاته، وولّى عهده عبدَ الله. قال الطَّبَرىُّ: وكان الرشيد عقد لابنه محمّد ولاية العهد فى شعبان سنة ١٧٣، وسمّاه الأمين، وضمّ اليه الشام والعراق فى سنة ١٧٥، ثمّ بويع لعبد الله المأمون بالرَّقّة فى سنة ١٨٣، وولّاه من حدّ هَمَدان الى آخر المشرق. ولما قضى مَناسِكه فى هذه السنة، كتب للمأمون كتابَيْن: أحدُهما[1] على محمّد[1] بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم *ما وُلّى عبدُ الله من الأعمال، وما P. ٨٥ صُيّر اه من الضياع والاموال، والآخر نسخةُ البيعة التى أخذها لعبد الله على محمّد وعلى الخاصّة والعامّة. وأشهد بذلك فى البيت الحرام، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمّد. وأشهد عليهما جماعةَ من حضر من بنى هاشم وغيرهم. ثمّ أمر أن يُعلّق الكتاب فى الكَعْبة. فلما عُلِّق، وقع، فقيل: «إن هذا لأمرٌ سريعٌ انتقاضُه[2] قبل تمامه[2]!»

وفى سنة ١٨٧، كان قَتْلُ الرشيد لجعفر بن يحيى، وإيقاعُه بالبَرَامكة، والوالى على إفريقية إبراهيم بن الأغْلَب كما كان[3].

وفى سنة ١٨٨، كان غزو إبراهيم بن جبْرِيل أرض الروم: وجّهه الخليفة هارون، ودخل أرض الروم من دَرْبِ الصَّفْصاف، فخرج للقائه البَطْرِيق نقْفُور، فورد عليه من ورائه أمْرٌ صَرَفَه عن لقائه، فانصرف ومرّ بقوم من

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans B.

3) Manque dans A.

المسلمين، فخرجوا عليه، وانهزم، وقُتل من الروم أربعون الفاً وسبعُمائة، وأُخذ لهم أربعة آلاف دابّة.

وفى سنة ١٨٩، كان شُخوصُ الرشيد الى الرَّىّ: وبعث حُسَيْناً الخادم الى طَبَرِستان بالأمان لمَرْزُبان صاحب الدَّيْلَم؛ وقدم عليه؛ فأمّنه وأمّن غيره. وقال أبو العَتاهِية فى خَرْجة هارون هذه [سريع]:

إنّ أمينَ الله فى خَلْقِهِ   حَنَّ بــه البِرُّ الى مَوْلِدِهْ
لِيُصْلِحَ الرَّىَّ وأقطارَها   ويُمْطِرَ الخيرَ بها مِن يَدِهْ

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم؛ فلم يَبْقَ فى أرض الروم مُسْلِم إلاّ فُدِىَ.

وفى سنة ١٩٠، فتح الرشيد هِرَقْلة من مدائن الروم. قال شبيل الترجمان: لما فتح الرشيد هِرَقْلة، رأيتُ على بابها لَوْحَ رخام مكتوبٌ فيه بلسانهم؛ فجعلتُ أقرأُه، والرشيد ينظر الىّ، وأنا لا *أشعر؛ فإذا فيه: «يابْنَ آدمَ! غافِصِ الفُرْصة قبل إمكانها، وَكِلِ الأمور الى وَلِيِّها؛ ولا يَحْمِلَنَّك[1] إفراطُ السُّرور على المَآثِم، ولا تَحْمِلْ نفسَك هَمَّ يَوْمٍ لم يأتِ! فإنّه، إن يَكُ من أجَلِك وبقيّةِ عُمْرِك، يأتِ اللهُ فيه برزقك! فلا تكن من المغرورين بجمع المال! فكَمْ قد رأينا جامِعاً لبَعْلِ حَليلته، ومُقَتِّراً على نفسه تَوْفيراً لخزانةِ غَيْرِه!»

P. ٨٦

وفى سنة ١٩١، ولى الرشيد هَرْثَمةَ بن أعْيَن غزْوَ الصائفة، وضمّ اليه ثلاثين ألفاً من جند خُراسان. وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس فى الثُّغور. ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفةٌ بالمشرق الى سنة ٢١٥.

وفى سنة ١٩٢، تُوُفِّى هارون بن محمّد الرشيد — رحمه الله! — بِطُوس من أرض خُراسان، ليلةَ السبت لثلاث خلون من جمادى الأخيرة. واستخلف محمّدَ الأمين ابنه. ولما صار الأمر الى الأمين، أقرّ إبراهيم بن الأغْلَب على إفريقية؛

1) A. يجعلنّك.

فبقى بها الى أن تُوُفِّى بالقَيْرَوان فى العشر الآخر من شوّال من سنة ١٩٦ ؛ وعُمُره ستٌّ وخمسون سنةً ، وولايتُه إفريقيةَ اثنا عشرة سنة وأشهر.

ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب إفريقية[1]

وفى سنة ١٩٦، ولى عبد الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب إفريقية. وذلك أنّه، لما مات إبراهيم بن الأَغْلَب، كان ابنه عبد الله هذا غائباً بمدينة إِطْرابُلُس ؛ فقام له أخوه زيادة الله بالأمر، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى أهل بيته وجميع رجاله وخَدَمته، وبعث اليه بذلك.

وفى سنة ١٩٧، قدم أبو العبّاس عبد الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب من إِطْرابُلُس ؛ فتلقّاه أخوه زيادة الله، وسلّم الأمر اليه. وحمل عبد الله فى إمارته على أخيه زيادة الله حَمْلاً شديداً؛ وكان يتَنَقَّصُه، ويأمر نُدَماءه بإطلاق ألسنتهم بسبّه، وزيادة الله مع ذلك يُظْهِر له التعظيم والتبجيل[2] والصنع الجميل، ولا يُظهر له تغيّراً، ولا يَظْهَر عليه منه أثرٌ. وقد كان عبد الله بن إبراهيم أراد أن * يُحْدِث جوراً عظيماً على رعيّته ؛ فأهلكه الله قبل ذلك. وكان من أجمل الناس وجهاً، وأقبحهم فعلاً، وأعظمهم ظُلْماً، أحدث بإفريقية وجوهاً من الظُّلْم شنيعةً، منها أنّــه قَطَعَ العُشُرَ حَبّاً، وجعله ثمانيــة دنانير للقفيز[3] أصاب أو لم يُصِبْ، وغير ذلك من الظلم والمغارم والمظالم[4]. فاشتدّ على الناس ذلك.

P. ٨٧

وفى سنة ١٩٨، قُتِلَ الأمين بن الرشيد: قتله ابن طاهر عاملُ أخيه المأمون ؛ وذلك لخمس بقين من المحرّم. واستخلف أخوه المأمون ؛ فأقرّ عبد الله بن الأَغْلَب على إفريقية. ولما قدم حَفْص بن حُمَيْد الصالح على إفريقية، ومعه قومٌ صالحون من الجزيرة، قصدوا اليه[5] ؛ فوعظوه فى أمر الدين ومَصالِح المسلمين.

---

1) Ce titre manque dans A. 2) A. التسهيل. 3) B. للنقير. — Manque dans A.
4) Manque dans A. 5) B. السلطان أبا العبّاس.

فتهاوَنَ بهم؛ فخرجوا مغمورين، يريدون القَيْرَوان؛ وكان هو فى القَصْر القديم. فلما وصلوا وادى القَصّارين، قال لهم حَفْص بن حُمَيْد: «قد يَئِسْنا من المخلوق؛ فلا نيأس من الخالق! فَسْئَلوا المولى وأضْرَعوا اليه فى زوال ظلمه عن[1] المسلمين! فإن فُتِحَ فى الدعاء، فقد أُذِنَ فى الإجابة!» فتوضّأ جميعُهم، وساروا الى كُدْيَة مُصَلَّى[2] رَوْح. فصلَّى بهم حَفْص ركعتَيْن، ودعوا الله أن يكُفّ عن المسلمين جور أبي العبّاس، ويُريحهم من أيّامه. فيقال إنّ قرحةً خرجت له تحت أُذُنه، فقتلته فى السادس من دعاء القوم. وقال من حضر غَسْلَه أنّه، لما كُشف عنه ثيابُه، ظُنَّ أنّه عبدٌ أسود بعد جماله، وذلك بسوء فعاله. وكانت وفاتُه ليلة الجمعة لستّ خلون من ذى الحجّة من سنة ٢٠١؛ فكانت دولته خمسة أعوام وأشهراً.

وفى سنة ٢٠١، كان تقديم أهل بغداد منصور بن المهدى أميراً عليهم، خَدِيماً للمأمون، الى أن يَقْدَم أو يقدِم. وكانت وقائع قبْل ذلك وبعْده. * وفيها مات ابن الأغْلَب كما ذكرناه، وولى أخوه زيادة الله ساعةَ موته. P. ٨٨

ذكر ولاية زيادة الله بن الأغْلَب إفريقية وبعض أخباره

كُنْيتُه: أبو محمّد. وهو أوّل من اسمه زيادة الله ممّن ولى من بنى الأغْلَب. بويع يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجّة؛ فأساء السيرة فى الجند، وسفك فيهم الدماء، واشتدّ عليهم فى كلّ وجه. فثار عليه زياد بن الصِقْلَبيّة بفَحْص أبي صالح؛ فأخرج اليه سالِمَ بن سَوَادة؛ فهزمه سالم. ثمّ ثارت العامّة عليه أيضاً؛ وذلك أنّ زيادة الله كان أغْلَظَ على الجند، وأمعن فى سفك دمائهم، والاستخفاف بهم؛ وحمله على ذلك سوء ظنّه بهم، لوثوبهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه. وكان أكْثَرُ سفكه وسوء فعله إذا سكر، وكثُر الخَوْضُ عليه. وخالفت عليه الجندُ وغيرُهم؛ فكانت بينه وبينهم حروبٌ ووقائعُ، حتّى خاف على

1) B. ضرّه على.
2) Manque dans A.

نفسه ، فحصّن القَصْر القديم ، وبقى فيه ، على ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفى سنة ٢٠٢ ، توجّه الأَغْلَب بن إبراهيم بن الأَغْلَب الى المشرق ، خوفاً من أخيه زيادة الله ، وذلك أنّ الأغلب كان شقيق أبى العبّاس عبد الله بن إبراهيم ، وكان أبو العبّاس ، طُولَ ولايته ، يتنقّص زيادة الله ويأمر نُدَماءه بإطلاق ألسنتهم فيه. فلما صار الأمر الى زيادة الله ، جاءه الأَغْلَب ، فاستأذنه فى الخروج الى الحجّ ، فأذن له زيادة الله ، فخرج الأَغْلَب ، وخرج معه ابنا أخيه: محمّد المُكنّى بأبى فِهْر ، وإبراهيم المُكنى * بأبى الأَغْلَب ، وهُما إذ ذاك صغيران ، P. ٨٩ فحجّ ، وأقام بالمشرق. وكان وزير زيادة الله والقائم بأمره الأَغْلَب بن عبد الله المعروف بغَلْبُون.

وفى سنة ٢٠٣ ، كانت ولاية أبى عبد الله أَسَد بن الفُرات بن سِنان ، مولى بنى سُلَيْم ، قَضاءَ القَيْرَوان ، وهو ممّن سمع من مالك بن أنس. فلما ولى أَسَد القضاء ، ضاق أبو مُحْرِز[1] القاضى إذ تشرّك معه ، ولم يُعْلَم قبلهما قاضيان فى وقت واحد.

وفى سنة ٢٠٤ ، لم يكن فيها ولا فى التى بَعْدَها خبرٌ يُجْتَلَب.

وفى سنة ٢٠٦ ، غزا المسلمون جزيرة سَرْدَانِية ، وعليهم محمّد بن عبد الله التميمىّ ، فأصابوا ، وأُصيب منهم ، ثمّ قفلوا.

وفى سنة ٢٠٧ ، ثار زياد بن سَهْل على زيادة الله بن الأَغْلَب ، وزحف الى حرب باجة ، فحاصرها أيّاماً. فأخرج اليه زيادةُ الله العساكر ، فهزموا زياداً ، وقتلوا من وجدوا معه[2] على الخلاف[2] ، وغنموا الأموال. وفيها كانت وفاة اليَسَع بن أبى القاسم صاحب سِجِلْماسة ، وتقديمُ أهلها على أنفسهم أخاه إلْيَاس المُنْتَصِر بن أبى القاسم الذى كانوا خلعوه.

وفى سنة ٢٠٨ ، ثار عمرو بن مُعاوية القَيْسىّ على زيادة الله بن إبراهيم بالقَصْرَيْن[3] وتغلّب على تلك الناحية ، وكان عاملاً لزيادة الله. وكان له وَلَدانِ ،

---

1) A. أبو محمّد. 2—2) Manque dans B. 3) A. et B. بالقصر.

يُقال لأحدهما حُباب وللآخر سِجْمان[1]. فقال له ابنه حُباب: « إنّك دخلتَ في أمر عظيم وعرضتَ نفسك للهلاك، ولَسْتَ من رجال هذا الأمر، ولا ينفعك عَدَدٌ ولا عُدَّةٌ! فراجِعْ أمرك، واتّقِ الله في نفسك! » فضربه مائتَيْ سوط وتمادى على الخلاف. فأخرج اليه زيادة الله جيشاً *كثيفاً حاصَرَه أيّاماً، ثمّ نزل هو وولداه على أمان، وجيء بهم الى زيادة الله، فأُلفِيَ على شراب مع قوم من وجوه أهل بيته، فأمر بحبسهم حتّى يرى فيهم رأيه، ودخل إثْرَ ذلك مُضْحِكٌ له، يُقال له أبو عمّار، فقال له زيادة الله: « ما يقول الناسُ، يا أبا عمّار؟ » فقال: « يقولون: إنّما منعك أن تقتل عمرو بن مُعاوية مخافة أن تَثِبَ القَيْسيّةُ على عَمِّك بِمِصْرَ! » فوقـع كلامُـه بقلب زيادة الله. ثمّ شرب ساعةً والتفت الى غَلْبُون وزيره، فقال: « انقلْ عمرو بن مُعاوية وولدَيْه من حبسك الى حبسى! » ففعل. فلما كان في نصف الليل، أقبل زيادة الله الى السجن، وبيده السيف، فقتل عمرو بن مُعاوية، ثمّ رجع الى قصره، فدعـا بحُباب وسِجْمان ابنَيْ عمرو. فأمر بحُباب أن يُقتل، فقال: « ايُّها الأمير، إنّى مظلومٌ! وقد بلغتْكَ نصيحتى لأبى فيك حتّى ضربنى بالسياط. » فقال: « أجَلْ! قد كان ذلك! ولاكنّى أعلم أنّك لا تخلُصُ لى! » وأمر بضرب عنقه. واستبقى الأصغر، وهو سِجْمان. فلما أصبح، دعـا بتُرْس، فوضع فيه الرأسَيْن، ودعـا بسِجْمان، فقال: « أتعرف هذَيْن الرأسَيْن؟ » فقال: « أعرفهما! ولا خير في الحياة بعدهما! » فأمر زيادة الله بضرب عنقه، وجعل رؤوسهم في تُرْس، وشرب عليها في ذلك اليوم[2] مع أهل[2] منادمته.

P. ٩٠

وفي سنة ٢٠٩، ثار منصور الطُّنْبُذىّ[3] بتُونُس. فأخرج زيادة الله محمّدَ ابن حَمْزة في ثلاثمائة فارس مُسَلَّحين، وأوصاه بكتمان حركته حتّى يَبْغَتَ[4] منصوراً بتُونُس، فيقبض عليه ويأتى به مصفّداً. فسار ابن حَمْزة الى تُونُس، فألفى

---

1) A. سجان corrigé en سمعان. 2—2) Manque dans A.

3) A. الطنبرى. B. العبدى. 4) A. et B. يبعث.

منصوراً غائباً فى قصره بطُنْبُذة. فنزل دار الصِّناعة، ووجّه اليه شَجَرة بن عيسى القاضى، فى أربعين * شيخاً من أشياخ تُونُس، يناشِده الله ويرغبه فى الطاعة، ويُعَرِّفه بما له فى ذالك من الحظّ فى دينه ودنياه. فتوجّه شَجَرة بن عيسى مع المشايخ الى منصور، فدعوه الى الطاعة. فقال منصور: «ما خلعتُ يداً، ولا أحدثْتُ حَدَثاً! وأنا سائرٌ معكم الى زيادة الله؛ ولاكن أقيموا علىّ يومى هذا، حتّى أُعِدَّ لكم ما يُصْلحكم.» فأقاموا معه؛ ووجّه الى ابن حَمْزة والذين معه ببقر وغنم وعلف وأحمال قَهْوة، وكتب اليه: «إنّى قادمٌ عليك بالغداة مع القاضى شَجَرة.» فركن ابن حَمْزة الى قوله، وذبح البقر والغنم، وأكل هو والناس الذين معه، وشربوا. فلما أمسى منصور، أخذ القاضى والذين معه؛ فحبسهم فى قصره؛ وأخذ دوابّهم؛ فجعل عليها أصحابه، وجمع خَيْلَه وأشياعَه، وزحف الى تُونُس؛ وأمر أصحابه ألاّ يُسْمَع لهم حِسٌّ ولا حَرَكَةٌ حتّى يصيروا الى دار الصِّناعة. وسار حتّى إذا كان بالقرب من دار الصِّناعة، أمر بالطبول، فضُربت. وأمر أصحابه، فكبّروا؛ فوثب ابن حَمْزة ومن كان معه، والتحم القتال عامّة الليل. وكثُر الناسُ عليهم؛ فقُتِل من كان مع ابن حَمْزة، ولم يسلم منهم إلاّ من سبح فى البحر؛ وذالك يومَ الإثنين لخمس بقين من صَفَر.

وأصبح منصور؛ فاجتمع اليه الجُنْدُ، وقالوا له: «نحن لا نَثِقُ بك، ولا نأمَنُ أن يَسْتَنْزِلك [1] السلطان بدنياه وماله، فتميل له؛ ولاكن إن أحببتَ أن نقوم بنصرك، فاخضبْ يَدَك فى دماء أصحاب السلطان وأهلِ بيته!» فوجّه حينئذٍ عن عامل زيادة الله على تُونُس، وهو إسماعيل بن سالم بن سُفْيان، وعن ولده محمّد؛ فأمر بقتلهما معاً.

فلما اتّصل الخبر بزيادة الله، وما كان من قتل رجاله وعامله، عقد لغَلْبون وزيره على عسكر جليل، وقال: «والله! لئن انهزم واحدٌ منكم، لأجْعَلَنَّ عقوبتَه ما فرّ منه وهو * السيفُ!» فسار غَلْبون فى العاشر لربيع الأوّل حتّى

1) A. يستنز لك.

وصــل الى سَبْخة تونُس؛ فخرج اليهم منصور الطُّنْبُذىُّ فى تعبئة عبّـأها لنفسه؛ فاقتتلوا مليًّا. ثمّ حمل منصور حملةً كانت فيها هزيمة غَلْبون وأَصحابه، لعشر بقين من ربيع الأَوّل؛ وسار منهزماً الى زيادة الله؛ فاعتذر غَلْبون عن الهزيمة، وحلف أَنّهم نصحوا واجتهدوا، ولاكنّ قضاء الله لا يُرَدُّ. وتواثب القوّادُ على أَعمال إفريقية، كلُّ قائد على بلدة يضبطها، ويمتنع فيها من عقوبة زيادة الله التى توَعّدهم بها. واضطرمت إفريقية ناراً، ورمى الجنــد كلّهم الى منصور الطُّنْبُذىّ أَزِمّةَ أُمورهم وولّوه على أَنفسهم. وقدم غَلْبون على زيادة الله؛ فأَعلمه بما كان من أَمره ونَغَلِ[1] الجند. فكتب اليهم زيادة الله صكوك أَمان، وبعث بها اليهم؛ فلم يثقوا بها منه، وخلعوا الطاعة.

ولما ظفر منصور، واجتمع اليه بتونُس جميعُ الجند والحشود والوفود من كلّ جهة ومكان، فزحف بهم من تونُس؛ فوصل الى القَيْرَوان لخمس خلون من جمادى الأُولى. فركب اليه القاضيان أَبو مُحْرِز وأَسَدٌ؛ فكان بينهما وبينه كلامٌ لم يُفِدْ. وخَنْدَقَ منصور الطُّنْبُذىُّ على نفسه؛ فكانت بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة. ثمّ رحل منصور من خندقه، ونزل منزلاً آخر؛ وأَخذ منصور فى إصلاح سور القَيْرَوان؛ فوالاه أَهلُ القَيْرَوان وحاربوا معه. فدامت الحرب بين منصور وبين عسكر زيادة الله على القَيْرَوان أَربعين يوماً. ثمّ زحف زيادة الله على تعبئَةٍ عبّـأَها لنفسه قَلْباً ومَيْمَنةً. فلما رأَى ذلك منصور، هالـه وراعـه. والتقت الفِئَتان؛ فاقتتلوا اقْتِتالاً شديداً؛ فانهزم منصور وولّى هارباً، وقُتل أَصحابه قتلاً ذريعاً، فى منتصف جمادى الأَخيرة. وانتهى زيادة الله الى القَيْرَوان؛ فأَمر برفع القتال. وتمادى منصور فى هزيمته الى أَن دخـل * قصره بتُونُس، والناس لا يشعرون. وعفا زيادة الله عن أَهل القَيْرَوان، وصفح عن جميعهم، غَيْرَ أَنّه جعل عقوبتهم هدم سور القَيْرَوان، حتّى أَلصقه بالأَرض. P. ٩٣

وفى سنة ٢١٠، كانت وقيعة سبيبة، وهى مدينة؛ وذلك أَنّ الجند الذين تقدّم ذِكْرُ ثيارتهم[2] وتمنُّعهم لأَجْل الهزيمة التى طرأَت عليهم، كان قائدُهم عامِر بن

---

1) A. et B. ونقل (voir *Corr.*, p. 14).   2) A. ثيارهم.

نافع. وأقرّ[1] زيادة الله على الجيش محمّد بن عبد الله بن الأغْلَب؛ فالتقوا هنالك لعشر بقين من المحرَّم؛ فانهزم ابن الأغْلَب وقُتل، وتمادت الهزيمة الى القَيْرَوان من ضحى النهار الى بعد صلاة العشاء؛ فاغتمّ لذلك زيادة الله، وأخذ فى ضمّ الرجال وبَذْلِ الأموال. وكان عيالُ الجند بالقَيْرَوان؛ فلم يعرض لهم زيادة الله. ثمّ إنّ الجند سألوا منصوراً ان يحتال فى نقل عيالاتهم من القَيْرَوان؛ فزحف بهم منصور اليها، ونزل على القصر نحو ستّة عشر يوماً؛ فلم يكُنْ بينه وبين زيادة الله فيها قتالٌ؛ وأخرج الجندُ حرمهم عن القَيْرَوان. ثمّ انصرف منصور الى تونس، ولم يَبْقَ بيد زيادة الله من إفريقية كلها إلاّ قابِس والساحل ونَفزاوة وإطْرَابُلُس؛ فإنّهم تمسّكوا بطاعته، ولم ينقصوه شيئًا من جبايته. وملك منصور جميع عَمَل زيادة الله، وضرب السكّة باسم نفسه.

وكتب الجند الى زيادة الله: «ارْحَلْ[2] عن إفريقية. ولك الأمان فى نفسك ومالك!» فشاور زيادة الله أهل بيته وخدَمته، وقد ضاق به الأمر؛ فقال له سُفْيان بن سَوَادة: «مَكّنّى ممّن أثِقُ بهم، أتقدّمْ بهم الى نَفْزاوة.» فانتقى له مائة فارس؛ فأعطاهم، وسار بهم الى نَفْزاوة. فدعا بَرْبَرَها الى نصرته. فأجابوه. فأقبل عامِر بن نافِع فى * الجند[3] نحو نَفْزاوة؛ فلما وصل الى قَسطِيلية[4]، جمع ألف أسود، ومعهم الفؤوس والمساحى. وخرج بهم الى نَفزاوة؛ فنزل بتَقْيُوس. وبلغ ابنَ سَوَادة قدومُه؛ فخرج اليه، واقتتل معه؛ فانهزم الجند، وقُتل منهم عـددٌ كثيرٌ. ورجع عامر الى قَسْطيلية، فأقام بها ثلاثة أيام. يجبى أموالها ليلاً ونهاراً، حتّى كمل له من ذلك ما أراد، وسار نحو القَيْرَوان.

وفى سنة ٢١١، قام عامِر بن نافِع على منصور الطُنْبُذىّ. وكان حاسدًا له لأنّ منصوراً كان يتوعّده على الشراب؛ فعمل عليه عامِر مع الجند؛ فلم يشعر منصور، وهو بقصره بطُنْبُذة، حتّى زحف اليه عامِر من تُونُس؛ فحاصره. فراسَلَه منصور، وطلب منه الأمان، على أن يتوجّه فى سفينة الى المشرق. فأجابه الى

P. 42

---

1) A. واستَقرّ. Blanc dans B. 2) A. أن خَلِّ. 3) Manque dans A.
4) A. قصطِيلية.

ذلك وخرج منصور فى أوّل الليل مستخفياً، يريد الأُرْبُس. فلما أصبح عامر، قفا أثَرَه وأثَرَ من كان معه، حتّى أدركهم. فاقتتل معهم؛ فانهزم منصور، ودخل الأُرْبُس؛ فتحصّن بها؛ فحاصره عامر فيها. فلما ضاق الحصار بأهلها، قالوا لمنصور: «إمّا أن تخرج عنّا، وإلاّ دفعناك الى عامر!» فرغب منهم أن يُمْهِلوه حتّى يعمل فى الخلاص لنفسه. فأرسل الى عبد السلام بن الفرَج (وكان من وجوه الجند) يسأله الاجتماع به. فأتاه. فقال له منصور من أعلى السور: «بهذا كان جزائى منكم، يا معشر الجند! وقد علمْتُمْ أنّ قيامى على القوم إنّما كان من أجلكم. فإذ قد صار الأمْرُ الى ما صار اليه، فأُحِبُّ أن تسعى فى أمانى وخلاصى، وأَخْرُجُ عنكم الى المشرق!» فأجابه عبد السلام الى ما سأل؛ واستعطف له عامر بن نافع؛ فأسعفه فى ذلك. ثمّ وجّه عامر منصوراً مع خيل، وأمر مُقَدَّمَهم سِرًّا أن يعرجوا به الى مدينة جَرْبة، ويحبسَه بها. ففعل ذلك؛ وحُبس منصورٌ هنالك. فلما علم عبد * السلام بهذه الغَدْرة من عامر، حقد عليه؛ وكان بباجة مع أصحابه، وكان هاشم أخو عامر والياً عليها، فأخذوه، وحبسوه، وكتبوا الى أخيه عامر: «إمّا أن تُخَلِّى عن منصور، وإلاّ قتلنا أخاك!» فكتب اليهم عامر: «إنّى لسْتُ أُخَلِّى عن منصور! فاصنعوا بهاشم ما شئْتُم! فستعلمون عاقبة أمركم!» فلما جاءهم كتابُه، أطلقوا هاشماً. وأمر عامر بضرب عنق منصور وأخيه حَمْدون. واستقامت الأمور لعامر بن نافع.

وفى سنة ٢١٢، أغزى زيادة الله صِقِلِّيَّة. واجتمع له سبعون مركباً، حمل فيها سبعمائة فرس. وعرض القاضى أسَد بن الفُرات نفسه على زيادة الله فى الخروج للغزو؛ فولاّه على الجيش، وأقرّه على القضاء مع القيادة؛ فخرج معه أشراف إفريقية، من العرَب، والجُنْد، والبَرْبَر، والأنْدَلُسيّين، وأهل العلم والبصائر، وذلك فى حفل عظيم وعُدّة جليلة فى ربيع الأوّل. فساروا الى حصون الروم ومُدُنهم؛ فأصابوا سبياً كثيراً، وسائمةً كثيرةً، وكراعاً. وكثرت الغنائم عند المسلمين. واحتلّ القاضى أسَد بن معه على مدينة سِرَقُوسة، وحاصرها

برًّا وبحراً، وأحرق مراكبها، وقتل جماعةً من أهلها. وجاءته الأمداد من إفريقية والأندلس وغيرها.

وفى سنة ٢١٢، تُوُفّى عامر بن نافع على فراشه. فلما بلغ موته زيادةَ الله، قال: «اليومَ وضعت الحربُ أوزارَها!» فاستأمن بنوه الى زيادة الله، فأمّنهم.

وفيها تُوفّى إدريس بن إدريس الحسنىّ. فقام بأمر فاس والبربر ابنــه محمّد، فولّى أخاه البَصْرة وطَنْجة وما يليهما، وولّى سائر إخوته بلاد الغرب [1].

ذِكْر مدينة البَصْرة بالغَرْب. كانت قبلُ مدينةً كبيرةً أزليّةً، تُعرف ببَصْرة الكتّان، لأنّهم كانوا يتبايعون، فى بَدْء أمرها، فى أكثر تجاراتهم بالكتّان. وتُعرف أيضاً بالحَمْراء، لأنّها حمراء التراب. وكان سورُها مبنيًّا بالحجارة والطوب. ولها عشرة أبواب. ولجامعها سبع بَلاطات. وبها حمّامانِ كبيرانِ. ومقبرتُها الكُبْرى * فى شرقيهـا، والأُخرى فى غربيهـا، وهى التى تُعرف بمقبرة قُضاعة. وماؤُها زُعاقٌ، وشربهم من بئر عذب كبير على باب المدينة، يُعرف ببئر أبى ذَلْفاء. ونساء البَصْرة مخصوصات بالجمال الفائق، والحسن الرائق، ليس بأرض المغرب أجمل منهنّ؛ وفيهنّ يقول أحمد بن فَتْح التِّيهَرْتى، فى قصيدة مدح بها أبا العَيْش [2] الحَسَنىّ [كامل]: P. ٩٦

مـا حاز كُلَّ الحُسْن إلاّ قَيْنَةٌ بَصْرِيَّـةٌ فى حُمْرةٍ وبَياضِ
الخَمْرُ فى لَحَظاتِها والوَرْدُ فى وَجَناتِهـا هَيْفاء غَيْرُ مُفاضِ

وأُسِّسَتْ البَصْرة فى الوقت الذي أُسِّسَتْ فيه أَصِيلا أو قريباً منه. ومنها الى قَصْر كُتامة، وهو قَصْر عبد الكريم، مرحلةٌ؛ ومنها الى مدينة جَنْيارة مرحلةٌ. وقيل إنّها كانت قرية على وادى سبُو، بينها وبين فاس مرحلةٌ. [4] ومن مدينة البَصْرة طريقٌ آخر الى فاس؛ فمنها الى وَرْغة مرحلةٌ؛ ثمّ الى وادى ماسِنة [3] مرحلةٌ، وهى مدينة عيسى بن حسن الحسنىّ المعروف بالحجّام [4]؛ ثمّ الى مدينة

---

1) A. جهات البربر. 2) A. أبا عيسى. 3) A. وادى ملوية : voir *Corr.*, p. 15.
4—4) Manque dans B.

سداك، وهى قاعدة خَلُوف بن محمد المَغِيلىّ؛ ثمّ الى فاس. فذلك سبعُ مراحِل.
وفى هذه السنة، تُوُفِّى أَسَدُ بن الفُرات فى رجب منها، وهو محاصِرٌ لِسَرَقوسة. فلما تُوفِّى، هربتْ رَهْنُ الروم التى كانت عنده، ووقع الموتُ فى عسكر المسلمين؛ فاغتمُّوا لذلك، وولَّوا على أنفسهم الجَرَاوِىَّ[1].

وفى سنة ٢١٤، تُوفِّى القاضى أبو مُحْرِز الكِلابىُّ. وفيها وصل من الأنْدَلُس الى صِقِلِّيَة نحو ثلاثمائة مركب، فيها أَصبغ بن وَكِيل المعروف بفَرْغَلُوش[2]. وبلغ المسلمين المحصورين بها خَبَرُ وصولهم؛ فاستغاثوا بهم؛ فوعدوهم بالغوث[3].

P. ٩٧ وفى سنة ٢١٥، كان غَزْوُ * فَرْغَلُوش الواصلِ فى المراكب الى صِقِلِّيَة هو والقوّاد الذين معه؛ فأخذوا القِلاع، وسبوا، وغنموا فى بلاد الروم. ثمّ سُئِلُوا إغاثة من كان من المسلمين بها؛ فأجابوهم الى ذلك على أن يكون أمر الناس الى فَرْغَلُوش. فساروا الى ذلك، وأخذوا فى طريقهم القِلاع، وأغاروا حتى انتهوا الى ميناو[4]. فتزحزح مخنق من كان بها من المسلمين، وحرقوا المدينة وهدموها، وانتقلوا عنها. وسار المسلمون الى غلوالية[5]؛ فحصروها وتغلّبوا عليها. واعتلّ جماعةٌ من المسلمين بها، وأخذهم الوباء، ومات فَرْغَلُوش وغيرُه من القوّاد. فرحل المسلمون وركب العدوُّ إثْرَهم؛ ففتل منهم خلقٌ كثير فى خبر طويل. ثمّ أخذوا فى إصلاح مراكبهم، قافلين الى الأنْدَلُس.
وفيها ولى سعيد بن إدريس مدينة نَكُور.

وفى سنة ٢١٦، كانت وقيعة بين مُطِيع السُّلَمِىّ[6] وإسماعيل بن الصَّمْصامة بإفريقية؛ فاقتتلا بين معهما. فهزم مُطيع وقُتل، وانهزم أصحابُـه. وولى أبو فِهْر صِقِلِّيَة.

وفى سنة ٢١٧، توجّه أبو فِهْر محمّد بن عبد الله التميمىّ من إفريقية الى صِقِلِّيَة، وهرب عثمان بن قُرْهُب عنها.

---

1) A. ابن ابى الجوارى (voir *Corr.*, p. 15); B. donne la leçon adoptée, avec l'orthographe الجراوى. 2) Vocalisation donnée par B. 3) A. بذلك. 4) Correction d'Amari (A. ميبا ; en blanc dans B.) : voir *Corr.*, p. 15. 5) B. عَلْوَالَة. 6) A. السهمى.

وفى سنة ٢١٨، قام بمدينة تُونُس فَضْل بن أَبي العَنْبَر بعد هزيمته لخيل زيادة الله؛ فضبطها لنفسه. وسار اليه أَبو فِهْر محمَّد بن عبد الله بن الأَغْلَب فى جيش كثيف، حتّى افتتحها وقتل فيها عبّاس بن الوليد الفقيه الصالح.

وفى سنة ٢١٩، أَمَّن زيادة الله كلَّ من طلب الأَمان ممَّن تفلَّت من تُونُس وخرج عنها وقتَ دخول أَبى فِهْر لها. فأَمَّنهم، وسكنتْ أَحوالُهم. وكان [فيهم] عبدُ الرحمن وعلىٌّ ابنا أَبى سَلَمة وأَبو العَزّاف[1]، وكانوا شعراء فصحاء؛ فأَنشد عبد الرحمن مديحاً له فيه؛ فلما انقضى إنشادُه، * قام يعقوب بن يحيى الشاعر ٩٨ b يُحرِّض زيادة الله على بنى أَبى سَلَمة وأَبى العَزّافِ بهذه الابيات [وافر]:

تَسَمَّعْ أَيُّها المَلِكُ المُعانُ   قَوافى فى مَعانيها البَيانُ
يَتِمْ أَمانُ مَنْ خَضَبَ العَوالى   ولَيْسَ لشاعرٍ أَبداً أَمانُ
لِأَنَّ قوافى الأَشعارِ تَبْقَى   على الأَيّامِ ما بَقِىَ الزمانُ
وقَدْ يُرجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ   ولا بُرْءٌ لِما جَرَحَ اللِّسانُ

فلم يلتفت زيادة الله الى قوله؛ وأَمضى لهم أَمانهم. وقال لأَبى العَزّاف: «ما منعك أَن تستأْمن الينا قبل هذا الوقت؟» قال: «ايُّها الأَمير! كنتُ مع قَوْم حَمْقَى، يُوَلُّون كلَّ يوم والياً، ويعزلون آخر. فرجوتُ أَن تكون لى معهم دَوْلَةٌ!» فضحك زيادة الله، وقال: «قد عفوتُ عنك!»

وفى سنة ٢٢٠، ولى أَحمد بن أَبى مُحْرِز قضاء إِفريقية. وفيها أَغزى محمَّد ابن عبد الله بن الأَغْلَب صاحبُ صِقِلِّيَة. فالتقى بالمشركين؛ فانهزموا أَمامه. وانصرف بالغنائم الى بَلَرم. وكانت بصِقِلِّيَة فى هـذه السنة غزوات كثيرة للمسلمين برًّا وبحراً، وكذلك بالأَنْدَلُس.

وفيها وصل ابن الأَغْلَب الى بَلَرم، قاعدة صِقِلِّيَة، والياً عليها، فى رمضان، بعد أَن رأى شِدَّةً فى البحر، وعطبتْ له مراكبُ، وحُطِمَتْ[2] له أُخرى؛

---

1) A. الغراب ou الغراف.   2) A. وعطبت (voir *Corr.*, p. 15). Ce membre de phrase manque dans B.

وأصاب له النصارى حرّاقةً من مراكبه. وجاهَدَهم محمّدُ بن السِّنْدىّ فى حرّاقات؛ فاتبعهم حتّى حال الليل بينهم.

وفى سنة ٢٢١، توفّى قاضى صِقِلّيّة ابن أَبى مُحْرِز. وكان قد أَوصى أَخاه عِمْران أَن يكتم موته حتّى يكفِّنه ويُصلِّى عليه، خوفاً أَن يكفِّنه زيادة الله ويُصلِّى عليه. ففعل عِمْران ذلك. فلما حُمِل نعشه وخُرِج به من داره، أَقبل خَلَف الفَتى بمسك كثير وأَكفان من قِبَل زيادة الله. فقال له عِمْران: «قد كفَّنّاه.» فذرّ خَلَف المسك الذى كان معه عليه. وحُمِل الى المصلَّى؛ فحضر * زيادة الله دفنه، وعزّى أَخاه عنه، وقال: «يا أَهل القَيْرَوان! لو أَراد الله بكم خيراً، لمَا خرج ابن أَبى مُحْرِز من بين أَظهركم!» وكان زيادة الله يقول: «ما أُبالِى ما قَدِمْتُ عليه يومَ القيامة وفى صحيفتى أَربع حسنات: بُنيانى المسجد الجامع بالقَيْرَوان، وبُنيانى قنطرة أَبى الربيع، وبُنيانى حِصْن مدينة سُوسة، وتَوْلِيتى أَحمد بن أَبى مُحْرِز قاضى إفريقية!» وولى القضاء بعده ابن أَبى الجواد.

P. ٩٩

وفى هذه السنة، ابتدأَت الفتنة بسِجِلْماسة بين مَيْمون وأَخيه، ابنى المُنْتَصِر ابن اليَسَع.

وفى سنة ٢٢٢، كانت غزوة صِقِلّيّة للمسلمين الى ناحية جبل النار؛ فأَصابوا وغنموا وقفلوا سالمين غانمين. وفيها فتح المسلمون حصن مدنار[1] ومَعاقِل كثيرة فى غزوة للفَضْل بن يعقوب، أَغزاه ايّاها أَبو الأَغْلَب[2]؛ وغزوة أُخرى لعبد السلام بن عبد الوهّاب، أَغزاه أَيضاً ايّاها أَبو الأَغْلَب؛ فخرج اليه العدوُّ؛ فانهزم المسلمون وأُصيب منهم جماعةٌ. وأُسِّر عبد السلام حتّى فُدِى بعد ذلك.

وفى سنة ٢٢٣، توفّى زيادة الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب صاحب إفريقية، يوم الثلاثاء لأَربع عشرة ليلة خلَتْ من رجب، وهو ابن إحدى وخمسين سنة. فكانت ولايتُه إحدى وعشرين سنة، وسبعة أَشهر، وثمانية أَيّام.

---

1) B. مدْنان. 2) B. زيادة الله.

ولاية أبي عِقال الأَغْلَب بن إبراهيم بن الأَغْلَب إفريقية

وهو الملقَّب بجَزَر[1]. فلما ولِي، أمَّن الناس وأحسن اليهم وإلى الجند، وغَيَّر أحداثاً كثيرة كانت قبله، وأجرى على العُمَّال أرزاقاً واسعة وصِلات جزلة. وقبض أيديهم عن الرعيَّة، وقطع النبيذ من * القَيْرَوان، وعاقب على بيعه وشربه. وتوفِّى فى العشر الأَواخر لربيع الآخر سنة ٢٢٦، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فكانت ولايته سنتَيْن وتسعة أشهر وأيَّاماً. P. 100

وفى سنة ٢٢٤، كانت وقعةٌ بإفريقية بين عيسى بن ريعان الأَزْدىّ، وقد أخرجه السلطان لذلك، وبين لَواتة وزُواغة ومِكْناسة. فقتلهم عن آخرهم بين قَفْصة وقَسْطيلية. ذكر ذلك ابن القطَّان.

وفيها، قدّم أهلُ سِجِلْماسة ميمُون بن مِدْرار. وأخرجوا أخاه. فلما استقرّ الأمر لمَيْمون، أخرج أباه مِدْرار وأُمَّه الى بعض قُرَى سِجِلْماسة.

وفى سنة ٢٢٥، كانت وفاة أبي جعفر موسى بن مُعاوية الصُّمادِحىّ، مَولى آل جعفر[2]؛ وكان ممَّن روى عنه سَحْنون.

وفى سنة ٢٢٦، توفِّى أبو عِقال الأَغْلَب بن إبراهيم فى ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر؛ وولايةُ ابنه أبي العبَّاس يومَ موت أبيه.

ولايةَ أبي العبَّاس محمَّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم ابن الأَغْلَب إفريقية

كانت ولايتُه فى دَعَةٍ ساكنةً، والأمور معتدلةٌ. وقلّد أحمد بن الأغلب كثيراً من أموره. وكان محمّد هذا قليل العلم؛ ذُكِر أنّ رَجاء الكاتب كان يوماً بين يديه؛ فكتب محمد «لحم ضبى» بضاد مسقوطة. فلما خلا المجلس، قال له كاتبه: «أيّد الله الأمير! الظبى يُكتب بظاء مرفوعة.» فقال له محمد: «قد

---

[1] A. بجزر. [2] A. أبي جعفر.

علمنا فيه اختلافاً: فأبو حنيفة يجعله بالظاء، ومالك يجعله بالضاد.» فعجب الحاضرون من قوله. وكان عقيماً لا يولَد له. وكان مظفَّراً فى حروبه.

وفى سنة ٢٢٧، توفّى أبو محمّد عبد الله بن أبى حسّان اليَحْصُبىّ فقيهُ إفريقية؛ ولقى مالكاً، وسمع منه. وسأله زيادة الله فى النبيذ؛ فقال له: «كَمْ دِيَةُ العَقْل؟» قال: «ألف دينار!» قال: «أصلح الله الأمير! يعمد الرجلُ * الى ما قيمتُه ألف دينار، فيبيعه بنصف دِرْهَم!» فقيل لـه: «إنّه يعودُ ويرجعُ!» فقال: «أصلح الله الأمير! بعد كَشْفِه سَوْءَتَهُ، وإبْدائه[1] عَوْرَتَه، وضَرْبِ هذا وشَتْمِ هذا!»

P. I

وفى سنة ٢٢٨، كانت إفريقية هادِئةً ساكِنةً. قال عَرِيب وغيرُه: لم يكن فى إفريقية فى هذه السنة خبرٌ يُذكر، ولا فى السنتَيْن بعدها.

وفى سنة ٢٣٠، توفّى بَهْلُول بن عَمْرو بن صالح الفقيه؛ سمع من مالك وطَبَقَته.

وفى سنة ٢٣١، كانت ثَوْرة أحمد بن الأغْلَب على أخيه محمّد واستيلاؤه[2] عليه؛ وذلك أنّ أحمد تواعَدَ مع جملة من الموالى الى موضع؛ فتوافَوْا هنالك وَقْتَ الظهيرة؛ فقصدوا الى مدينة القَصْر القَدِيم، وقد خلا البابُ من الرجال. فدخلوا، وأغلقوا الباب؛ ثمّ ساروا حتّى أغلقوا الأبواب الأُخَر. ثمّ هجموا على أبى عبد الله بن علىّ بن حُمَيْد الوزير؛ فأمر أحمد؛ فضُرِبت عُنُقُه. ووقع القتال بين رجال محمّد بن الأغْلَب وبين رجال أحمد بن الأغْلَب. وجعل أصحاب أحمد يقولون لأصحاب محمّد: «ما لكم تقاتلوننا؟ نحن فى طاعة محمّد ابن الأغْلَب. إنما قُمْنا على أولاد علىّ بن حُمَيْد الذين أفقروكم واستولوا على أموال مولاكم دُونَكم! واما نحن ففى الطاعة!» فلما سمعوا ذلك، أوقفوا عن القتال. ولما نظر محمّد الى ما دَهِمَه من غير استعداد، قعد فى مجلسه الذى يقعد فيه للعامة. وأذن لأخيه أحمد والرجال الذين معه فى الدخول عليه.

1) A. وايرائه الى أهله. 2) A. et B. واستيلائه.

فدخلوا بسلاحهم. فكانت بينهما معاتبة. ثمّ حلفا ألّا يغدر أحدُهما بصاحبه، واصطلحا. واعتدلت الأمور لأحمد بن الأغْلَب إلّا اسم الإمارة فقط. وقبض أحمد على من شاء، واستصفى من أراد، وعذّب من أحبّ، وأعطى الرجال، وجبى الأموال، واستوزر نَصْر بن حَمْزة.

وفى سنة ٢٣٢، ظفر محمّد بن * الأغْلَب بأخيه أحمد، وحبسه؛ ورجع له سلطانُه. وقام معه فى ذلك جماعةٌ من بنى عمّه ومواليه. وسقى البوّابين، واحتال عليهم حتّى دخل المدينة. وحارب أخاه طول الليل، وأطلق من كان فى حبس أخيه؛ فاستمدّ بهم؛ ووصل أهلَ القيْرَوان حتّى أنفذ جميع ما فى خزائنه من الأموال والكسى. ثمّ نفا محمّدُ بن الأغْلَب أخاه الى المشرق؛ فمات بالعراق. ١٠٢

وفيها عزل عبدَ الله بن أبى الجَواد عن القضاء؛ فقال سَحْنون لمحمّد بن الأغْلَب: «أيُّها الأمير، أحسن الله جزاءك! فقد عزَلْتَ فِرْعَوْنَ هذه الأمّة وجبّارَها وظالِمَها!» وابن أبى الجواد حاضرٌ، ولحيتُه تضطرب على صدره؛ وكان تامّ اللحية.

وفى سنة ٢٣٤، ولى سَحْنون بن سعيد بن حَبيب التَّنوخىُّ الفقيهُ (واسمُه عبدُ السلام، إنّما سُمّىَ بسَحْنون لحِدَّة ذهنه) القضاءَ بإفريقية، بعد أن راجع محمّد [1] بن الأغْلَب فى ذلك عامـاً كاملاً، وهو يأبى عليه، حتّى حلف له الأيمان المؤكّدة، وأعطاه العهود المغلّظة أنّه يُطْلِق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمته وحاشيته، ويُنَفِّذ عليهم الحقّ، أحبّوا أو كرهوا.

وفيها كانت ثورة سالِم بن غَلْبُون وقتلُه؛ وذلك أنّه كان والياً على الزّاب. فعزله محمّد بن الأغْلَب. فأقبل سالِم يريد القَيْرَوان. ثمّ عـدل فى بعض طريقه الى الأرْبُس مُظْهِراً للخلاف؛ فمنعه أهلُها من دخولها. فسار الى باجة فدخلها وضبطها. فأخرج اليه ابنُ الأغْلَب خَفاجة بن سُفْيان فى جيش كثيف؛ فنزل عليه، وحاربه أيّاماً؛ فهرب سالِم بن غَلْبون فى الليل؛ فأتبعه خَفاجة؛

1) A. رادّ لمحمد.

فلحقه لما أصبح، وقتله، وحمل رأسه الى محمّد بن الأغْلَب. وكان ابنه أزْهر محبوساً عنده، فأمر بضرب عنقه.

وفى سنة ٢٢٤، ثار عمرو بن سَلِيم التُّجِيبىّ بتُونُس، فأخرج اليه ابن الأغْلَب خَفاجة بن سُفْيان، فأقام عليه بقيّةَ هذه السنة، * ثمّ انصرف عنه من غير ظفر. P. ١٠٢

وفيها مات عبد الله بن أبى الجَواد فى سجن سَحْنون. وكان وَرَثَةُ ابن القَلْفاط يطلبونه بخمسمائة دينار وَدِيعةً، واستظهروا بخطّه: فأنكر الوديعة والخطّ. فكان سَحْنون يُخْرِجه كلّ جمعة، فإذا استمرّ على الإنكار، ضربه عشرة أسواط وأرادت زوجتُه فِداءه بمالها، فامتنع سَحْنون إلاّ أن يعترف ابنُ أبى الجواد بأنّ هذا مالُ الأيتام أو عِوَضاً عنه. فأبى ابن أبى الجواد. فما زالت تلك حالُ الى أن مرض، فمات. فشنّع الناسُ على سَحْنون أنّه قتله. وكان يقول بخَلْق القرآن

وفى سنة ٢٢٥، كانت وقيعةٌ، بمقربة من تُونُس، بين المُنْتزِى فى العا الفارط عَمْرو بن سُلَيْم المعروف بالقُوَيْع [1]، وبين محمّد بن موسى المعروف بعُرْيان الذى استقْوَدَه ابن الأغْلَب بجيشٍ لمحاربته، ففزع كثيرٌ من موالى ابن الأغْلَب الى القُوَيْع. فوقعت على محمّد بن موسى هزيمةٌ، وأُسِرَ أحَدُ قوّاده، بعد أن انكسرت رِجْلُه، ثمّ طعنه ولدُ القُوَيْع طعنةً كان فيها حتفُه، وقُتِل كثيرٌ مر أصحابه. وانصرف باقى الجيش الى ابن الأغْلَب مفلولين. واشتدّت شَوْكةُ القُوَيْع

وفى سنة ٢٢٦، كانت وقعةٌ بين عَمْرو بن سُلَيْم القُوَيْع المُنْتَزِى بتونُس وبين خَفاجة بن سُفيان، قائد جيش محمّد بن الأغْلَب، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم القُوَيْع، وقُتِــل أصحابُه مقتلةً عظيمةً. وأُدْرِك القُوَيْع، فضُرِبت عنقُ وحُمِل رأسه الى محمّد بن الأغْلَب، فوصل قاتِلَه، وكَساه، وأحسن اليه. ودخ خَفاجة مدينةَ تُونُس بالسيف، يوم السبت لعشر خَلَوْن من ربيع الأوّل، وس فيها، وانصرف بالجيش الى القَيْرَوان، فكَساهُ ابنُ الأغْلَب.

---

1) A. et B. écrivent ici et plus loin القَوِيع. La restitution adoptée pour ce briquet (= «alouette huppée»; cf. Dozy, *Suppl.*, s. v°. قبع) parait s'imposer.

* ولاية العبّاس بن الفَضْل – رحمه الله ! – جزيرة صِقِلِّيَّة P. ١٠٤.

لما تُوفّى صاحبُ صِقِلّيّة أبو الأَغْلَب إبراهيم بن عبد الله بن الأَغْلَب، قدّم أَهلُها على أنفسهم العبّاس بن الفَضْل هذا ؛ وكتبوا الى محمّد بن الأَغْلَب بالخبر. فأقرّ العبّاس، وكتب اليه بعهده بولاية صِقِلّيّة. فجاهد كثيراً، وغزا طويلاً. وكان له فى الروم مَواقِفُ أذلّهم بها.

وفى سنة ٢٣٧، ولى حبيبُ بن نَصْر التّميمىُّ المَظالِمَ بالقَيْرَوان بتقديم القاضى سَحْنون ايّاه عليها. وفيها أغزى العبّاس بصِقِلّيّة أرض الروم ؛ فغنم غنائم عظيمة، وسبى سبياً كثيراً، وأداخ[1] بلادهم.

وفى سنة ٢٣٨، أغزى العبّاس بن الفَضْل صاحبُ صِقِلّيّة الروم ؛ فقتل اللهُ المشركين. وبعث العبّاس برؤوسهم الى مدينة بَلَرم، وأقام ينتسف زروعهم، ويَطأُ أرضهم، ويسبى من ظفر به منهم. ثمّ قفل الى صِقِلّيّة.

وفى سنة ٢٣٩، كان الجهاد بصِقِلّيّة فى غزوة العبّاس بن الفَضْل فى الصائفة ؛ فأفسد زروع النصارى، وبثّ السرايا فى كلّ موضع، وغنم قَصْر يانة وقَطانِيَة وسِرَقُوسة وغيرها ؛ وحاصَرَ مدينة بنيرة[2] ستّة أشهر حتّى صالحوه على ستّة آلاف رأس قَبَضَها منهم. وقفل الى حضرة بَلَرم، وفتح مدينة سَبْرينة[3].

وفى سنة ٢٤٠، تُوفّى الفقيه سَحْنون – رحمه الله ! – وفيها كان الجهاد أيضاً بصِقِلّيّة : غزا العبّاس بن الفَضْل صاحبُها بلادَ الروم ؛ فسبى، ونكى، وخرّب، وانتسف، وبثّ السرايا ؛ فغنموا غنائم عظيمة.

وفى سنة ٢٤١، غزا العبّاس بن الفَضْل أيضاً الروم بصِقِلّيّة ؛ فأفسد زروعهم، وبثّ السرايا فى أراضيهم ؛ فغُنِمت غنائم كثيرة. وأقام فى جبل مانع ثلاثةَ أشهر، * يضرب كلَّ يوم حَوْلَ يانة ؛ فيقتل ويُصيب، وتتوجّه سراياه، P. ١٠٥.

---

1) B. وأدلع. 2) B. يتيرة. 3) Leçon de B. (*Santa Severina*). — A. سهرينة.

فتغنم فى كلّ جهــة. وأغزى أخاه عليّ بن الفَضْل فى البحر، فأصاب وغنم، وانصرف برؤوس كثيرة[1].

وفى سنة ٢٤٢، تُوفّى أبو العبّاس محمّد بن الأغْلَب، صاحبُ إفريقية، لليلتين خلتا من المحرّم؛ فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر واثنى عشرة يوماً. ومات، وهو ابن ستّ وثلاثين سنة. وولى بَعْدَه ابنُ أخيه.

ولاية أبى إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغْلَب إفريقية

وليها، وهو ابن عشرين سنةً. وكان حَسَن السيرة، كريم الأخلاق والأفعال، من أجود الناس وأسمحهم وأرفقهم بالرعيّة، مع دين واجتناب للظُّلْم، على حداثة سنّه وقلّة عمره. وكان يركب فى ليالى شعبان ورمضان، وبين يدَيْه الشمعُ؛ فيخرج من القصر القديم، ويمشى حتّى يدخل من باب أبى الربيع، ومعه دوابّ بالدراهم. فكان يعطى الضعفاء والمساكين حتّى ينتهى الى المسجد الجامع بالقَيْرَوان؛ فيخرج الناسُ اليه، يدْعون له.

وفيها ولى القضاء بإفريقية أبو الربيع سليمان بن عِمْران بن أبى هاشم الملقّب بخَرُوفة.

وفيها كان الجهاد بصِقِلّيَة: غزا صاحبُها العبّاسُ بن الفَضْل الروم بالصائفة؛ فغنم وسبى؛ وانتقل[2] من حِصْن[2] الى حِصْن؛ ففتح أكثرها، وصالَحَه بعضُ أهلهـــا.

P. I وفى سنة ٢٤٣، كان الجهاد بصِقِلّيَة: * غزا العبّاس بن الفَضْل صاحبُها بالصائفة؛ فسبى وغنم؛ وصالَحَه أهلُ قصر الحَديد، بعد أن حاصَرَهم شهرَيْن، بخمسة عشر ألف دينار؛ وصالَحَه أهلُ حصن شلفودة[3] على أن يخرجوا منه ويهدِمَه؛ ففعل ذلك.

---

1) B. omet tout le développement relatif à l'année 241, en se bornant à dire à son sujet: (بعد سنة ٢٤٠) وكذلك فيا بعدها. 2—2) Manque dans A. 3) A. et B. سلعودة.

وفى سنة ٢٤٤، غزا العبّاس صاحبُ صِقِلّيَة أرض الروم؛ فغنم غنائم كثيرة. وخرج أخوه فى مراكب فى البحر الى جزيرة إقْرِيطِش؛ فقتل وسبى وغنم. ثمّ دارت على المسلمين جَوْلَةٌ؛ فقُتِل منهم، وأُخذت لهم عشرون مركباً.

وفى سنة ٢٤٥، أخرج أبو إبراهيم بن الأغْلَب صاحبُ إفريقية مالاً كثيراً لحفْر المَوَاجِل، وبنيان المساجد والقناطر، الكَلِمَةٍ كانت منه على سُكْرٍ.

وفى سنة ٢٤٦، كان حَفْر المأجل الكبير على باب تُونُس. وفيها تُوفّى أبو خَلَف الزاهد، واسمُه مطروح بن قَيْس. وكان عابداً زاهداً.

وفى سنة ٢٤٧، كان بالقَيْرَوان سَيْلٌ عظيمٌ كسر القنطرة؛ فأَمر صاحب إفريقية بإصلاحها. وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن عبد رَبّهِ؛ وكان مُستجابَ الدعوة. وفيها، تُوفّى العبّاس بن الفَضْل صاحبُ صِقِلّيَة، فى جمادى الأُولى لثلاث خلون منها؛ وولى عمُّه أحمد صِقِلّيَة: ولّاه أهلُها، وكتبوا بذلك الى صاحب إفريقية أبى إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغْلَب؛ فجاء كتابُه بإثباته.

وفى سنة ٢٤٨، كَمُل بناء مأجل باب تُونُس الكبير، وتمّت الزيادة فى جامع القَيْرَوان؛ وكَمُل إصلاح قنطرة باب أبى الربيع. وفيها، كانت غزوة رَباح؛ فأَصاب وغنم؛ ثمّ دارت عليه وقيعةٌ، أُخِذَتْ فيها طَبولُه وأَعلامُه؛ ثمّ أُسِرَ قَوْمٌ من أصحابه؛ ثمّ تراجَعَ وافتتح مدينةَ جبل أبى مالك، وسبى جميع ما كان فيها، وأحرقها، وبثّ سرايا كثيرةً؛ فأَصابت وغنمت.

وفى سنة ٢٤٩، تُوفّى أبو إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغْلَب صاحبُ * إفريقية، يومَ الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلَتْ من ذى القعدة؛ فكانت ولايتُه ١٠٧ سبع سنين وعشرة أشهر ونصفاً. ومات، وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين سنةً.

ولاية زيادة الله بن محمّد بن الأغْلَب بن إبراهيم ابن الأغْلَب إفريقية

ولى يوم وفاة أبى إبراهيم، فى ذى القعدة؛ فكتب الى خَفاجة بإمضاء

ولايته وخَلَعَ عليه. وكان أبو محمّد زيادة الله هذا عاقِلاً،[1] حليماً، حَسَن السيرة، جميل الأفعال، ذا رأى ونجدة وجود وشجاعة. وهو الثانى ممّن اسمه زيادة الله فى بنى الأَغْلَب. ولم تطُلْ فى المُلْك مدّته، فتكونَ له أخبارٌ تؤْثر. وتُوفّى ليلة السبت لعشر بقِين من ذى القعدة من سنة ٢٥٠؛ فكانت دولتهُ سنةً واحدةً وسبعة أيّام.

ولاية أَبى الغَرَانيق محمّد بن أَحمد بن محمّد بن الأَغْلَب

ولى سنة ٢٥٠. وهو ابن أخى زيادة الله المتوفّى قَبْلُ. ولى يوم السبت لعشر بقِين من ذى القعدة، ولُقِبَ بأَبى الغَرَانيق لأَنّه كان يَهْوَى صَيْدَها، حتّى بنى قصراً يخرج اليه لصَيْدِها، أَنفق فيه ثلاثين أَلف مثقال من الذهب. وكان مُسْرِفاً فى العطاء، مع حُسْن سيرة فى الرعيّة. ثمّ غلبت عليه اللذّاتُ والاشتغالُ بها؛ فلم يزل كذلك طُولَ مدّته. ولم تكن له همّة فى جمع مال. فلما مات، لم يَجِدْ أخوه فى بيت المال شيئاً يُذْكَر. وكانت ولايتُه حروباً أكثرُها على ما يأْتى ذكره.

وفى سنة ٢٥١، كانت غزوة السَّرِيّة المعروفة بسَرِيّة أَلف فارِس؛ وذلك أَنّ خَفاجة صاحبَ صِقِلّيّة غزا قَصْر يانة؛ فأَفسد زروعه. وسار الى *سِرَقُوسة؛ فقاتل أَهلها. ثمّ رحل عنهم، وأَخرج ابنه محمّداً اليهم فى سَرِيّة؛ فكَمِنَ لهم، وقتل منهم أَلف فارس؛ فسُمّيَتْ تلك السريّة سريّة أَلف فارس.

P. ١٠٨

وفى سنة ٢٥٢، بنى محمّد بن حَمْدون الأَنْدَلُسىّ المَعافِرىّ الجامعَ الشريفَ بالقَيْرَوان المنسوبَ اليه: بناهُ بالآجُرّ والجصّ والرخام، وبنى فيه جِباباً للماء. وغزا خَفاجة صاحبُ صِقِلّيّة أَرض الروم، وافتتح حصوناً كثيرة؛ ثمّ مرض مرضاً شديداً؛ فانصرف فى مَحْمَل الى بَلَرم.

---

1) A. عاملاً.

وفى سنة ٢٥٣، قال ابن القطّان: عريت هذه السنة من أخبار إفريقية؛ فلم يكن فيها خبرٌ مشهورٌ يُجْتَلَب.

وفى سنة ٢٥٤، غزا خَفاجة صاحبُ صِقِلِّيَة بَطْرِيقاً وصل من القُسْطَنْطِينة، فى جمع كبير، فى البرّ والبحر؛ فانهزم البَطْرِيق بعد قتال شديد، وقُتل من أصحابه آلافٌ كثيرة، وأُخذ لهم سلاحٌ وخيلٌ. ودخل خَفاجة الى سِرَقُوسة وغيرها؛ فغنم غنائم كثيرة، ورجع الى بَلَرم قاعِدَته أوّلَ يوم من رجب.

وفى سنة ٢٥٥، خرج خَفاجة صاحبُ صِقِلِّيَة للغزو؛ فلَقِيَهُ العدوُّ فى جمع كبير؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فقُتِل شُجاعٌ من شُجْعان المسلمين؛ فانكسروا لقتله. فسار خَفاجة الى سِرَقُوسة؛ فامتنعت منه؛ فأقام عليها، وأفسد زرعها. وفيها تُوفّى خَفاجة؛ وذالك أنّه، لما أكمل غزاته المذكورة، قفل من سِرَقُوسة، يُريدُ بَلَرم؛ فأدلج ليلاً؛ فاغتاله رجلٌ من عسكره، وطَعَنَه طعنةً مات منها، وذلك أوّلَ يوم من رجب. وهرب الذى طعنه الى سِرَقُوسة. وحُمِل خَفاجة الى بَلَرم؛ فدُفن بها. فولّى أهْلُ صِقِلِّيَة ولده محمّداً، وكتبوا بذلك الى الأمير محمّد بن أحمد ابن الأغْلَب أبى الغرانيق؛ فكتب اليه بالولاية، وخلع عليه.

وفى سنة ٢٥٦، تُوفّى محمّد بن سَحْنون التَّنُوخىّ؛ وكان فقيهاً وَرِعاً — رضى الله عنه!

وفى سنة ٢٥٧، ولى القضاء * بإفريقية عبدُ الله بن أحمد بن طالب، ١٠٩ صارفاً لسليمان بن عِمْران. وفيها، تُوفّى صاحب صِقِلِّيَة محمّد بن خَفاجة، قَتَلَهُ خَدَمُه نهاراً لثلاث خَلَوْن من رجب، وكتموا أمره؛ فلم يُعرف قتلُه إلاّ بعد يوم لهروب الخَدَم؛ فأُخِذوا وقُتل بعضُهم. فولى صِقِلِّيَة أحمدُ بن يعقوب بتقديم ابن الأغْلَب ايّاه. وولى على الأرض الكبيرة عبدُ الله بن يعقوب؛ فكانت لهما فى هذا العام غزوةٌ أوقعا فيها بالمشركين. ولم يكن بإفريقية فى سنة سبع خبرٌ يُذكر.

وفى سنة ٢٥٨، تُوفّى أحمد بن يعقوب صاحب صِقِلِّيَة، وولى ابنُه الحسين مكانَه. وأقرّه صاحبُ إفريقية عليها.

وفى سنة ٢٥٩، ولى سليمان بن عِمْران قضاء إفريقية، وعزل عبدُ الله بن أحمد بن طالب التميميُّ عنه. وفيها غزا صاحب صِقِلّيّة سِرَقُوسة، فصالحه أهلها على أن يُخْرِجوا اليه من أَسْرَى المسلمين الذين كانوا عندهم ثلاثمائة وستّين أسيراً.

وفى سنة ٢٦٠، كانت المجاعة العامّة بالمشرق والمغرب، والوباء، والطاعون. وفيها تُوفّى محمّد بن إبراهيم بن عَبْدُوس الفقيه العالم، الذى دوّن «المجموعة»، وكان مُجابَ الدعوة.

وفى سنة ٢٦١، تُوفّى أبو الغَرانيق محمّد بن أحمد بن الأَغْلَب ليلة الأربعاء لستّ خَلَوْن من جمادى الأُولى من هذه السنة، فكانت ولايتُه عشر سنين وخمسة أشهر ونصفاً، فى دولة المُسْتَعين بالله، والمُعْتَزّ، والمُهْتَدى، والمُعْتَمِد فى بعض أيّامه.

وِلاية إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن الأَغْلَب

وصِفَةُ ولايته أنّ أبا الغَرانيق كان عهد لابنه أبى عِقال، واستحلف أخاه إبراهيم بن أحمد ألّا يُنازِعَه فى ملكه بخمسين * يَميناً. فلما مات أبو الغَرانيق، P. 11 أتى أهلُ القَيْرَوان الى إبراهيم بن أحمد، وهو إذذاك والٍ على القَيْرَوان. فقالوا له: «قُمْ، فادخل القصر، فأنت الأمير!» وكان إبراهيم قد أحسن السيرة فيهم. فقال لهم: «قد علمتم أنّ أخى قد عقد البيعة لابنه، واستحلفنى خمسين يَميناً ألّا أُنازِعَ وَلَدَهُ ولا أَدْخُلَ قصره.» فقالوا له: «تكون أميراً فى دارك بالقَصْر القديم، ولا تُنَازِعْ وَلَدَهُ! فنحن كارهون لولايته ومبايعون لك! وليس فى أعناقنا له بيعةٌ!» فركب من القَيْرَوان، ومعه أكثر أهلها، فحاربوا أهل القَصْر حتّى دخل إبراهيم داره، فبايَعَه مشايخ أهل إفريقية ووجوهُها، وبايَعَه جماعةُ بنى الأَغْلَب.

وفى سنة ٢٦٢، تُوفّى أبو زَيْد شَجَرة بن عيسى القاضى بتونُس، وكان من

خيار القُضاة، له مناقِبُ كثيرةٌ؛ وهو ابن تسع وتسعين سنة. وفيها أُسِّسَتْ قلعةُ مدينة تَنَس، أَسَّسها البحريُّون من أهل الأندلُس.

وفى سنة ٢٦٣، ابتدأ إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب ببناء مدينة رَقَّادة.

وفى سنة ٢٦٤، كمل بناء القصر المعروف بالفَتْح، وانتقل اليه إبراهيم ابن أحمد. وقَتَلَه للموالى بالقصْر القديم لأنّهم ثاروا عليه. وفيها فُتِحَتْ سِرَقُوسة يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خَلَتْ لرمضان؛ وقُتِل فيها أكثر من أربعة آلاف عِلْج؛ وأُصيب فيها من الغنائم ما لم يُصَبْ بمدينة من مدائن الشِّرْك؛ ولم يَنْجُ من رجالهم أحدٌ. وكان مُقامُ المسلمين بصِقِلِّيَة عليها الى أن فُتحت تسعةَ أشهر؛ وأقاموا بعد فتحها شهرَين؛ ثمّ تهدّمت. وفيها، قُتِل صاحبُ صِقِلِّيَة جعفر ابن محمّد. قتله غلمانُه مع الأغْلَب بن محمّد بن الأغْلَب، المُلقَّب بخُرْج الرُّعُونة، وأَبى عِقال الأغْلَب بن أحمد؛ وكانا محبوسَيْن عنده؛ فتولّى خُرْج * الرُّعُونة بَلَرم P. ١١١ وضبطها؛ فوثب أهلها عليه وعلى أبى عِقال ومن اتّصل بهما؛ فأخرجوهم من صِقِلِّيَة الى إفريقية. وولى الحسن بن رَبَاح[1] صِقِلِّيَة.

وفى سنة ٢٦٥، غزا صاحب صِقِلِّيَة الحسن بن رَبَاح[1] الصائفة الى طَرْمِين؛ ودارت بينه وبين مُشْركى صِقِلِّيَة حربٌ قُتِل[2] فيها من المسلمين؛ ثمّ كانت لهم الكَرَّة على المشركين؛ فهزموهم، وقتلوهم، وقتلوا بَطْرِيقَهم.

وفى سنة ٢٦٦، كان القَحْط العظيم والغلاء المُفْرِط بإفريقية. وفيها أغزى صاحبُ صِقِلِّيَة الرومَ؛ فالتقى فى البحر بمراكبهم، وهم فى نحو مائة وأربعين مركباً؛ فدارت بينهم حربٌ شديدةٌ حتّى أسلم المسلمون مراكِبَهم وأخَذَها الرومُ. وانصرف من كان فى تلك المَراكِب الى بَلَرم؛ فأقاموا بها شهوراً يبثّون السَّرَايا، ويغنمون أرض الروم المجاورين لهم.

وفى سنة ٢٦٧، ولى عبد الله بن أحمد بن طالب التميمىُّ القضاءَ، صارفاً لسليمان بن عِمْران عنه. وفيها ولى الحسن بن العبّاس[3] جزيرة صِقِلِّيَة. وفيها

1) A. رياح. 2) A. نبيل (? نيل). Voir *Corr.*, p. 16. 3) Manque dans B.

كانت فتنة وَلَد ابن طُولُون، حين أراد التغلُّب على إفريقية. وها أنا أَذْكُرُ قِصَّتِه الى أن هُزِم. وذلك أنّ العبّاس[1] بن أحمد بن طُولُون، وَلَدَ صاحب مِصْر، قدم فى هذه السنة فى ثمانمائة فارس وعشرة آلاف راجل من سُودان أبيه على خمسة آلاف جمل الى مدينة بَرْقة، فى ربيع الآخر، يُريد إفريقية، والتغلُّب عليها، وإخراج بنى الأَغْلَب عنها. وحمل مع نفسه من بيت مال مِصْر ثمانمائة حمل دنانير ذهباً؛ فأعطى أصحابه الأرزاق بها. وقيل إنّ مبلغ ما حمل من المال ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار. ومعه أبو عبد الله أحمد بن محمّد الكاتب مُكَبَّلاً، لأنّه أظهر الامتناع من الخروج معه؛ وكان *أشار عليه بأن يؤخّر التقدُّم الى إطْرابُلُس حتّى يُصانِع البربر؛ فقال: «أخشى أن تَقْدَمَ العساكرُ من الشأم قبل إحكام هذا الأمر» (يعنى عساكر أبيه، لأنّه كان ثائراً على أبيه) ويكون أيضاً فى ذلك فُسْحةٌ لإبراهيم بن أحمد، فيتمهّلَ فى الاستعداد. ولاكنّى أَمضى على فَوْرِى هذا؛ فآتِى لَبْدة وإطْرابُلُس فجأةً؛ ثمّ آخُذُ فى استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء والإفضال، وأَبعدُ من مِصْر؛ فلا يقوم لأحمد بن طُولُون (يعنى أباه) أَمَلٌ فى مُطالَبتى لبُعْدى عنه!» وخرج يريد لَبْدة؛ فاتّصل خَبَرُه بإبراهيم بن أحمد؛ فأخرج اليه أحمد بن قُرْهُب فى ألف وستّمائة فارس، خيلاً مُجرَّدةً لا رجل فيها، وأمره[2] بإعْداد[3] السَّيْر والسُّرَى بالليل، حتّى دخل إطْرابُلُس قبل وصول العبّاس بن أحمد بن طُولُون الى لَبْدة. ثمّ أحشد ابنُ قُرْهُب مَن أمكنه من جند إطْرابُلُس وبَرْبَرِها؛ ثمّ بادر الى لَبْدة، ودخلها. وأقبل العبّاس ابن طُولُون، وقد صُنع له ببَرْقة خمسة آلاف بَنْد؛ فجعل له على كلّ جمل راجلاً ببَنْده. وزحف بثمانمائة فارس وخمسة آلاف راجل. فالتقى به أحمد بن قُرْهُب على خمسة عشر ميلاً من لَبْدة، وقد تأخّرت الجمال بالرجّالة أصحاب البنود؛ فلم يكن بينهم إلّا مناوَشة يسيرة حتّى انهزم أحمد بن قُرْهُب، وهو يظنّ أنّ من

P. ١١٢

---

1) Manque dans B. 2) Manque dans A. 3) La correction de Dozy (*Corr.*, p. 16: بإغذاذ) paraît inutile, cette expression étant courante chez les chroniqueurs arabes occidentaux.

ناوَشَهُ القتال من أَصحاب ابن طُولُون كانوا مُقَدِّمةً للجيش. ووصل احمد بن قُرْهُب الى إطْرابُلُس منهزماً. وركب العبّاس بن طُولُون إثْرَه حتّى نزل إطْرابُلُس، ونصب عليها المَجانيق، وناصَبَهم الحرب. وأَقام محاصِراً لهم ثلاثة وأَربعين يوماً. فتعدّى بعضُ سودانه على بعض حُرَم البوادى، وهتكوا السِّتْر[1]؛ فاستغاث أَهل إطرابُلُس بأَبى منصور صاحِبِ نُفُوسة؛ فقام مُحْتَسِباً وناصِراً جيرانَه من المسلمين، وزحف فى اثنى عشر أَلفاً من رجال نُفُوسة الى العبّاس بن أَحمد بن* طُولُون؛ فناشبوه الحرب؛ فقال العبّاس لأَبى عبد الله الكاتب: «ما الرأىُ؟» فقال له: «ببَرْقة خَلَّفْتَهُ!» وأَلَحَّ أَهل نُفُوسة فى محاربة ابن طُولُون؛ فانهزم، وخرج الى بَرْقة بعد انتهاب أَهل إطْرابُلُس لجميع عسكره. ولم يتلبّس النُّفُوسيُّون منه بشىء، بل تورّعوا عنه. وكان إبراهيم بن أَحمد قد حشد الأَجناد، وضرب حلى نسائه دنانيرَ ودراهمَ، إذ لم يُبْقِ أَبو الغرانيق مالاً. ثمّ خرج بنفسه يريد إطْرابُلُس؛ فلقيه خبرُ هزيمة ابن طُولُون؛ فبحث ابن الأَغْلَب عن الأَموال، وأَخذها ممّن وُجدت عنده؛ فكان الرجل من أَهل العسكر يبيع مَثاقِيل ابن طُولُون سِرًّا بما أَمكنه، خوفاً أَن تُؤْخَذَ منه.

P. ١١٣

وفى سنة ٢٦٨، كان فَتْكُ إبراهيم بن الأَغْلَب بأَهل الزاب؛ فقتلهم وقتل أَطفالهم، وحُمِلوا على العَجَل الى الحُفَر؛ فأُلْقوا فيها. وفيها عُزِل صاحبُ صِقِلِّيَة الحسين بن العبّاس، ووليَها محمّد بن الفَضْل.

وفى سنة ٢٦٩، تُوفّى سليمان بن حَفْص الفَرّاء؛ وكان جَهْمِيًّا[2]. وكان يقول بخلْق القرآن؛ ودعا الناس اليه؛ فهمّوا بقتله.

وفى سنة ٢٧٠، تُوفّى سليمان بن عِمْران القاضى مفلوجاً. وتُوفّى حسين بن زيد بن علىّ. وتُوفّى أَبو حاتِم هشام بن حاتِم الفقيه؛ وكان مُجاب الدعوة.

وفى سنة ٢٧١، تُوفّى الحسين بن أَحمد صاحب صِقِلِّيَة. ووليها سَوَادة بن محمّد بن خَفاجة التميمىّ.

---

1) A. الحجب.   2) B. ذليلاً.

وفى سنة ٢٧٢، أغزى سَوَادة صاحبُ صِقِلِّيَة سراياه الى بلاد الروم، فغنمت وانصرفت. وفيها كانت وقائع بين المسلمين وبين بَطْرِيق جاء من القُسْطَنْطِينة، يُقال له نجفور، فى عسكر كبير، فدخل مدينة سبرينـة، وخرج منها المسلمون بأمان الى صِقِلِّيَة.

وفى سنة ٢٧٣، وثب أهل بَلَرم على سَوَادة بن محمّد صاحب صِقِلِّيَة وعلى أخيه وبعض رجاله، فوجّهوهم * مقيّدين الى إفريقية. واجتمع أهل البلد على أبى العبّاس بن علىّ، فولّوه على أنفسهم. P. ١١٤

وفى سنة ٢٧٤، كان وصول أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب المعروف بحَبَشِىّ. وفيها تُوفّى أحمد بن حُدَيْر بإفريقية، وله سَماعٌ من سَحْنون[1].

وفى سنة ٢٧٥، كانت لأهل صِقِلِّيَة على المشركين صَوْلة، فقُتل فيها من المشركين أكثر من سبعة آلاف، وغرق نحوٌ من خمسة آلاف، حتّى أخلى الرومُ كثيراً من المدن والحصون التى تُجاوِر المسلمين. ووصلت سرايا المسلمين الى الأرض الكبيرة، فسَبَتْ وانصرفت.

وكانت بإفريقية هيجةٌ تُعرف بثَوْرة الدراهم[2].

ثورة الدَّرَاهِم على إبراهيم بن أحمد

وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد ضربَ الدراهم الصِّحاح، وقطع ما كان يُتعامَل به من القِطَع. فأنكرت ذلك العامّة، وغلقوا الحوانيت، وتألّفوا، وصاروا الى رقّادة، وصاحوا على إبراهيم، فحبسهم فى الجامع. واتّصل ذلك بأهل القيْرَوان، فخرجوا الى الباب، وأظهروا المدافعة[3]. فوجّه اليهم إبراهيم بن أحمد وزيرَه أبا عبد الله بن أبى إسحاق، فرموه بالحجارة وسبّوه. فانصرف الى السلطان إبراهيم بن أحمد، فأعلمه بذلك. فركبَ إبراهيم الى القيْرَوان، ومعه حاجِبُه نَصْر بن

1) Cet alinéa manque dans B. 2) Cette phrase manque dans B.

3) B. الموافقة.

الصِّمْصامة فى جماعة من الجند، فناصبَه أهلُ القَيْرَوان القتال. فتقدّم إبراهيم ابن أحمد الى المصلّى، فنزل، وجلس، وكفّ أصحابه عن قتالهم. فلما اطمأنّ به مَجْلِسُه، وهدأ الناسُ، خرج اليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مُغيث، فكان بينهما كلامٌ[1] كثيرٌ. ودخل أبو عبد الله بن أبى إسحاق الوزير مدينةَ القَيْرَوان مع أحمد بن مُغيث، فشقّ سِماطَها وسكّن أهْلَها. فرجع إبراهيم بن أحمد الى رقّادة، وأطلق المحبوسين بالجامع. وانقطعت النُّقُود والقِطَع من إفريقية الى اليوم، * وضرب إبراهيم بن أحمد دنانيرَ ودراهمَ سمّاها العاشِرِيّة، فى كلّ دينار منها عشرة دراهم.

P. ١١٥

وفيها، عزل عبدَ الله بن أحمد بن طالب بن سُفْيان عن قضاء إفريقية وحَبَسَه، ثمّ أرسل اليه بطعام مسموم، أكَلَهُ فى الحبس، فمات من فوره فى رجب. واستقضى إبراهيمُ بن أحمد محمّدَ بن عَبْدُون بن أبى ثَوْر، وكان جدُّه طحّاناً، وكان يكتب اسْمَه: محمّد بن عبد الله الرُّعَيْنىّ.

وفى سنة ٢٧٦، كان الجهاد بصِقِلّيّة فى غزوة سَوَادة بن محمّد الى طَرْمين، فحاصرها. وفيها حبس إبراهيم بن أحمد كاتِبَه محمّد بن حَيُّون المعروف بابن البريدىّ[2]، فكتب اليه من السجن [بسيط]:

هَبْنِى أَسَأْتُ فَأَيْنَ العَفْوُ[3] والكَرَمُ
إذْ قادَنِى نَحْوَكَ الإذْعانُ والنَّدَمُ
يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ الأَيْدِى اليه أَمَا
تَرْثِى [4] لِصَبٍّ نَهَاه[4] عندك القَلَمُ
بالَغْتَ فى السخْط[5] فاصْفَحْ صَفْحَ مقتدرٍ[6]
إنّ المُلُوكَ إذا ما استُرْحِموا رَحِموا

1) A. قتال (*sic*): cf. *Corr.*, p. 16. 2) B. الفريدى. 3) A. الفضل.
4—4) A. لمن قد نعاه. 5) Leçon d'Ibn al-Abbar (*Notices*, p. 146, n. 4). A. et B. الخط. Voir *Corr.*, p. 16. 6) B. مقدرة.

قال: فلما قرأ إبراهيم بن أحمد أبياته، قال: «يكتب الىّ: «هبْنى أسأتَ!» وهو قد أساء! أمّا إنّه لو قال [وافر]:

ونحْنُ الكاتِبُونَ وقَدْ أسَأْنا فَهَبْنَا لِلكرامِ الكاتِبِينا

لعفَوْتُ عنه!» ثمّ أمر – قبّحه الله! – بِه، فجُعل فى تابوت حتّى مات – رحمه الله تعالى!

وفى سنة ٢٧٧، قتل إبراهيم بن أحمد حاجِبَه نَصْر بن الصَّمْصامة بِان ضربه خمسمائة سوط، فلم ينطِقْ بكلمة، ولا تحرّك من موضعه، ثمّ أمر بضرب عنقه. فقال لمن حَوْلَه: «لا تظنّوا أنّى أجزع من الموت!» ووعدهم أنّه يفتح يده ويغلقها ثلاث مرّات بعد ضرب عنقه. ففعل. فأُخبر إبراهيم بذلك، فتعجّب، وأمر بشقّ بطنه شقًّا لطيفاً، ويؤتى اليه بقلبه. فنظر منه الى منظر عجيب، وذلك أنّه كان فائتاً[1] فى كبده، ووُجِدت فيه شَعَرات نابتةٌ فى أكثر * أجزائه.

P. ١١٦

وفى سنة ٢٧٨، كانت ولايةُ أبى العبّاس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب للمَظالِم، وولايةُ محمّد بن النَضْل صِقِلّيَة، وعَرَضُ ديوانِ الخراج على سَوادة النصرانىّ على أن يسلِم، فقال: «ما كنتُ لِأَدَعَ دينى على رياسة أنالُها!» فقُطِع بنصفَيْن وصُلِبَ.

وفى سنة ٢٧٩، كانت ولاية محمّد بن الفَضْل صِقِلّيَة. ودخل حضرة بَلَرم لليلتَيْن خَلَتا من صفر.

وفيها، قَتَل إبراهيم بن أحمد من أهل إفريقية مَنْ قَتَل بَطَراً[2] وشهوةً. فمَن قُتِل فى هذه السنة: إسحاق بن عِمْران المُتَطَبِّب المعروف بِسَمّ ساعة، قتله وصلبه، ومنهم حاجِبُه فَتْح، ضربه بالسياط حتّى مات. وقتل فيها جميعَ فتيانه، وسَبَبُ ذلك أنّه كان كثير الإصغاء الى قول المُنَجّمين والكَهَنَة، وكانوا قالوا له إنّه يقتله رجلٌ ناقِصُ العقل، وإنّه يُمْكِن أن يكون فتًى، فكان إبراهيم، إذا

1) Leçon fournie par B. — A.: فاتنا.

2) Manque dans A.

رأى أحداً من فتيانه، فيه حَرَكَةٌ ونشاطٌ وحِدَّةٌ، يتقلّد سيفاً، قال: «هذا هو صاحبي!» فيقتله. فلما قتل منهم جماعةً، وقع بقلبه أنّه قد استفسد [1] اليهم؛ فضمّه الحَذَرُ منهم الى قتل جميعهم؛ فقتلهم فى هذا العام، واستخدم عِوَضاً عنهم السودان. ثمّ عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصَّقالِبة: فقتل السودان أجمعين.

وفى سنة ٢٨٠، كان الإيقاع برجال بَلَزْمة؛ وقِصّتهم أنّ إبراهيم بن أحمد ابن الأغْلَب كان قد حارَبهم واستَقْدَم منهم الى مدينة رَقّادة نَحْواً من سبعمائة رجل من أبطالهم؛ فأنزلهم، ووسّع عليهم، وبنى لهم داراً كبيرة تشتمل على دُور ترجع الى باب واحد، وأسكنهم فيها. فلما سكنوا واطْمأَنّوا، جمع ثِقات رجاله لأخْذِ أرزاقهم؛ ثمّ أمرهم بمصابحة ابنه عبد الله لِمَا أمره به. فلما اجتمعوا اليه، ركب الى دار البَلَزْميّين فى الجند؛ فقتلهم عن آخرهم، بعد أن دافعوا عن أنفسهم الى * وقت العصر. وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بنى الأغْلَب، إذ كان P. ١١٧ أهلُ بَلَزْمة فى نحو ألف رجل من أبناء العَرَب والجُنْدِ الداخلين الى إفريقية عند افتتاحها وبعده؛ وكان أكْثَرُهم من قَيْس، وكانوا يُذِلّون كُتامة. فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كُتامة، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعىّ على بنى الأغْلَب.

وفيها، كان تمنُّع البلاد ومخالَفتها على السلطان إبراهيم بن أحمد، وانتزاء من انتزى عليه. وذلك أنّ أهلُ تُونُس والجزيرة والأُرْبُس وباجة وقَمُودة خالفوا عليه وقدّموا على أنفسهم رجالاً من الجند وغيرهم، لأنّ السلطان إبراهيم بن الأغْلَب أخذ عبيدَهم وخيلَهم، وجار عليهم؛ فصارت إفريقية عليه ناراً مُوقَدةً، ولم يَبْقَ بيده من أعمالها الا الساحِل والشَّرْق الى إطْرابُلُس. فحفر حفيراً حوالَىْ رَقّادة، ونصب عليه أبواب حديد، وجمع الى نفسه ثِقاته، وقرّب السودان من قصره؛ وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسْوَد.

وفيها، كانت وقائعُ انجلت عن فتح تُونُس عنوةً، وذلك أنّ أهل قَمُودة تحرّكوا لقتال إبراهيم بن الأغْلَب؛ فأخرج اليهم مَيْموناً الحَبَشىّ. فقاتلهم حتّى

---

1) Manque dans B.

انهزموا، وقتل جماعةً منهم؛ ثمّ فعل ذلك أهلُ تونُس؛ فهزمهم ميمون أيضاً، وهزم أهل الجزيرة وصَطْفُورة، وقتل منهم كثيراً، حتّى سِيقَ القَتْلَى فى العَجَل الى القَيْرَوان. ثمّ دُخِلت تُونُس بالسيف، لعشر بَقِين من ذى الحجّة؛ فانتهبت الأموال، وسُبِيَت الذُّرِّيّة، واسْتُحِلّت الفُروج. وممّا كان بإفريقية فى هذا العام، دخولُ أبى عبد الله، داعية الشيعة، [1]إفريقية، ونزوله بكُتامة منها[1]. فلنذكُرْ الآن مبتدأ أمره مختصراً، الى أن استقلّ بالمُلْك. [2]ثمّ نرجع الى ما كُنّا بصَدَده[2].

ابتداء الدولة العُبَيْديّة الشيعيّة

قال الوَرّاق: لم تزل الشيعة مُنْذُ مات علىّ بن أبى طالب — رضه — * تدعو الى إمام معصوم، يقوم بالحقّ، على زعمهم؛ فتُرْسِلُ دُعاةً الى سائر النواحى، فلا ينجح لهم سَعْىٌ. ثمّ تفاوَضوا وتراسَلوا على أن يُرسلوا داعياً الى المغرب، يدعو الناس الى التديُّن بحبّ أهل البيت؛ وتكاتَبوا بذلك من سائر الآفاق. فاختاروا منهم رجلاً ذا فَهْم، وفصاحة، وجدال، ومعرفة، يُسمَّى أبا عبد الله الصَّنْعانىّ، وجمعوا له مالاً يتقوّى به على سفره. فسار أبو عبد الله هذا الى مَوْسِم الحجّ ليجتمع به مع من يحجُّ تلك السنة من أهل المغرب، ويذوق أخلاقهم، ويطّلِع على مذاهبهم، ويتحيّل على نَيْل المُلْك بضعيف[3] الحِيَل. [4]فسبحان مُقَدِّر المقدور، ومحكم الأمور كيف يشاء! لا إلهَ إلّا هو![4] فلما وصل للمَوْسِم، لا للحجّ، لأنّ الحجّ ليس من مذهبهم الفاسد، بل تكلّف حضورَه ليتسبّب فى مُراده؛ فرأى فى المَوْسِم قوماً من أهل المغرب؛ فلصق بهم وخالطهم. وكانوا نحو عشرة رجال من قبيل كُتامة، مُلْتَفّين على شيخ منهم. فسألهم عن بلادهم؛ فأخبروه بصفتها؛ وسألهم عن مذهبهم؛ فصدّقوه عنه. فتكلّم أبو عبد الله الداعى فى المذهب؛ فوجد الشيخ يميل فى مذهبه الى مذهب الأباضيّة النكّارة؛ فدخل

P. ١١٨ *

1—1) Manque dans A. 2—2) Manque dans A. 3) A. بضعيب.

4—4) Manque dans B.

عليه من هذه النُّشَّمة . ولم يزل يستدرجهم ويَخلُبهم بما أُوتِيَ من فضل اللسان والعلم بالجَدَل ، الى أن سبهم عقولَهم بسحر بيانه . فلما حان رجوعُهم الى بلادهم ، سألوه عن أمره وشأنه ، فقال لهم : « أنا رجلٌ من أهل العراق ، وكنتُ أَخْدُم السلطان ، ثمّ رأيتُ أنّ خِدْمته ليست من أفعال البرّ ، فتركتُها وصرتُ أطلب المعيشة من المال الحلال ، فلم أرَ لذلك وجهاً إلاّ تعليم القرآن للصبيان ، فسألتُ أين يتأتّى ذلك تأتياً حسناً ، فذُكر لى بلاد مِصْر . » فقالوا له : « ونحن سائرون الى مِصْر . وهى * طريقُنا . فكُنْ فى صُحْبتنا اليها ! » ورغبوا منه فى ذلك . ١١٩ فصحبهم فى الطريق . فكان يُحدّثهم ، ويميل بهم الى مذهبه ، ويلقى اليهم الشئَ بعد الشئ ، الى أن أُشربت قلوبهم محبّتَه ، فرغبوا منه أن يسير الى بلادهم ليعلّم صبيانهم . فاعتذر لهم ببعد الشقّة ، وقال : « إن وجدتُ بمصر حاجتى ، أقمْتُ بها ، وإلاّ فربّما أصحبكم الى القَيْرَوان . » فلما وصلوا مِصْر . غاب عنهم كأنّه يطلب بغيتَه . ثمّ اجتمعوا به وسألوه ، فقال لهم : « لم أجِدْ بهذه البلاد ما أريد . » فرغبوه أن يصحبهم ، فأنعم لهم بذلك . فكانوا فى صحبته الى أن وصلوا القَيْرَوان ، فراودوه على أن يصل معهم الى بلادهم ، وضمنوا له ما أراد من تعليم الصبيان . فقال لهم : « لا بدّ لى من المقام بالقَيْرَوان ، حتّى أطْلُبَ فيها حاجتى . فإن اتّفق لى فيها غَرَضِى . وإلاّ نهضتُ اليكم . » وكان شيخُهم أحْرَصَهم عليه وأكْرَمَهم له ، فوصف له منزله وموضعه من قبيلة كُتامة ، فأقام بالقَيْرَوان يتعرّف أخبار القبائل حتّى صحّ عنده أن ليس فى قبائل إفريقية أكْثَرُ عدداً ، ولا أشدُّ شوكةً ، ولا أصْعَبُ مراماً على السلطان ، من كُتامة .

فلما تقرّر ذلك عنده ، نهض نحو صاحبه الشيخ الكُتامىّ ، فاشترى بَغْلةً شَهْباء ، ودخل الطريق مع الرفْقة حتّى قرب من موضع الشيخ صاحبه ، فعدل اليه[1] . ومرّ فى الطريق بأنْدَرٍ ، والبقر فيه تدرس الزرع ، [2]ورجلٌ كَهْلٌ من أهل كُتامة[2] جالسٌ فيه مع ابنه ، فقرب منهما ، وسلّم عليهما . فقاما اليه ، ورحّبا به ، ورغبا منه فى النزول

1) A. عن الطريق.   2—2) A. كهل من كتامة.

عدهما؛ فأجابهما الى ذلك؛ فأنزلوه وأكرموه. فقال الداعى للرجل: «ما اسم ولدك هذا؟» قال: «تَمَّام.» قال: «وما اسمُك انت؟» قال: «مُعارك.» فقال فى نفسه: «تمّ أمْرُنا إن شاء الله، لاكن بعد معَارك!» ثمّ أراد الداعى الانصراف؛ فصرفوه مع امرأة تَدُلّه على الطريق، لأنّ الحرب كانت بينهم وبين بنى عمّهم. فسار حتّى نزل * فى منزل من منازل كُتامة. فأتى المسجد، وفيه مُعَلِّمٌ يُعَلِّم الصبيان. فقام اليه المعلّم، وسلّم عليه، وهو راكبٌ على بغلته الشهباء [1]؛ فجعل المعلّم يُطيل النظر اليه؛ فاستراب لذلك أبو عبد الله، ونزل عن الدابّة، ودخل المسجد. ثمّ دعا المعلّمَ؛ فقال له: «لقد رأيتك تنظر الىّ كثيراً وإلى البغلة.» فقال له: «ذاك لسَبَبٍ أنا أقولُه لك، وذلك أنّه كان فيما تقدّم رجلٌ من كُتامة كاهنٌ، يُقال له فَيْلَق؛ وكان، إذا رأى تَفانُتَهم، يقول لهم: إنّما ترون الحرب إذا جاءكم الرجلُ الشرقىُّ صاحبُ البغلة الشهباء. فلما رأيتُك، تذكّرتُ قولَه.» فلما وقر ذلك فى سمعه، استبشر. وكان ذلك و[2] الذى قبله من[2] الفأل تقويةً له على أمره، [3] وزيادةَ إقدام، لولا هو، لم يقدر أن يتجاسر على شىء منه. فسبحان مُسَبِّب الأسباب [3]!

P. ١٢٠

فسار أبو عبد الله الداعى حتّى وافى منزل الشيخ صاحبه الكُتامىّ؛ فقصد الى المسجد [4]، ونزل به، وفيه مُعَلِّمٌ يعلِّم الصبيان، وعنده أبناء الشيخ صاحبه. فلما حان وقت الظهر، أذّن المُعلّم؛ فسمع الشيخ الأذان، فخرج الى المسجد [4]؛ فرأى أبا عبد الله؛ فسلّم عليه، وعانقه. فلما أراد المُعلّم الدخول المحراب، أخّره عنه الشيخ، وقدّم أبا عبد الله الداعى. فلما انقضت الصلاة، قام معه الى منزله، وبالغ فى إكرامه، وتحدّث معه الى أن حانت صلاة العصر؛ فخرج معه للصلاة. فاستراب معلّم الصبيان بذلك؛ فترك ذلك المسجد والتعليم فيه، وانصرف. وصار أبو عبد الله فى ذلك المسجد يُصلّى ويُعلّم الصبيان. واجتهد

---

1) A. بغلة شهباء. 2—2) Manque dans B. 3—3) B. donne simplement: ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. 4—4) Omis dans B.

فى تعليم الأولاد؛ فجمعوا له أربعين ديناراً، وزاد عليها الشيخ، وأتى بها الى أبى عبد الله؛ فدفعها له، واعتذر له من ذلك. فتركها أبو عبد الله أمامه، وردّ يده الى كيس كان معه، وصبّ منه خمسمائة دينار أمام الشيخ، وقال له: «لستُ بمعلّم الصبيان! إنّما الأمر ما أخبرك به! فأسمع! إنّما *نحن أنصارُ ١٢١. أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كُتامة! إنّكم أنصارُنا، والمقيمون لدولتنا؛ وإنّ الله يُظهِر بكم دينَه، ويُعِزّ بكم أهل البيت! وإنّه سيكون إمامٌ منهم انتم أنصارُه، والباذلون مُهْجَتَهم دُونَـه؛ وإنّ الله يستفتح بكم الدنيا كلّها، ويكون لكم أجْرُكم مُضاعَفاً: فيجتمع لكم خيرُ الدنيا والآخرة!» فقال لـه الشيخ: «انا أرْغَبُ فيما رغبتَنى فيه، وأبْذُلُ فيه مُهْجَتى ومالى، أنا ومن اتّبعنى؛ وأنا أطْوَعُ اليك من يدك: فَمُرْ بما شئْتَ، أمْتَثِلْه!» فقال له: «ادْعُ الخاصّة من بنى عمّك، الأقْرَب فالأقْرَب!» فقال: «نعم!» فنظر الشيخ فيما قالَهُ، وبثّ دعوته فى أقاربه ومن يختصُّ به.

وجاء شهر رمضان. فقال أبو عبد الله للشيخ: «إنّ رمضان قـد جاء؛ ومَذْهَبُنا أنّه لا تُصَلّى التّراويحُ، لأنّها ليستْ من سُنّة النبىّ — صلعم — وإنّما سَنّها عُمَر — رضه — ونحن نُطَوّل[1] القراءة فى صلاة العشاء الأخيرة، ونقرأ بالسُّوَر الطِّوال، فيكون ذلك عِوَضاً عن التّراويح.» فقال له الشيخ: «أنا طائعٌ لك. فأفعلُ ما تُريده!» وبلغ خبرُ هذه الصلاة ولُمَعٌ من أخبار هذا الداعى الى بعض من اتّصل بمنزل الشيخ وبأخيه. فسار أخو الشيخ اليه، وقال له: «ما لك ولهذا المشرقىّ الذى أفسد دينك، وغيّر مذهبك؟» فلما فرغ من كلامه، قال له الشيخ: «انا أدعوك للأمر الذى دخلتُ فيه؛ فإمّا أن تتقلّد ما تقلّدتُه، وإمّا أن لا تلقانى بذمّ مَنْ قد بَلَوْتُ خيْرَه وفَضْلَه ودينَه!» فانصرف عنه أخوه مُغْضِباً. وانفرد الشيخ مع سائر الجماعة؛ فوصف لهم أبا عبد الله بكلّ فضيلة، حتّى تمكّنت محبّتُه فى قلوبهم.[2] ثمّ أخرجه اليهم[2]، وقال له: «كلّمْهم! يا أبا عبد

---

1) A. وأنا أطول. 2—2) Manque dans A., qui ajoute: وقد تقرّر تعظيمه فى نفوسهم.

الله!» فكلّمهم بلسانه، وقال لهم: «انتم أنصارُ أهل البيت وشيعتُه!» حتّى خلب عُقولهم بحلاوة لفظه. فلم يبرحوا حتّى دخلوا فى دعوته.

P. ١٢٢ ثمّ * إنّ أخا الشيخ توجّه اليه، يفخرُ عليه بمعلّم أولاده، ويدّعى أنّه أعْلَم من أبى عبد الله، ويطلب مُناظرتهما. فتواعدوا لذلك. ولما حان الوعد، جاء أخو الشيخ بمعلّمه وأبنائه؛ وبلغ أخاه مجيئُه؛ فأتى بجماعة من بنى عمّه ممّن دخل فى مذهبه، وقال لهم: «إذا نحن اجتمعنا. اضْرِبوا انتم على قِبْطُون أخى كأنّكم من أعدائه!» وأمر جماعةً أُخرى؛ فكمنت له فى طريقه. فبينما أخو الشيخ مع مُعلّمه وأولاده، إذ صرخت صارخةٌ من نحو قِبْطونه؛ فأسرع بركض الى ناحيته؛ فخرج عليه الكمين؛ فخبطوه بأسيافهم، وتركوه عقيراً. وبلغ الشيخ خبر قتل أخيه. فبادر كأنّه لا علم عنده من ذلك؛ وجاءه بنو عمّه يُعزّونه فى أخيه؛ فذُبحت البقر. وصنَع طعاماً لبنى عمّه، ونعى لهم أخاه، [1]واحتال على قوم من بنى عمّــه[1]، وأخــذ عليهم العهود والمواثيق بطاعة الداعى. فاجتمع لــه منهم خلقٌ كثيرٌ.

وأقام هذا الشيخ فى حرب مع قومه وبنى عمّه مدّةً من سبعة أعوام، الى أن وافاه أجَلُه. فلمّا حضرَتْه الوفاة، جمع بنى عمّه وقرابته، وقال لهم: «أُوصِيكم بهذا الرجل ألاّ تختلفوا عليه!» وأوصى أبا عبد الله على أولاده، وقضى نحبه. فالتزمت كُتامة الطاعة لأبى عبد الله، ودخلت قبائل كثيرة فى دعوته. فصيّر لهم ديواناً، وألزمهم العَسْكَرِيّةَ، وقال لهم: «أنا لا أدعوكم لنفسى، وإنّما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت، الذى صِفَتُه كذا وكذا.» ووصف لهم من كراماته ما تُنْكِره العقولُ. فكانت تَصِحّ عندهم؛ ويقول لهم: «هو صاحبُ هذا الأمر، وأنا مُتصرّفٌ بين يديه إذا ظهر!» يعنى عُبَيْد الله. ولم يكن رآه قطّ. وإنّما يسمع أخباره من شيوخ[2] الشيعة. وكان يعتقد ذلك اعتقاداً

1—1) Manque dans B. 2) B. ملوك.

صحيحاً، لا مِرْيَةَ فيه، الى أن صفا له أمرُ البربر، فنازل * الحواضرَ، وهزم ١٢٢ مَلِكَ إفريقية، وانتزعها من يديه.

وفى سنة ٢٨١، أمر إبراهيم بن الأغْلَب صاحبُ إفريقية مَيْموناً الحَبَشىَّ[1] أن يسير الى تونُس، فيقتل بها جماعةً من بنى تميم وغيرهم؛ فقتلوا وصُلِبوا على بابها. فوفد أكابرُ أهل تونُس مع مَيْمون الحَبَشىّ[1]، فكسا السلطان ميموناً الخزَّ والوشى والديباج، وطوّقه بالذهَب، وحمله على فرس، وصرَفه الى تونُس من غده. وفيها خرج السلطان إبراهيم بن الأغْلَب الى تونُس، لثمان خلون من رجب؛ فاستوطنها.

وفى سنة ٢٨٢، انعقد الصُّلْحُ بين أهل صِقِلّيّة والروم لأربعين شهراً، على إخراج ألف أسير من المسلمين، وعلى أن تكون عندهم رَهائن الإسلام فى كلّ ثلاثة أشْهر ثلاثة[2] من العرب وثلاثة من البربر. وفيها قدّم إبراهيم بن الأغْلَب بنيه على بلاد إفريقية.

وفى سنة ٢٨٣، رجع إبراهيم بن أحمد من تونُس الى رَقّادة. وخرج أبو منصور أحمد بن إبراهيم الى إطْرابُلُس. وخرج أبو بَحْر بن أدْهَم الى مِصْر. وفيها كانت وقعة نُفُوسة؛ وذلك أنّ إبراهيم بن أحمد اعترضَتْه نُفُوسة بين قابِس وإطْرابُلُس، ومنعَتْه الجواز؛ وكانوا فى زهاء عشرين ألف رجل، لا فارس معهم. فناصبهم الحرب، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتّى هزموهم، وقتلوا أكثرهم. ثم تمادى الى مدينة إطْرابُلُس؛ فقتلوا بها أبا العبّاس محمّد بن زيادة الله بن الأغْلَب، وكان أديباً ظريفاً، له تواليف؛ وسببُ قتله أنّ المُعْتَضِد بالله العبّاسىّ كتب الى إبراهيم بن أحمد يُعَنِّفُه على جوره وسوء فعله بأهل تونُس، ويقول له: «إن انتهيْت عن أخلاقك هذه، وإلاّ، فَسَلِّم العَمَلَ الذى بيدك لابن عمّك محمّد بن زيادة الله!» ثمّ نهض من إطرابُلُس الى تاوَرْغا: فقتل بها خمسة عشر رجلاً، وأمر بطَبْخ رُؤُوسهم، مُظْهِراً أنّه يُريد أكلها، هو ومن معه من

1—1) A. الحشى. 2) Manque dans A.

رجاله؛ فارتاع أهلُ العسكر منه، وقالوا: «قد خُولِطَ!» فانفَضَّ الناسُ عنه
فلما رأى ذلك، * خشى أن يبقى وحده. فرجع الى تونُس؛ فجعل عقوبة من P. ١٢٤
انفضّ عنه غُرْمَ ثلاثين ديناراً؛ فسُمِّى غُرْمَ الهاربين.

وفى سنة ٢٨٤، كانت وقعةٌ بنُفوسة لأبى العبّاس بن إبراهيم؛ فقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وأسر منهم نحو ثلاثمائة. فلما وصل بهم الى والده إبراهيم بن أحمد، دعا بهم. فقُرِّبَ اليه شيخٌ منهم؛ فقال له إبراهيم: «أتعرف علىَّ بن أبى طالب؟» فقال له: «لعنك الله! يا إبراهيم، على ظلمك وقتلك!» فذبحه إبراهيم، وشقَّ عن قلبه، وأخرجه بيده، وأمر أن يُفعَلَ ببقيّة الأُسارى كذلك، حتّى أُتى على آخرهم، ونُظِّمَتْ قلوبهم فى حبال، ونُصِبَتْ على باب تونُس

قصّة ابن الأَغْلَب مع الشيخ الصالح أبى الأَحْوَص

وذلك أنّ أبا الأَحْوَص أحمد بن عبد الله المكفوف [1] المتعبِّد، من أهل سُوسة، كان زاهداً وَرِعاً. فلمّا أكثر إبراهيم بن أحمد الجور والقتل، دعا برجل من أهل سوسة، وأملى عليه رسالة الى إبراهيم، كان فى فَصْل منها: «يا فاسِق! يا جائر! يا خائن! قد حِدتَّ عن شرائع الإسلام! وعن قريب تُعاين مَقْعَدَك من جهنّم، وستَرِد، فتَعْلَم!» وبعث به اليه. فلما قرأه، غضب وبعث الى أبى الأحوص من قال له: «عذَرْناك لفضلك ودينك! ولاكن ابعثْ الىّ الذى كتب الكتاب. وبالله لَئِن لم تفعل، لأَقْتُلَنّ فيه من أهل سوسة كذا وكذا، ويكون إِثْمُ ذلك فى عُنُقك!» فقال أبو الأحوص للرسول: «قُلْ له: لَئن قتلتَ ألفاً، لا يكون إثمهم إلاّ عليك! ولو عَمِلْتَ ما عَمِلْتَ، ما أعلمتُك بالرجل. فَتُبْ الى خالِقك، وارجع عن جورك!» فأمسكه الله عنه [2]، ومات أبو الأَحْوَص فى هذه السنة.

وفى سنة ٢٨٥، كانت فتنةٌ بصِقِلِّيّة، بين عَرَبِها وبَرْبَرِها؛ وفى خلال ذلك،

1) A. المكفوفى Manque dans B. 2) A فا مسك عنه

وردت كُتُب ابن ٱلأَغْلَب يدعوهم الى الرجوع للطاعة، وبؤمّنهم أجمعين، حاشى أبا الحسن * بن يزيد وولدَيه والحَضْرَمىّ؛ فتقبّض عليهم، وبعث بهم الى ابن P. ١٢٥ الأَغْلَب. فأمّا أبو الحسن، فإنّه تناول سُمًّا، فمات من ساعته. وصُلبت جثّته. وقُتل وَلَداه. وجعل إبراهيم من يُضاحِك الحَضْرَمىّ ويُهازِله؛ فقال له: «ليس هذا وَقْتَ هَزْلٍ!» وأمر به؛ فقُتل بالمَقارِع بين يديه

وفى سنة ٢٨٦، سخط إبراهيم بن الأَغْلَب على جماعة من فتيانه وقتلهم. وفيها، كانت وقعةٌ بين أبى العبّاس بن إبراهيم بن أحمد بن الأَغْلَب وبين بنى بَلْطِايط ببِسْكرة؛ ففرّق جموعهم، وقتل عدداً كثيراً منهم، وأصلح ما كان التاث هنالك.

وفى سنة ٢٨٧، كانت بصِقِلّيّة مَلْحَمةٌ كبيرةٌ: وذلك أنّ أبا العبّاس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد أخرجه أبوه بالأُسطول مُصْلِحاً لها؛ فأسرع الى بَلَرْم يُومِّن أهْلَها. فأتاه قاضيها فى جماعةٍ من أهلها؛ فحبسهم عند نفسه وصرف القاضى. ثمّ وجّه اليهم ثمانية مشائخ من أهل إفريقية؛ فحبسوهم مكافاةً لفعله فى مشائخهم. ثمّ زحفوا اليه وحاربوه؛ فانهزموا. وقُتل منهم عددٌ كثيرٌ ودُقّت لهم سُفُنٌ. وتمادت هزيمتهم الى بَلَرْم. ثمّ زحف اليهم، فحاربهم على باب بَلَرْم، وقتل منهم عدداً كثيراً؛ وطلبوه بالأمان؛ فأمّنهم. ودخلها لعشرٍ بقينَ من رمضان من السنة.

وفى سنة ٢٨٨، أخرج إبراهيم بن أحمد ولده أبا عبد الله فى جيش كثير الى الزاب. وفيها، أغزى أبو العبّاس صاحبُ صِقِلّيّة؛ فدخل مدينة ريُه[1] عنوةً، وغنم فيها غنائمَ كثيرةً؛ واستأمنت اله حصونٌ، وأعطوه الجزية.

وفى سنة ٢٨٩، أظهر صاحبُ إفريقية إبراهيم بن أحمد التوبة لمّا استقام أمرُ أبى عبد الله الداعى بكُتامة. فأراد إبراهيم بن أحمد أن يُرْضِىَ العامّةَ، ويستميلَ قلوب الخاصّة بفعلـه؛ فردّ المَظالِم، وأسقط القَبالات، وأخـذ العُشْرَ طعاماً؛ وترك لأهل الضياع * خَرَاجَ سَنَـةٍ، وسمّاها سنـة العَدْل؛ ١٢٦

1) A. et B. زلّة. Correction proposée par Amari et suivie par Dozy (Reggio).

وأعتق [1] مماليكه، وأعطى فقهاء القَيْرَوان ووجوهَ أهلها أموالاً عظيمةً ليُفَرِّقوها فى الضعفاء والمساكين؛ فاسْتُوْكِلَتْ وأُعْطِيَتْ من لا يستحقّها، وأُنْفِقَتْ فى اللذّات. وصُرِفَتْ فى الشّهَوات. وقدِم ولدُه أبو العبّاس من صِقِلّيّة مُسْتَدْعًى؛ فأسلم اليه أبوه المُلْكَ؛ فولّى أبو العبّاس على الكُوَر من أحبّ.

ومن أخبار إبراهيم بن أحمد على الجُمْلة ووَفاته

كان مولدُه يوم الأضحى سنة ٢٣٧ [2]. وتوفّى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة المؤرّخة بأرض الروم، وسِيقَ ميّتاً الى جزيرة صِقِلّيّة؛ فدُفن بها بعد ثلاثة وأربعين يوماً من موته. وكان عُمُره اثنين وخمسين [3] سنة، ومدّةُ ولايته ثمانية وعشرين سنة وستّة أشهر واثنى عشرة يوماً. وأقام فى أوّل ولايته سبعة [4] أعوام على ما كان عليه أسلافُه من حُسْن السيرة وحَميد الأفعال. ثمّ تغيّرت أحواله، وأخذ فى جمع الأموال. ثمّ صار فى كلّ سنة يزداد تغيّراً وسوءَ حالٍ. ثمّ اشتدّ نكادُه [5]؛ فأخذ فى قتل أصحابه وحُجّابه، حتّى أنّه قتل ابنه المُكَنّى بأبى الأغْلَب، وقتل بناته وأتى بأمور لم يأتِ بها أحدٌ غيره. وكان كثير الملل، شديد الحسد. وكانت لـه فى بدء أمره سيرةٌ حسنةٌ، وأفعالٌ محمودةٌ؛ ثمّ غلب عليه خِلْطٌ سَوْداوىٌّ؛ فتغيّر، وساءت أخلاقُه كما ذكرنا. فقيل إنّه افتقد منديلاً صغيراً، كان يمسح به فمه، وكان سقط من يد بعض جواريه؛ فأصابه خادمٌ له، فقُتل بسببه ثلاثمائة خادم. وكان سبب قتله لولده ظنٌّ منه به؛ فضُربت رقبتُه بين يديه صبراً. وقتل إخْوَتَه ثمانيةً: ضُربت أعناقُهم بين يديه. وكانت أُمُّــه، * إذا وُلدت له ابنةٌ، أخْفَتْها ورَبَّتْها، لئلا P. ١٢٧ يقتلها، حتّى اجتمع عندها منهنّ ستُّ عشرة جارية، كأنّهنّ البدور؛ فقالت له

1) B. وأغنى.   2) A. et B. ٢٣٠, ce qui n'est pas possible: Ibrāhīm mourut en 289 à l'âge de 52 ans, ainsi qu'il est dit un peu plus bas.   3) A. وأربعين (*sic*). 4) A. سنّة.   5) A. نكره.

يوماً، وقد رأت منه رِقّةً: «يا سيّدى، قد ربّيتُ لك وصائف ملاحاً، وأُحِبُّ أن تراهنّ.» قال: «نعم.» فلما رآهُنّ، قالت له: «هذى بنتُك من فُلانة، وهذى بنتُك من فُلانة!» حتّى عدّتْهُنّ. فلما خرج من عند أُمّه، قال لخادم له أسْوَد: «امْضِ اليهنّ وجئْنى برؤوسهنّ.» فوقف، استعظاماً لذلك. فقال له: «امْضِ وإلاّ قدّمْتُك قبلَهنّ!» فلما دخل على أُمّه، كَبُر ذلك عليها، وعظُم فى قلبها، وقالت له: «راجِعْه!» فقال لها: «لا سبيل الى ذلك!» فقتلهنّ وأخذ رؤوسهنّ، وجاء بها اليه معلّقةً بشعورهنّ؛ فطرحها بين يديه — قبّحه الله! — وأدخل كثيراً من فتيانه الحمّام وأغلق عليهم باب البيت السُّخْن؛ فماتوا فيه جميعاً. وأخبارُه كثيرةٌ فى هذا المعنى؛ ذكرها الرّقيق وغيرُه.

وفى سنة ٢٨٩ المذكورة، استرجع أبو العبّاس بن إبراهيم بن أحمد المال الذى أخرجه أبوه الى الفقهاء ووجوهِ الناس ليُفَرِّقوه فى المساكين؛ فرجع مُعْظَمُه، وقال لمشايخ إفريقية: «اغتنمتمُ الفرصة فى المال لمرَضِ الأمير[1] أبى، ومَغيبى عنه!» وفيها، شَخَصَ أبو عبد الله الأحْوَلُ بن أبى العبّاس الى مدينة طُبْنة الى محاربة الشيعىّ. وفيها، تساقطت النجوم لثمان بقين من ذى القعدة؛ فسُمِّيَت السنة سنة النجوم؛ فلهذه السنة ثلاثة أسماء: سنة العُدْل، وسنة الجَوْر (سمّاها العامّة بذلك)، وسنة النجوم.

وفى سنة ٢٩٠، كتب أبو العبّاس بن إبراهيم الى العُمّال ليأخذوا له البيعة، لأنّ أباه فوّض اليه، وتخلّى له عن الملك، واشتغل بالعبادة؛ وذلك قبل أن يبلغه وفاة أبيه.

• ولاية أبى العبّاس بن إبراهيم بن أحمد وسيرتُه ١٢٨

وذلك أنّه أظهر التقشّف، والجلوس على الأرض، وإنصافَ المظلوم؛ وجالَسَ أهْلَ العلم، وشاوَرَهم. وكان لا يركب إلاّ الى الجامع؛ فقال قومٌ: «إنّ

1) B. السلطان.

أهل النجوم أمروه بذلك!» وقال قومٌ: «به وَسْوَسةٌ!» وكتب الى ابنه زيادة الله، يستحثّه فى القدوم عليه من صِقِلّيَة، لأنّه وُشِيَ به اليه أنّه يُريد الانتزاء عليه. فقدم زيادة الله على أبيه لعشر بقين من جمادى الأخيرة؛ فقبض أبو العباس ما كان معه من الأموال والعُدّة، وحبس زيادةَ الله فى بيت داخلِ داره، وحبس ناساً من أصحابه.

مقتل أبى العبّاس بن إبراهيم بن أحمد

قُتل يوم الأربعاء، ليوم بقى من شعبان؛ فكانت ولايتُه بعد أبيه تسعةَ أشهر وأحد عشر يوماً، ومن يوم أفضى اليه أبوه الأمر سنةٌ واثنان وخمسون يوماً. وكان قتلُه على ما أَصِفُه: وذلك أنّه خرج من الحمّام الى دار خالية، واستلقى على سرير خَيْزُران، ووضع تحت رأسه سيفاً، ونام بعد أن أخرج كلَّ من كان فى الدار غير فتيَيْنِ كان يثِقُ بهما. فلما نام، تآمرا على قتله وقالا: «هذه فرصةٌ فى تقديم اليد عند زيادة الله! فنُطْلِقه من أسره، ونستريح من أبيه. ويَلِى مكانَه، ونفوز بالحُظْوة عنده.» فتقدَّم أحدهما، فاستلَّ السيف الذى كان تحت رأسه، وضربه به ضربةً قطع عنقه ولحيته، حتّى نفذ الى السرير. ومضى الفتى الآخر الى ناحية من الدار، فارتقى الحائط، ونفذ الى زيادة الله، وأعلمه أنّ أباه قُتِل؛ فظنَّ[1] أنّها مكيدةٌ عليه. فقال * له: «إن كنتَ صادقاً، فأرِنى الرأس!» فانصرف مُسْرِعاً، ورمى اليه بالرأس؛ [2] فعند ذلك، صدّقه [2].

P. ١٢٩

ولاية زيادة الله بن أبى العبّاس عبد الله ابن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب

وذلك أنّ زيادة الله، لما صحّ عنده قتلُ أبيه، ورأى الرأس بين يديه،

---

1) Ici débute le fragment de ʿArîb (ms. de Gotha) utilisé par Dozy.

2—2) Manque dans B.

كسر قيوده، وبادَرَ خوفاً أن يَشْعُرَ بالأمر أحدٌ من أعمامه، فيَسْبِقَه[1]. فلما صار زيادة الله فى الدار، أرسل فى عبد الله بن الصائغ وفى أبى مُسْلِم منصور بن إسماعيل، (وهما ممّن كان سُجِن معه تهمةً،[2]) وفى عبد الله بن أبى طالب. فلما دخلوا عليه، قال لهم: «انظروا لى ولأنفسكم!» فقالوا لـه: «أرْسِلْ فى أعمامك على لسان أبيك، وفى وجوه الرجال والقوّاد.» فأرسل فيهم، ودفع اليهم الصِّلات، وأخذ عليهم البيعة، وأمر أن يُنادَى بتونس: «من كان هاهُنا من الجند، فَلْيُوافِ باب الأمير!» فركبوا بأسلحتهم. فأمر بإدخالهم واحداً واحـداً: يدخلُ الرجلُ، فيبايع، ويُعْطَى خمسين مثقالاً. ففعل ذلك بالوجوه. [وكُتب ذلك اليومَ كتاب بيعته، فقُرِئَ بتونس على مِنْبَر جامعها]. وأُخِذَتْ له البيعة على العامّة بها. وكتب الى العُمّال * (بالبلاد) بأن يأخذوا له البيعة على من قِبَلهم. فلما قرب العشاء، نُودِىَ فى الجند: «أصبحوا لأخْذ عطاياتكم!» ومطّل عمومته[3] بالانصراف [عنه] الى الليل. ثمّ أكبلهم أجمعين، وأدخلهم فى شبنىّ[4]، ووكّل بهم ثِقاتَه، وأمرهم أن يمضوا بهم الى جزيرة الكُرّاث، وهى على اثنى عشر ميلاً من مدينة تونس؛ فضُربت هناك رقابهم، ليلةَ السبت لثلاث خلون لرمضان. وأصبح الجند والموالى من غد ذلك اليوم لأخذ الصِّلات. فلما مضى صَدْرٌ من النهار، قيل لهم: «انصرفوا! فإنّه يوم شُغْلٍ!» ثمّ أتوا[5] من الغد، فدُفِعوا. فلم يزالوا يتردّدون الى أن[5] بردت قلوبهم وملّوا الاختلاف[6].

ولما كمل الأمر لزيادة الله، دعا بالفَتَيَيْنِ الّذيْنِ قتلا أباه. فأمر بهما، فقُطِعت أيديهما وأرجلهما، وصُلِبا على باب القَيْرَوان وباب الجزيرة من

1) A. فيبدره. 2) A l'exemple de Dozy, on signalera entre parenthèses ( ) les passages du *Bayan* qui ne figurent pas dans le ms. de ʿArib; entre crochets carrés [ ] les passages importants de ʿArib qui ne figurent pas dans les mss. du *Bayān*. Le ms. de Gotha sera signalé dans les notes de l'appareil critique par l'initiale G. 3) A. et B.: وأمر عومه. 4) A. et B.: شبطى. 5—5) G. فى اليوم الثالث؛ فاعتذر اليهم ودفعوا الى الغد حتى. 6) B. يئسوا.

ابواب تونس. وقتل أيضاً زيادة الله عمّه أبا الأغْلَب الزاهد الساكن بسُوسة [1] [2] وقتل أخاه أبا عبد الله الأحْوَل، بعد أن استقدمه من طُبْنة [2].

وولّى زيادة الله الوزارة [والبريد] عبد الله بن الصائغ؛ [وولّى أبا مسلم منصور بن إسماعيل ديوان الخَراج]؛ وولّى قضاء القَيْرَوان حِمَاس [3] بن مروان ابن سِمَاك الهَمَدانيّ، وكان [ورعاً]، عالما بمذهب مالِك [وأصحابه]؛ فعدل فى أحكامه، ولم يكن يهيب أحداً فى ولايته [ونظره. وفيها، مات محمّد بن محمّد بن الفَرَج البغداديّ، مولى بنى هاشم، وكانت له عنايةٌ وطلبٌ؛ ومات محمّد بن أبى P. ١٢١ * المِنْهال، وكانت له رياسة بإفريقية. وفيها، قُتل ابن القَيّاد إذ اتّهمه زيادة الله بأنّه أشار على أبيه بأدبه وحبسه. وفيها، مات حسين بن محمّد بن سليمان، وكان ثِقةً فى الحديث والرواية، وسمع أبوه من سفيان بن عُيَيْنة.]

وفى هذه السنة، أُسِّسَتْ مدينة وِهْران، على يدَىْ محمّد بن أبى عَوْن بن عبدون [4] وجماعةٍ من الأندلسيّين.

[وفيها، مات علىُّ بن الهَيْثَم المحدِّث، وإبراهيم بن عثمان القُرَشىُّ التونُسىُّ، وكانا من أهل الرواية والعلم.]

وفى سنة ٢٩١، وُلّى [5] محمّد بن زيادة الله العهدَ، وأُخذت البيعة له بذلك [5]. [وفيها، قُتل هُذَيْل النَّنْطىُّ، صاحبُ ديوان الخراج؛ وقُتل ابن المنبت الملقّب بالعِجْل. وفيها، توفّى محمّد بن زُرْزور الفقيه الفارسىُّ، وكان على مذهب أبى حَنِيفة، وكان حافظاً لبيباً، ونظر فى النجوم والحساب، وخُولِط فى عقله؛ فكان إذا قيل له: «يا زواغىّ!» يهيج وينشط.] وولى علىُّ بن أبى الفوارس

---

1) G. فى مدينة سوسة. 2—2) G. وبعث فتوحاً الرومىَّ فى خمسين فارساً الى أخيه أبى عبد الله الأحول؛ فأقبل به الى زيادة الله؛ فقتله وقتَ وصوله اليه.

3) Orthographe fournie par Abu l-ʿArab, *Ṭabaḳāt*, éd. Bencheneb, p. ١٥٣.

4) G. عبدوس.

5—5) G. زيادة الله ابنه محمّداً العهد، وكتب الى العمّال باخذ البيعة له.

[التميمىّ] عمالة القيروان؛ [1]ثمّ عُزل عنها، وولّيها أحمد بن مسرور. وولى إبراهيم بن حَبَشىّ التميمىّ قتال أبى عبد الله الشيعىّ[1].

[وفيها، مات أبو جعفر أحمد بن داوود الصوّاف، مولى ربيعة؛ وكان فاضلاً، من رجال سَحْنون؛ وكان فى حداثته يقول الشعر؛ ثمّ تركه. وفيها، خرج الحسن بن حاتم الى العراق رسولاً من عند زيادة الله بهدايا وطُرَف]. وولى الحسن بن أبى العيش بن إدريس بن محمّد * بن سليمان بن عبد الله بن حسن P. ١٦٢ [ابن الحسن] بن علىّ بن أبى طالب (— رضه —) عمل جراوة لوفاة أبيه أبى العيش. ورفع[2] زيادة الله فقهاء إفريقية الى مدينة تونُس، مستظهراً بهم على أبى عبد الله الشيعىّ؛ [فاجتمعوا عند عبد الله بن الصائغ صاحب البريد]، وتفاوضوا[3] فى أمره؛ وقال لهم ابن الصائغ: «إنّ الأمير يقول (لكم): هذا الصَّنْعانىّ الخارج علينا مع كُتامة يلعن أبا بكر وعمر — رضهما[4] — ويزعم أنّ أصحاب النبىّ — صلعم — ارتدّوا بعده[5]. ويُسمّى أصحابه: المؤمنين، ومن يخالفه فى مذهبه: الكافرين، ويُبيح دمَ من خالفَ رأيه!» فاظهر الفقهاء لعنه والبراءة منه، وحرّضوا الناس على قتاله، وأفتوهم بمجاهدته]. (وأرسل زيادة الله هديّة للعبّاسىّ، فيها عشرة آلاف مثقال، فى كلّ مثقال منها عشرة مثاقيل، وكتب فى كلّ مثقال هذَيْن البيتَيْن [كامل]:

يا سائراً نَحْوَ الخليفة قُلْ له ... أَنْ قد كَفاكَ الله أَمْرَك كلَّهُ
بزيادة الله بن عبد الله سَيْـــفُ الله من دونِ الخليفة سَلَّهُ)

وفى سنـــة ٢٩٢، [قدم أبو مسلم منصور بن إسماعيل بن يونس لإصلاح

1—1) G. وبرز إبراهيم بن حبشىّ بن عمر التميمىّ من الأربس لقتال أبى عبد الله الشيعىّ فى جيش عظيم من أجناد إفريقية، ذُكر انّ فيه أربعين ألف مقاتل؛ ثمّ عُزل علىّ بن أبى الفوارس عن عمالة القيروان وولّيها أحمد بن مسرور الخال.

2) A. et B. وجمع. 3) G. وتخاوضوا. 4) A. et B. ajoutent: ولعن من يلعنهما!.

5) A. et B. ajoutent: لعن الله من استنقصهم!.

مدينة رَقّادة، ورقع ما وهى فيها؛ وأنشأ مركباً على ماجل القَيْرَوان، وسُمِّى الزلّاج. وقدم زيادة الله من تونُس فى شهر ربيع الاخر؛ فنزل على الماجل الكبير بالقَيْرَوان. وفيها، ضُرب الخالُ وطُوِّف بمدينة القَيْرَوان مخشَّباً على بغل بإكاف.

P. ١٢٣ وفيها، ظهر النجم * ذو الذؤابة فى الجدْى بجهة الشمال، بقرب بنات نعش، وذلك فى رجب. وفيها] كانت [1] وقعة على عسكر السلطان [1]؛ وذلك أنّ أبا عبد الله (الداعى)، لما علم بخروج العسكر اليه، [وكثرة من معه من وجوه الرجال وأنجاد العرب والموالى، وما معه من العُدّة وآلات الحرب، ارتاع لذلك، وأخذ فى] حشد كُتامة؛ وكان حشده بغير ديوان، إنّما (كان) يكتب الى رؤساء القبائل؛ فيحشدون من يَليهم [2]، طاعةً له ورغبةً فيه. وكان لا يزيدهم فى كتابه اليهم على أن يقول: «(إنّ) الوعد يوم كذا فى موضع كذا!» ويَصْرُخ صارخٌ بين يديه: «حرامٌ على من تخلّف!» فلا يتخلّف [عنه] أحدٌ من كُتامة؛ فاجتمع له منهم ما لا يُحصى [كثرةً. وتأهّب للاقاة إبراهيم بن حَبَشىّ؛] فالتقى مع إبراهيم بن حَبَشىّ أمير العسكر بكَيْنُونة [3]. فكانت بينهما ملحمةٌ عظيمة، تطاعنوا [فيها] بالرماح حتّى تحطّمت، وتجالدوا بالسيوف حتّى تقطّعت، [من أوّل النهار الى آخره]. ثمّ انهزم إبراهيم، ووقع القتل فى أصحابه؛ فذهب كثيرٌ منهم، ونجا باقيهم [فى ظلمة الليل] واشتغلت [عنهم] كُتامة بالغنيمة والأموال والسلاح والسروج واللُّجُم وضروب الأمتعة. وهى أوّلُ غنيمة أصابها الشيعىُّ وأصحابُه؛ فلبسوا أثواب الحرير، وتقلّدوا السيوف المحلّاة، وركبوا بسروج الفضّة واللُّجُم المذهّبة؛

P. ١٢٤ [وكثر * عندهم السلاح]؛ فشرفت أنفسهم، وتحقّقت آمالُهم، وصحّ عندهم ما كان الشيعىُّ يَعِدُهم به (من النصر)، [وبسط لهم الآمال فيه من التأييد لهم والنصر والغلبة لعدوّهم]. ووقع الوَهْىُ على أهل إفريقية، وداخلهم [الوهن و]الجزع.

1—1) G.: وقيعة كبونة بين أبى عبد الله الشيعى وابراهيم بن حبشى بن عمر التميمىّ.

2) A. et B. اليهم.

3) Leçon fournie par A. et B. (vocalisation). G. écrit كبونة.

وكتب أبو عبد الله الداعى الى عُبَيْد الله (الشيعىّ)، وهو [يومئذٍ] بسِجِلْماسة، [1] يُعلِمه بالفتح [1]، ووجّه اليه بمال كثير [2] [مع قوم من أهل كُتامة سرًّا.

وذكر رجلٌ من بنى هاشم بن عبد المطَّلِب، يُسمّى بأحمد بن محمّد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علىّ بن زيد بن ركانة بن عبدون بن هاشم، كان مع عُبَيْد الله بسِجِلْماسة، قال: « وصلنى عُبَيْد الله بمال كثير من دنانير لا توجد فى ذلك البلد؛ فكثُر تعجُّبى منها. فلما رأى منّى ذلك، وعلم منّى ما أوجب ثِقَته بى واستنامَتَه الىّ، قرأ علىّ كتاب أبى عبد الله بالفتح، وأمرنى بكتمان الخبر، وألّا أُبدِّل حالتى الأولى، ولا أُغيِّر حليتى وملبسى؛ وقال لى: « إنّ علينا عيوناً ورُقَباء؛ فلا يطّلعوا منّا على تبدُّل حال، واستفادة مال! »

وفيها، مات أبو سَهْل فُرات بن محمّد العبدىُّ الفقيه، سمع من سَحْنون، وعبد الله بن أبى حَسّان، وموسى بن معاوية، وغيرهم بإفريقية، ورحل الى المشرق؛ فسمع من رؤساء أصحاب مالِك؛ وله لسانٌ طويلٌ، ومعرفةٌ بالأنساب؛ وكان أعلم الناس بالناس، وأوقع الناس فى الناس، حتّى نُسب الى الكذب. وفيها، ولد محمّد بن يوسف الورّاق بالقَيْرَوان.]

وفى سنة ٢٩٢، [أخرج زيادة الله بن عبد الله * بن الأغلب جيشاً الى ١٢٥ الأُرْبُس، لمُحاربة أبى عبد الله الشيعىّ، وولّى عليه مُدْلِج بن زكريّاء، وأحمد ابن مسرور الخال؛ فخالفا عليه يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الأخيرة، ووافيا بالعسكر مدينة القَيْرَوان يوم الخميس لثلث عشرة ليلة خلت من جمادى الأخيرة؛ فخرج اليهما الغوغاء من القَيْرَوان، ودافعوها. وكبا بمُدْلِج فرسُه؛ فقُتل من ساعته، وقُتل معه ابن بربر [3]، وصُلبا على باب رَقّادة. وقد كان زيادة

1—1) G. يخبره بهذه الوقعة ومبلغ ما قتل فيها من الرجال وأصاب فيها من الأموال.

2) A. et B. omettent tout le récit qui suit jusqu'à l'année 293 et ajoutent seulement: فسرّ عبيد الله ذلك ولم يُبْدِه إلّا لمن وثق بكتمانه عليه.

3) G. بربر (sans points diacritiques).

الله برز لقتال مدلج، حتّى أتاه الخبر بقتل العامّة له؛ فكتب بذلك فتحاً قُرِئَ بالقَيْرَوان وأعمالها. وكان سببُ خلافه على زيادة الله أنّه حكم عليه فى مُنْيَةٍ له كانت تُعرف بالحَدِيديّة، وسجّل عليه فيها القاضى حِمَاس بن مروان؛ فاضطغن ذلك، وجعله سبباً الى الخلاف عليه.

وفيها، ورد كتابُ المُكْتَفِى بالله، يحثّ أهل إفريقية على نصرة زيادة الله، ومُحاربة الشيعىّ. وقُرِئَ كتابُه على الناس. وفيها، كسفت الشمس كلُّها، وصلّى القاضى حِمَاس بن مروان بالناس صلاة الكسوف فى الجامع. وفيها] خرج زيادة الله [بن عبد الله] الى [مدينة] الأُرْبُس؛ [فنزل بغربيّها، واجتمعت اليه عساكرُ كثيرةٌ]، وأعطى بها الأموال جُزافاً بالصِّحاف، كَيْلاً بلا وزن، لكلّ رجل صحفةٌ توضَعُ له فى كِسائه دنانيرَ [ويحمل على فرس]؛ ثمّ يخرج (الرجل)، فلا يُرى بعدها. فأنفق فيها أموالاً جسيمة، وبذل مجهوده فى الإحسان الى الرجال. (والشيعىُّ مع ذلك يزيد ظُهوراً). [ووجّـه عساكر الى باغاية، وشكّ مدينة طُبْنة وشحّنها بالرجال، وقدّم عليها حاجِبَه أبا المقارِع حسن بن أحمد بن نافِذ مع شبيب بن أبى شدّاد القَمُودىّ وخَفاجة العَبْسىّ؛ وكانوا من أهل البسالة، وأمرهم بشنّ الغارات على *كُتامة؛ فكانت بينهم وقائع، قُتل فيها كثير من الفريقَيْن. P. ١٣٠

وفيها، ولى قضاء مدينة رَقّادة محمّدُ بن عبد الله المعروف بابن جِيال[1]؛ وكان مولى لبنى أُميّة، ولم يكن عنده علمٌ ولا ورعٌ، وإنّما عنى به عبد الله بن الصائغ؛ وكانت فيه غفلةٌ شديدة وضعفٌ؛ وقيل إنّه باع نفسه فى حداثته من تين أيّام الشدّة؛ ثمّ أثبت بعد ذلك حُرِّيّته، وانطلق. وشهدت عنده بيّنةٌ بأنّ امرأة وكلت ولدها؛ فقال لهم: «وكلَتْهُ وهى بالغٌ؟» قالوا له: «هو ابنُها! أصلحك الله! فكيف لا تكون بالغاً!» وضحكوا عليه؛ فاستحيى.

---

1) G.: حيمال. La véritable orthographe est fournie par Abu l-ʿArab, *Ṭabaḳāt*, p. ١٩٦.

وفيها، قدم أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائلى المتطبّبُ على زيادة الله من المشرق مع أبى الحسن بن حاتم؛ فوصل اليه وهو بالأُرْبُس. قال إسحاق: «فدخلتُ على زيادة الله ساعة وصولى، ورأيتُ مجلسه قليلَ الوقار، كثيرَ اللهو. فابتدأنى بالكلام ابن حُبَيْش المعروف باليونانىّ؛ فقال لى: «تقول إنّ الملوحة تحلو؟» فقلت له: «نعم!» قال: «وتقول إنّ الحلاوة تحلو؟» قلت له: «نعم!» فقال لى: «فالحلاوة هى الملوحة، والملوحة هى الحلاوة!» فقلت له: «إنّ الحلاوة تحلو بلطافة وملائمة، والملوحة تحلو بعنف وقوّة.» فتمادى على المُكابرة فى ذلك، حتّى قلت له: «تقول إنّك حىّ والكلب حىّ؟» قال: «نعم!» قلت له: «فانت الكلبُ والكلب أنتَ!» فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً. قال: فعلمت أنّ رغبته فى الهزل أكثر من رغبته فى الجِدّ.»]

وفى هذه السنة، تغلّب أبو عبد الله الداعى على مدينة بَلَزْمة وعلى [مدينة] طُبْنة، ودخلهما بالأمان فى آخر ذى الحجّة، وبها أبو المقارِع [حسن بن أحمد] والى زيادة الله وعامله عليهما [مع صاحبَيْه المذكورَيْن قَبْلَ هذا. وكان بهما جُباةٌ على ضروب المَغارِم]؛ فأتوه بما فى أيديهم من الجباية؛ * فقال لأحدهم: P. ١٣٧ «من أين جمعتَ هذا المال؟» فقال له: «من العُشُر.» [فقال أبو عبد الله: «إنّما العُشُر حُبوبٌ، وهذا عينٌ!» ثمّ قال لقوم من ثِقات طُبْنة: «اذهبوا بهذا المال، فَلْيُردّ على كلّ رجل ما أُخِذَ منه، وأعلموا الناسَ أنّهم أُمَناء على ما يخرج الله لهم من أرضهم؛ وسُنّةُ العشور معروفة فى أخذه وتفرقته، على ما ينصه كتاب الله — عز وجلّ!» ثمّ قال لآخر: «من أين هذا المال الذى بيدك؟» قال: «جبيْتُه من اليَهود والنصارى جزيةً عن حَوْلٍ مضى لهم.» فقال: «وكيف أخذتَه عيناً، وإنّما كان يأخذ رسول الله — صلعم — من المَلِيء ثمانية وأربعين درهماً، ومن المتوسّط أربعة وعشرين درهماً، ومن الفقير اثنى عشر درهماً!» فقال له: «أخذتُ العَيْن عن الدراهم بالصرف الذى كان يأخذه عُمَر — رحمه الله! —» فقال أبو عبد الله: «هذا مالٌ طيّبٌ!» ثمّ أمر أحد الدُّعاة بان

يفرّقه على أصحابه، وقال لمن أتاه بمال الخراج: «هذا مالٌ لا خير فيه، ولا قبالة ولا خراج على المسلمين فى أموالهم!» ثمّ أمر ثِقات أهل طُبْنة بردّه على أهله، وقبض مال الصدقة من الإبل والبقر والغنم، بعد أن قيل له إنّها قُبضت الأنعام على الأسنان الواجبة فى الصدقات، ثمّ بيعت وجُمعت أثمانها. فرضى بذلك وجوّزه. فلما نظر أهلُ طُبْنة الى فعله، سرّوا به ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنّة. وانتشر فعله فى جميع نواحى إفريقية؛ فتاقت أنفسهم اليه، وكاتبوه، ودخلوا فى طاعته[1]]. وبلغ ذلك زيادة * الله؛ فاغتمّ [به] غمّاً شديداً، [وأخذ فى حشد الرجال والاستكثار منهم]، وأمر بلعنة الشيعىّ على المنابر. P. ١٢٨

[وفيها، قدم على زيادة الله ابنُ الطُّبْنىّ من بغداد. وفيها توفّى أبو جعفر محمّد بن الحسين المَرْوَزىّ بجزيرة صِقِلّيّة؛ وكان فقيهاً، واتّهم بالكذب؛ وتوفّى فيها محمّد بن المُنيب الأزدىّ الفقيه؛ وكان مذهبُه مذهب أهل العِراق؛ وكان من أهل الخير؛ وعُرض عليه القضاء؛ فلم يقبله. وفيها، مات محمّد بن نصر المتعبِّد؛ وكانت له روايةٌ؛ ومحمّد بن أبى حُمَيْد السوسىّ؛ وزيدان بن إسماعيل الأزدىّ؛ وكانا من الثِقات فى العلم.]

وفى سنة ٢٩٤، [خرج إبراهيم بن حَبَشىّ بن عمر من الأُرْبُس بالعسكر لمُلاقاة أبى عبد الله الشيعىّ بمدينة طُبْنة، فى النصف من المحرّم. وفيها، عُزل عبد الله ابن محمّد بن مُفَرِّج المعروف بابن الشاعر عن قضاء قَسْطِيلية، ورُفع الى زيادة الله، وهو بالأُرْبُس، مُخَشَّباً؛ فأمر بضربه وتقييده، وحُبس بحبس الأُرْبُس؛ وذلك أنّ وجوهَ قَسْطِيلِيّة رفعوا عليه الى زيادة الله، وتظلّموا منه، وكتب الى عامله بعزله وتخشيبه ورفعه الى بابه؛ فقدم الكتاب، والعامل غائبٌ؛ وتبادر بعض القوم الذين رفعوا عليه الى مجلس القضاء الذى كان فيه؛ فسبّوه وهمّوا بالبسط اليه؛ فأمر غلمانه بأخْذهم وضرْبهم وقيْدهم وحبْسهم؛ ثمّ قدم العامل،

1) Le récit qui précède est ainsi résumé dans le *B[illegible]n*: فأنكر ذلك عليه. وردّه على أربابه، وأعلم الناس أنّهم مَمنا على ما يُخرج الله من أرضهم. وفعل هذا مع غيره فسرّ بذلك أهل طُبْنة وانتشر صيتُه فى البلاد؛ فكاتبَهُ الناس وداخَلوه.

وقد نفّذ فيهم كلما أحبّ؛ فأوثقه حديداً، وخشّبه، ووجّهه الى زيادة الله؛ فضربه بالدِّرّه، وحبسه؛ وذلك للنصف من المحرّم.]

وفيها، انصرف زيادة الله من الأُرْبُس الى رَقّادة، واستخلف على الجيش بالأُرْبُس إبراهيم بن أحمد بن أبي عِقال. وبنى زيادةُ الله سورَ مدينة رَقّادة بالطوب والطوابى، والتزم التنزّهَ على البحر وغيره، واتّباعَ اللذّات، ومنادمةَ العيّارين والشُّطّار والزَّمامِرة والضَّرّاطين. وكان إذا فكر فى زوالِ ملكه وغلبةِ عدوِّه على أكثر مواضع عمله، يقول لنُدَمائه: «املأ واسقِنى! من القرن يكفينى!» P. ١٢٩ واشتدّ كلفهُ بغُلام له يسمّى بخطّاب؛ فكتب اسمه فى سكّة الدنانير والدراهم؛ ثمّ وجد عليه، فحبسه وقيّده؛ فغنّتْ له جاريةٌ تستعْطِفُه على خطّاب [بسيط]:

يا أيّها الملِك المَيْمونُ طائرُه رفقاً فإنّ يد المعشوق فوق يدِكْ
كم ذا التجلُّدُ والأحشاء خافقةٌ أُعِيذْكنّك أن تسطوْ على كبدِكْ

فرضى عن خطّاب، وأعاده الى منزلته. وكان إذا أظهر الغمّ بأمر الشيعىّ، أخذوا له فى التسلّى؛ فغنّت جاريةٌ له يوماً [كامل]:

إصبِرْ لدهــرٍ نــال مــنــك فهكذا مَضَتِ الدهورُ
فَــرَحٌ وحــزنٌ مــرّةً لا الحُزْنُ دامَ ولا السرورُ

فقال لها: «صدّقْتِنى!» وأمر لها بصلةٍ.

وفيها، استعفى حِمَاس بن مروان عن القضاء بالقَيْرَوان؛ فعُوفى، وولّى زيادةُ الله مكانه محمّد بن جيمال؛ فلم يزل قاضياً الى أن هرب زيادة الله. وفيها، دخل أبو عبد الله الشيعىُّ مدينة باغاية بالأمان، فى شعبان؛ فعظُم غمُّ زيادة الله بذلك، واستشار ابن الصائغ فى أمره؛ فقال له: «ارحلْ الى مصر سرّا، واستخلف على إفريقية قائداً تجعل اليه أمرَ العساكر، وتترك له الأموال.» فنظر فى ذلك، وأمر بشراء خمسمائة جَمَل لرحيله. ثمّ ظهر له خطأُ هــذا الرأى، وخشى قيامَ الناس عليه وثورتَهم به؛ فامسك. وشعر إبراهيم بن حَبَشىّ

ابن عمر بما كان همّ بـه زيادةُ الله من الهرب، فتعرّض له حتّى أدخله قَصْر البَحْر، وأراه ما زخرفه له فيه، وقال: «يا سيّدى! أين هذه البنية من قصر جدّك القديم، الذى صبر فيه على الحصار أعواماً كثيرةً. وقد أبغضه جُلُّ أهل بلده! وقام عليه رؤساء جنده؛ فبقى مقيماً فيه، وضابطاً له * حتّى أظهره الله عليهم، ومكّنه منهم! فكيف بك، وقد كثُر مالُك، وأحبّك رجالُك؟ وأهلُ إفريقية معك! وإنّما خرج عليك شيخٌ لا يُعْرَف مكانُه فى البربر، وأنت فى حصن منيع! والله يدفع عنك! فدَعْ ما يقال لك! فإنّك الظافر بحول الله وقوّته، إن شاء الله!» فأصغى زيادةُ الله الى قوله، وسرَّ بما سمع منه، وجعل يرسل الرجال والأموال الى الأُرْبُس، وهو أقصى ثغوره. فكانت خيلُ أبى عبد الله الشيعىّ تغير على الأُرْبُس من باغاية، وخيلُ زيادة الله تغير على باغاية من الأُرْبُس.

P. ١٤٠

وفيها، قدم حَبَشِىّ وابن أبى حَجَر وابن عبّاس من بلد الروم، ومعهم رسولُ صاحب القُسْطَنْطِينة. وكساهم زيادة الله، وأنزل الرسول فى المَلْعَب، بقرب رَقّادة، وجمع الناس للمُباهاة بهم؛ فكان جمعاً عظيماً. وفيها، ضُرِبت القباب والأخبية حوالَىْ مدينة رَقّادة، وأخذ أهل مدينة القَيْرَوان بالعَسَس حَوْلها والمبيت فى الأخبية المضروبة جوارها. وجدّد زيادة الله الحشد، ورغب الناس بالأموال. وفيها، توفّى محمّد بن أبى الهَيْثَم اللؤلؤىّ الفقيه. وفيها، وُلى قُرْهُب الحجابة فى شعبان [1].]

وفى سنة ٢٩٥، خرج زيادة الله الى مدينة تونُس فى شهر محرّم، (ليحاولَ أُموره فيها). [وفيها، استسقى القاضى ابو العبّاس بن جِيمَال بالناس، يوم الاثنين لستّ خلون من شهر ربيع الآخر. وفيها عُزل ابن أبى الوليد عن الصلاة، ووُلى

1) Pour la chronique de cette année, le *Bayān* se borne au court résumé suivant: وفى سنة ٢٩٤، اشتغل زيادة الله بالاستهتار واللذّات والقصف، وهمّ بالفرار الى مصر خوفاً من الداعى؛ ثمّ انثنى عن ذلك، وخيلُ الداعى تغير على الأُربس فى أكثر الايّام من باغاية، وخيل زيادة الله تغير من الأُربس على باغاية.

مكانَه ابن يزيد للنصف من شهر ربيع الآخر. وفيها، توفّى أبو الحسن بن حاتِم الرسول الى بغداد، فى شوّال. وفيها توفّى • أبو موسى عيسى بن مِسْكين القاضى؛ P. 141
فصلَّى عليه أبو جعفر أحمد بن خالد السهمىّ فى قريته بالساحِل. و[فيها،] توفّى [أبو عيّاش] أحمد بن موسى بن مُخَلَّد [الفقيه؛ وكان ينتمى الى غافِق؛ وكان من أصحاب سَحْنون بن سعيد]؛ وكان زاهداً، ورعاً، متعبّداً، فاضلا، [وعالماً بما فى كتبه، كثيرَ الحكاية؛ سمع منه بشرٌ كثيرٌ من أهل القَيْرَوان؛ ودُفِن بباب سَلْم. وفيها، مات سعيد بن إسحاق الفقيه، مولى كَلْب؛ وكان من رجال سَحْنون بن سعيد؛ وسمع من جماعة من شيوخ إفريقية؛ وكان كثير الرباط والرواية والجمع للحديث؛ وكان مولدُه سنة ٢١٣].

وفى سنة ٢٩٦، وصلت خيل [أبى عبد الله الشيعىّ] (الداعى) الى قَسْطِيلِيَّة، وانهزم أبو مسلم منصور بن إسماعيل، [وشبيب بن أبى الصارم؛ وانقبضا] الى [مدينة] تَوْزَر؛ وانبسطت الخيل [هنالك، وأحرقت القُرَى]، وأفسدت ما مرّت به [من النَّعَم. وكان أبو عبد الله قبل ذلك قد أمر أصحابه بالكفّ عن الغارات، وألاّ يَريموا مكانهم؛ فأقاموا نحو شهرَيْن لم تظهر لهم حركة، حتّى قيل فيه إنّه مريضٌ؛ وقيل: بل مات. ولما وصل الخبر بانبساط جيوش أبى عبد الله الى زيادة الله، هالَه وراعَه، وارتجّت الحاضرة، واضطربت أحوال الجند، ويئسوا من البلد، وخافوا على ذراريهم وأهاليهم السبىَ والاسترقاقَ. وجعل عبد الله بن الصائغ يقول لزيادة الله: «هذا من تضييع الشيخ السوء أبى مُسْلِم ومن سوء نظره!» وكان ابن الصائغ كاتباً لأبى مُسْلِم فى أيّام إبراهيم بن أحمد؛ ففسدت الحال بينهما؛ ولم يزل يرفع على أبى مُسْلِم يومئذٍ، حتّى عُزِل. ثمّ لما دارت هذه الدائرة بقَسْطيلِيّة، وانهزم * عنها أبو مُسْلِم، نسب ذلك ابنُ الصائغ 142
اليه، وأوقد زيادة الله عليه وأغراه به، حتّى كتب الى شبيب بن أبى الصارم، يأمره بضرب عُنُق أبى مُسْلِم وصَلْبِه يوماً وليلةً؛ ثمّ يدفنه. وبعث اليه من ثِقاته مَن يحضر تنفيذَ ذلك فيه. فلما وصل الكتاب الى شبيب، اغتمّ، ولم يجد

بُدًّا من التنفيذ؛ فدفع الكتاب الى أبى مُسْلِم، وهو معه يومئذٍ بتَوْزَر، وقال له: «عزّ علىّ ما وردنى فيك!» فلما قرأه أبو مُسْلِم، قال: «إنّا لله وإنّا اليه راجعون[1]! خُدِع الصبىُّ الأحمقُ، وذهب مُلْكُه!» ثمّ قبض بيده اليسرى على لحيته، وصفع باليمنى قفا نفسه صفعات، وقال: «هذا جزاء من عصى الله وأطاع الآدَمِيِّين، وسفك الدماء المحرّمة! أما والله! لو تركتُه، ولم أشِرْ عليه بقتل عمومته وإخوته، وشغلتُه بهم، ما دار علىّ من قِبَلِه ما دار!» ثمّ قال لشبيب: «امهلنى أتوضّأ وأُصلّى ركعتَيْن، أختمُ بهما عملى!» ففعل وصلّى ودعا وبكى. ثمّ قدم؛ فضُرِبت عُنُقه وصُلب، ودُفن فى اليوم الثانى؛ وذلك فى النصف من صفر[2]. وفيها، توفّى أبو العباس بن أبى خِداش صاحِبُ المظالِم أيّام ابن عَبْدون. وفيها، مات أبو عِقال بن خَيْر الفقيه، وكان يذهب مذهب أهل العراق، وكتب لابن عَبْدُون أيّامَه على القضاء.

ذكر خروج بنى الأَغْلَب من إفريقية[3]

وفيها، زحف أبو عبد الله الشيعىُّ الى الأُرْبُس ونازلها، وبها إبراهيم بن ابى الاغْلَب فى عساكر إفريقية وجمهور أجنادها؛ * فقاتلها[4]] حتّى أخذها عنوةً P. 14 ودخلها [بالسيف] لستّ بقين من جمادى الآخرة. فهرب إبراهيم بن أبى الأَغْلَب (واليها)، [ونجا] فى جماعةٍ [من القوّاد والجند]. ولجأ أهلُ الأُرْبُس ومن كان اجتمع فيها من فُلّال العسكر] الى جامِعها. [وركب بعض الناس بعضاً]. وقتلهم الشيعىُّ (– لعنه الله!) – أجمعين، [حتّى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد، كما يسيل الماء من وابل الغيث]. وقيل إنّه قُتل [داخل المسجد]

1) *Cor.*, II, 151.

2) Ainsi résumé par le *Bayān*: فقامت قيامة زيادة الله لذلك وأمر بقتل أبى مسلم وصلبه.

3) G. ajonte: وهروب زيادة الله من رقّادة.

4) *Bayān*: ونازل أبو عبد الله الداعى الأُرْبُس.

ثلاثين ألف رجل. [وكان قتلهم] من [بعد صلاة] العصر الى آخر الليل. فلما أصبح، و(قد) فرغ من القتل والنهب والسبى، [نادى بالرحيل،] وانصرف الى [مدينة] باغاية، [إذ خشى أن يحاشد عليه أهلُ إفريقية.]

(هروب زيادة الله من رَقَّادة)

[واتّصل الخبر بزيادة الله فى اليوم الثانى، وهو يوم الأحد لخمس بقين من جمادى الأخيرة، فسُقط ما بيده[1]، و] علم أنّه خارجٌ عن ملكه. وجعل ابن الصائغ [يطفئ الخبر، و] يكذّبه له، [ويظهر أنّ الفتح كان لهم على الشيعى. وبرّح على أبواب مدينة رَقَّادة: «من أراد اللحقَ وجزيلَ العطاء، للفارس عشرون ديناراً، وللراجل عشرة دنانير، فَلْيلحق بقصر الأمير!» فلما سمع الناس ذلك، بدر اليهم سوء الظنّ، وعلموا أنّ الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله[2]،] وماجوا * فيما بينهم. وجعلت الخاصّة وأهل الخدمة يفرّون من رَقَّادة. [فلما رأى ١٤٤ b ذلك زيادة الله،] أخذ فى شدّ الأحمال بما خفّ من الجَوْهَر والمال، [وحرّك خاصّته الخروج معه]. فلما كان وقت صلاة العَتَمة [من] ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأخيرة، ركب فرسه، وتقلّد سيفه، وقدّم الأحمال تمرُّ بين يديه، هارباً [على عيون أهله وحرمه وولده. فأخذت جاريةٌ من جواريه عوداً، ووضعَتْه على صدرها، وغنّته لِتُحَرِّكَهُ على حملها معه، فقالت [منسرح]:

لم أنْسَ يوم الوداعِ موقفَها	وجفنها فى دموعها غَرِقُ
وقولَها، والركابُ سائرةٌ:	«تتركنا سيّدى وتنطلِقُ
أستودعُ الله ظبيةً جزعتْ	للبين والبينُ فيه لى حُرَقُ!»

فدمعتْ عينا زيادة الله عند سماعها، وشغله سوء الموقف وضيقُ الحال عن حملها معه. وخرج عن مدينة رَقَّادة متوجّهاً الى مصر فى ثلث الليل الأوّل]،

---

1) *Bayān*: وذلك انّه لما اتّصل به ما كان بالأربس.

2) *Bayān*: فلم ينفعه ذلك، وعلم الناس صحّة الخبر.

ومعه وجوه رجاله وفتيانه وعبيده، [وأخـذ طريق الجادّة] حتّى لحق بمدينة إطرابُلس. وكان عبد الله بن الصائـغ يتقلّد جميع أموره، [وينظر على أهل خدمته]؛ فواطأ خُزّان الأموال على اقتطاع ثلاثين حملاً من المال، فى كلّ حمل ستّة عشر ألف مثقال؛ فواعدهم موضعاً يجتمع فيه معهم؛ فأخطَوْه فى الليل، وخرجوا الى مدينة سُوسة؛ فقبض عليها [ابن] الهَمَدانىّ عاملُها، وخزنها [فى قصر الرباط] بسوسة، حتّى صارت الى الشيعة. وأصبح الناسُ من ليلة خروج زيادة الله [هارباً] الى مدينة رَقّادة؛ * فانتهبوها، وأخذوا من [بقايا] أموال بنى الأغلَب [ومتاعهم] و[صنوف الـ]ـآنية [من] الذهب والفضّة ما لا يُحيط بـه وصفٌ. [ورجع القوىّ يأخذ من الضعيف ما سبقه اليه. والهاربُ أبو مُضَر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن الأغلَب، المعروف بخَزَر، ابن إبراهيم بن الأغلَب بن سالِم بن عِقال التميمىّ.] وكانت ولايتُه (بإفريقية) خمس سنين وأحد عشر شهراً وأربعة أيّام. وكانت إمارة[1] بنى الأغلَب بإفريقية مائة (سنة)، وإحدى عشرة سنةً، (وثلاثة أشهُر).

P. ١٤٥

[ثمّ إنّ إبراهيم بن أبى الأغلَب، المنهزمَ من الأُرْبُس، أقبل الى القَيْرَوان فيمن بقى معه من القوّاد. فنزل بدار الإمارة، وبعث فى وجوه الناس، وجعل يظهر عندهم عتب زيادة الله، ويأخذ فى انتقاصه، وأنّه أسند أمر المسلمين الى من كان يسعى فى زوال ملكه. وقال للناس: «إنّ كُتامة مفسدون فى الأرض. ناصِحوا لله ولهذا الدين، وأمِدّونى بالرجال والأموال!» وحضر صلاة الظهر؛ فسلّم على رأسه بالإمارة؛ ثمّ اجتمع اليه الناسُ وقالوا له: «بلدُنا لا يعرف الفتَن، ونحن لا نقوم بالحرب؛ وأنت لم تستطِعْ دفـع كُتامة بالعَساكر والسلاح والمال! فكيف نَقْوَى نحن على دفعهم بأموال الرعيّة؟» ثمّ صاح الناس به: «لا طاعةَ لك علينا، ولا بيعة فى أعناقنا! فاخرجْ عنّا!» فركب فرسه، وشهر سيفه، ودفع الفَرَس، ونجا هارباً حتّى خرج من باب أبى الرَّبيع، ولحق بزيادة الله.

1) B. دولة.

وركب عبد الله بن الصائغ في البحر يُريد المشرق؛ فألقاه البحرُ بمدينة إطْرابُلُس، وبها زيادة الله. فأُتِيَ اليه به؛ فقرَّبه وأَدناه، وعاتبه فى فراره عنه؛ فاعتذر اليه ابنُ الصائغ بما أَخذه من الحيرة والخوف؛ فهمَّ زيادة الله باستحيائه؛ فأشار اليه كلُّ من معه من أَهله وقوّاده بقتله؛ فامر راشداً الأَسْوَد * بضرب P. ١٤٦ عنقه؛ فقتله. وكان يحكى علىُّ بن إسحاق بن عِمْران المتطبِّبُ أَنَّ عبد الله بن الصائغ كان، إذا رأى راشداً الأَسْوَد قبل ذلك، اربدَّ وجهُه؛ وإذا ذُكِر له، تنكَّر سرورُه، حتّى يعرف ذلك كلُّ من حضره. قال: فسأَلتُه يوماً عن ذلك؛ فقال لى: «تُحدِّثنى نفسى أَنَّ مَلَكَ الموت يقدم علىَّ فى صورة راشد الأَسْوَد، عند قبضه لروحى؛ فإذا رأَيته، لم أَملك من الصبر شيئًا!»

ذكر دولة الشيعة

وبلغ أَبا عبد الله الشيعىَّ هروبُ زيادة الله. فتحرَّك من الأُرْبُس يريد القَيْرَوان. فهال الناس أَمره، وخافوه على أَنفسهم. وخرج اليه الفقهاء ووجوهُ الناس؛ فقطع بهم محبوبُ بن عبد ربّهِ الهَوّارىُّ بموضع يُعْرَف بفَحْص باروقَس. بين مدينة جَلولا وحمَّام السُّرادِق؛ وذلك يوم الأَربعاء لليلتين بقينا من جمادى الأَخيرة؛ فانصرفوا أَقبحَ انصراف، وكتبوا الى أَبى عبد الله. يذكرون ما دار عليهم، ويعتذرون بذلك اليه، ويسأَلونه أن يجدَّ لهم موضعاً يلقونه؛ فأجابهم: «موعدُكم ساقية مَمْس يوم السبت.» وبعث أَبو عبد الله غَزَوَيْه بن يوسف الملوسىَّ بقطيع من الخيل لضبط مدينة رَقَّادة، وتحصين ما أَدرك بها من الأَموال؛ فنزل عليها يوم الجمعة لانسلاخ جمادى الأَخيرة؛ فأَلفى الناس بين داخل وخارج؛ فأَمر الخارج أَلاَّ يعود، والداخل بالخروج فارغاً. ولم يكن منه الى الناس إلاَّ خيرٌ. وفيها][1] أَقبل الى مدينة رَقَّادة فى سبعة عساكر، [وعددُ من]

1) Le *Bayān*, omettant ce qui précède, commence ici son récit, sous le titre: ذكر دخول أَبى عبد الله الشيعىّ مدينتَىْ رقَّادة والقَيْرَوان وحاله بهما »، فلما بلغه هروب السلطان، أَقبل الخ.

P. ١٤٧ فيها، *[على ما ذُكر،] ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل. فوصل اليها يوم السبت غُرَّة رجب، فخرج اليه أهلُ القَيْرَوان [من الفقهاء والوجوه وجِلَّة التجّار،] فالتقوا به [على ساقية مَمْس.] وسلّموا عليه، وأظهروا [له] الرغبة فى دولته، وسألوه الأمان، فأمَّنهم، [وصوَّب فعلهم]، ووعدهم بالإحسان والعدل [فيهم، وكان قد وعد قبل ذلك قوّاد كُتامة ورجالَها بأن يوكّلهم القَيْرَوان ويسلّط أيديهم فيها، ويُقطعهم جميع أموال أهلها. فلما سمعوا بأمنته للقوم، ساءهم ذلك، وكلّموه فيه، وذكروه ما كان وعدهم به. فتلا عليهم: «وَأُخْرَى لَمْ تَقدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللهُ بِهَا.[1]» وقال لهم: «هى القَيْرَوان.» فقبلوا قوله، وسلّموا لأمره.] ثمّ تقدّم بإنزال عساكره حوالَىْ مدينة رَقّادة، فدخلها، وقارئٌ يقرأ بين يديه: «هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ[2]» (الى آخر) الآية، و(يقرأ): «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ[3]» الى آخر السورة. ونزل بالقصر المعروف بقصر الصَّحْن. وبعث غَرَوَيْه[4] بن يوسف الى مدينة سُوسة، فأمّن أهلها، وأتاه بالثمانية والعشرين الحمل[5] من المال التى [كانت مخزونة بقصر الرباط المتقدّم ذكرها[6]]، وأمّن من ٱلْمَنَى بالقَيْرَوان من بنى الأَغْلَب وقوّادهم الذين تخلّفوا عن زيادة الله، وأمر بقتل السودان من موالى بنى الأَغْلَب. [وقتل إبراهيم بن بربر[7] بن يعقوب التميمىّ المعروف بالقوس، P. ١٤٨ فقُتل خنقاً، إذ كانوا * همّوا بالوثوب عليه. وقال أبو عبد الله: «ما أمِنتُ بإفريقية حتّى قتلتُ القوسَ!»] وبعث أبو عبد الله (الشيعىّ) الى إطرابُلُس، فأُتى منها بأخيه أبي العبّاس المخطوم، وكان بها محبوساً، وبأبى جعفر الخَزَرىّ[8]، وبأمّ عُبَيْد الله الشيعىّ، وكانت هنالك مع الخَزَرىّ[8]، فقدموا عليه. وكان أبو العبّاس [المخطوم] عجولاً، كثيرَ الكلام، ضعيفَ العقل، فأراد أن ينفى من القَيْرَوان

1) *Cor.*, XLVIII, 21. 2) *Cor.*, LIX, 2. 3) *Cor.*, XLIV, 24.

4) B. عروبة. 5) A. et B. بالثلاثين حملاً. 6) A. et B. التى ثقف بها.

7) G. بربر (sans points diacritiques); cf. *supra*, p. ١٢٩, dern. ligne et note 3.

8) B. الجزرى.

١) كلّ من يذهب من الفقهاء مَذْهَبَ أهل المدينة ١)؛ فلم يُجِبْه (أخوه) [ابو عبد الله] الى ذلك. وولّى [أبو عبد الله] (الشيعيُّ) على [مدينة] القَيْرَوان الحَسَنَ بن أحمد [بن عليّ بن كُلَيْب المعروف بـ]ـابن أبي خِنْزِير، وأمره بقتل من خرج ليلاً أو شرب مُسْكِراً، [أو حمله، أو وُجد عنده]. وولّى على مدينة القَصْر القديم خَلَفَ بن أحمد بن عليّ [بن كُلَيْب]، (أخا) ابن أبي خِنْزِير، وأمره بمثل ذلك.

وأمر بأن يُزاد فى الأذان [بعد «حَيَّ على الصلاة»] «حَيَّ على خير العَمَل»؛ وأسقط من أذان الفجر «الصلاةُ خيرٌ من النوم». وأمر بجمع ما انتهب من [الأموال بـ]ـمدينة رقّادة، وضمّ عبيد زيادة الله، ووقّف جواريه، وولّى النظر فى ذلك أحمد بن فَرُّوخ الطُّبْنيّ [الأحْـدَب]. وولّى (على) السكّة أبا بكر [الفَيْلَسُوف المعروف بـ]ـابن القَمُّوديّ، ونقش فيها: «الحمدُ لله رَبِّ العالمَين» [وسُمِّيت السَّيِّديَّة]. وكان نقشُ خاتم أبي عبد الله: «فتوَكَّلْ على الله! إنّك على الحقّ المُبين! ٢)» وفى الخاتم الذى يطبع به السِّجِلّات: «وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣)».

ووسم فى أفخاذ الخيل: «المُلْكُ لله!» وكتب فى بنوده: «سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤)». وقُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ٥)» وآيات كثيرةً من القرآن فى هذا المعنى]. وأمر بالصلاة على عليّ بن أبي طالب فى الخُطَب بإثر الصلاة على النبيّ — صلعم — [وعلى فاطمة، والحسن، والحسين. وأظهر التشيّع فى عليّ ومعاداة من قدّم عليه من أصحاب النبيّ — عليه السلام! —] [وفيها] ولّى [أبو عبد الله] (على) قضاء مدينة القَيْرَوان محمّد [بن عُمَر] ابن يحيي ابن عبد الأعلى] المَرْوَزيّ [من جُند خُراسان، يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان؛ فقعد فى الجامع]، وأمر بإسقاط صلاة الأشفاع ٦) فى [شهر] رمضان؛ [واحتجّ فى ذلك على الفقهاء، وأنكر عليهم الاقتداء بفعل

1—1) A. et B.: المالكيّة.
2) *Cor.*, XXVII, 79.
3) *Cor.*, VI, 115.
4) *Cor.*, LIV, 45.
5) *Cor.*, XVII, 83.
6) A. et B. التراويح.

عُمَر بن الخطّاب فى القيام، وتركهم الاقتداء بفعل علىّ بن أبى طالب فى زيادة «حىّ على خَيْرِ العَمَل» فى الأذان، وقال لهم: «اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول»]. فلما كان [فى] أوّل يوم من شهر رمضان، [أقبل المَرْوَزىّ الى المسجد الجامع، فـ]ـوجد فى حائط المسجد فى القبلة، فى موضع جلوسه، مكتوباً: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ [وَسَعَى فِى خَرَابِهَا[1]» الى آخر] الآية. [فلما رآه، سأل القَوَمة هل رأوا من جلس فى ذلك الموضع؛ فقالوا: «لا»] (فأمر بمحوه، وانتقل عن الجلوس بذلك الموضع.) ووقف يوماً على المَرْوَزىّ رجلٌ مُحْمَقٌ [خليعٌ]، والناس حوله؛ فقال له: «قد اضفتَ لنا — أصلحك الله! فى قطع قيام شهر رمضان. فلو احتَلْتَ لنا فى ترك صيامه، لكَفَيْتَنا *مَؤُونَتَه كلّها!» فقال له المَرْوَزىّ: «اذهبْ عنّى، يا ملعون!» وأمر بدفعه. وأمر أبو عبد الله (الشيعىّ)[2] وجوهَ كُتامة بدعوة الناس الى مذهبهم من التفضيل لآل علىّ والبراءة ممّن سواه؛ فدخل فى ذلك معهم كثيرٌ من الناس[2]؛ فلذلك سُمّيت دعوتهم التَشريق، لاتّباعهم رجلاً من (أهل) المشرق.

P. ١٥٠

(ذكر توجّهِ الداعى الى سِجِلْماسة واجتماعِه بعُبَيْد الله الشيعىّ بها)

[ونظر أبو عبد الله فى إقامة الجيوش والاستعداد للغزو الى سِجِلْماسة. وكان بها عُبَيْد الله الشيعىّ، وابنُه أبو القاسم، محبوسَيْن. و]كان أبو عبد الله (الداعى) يدعو الى عُبَيْد الله (الشيعىّ)، ويزعم أنّه الإمام من آل علىّ. فلما كَمُل له ما أراد من[3] جيوشه وجهازه وعدده وآلات سفره[3]، استخلف على إفريقية أخاه أبا العبّاس، وأبا زاكى تمّام بن مُعارِك [الأَجّانىّ[4]]. ثمّ خرج من رَقّادة يوم الخميس للنصف [من شهر] رمضان، فى جموع[5] كالدَّبَى المنتشِر[5] ومعه وجوهُ رجاله وأهل دعوته؛ [وفيهم إبراهيم بن محمّد الشَيْبانىّ المعروفُ بأبى

1) *Cor.*, II, 108. 2—2) A. et B. الناس على التشيّع.
3—3) A. et B. استيلائه على الملك. 4) A. الاجانىّ. 5—5) A. et B. كثيرة.

اليُسْر الكاتب، وزياد بن خَلْفون المتطبّب مولى بنى الأغْلَب. وغزا معه أحمد ابن محمّد بن سيرين، الفقيهُ بمذهب أهل العراق، راجلاً، يرى أنّه محتسبٌ للثواب فى طلب الإمام؛ وبهذا السبب ولى قضاء مدينة بَرْقة بعد ذلك].

فسار [أبو عبد الله] حتّى حلّ بمدينة تِيهَرْت؛ فدخلها بالأمان، وقتل بها من الرُّسْتُمِيّة *[يَقْظان بن أبى اليَقْظان، و]جماعة [أهل بيته]. وبعث برؤوسهم P. 151 الى أخيه أبى العبّاس، [وأبى زاكى خليفته برَقّادة]؛ وطُوِّفَتْ بالقَيْرَوان، [ونُصبت على باب مدينة رَقّادة]. (وانقضت دولة بنى رُسْتُم بتِيهَرْت؛ وكان لها مائة وثلاثون سنة).

ثمّ ولّى أبو عبد الله على تِيهَرْت [أبا حميد] دَوّاس بن صُولات اللهِيصىّ، وإبراهيم بن محمّد [اليَمانىّ المعروف بـ]ـالهَوّارىّ؛ [وكان يُلَقَّب السيّد الصغير]. ثمّ نهض حتّى احتلّ على [مدينة] سِجِلْماسة يوم السبت لستّ خلون من ذى الحجّة. فأحاط بها فى جموعه [وجيوشه]، وحاربها يوم الأحد لسبع خلون منه؛ فنتحها فى هذا اليوم، وأخرج منها عُبَيْد الله الشيعىّ وابنه أبا القاسم؛ وكانا محبوسَيْن فى غُرْفة عند مَرْيَم بنت مِدْرار. فلما بصر به أبو عبد الله (الشيعىّ)، ترجّل له، وخضع بين يديه، وبكى من إفراط سروره [به]. ثمّ مشى أمامه [راجلاً] حتّى أنزله [فى الفازة]، وسلّم اليه الأمر، وقال لمن معه: «هذا هو مولاىَ ومولاكم! قد أنجز الله له وَعْدَه، وأعطاه حقّه، وأظهر أمره!» وانتهب [أبو عبد الله] (الشيعىّ) ورجالُه سِجِلْماسة، وأُحرقت. وهرب منها اليَسَعُ (صاحبُها) فى جماعة من بنى عمّه ليلاً؛ فطلبه [أبو عبد الله] (الشيعىّ)؛ فلم يقدر عليه.

[وفيها، مات إبراهيم بن عيسى بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب، ودُفِن فى داره بأرشقول. وفيها، مات أبو عبد الرحمن بُكْر بن حمّاد بن سِهْر بن أبى إسماعيل، وهو زَناتىّ، فى شوّال بقلعة ابن حمّة، بجوفىّ مدينة تِيهَرْت، وبها كان مولدُه * ومنشأُه؛ وصلّى عليه ١٥٢

موسى بن الفارسيّ الفقيه، وهو يومَ مات ابنُ ستّ وتسعين سنة؛ ورحل بُكْر الى المشرق فى سنة ٢١٧، وهو حدثُ السنّ؛ فسمع من الفقهاء وجلّة العلماء؛ وكان عالماً بالحديث وتمييز الرجال، وشاعراً مُفْلِقاً؛ ومدح المُعْتَصِم، ووصلَه بِصِلات جزيلة؛ واجتمع بحبيب وصَريع ودِعْبِل وعليّ بن الجَهْم وغيرهم من شعراء العراق؛ وله أبياتٌ الى المُعْتَصِم، يحرّضه فيها على دِعْبِل وهى [طويل]:

أَيهجو أَميرَ المؤمنين ورَهْطَهُ ... ويمشى على الأَرض العريضة دِعْبِلُ؟
أَما والَّذى أَرسى ثَبِيراً مكانَه! ... لَقَدْ كادَتِ الدُّنيا لذاك تزلزلُ
ولٰكنّ أَمير المؤمنين بفضله ... يهمُّ فيعفو، أَو يقولُ فيفعلُ

فعاتَبَه حبيب فيه، وقال له: «قَتَلْتَه، والله! يا بكر!» فقال فى قصيدته هذه [طويل]:

وعاتبنى فيه حبيبٌ وقال لى: ... «لسانك محذور، وسمُّك يقتلُ!»
وإنّى، وإن صرفتُ فى الشعر منطقى، ... لأَنصف فيما قُلْتُ فيه وأَعدلُ

وفيها مات محمّد بن الحسن المعروف بابن وَرْصيد من قَسْطِيلِيَّة؛ وكانت له رحلةٌ وسماعٌ من الفُقَهاء؛ ومات محمّد بن يزيد الفارسيُّ من أَهل القَيْرَوان، له سماعٌ من سَحْنون ومن ابنه محمّد].

وفى سنة ٢٩٧، [1]غدر قوم من البربر يُعرفون ببنى خالد [باليَسَع بن مِدْرار]، واستأمنوا به الى أَبى عبد الله الشيعىّ؛ فأَمّنهم؛ [وذلك فى مستهلّ المحرّم]. وفيها، ولّى عبيدُ الله على مدينة سِجِلْماسة إبراهيمَ[1] بن غالب المزاتىّ[2]، وترك معه خمسمائه فارس من كُتامة، [ورحل بالعساكر الى إفريقية. وفيها، قُتل بالقَيْرَوان، *فى صفر، إبراهيمُ بن محمّد الضَّبّىُّ المعروف بابن البِرْذَوْن، وأَبو بكر بن هُذَيْل،

1—1) A. et B. donne ainsi ce passage: ظفر الشيعىّ باليَسَع بن مدرار صاحب سجلماسة، غدره قومٌ من البربر يُعرفون ببنى خالد؛ فاستأمنوا به الى أبى عبد الله الشيعىّ؛ فأَمّنهم. وتحرّك عبيد الله من سجلماسة الى إفريقية واستخلف بسجلماسة إبراهيم..... 2) B. المرائى.

الفقيهان، وكانت عندهما روايةٌ، وادابٌ، وتصرُّفٌ فى فنون من العلم؛ وكان محمّد الكلاعىّ وأصحابُه على مَذْهَب أهل العِراق، وهو الجائز عند الشيعة لِمَا فيه من الترخيص؛ فسعوا بهما الى أبى العبّاس المخطوم، وذكروا عنهما أنّهما يطعنان فى الدولة، ويشوبان علىّ بن أبى طالب بأبى بكر وعمر وعثمان – رضهم – فحبسهما المخطوم؛ ثمّ أمر ابن أبى خِنْزِير بقتلهما، بعد أن يضرب إبراهيم بن البِرْذَوْن خمسمائة سوط، إذ كان القولُ فيه أشنع، والسعىُ عليه أعظم؛ فغلط ابن أبى خِنْزِير فيهما، وضرب ابن هُذَيْل؛ ثمّ قتله؛ وقتل ابن البِرْذَوْن بلا أن يضربه؛ وذلك فى صفر؛ وطِيفَ بهما فى سِماط القَيْرَوان، مجرورَيْن مكشوفَيْن؛ ثمّ صُلبا بعد ذلك. وكتب أبو العبّاس الى أخيه بالخبر؛ فعنّفه عليه، ولامه فيه، وقال: «قد أفسدتَ علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجةٌ الى صلاحه!»] [1]

و[فيها،] خالَفَ [على أبى عبد الله الشيعىّ] محمّدُ بن خَزَر [ابن صيلات] (الزناتىُّ)، وأقبل الى [مدينة] تِيهَرْت [وطمع بأخذها، وإخراجِ دَوَّاس بن صُولات منها، وأن يقطع بأبى عبد الله وبمن معه فى انصرافهم من سِجِلْماسة.] وباطنه [2] على ذلك قومٌ من أهل تِيهَرْت، يُعرفون ببنى دَبُّوس [3]؛ [فاستدعوه؛ فوشى بهم الى * دَوَّاس P. ١٥٤ عامل الموضع؛ فحبسهم فى حصن برقجانة [4] المعروف بتيهَرْت القديمة]. وحارب [محمّد بن خزر] تِيهَرْت، وتغلّب على بعض أرباضها. [فلما رأى ذلك دوّاس، هرب الى ابن حَمّة صاحب القلعة، ووثب أهلُ حصن برقجانة [4] على بنى دَبُّوس عندهم؛ فقتلوهم. ودفع أهلُ تِيهَرْت محمّد بن خَزَر، وحاربوه حتّى قتلوه؛ ثمّ كاتبوا دَوَّاس؛ فانصرف اليهم. وولى عُبيد الله على مدينة سِجِلْماسة إبراهيم بن غالب المزاتىّ، وخلف معه ألفَىْ فارس من كُتامة. وتوجّه عُبيد الله وأبو عبد

---

1) Abrégé dans le *Bayān*. Version B.: وقتل أبو العبّاس المخطوم بعض فُقهاء القيروان وصُلحائها لكونهم لا يُفضّلون عليّاً على أبى بكر وعمر – رضهم – وصلب أولائك الصالحين والفقهاء على باب القيروان. فعنّفه أخوه على ذلك حين ورده ذلك.

2) A. et B.: ووافقه. 3) A. ديوس. 4) A. بزقجانة.

الله نحو إفريقية، ومعهم بنو مِدْرار وأهلهم مُكَبَّلين. فلما بلغوا مدينة أرْبَا، اتَّصل بهم خبر محمَّد بن خزَر؛ فساروا نحوه؛ فهرب، ودخل الرمال. وأمر عُبيد الله بقتل اليَسَع بن مِدْرار؛ فقُتل. وهو مريضٌ. وفيها، ثار أهل سِجِلْماسة بإبراهيم ابن غالب المزاتيّ عاملها؛ فقتلوه[1]] ومن [كان] معه من الشيعة (ومن كُتامة)؛ [وذلك يوم الاثنين لثلاث خَلَوْنَ من شهر ربيع الأوّل]، وولّوا على أنفسهم واسول ابن الأمير ابن مِدْرار.

التعريف بأمر سِجِلْماسة من حين ابتدائها الى هذه السنة المؤرَّخة[2]

كان أبو القاسم سمغون بن واسول المكناسيّ صاحبَ ماشية كثيرة، ينتجع موضع سِجِلْماسة. ويتردّد اليها وكان بَراحاً، يجتمع الناسُ فيه من قبائل البربر المجاورين له، يتسوّقون فيه. فاجتمع * قومٌ من الصُّفْرِيَّة على أبى القاسم، وسكنوا معه هنالك فى خيام. ثمّ شرعوا فى البناء فى حدود الأربعين ومائة. ثمّ قدّموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود، وولّوه أمرهم. ثمّ أنكروا عليه أشياء؛ فأخذوه، وشدّوا وثاقه، وربطوه الى شجرة فى رأس جبل، وتركوه حتّى مات. ثمّ ولى أبو القاسم سَمْغُون المتقدّم ذكرُه؛ قيل إنّه ابن واسول؛ وقيل: ابنُ مدلان؛ فلم يزل والياً عليهم الى ان مات سنة ١٦٨.

P. ١٥٥

ثمّ ولى الياس بن أبى القاسم، وسُمّىَ أبا الوزير؛ فبقى سنتَيْن؛ وقام عليه أخوه. ثمّ ولى أخوه اليَسَع بن سَمْغُون بن مدلان المكناسىّ فى سنة ١٧٠، وسُمّىَ

---

1) Le *Bayān* donne ainsi ce qui précède: واتّصل ذلك بعُبيد الله، وهو فى طريقه: فرجع قاصداً ابن خزرَ: ففرّ أمامه حتى دخل فى الرمال. وكان عبيد الله استصحب فى سفره ذلك بنى مِدْرار وأهليهم مُكبَّلين. فلما كان من ابن خَزَر ما كان، أمر بقتل اليسع؛ فقُتل وقتل أهلُ سجلماسة عامل عبيد الله إبراهيم بن غالب....

2) Ce chapitre ne figure pas dans le m^{s} B.

بالمُنْتَصِر، وكان جبّاراً عنيداً، فظفر بمن عانده من قبائل البربر، وقهرهم، وأذلّهم، وأظهر الصُّفْرِيّة، وأخذ خُمُسَ مَعادِن دَرْعة. وعَظُمَ قدرُه فى ذلك الوقت. وموضعُ سِجِلْماسة قد عُمِّر بالديار دون سور. ثمّ زاد مُلْكُ اليَسَع المذكور، وأمر ببناء السور، أسْفَلَهُ بالحجارة، وأعلاهُ بالطُّوب. فقيل إنّ بناءه كان من ماله، لم يُشارِكْه فيه أحدٌ. فسكن سِجِلْماسة، وتُوفِّى سنة ٢٠٨، فكانت مدّتُه بها نحو أربع وثلاثين سنة. ثمّ ولى ابنُه مِدْرار بن اليَسَع، وهو المُنْتَصِر بن سَمْغُون المتقدّم ذكرُه، فلم يزل والياً عليها الى أن اختلف الأمر بين ولدَيْه مَيْمون، المعروف بابن أروا (وهى أمّه، بنتُ عبد الرحمن بن رُسْتُم صاحب تِيهَرت) وابْنِهِ المعروف بابن بَقِيَّة. فتنازعا فى الأمر بينهما، وتقاتلا ثلاثة أعوام. فمال *مِدْرار P. ١٥٦ والدُهما مع ابنه مَيْمون بن الرُّسْتُمِيّة، وأخرج أخاه ابن بقيّة من سِجِلْماسة. فولى مَيْمون بن مِدْرار، وخلع أبوه له نفسَه، ثمّ قام عليه أهلُ سِجِلْماسة، فخلعوه، وأرادوا خلع أبيه وتقديمَ أخيه ابن بَقِيَّة، فأبى أن يتأمّر على أبيه، فأعادوا أباه مِدْراراً بعد خلعه، ثمّ سمع أهلُ سِجِلْماسة أنّه استدعى ابنَه ابنَ الرُّسْتُمِيّة فيمن أطاعه من دَرْعة، فتوجّهوا الى مِدْرار، وحصروه، ثمّ خلعوه أيضاً، وقدّموا ابن بَقِيَّة. فولى أمرهم. فلم يزل والياً عليها الى أن مات سنة ٢٦٣. وفى دولته مات أبوه مِدْرار. ثمّ ولى اليَسَع بن مَيْمون بن مِدْرار بن اليَسَع بن سَمْغُون بن مدلان المِكْناسىّ فى صفر سنة ٢٧٠، وتلقّب بالمُنْتَصِر على اسم جدّه، وهو الذى سجن عُبَيْد الله بسِجِلْماسة حين عرف منه أنّه هو الذى قام بدعوته الشيعىّ. ثمّ زحف اليه الشيعىّ من إفريقية، وفرّ أمامه، وخرج عُبَيْد الله من سِجِلْماسة من سجنه، واستولى على المملكة. ثمّ ظفر به فى سنة ٢٩٦، فقتله، فكانت مُدَّةُ اليَسَع ابن مِدْرار المذكور بسِجِلْماسة سبعاً وعشرين سنة. وانقرضت دولةُ بنى مِدْرار بسِجِلْماسة وما والاها، فكانت مائة سنة ونحو ستّين سنة. فولّى عليها الشيعىّ عاملَه، فوثب عليه أهلُها، فقتلوه، فكانت مُدّتُه بها خمسين يوماً).

ذكر وصول عُبيد الله الشيعىّ الى رَقّادة، ونُبَذ من أخباره، وما قيل فى نَسَبه

وفيها، وصل عُبَيْد الله الى مدينة رَقّادة، ومعه ابنُه أبو القاسم، [وجعفر بن علىّ الحاجب، وأبو الحسن طَيّب بن إسماعيل المعروف * بالحاضِن]. ولقيه P. ١٥٧ الفقهاء ووجوه أهل القَيْرَوان، فدعوا له، وهنّوه وأظهروا [له] السرور بأيّامه، وسألوه تجديد الأمان لهم. فقال لهم: «أنتم آمِنون فى أنفسكم [وذراريكم]!» ولم يذكر الأموال؛ [فعاوَدَه بعضُهم، وسألوه التأمين لهم فى الأموال؛ فأعرض عنهم]؛ فخافه أهل العقل من ذلك الوقت. ودخل [مدينة] رَقّادة، [وعليه ثوبُ خزّ أدكنُ، وعمامة مثله، وتحته فرسٌ وَرْدٌ؛ وأبو القاسم ابنُه خَلْفَه، عليه ثوبُ خزّ خَلوقىٌّ، وعمامة مثله، وتحته فرسٌ أشقر؛ وأبو عبد الله أمام عُبَيْد الله، وعليه ثوبٌ توتىٌّ، وطِهارةُ كتّان، وعمامةٌ، ومنديلٌ إسكندرانىٌّ، وتحته فَرَسٌ كُمَيْتٌ، وبيده سبنيّةٌ يمسح بها العرق والغبار عن وجهه؛ والناسُ حواليه وبين يديه أقواط يُسَلّمون عليه]. فنزل [عُبيد الله] فى القصر المعروف بالصَّحْن، ونزل ابنه بقصر أبي الفَتْح [1]. وتسمّى عُبَيْد الله بالمَهْدِىّ.

(واختُلِف فى نسبه: فادّعى هو أنّه عُبَيْدُ الله بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر ابن علىّ بن الحسن[2] بن علىّ بن أبى طالب — رضه — [3] وهو مذهبُ الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله الأموىّ[3]. وقال سائرُ الناس إنّه دَعِىٌّ، وإنّ انتسابه للطالبيّين دعوةٌ باطلةٌ؛ وذكروا عن أبي القاسم بن طَباطَبا العَلَوىّ أنّه قال: «والله الذى لا إله إلّا هو! ما عُبَيْدُ الله الشيعىُّ منّا، ولا بيننا وبينه نسبٌ.» وقال مُقاتِل: هو عُبَيْد الله بن محمّد بن عبد الرحمن [4] البَصْرىّ. وقد فضح القاضى أبو بكر ابن الطيّبِ الباقِلّانىُّ نَسَبَه فى «كتاب كَشْف الأسرار، وهَتْك الأستار»، وذكر

---

1) A. et B.: واحتلّ قصرها، ونزل ولده قصراً آخر بها. 2) B. الحسين.

3—3) Manque dans B. 4) B. الرحيم.

أنهم قرامِطة، وأنّ أبا عبد الله الشيعيّ أحدث لهم هذا المَذْهَب، ونسبهم * هذا P. ١٥٨
النسب. وحكى بعضُ المؤرّخين أنّ جعفر بن عليّ كانت له جاريةٌ؛ فغشيها رجلٌ
من القَرامِطة، وقيل من اليهود، دفعَتْ له مالاً؛ فكان يَهْواها وتَهْواه، وقتلت
جعفراً مولاها؛ فولدت جدّ عُبَيْد الله هذا. فمن خَفِيَتْ عليه هذه القصّة قال
إنّه عَلَوِيٌّ، ومن عَلِمَها عَلِمَ دعوتَه وكَذِبَه. والله أعلم! هكذا ذكر ابن
القطّان في نسبه).

[و]نقش [في] خاتمه: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي
إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ[1]». واستحجب[2] أبا الفَضْل جعفر بن
عليّ، وأبا أحمد جعفر بن عبيد، وأبا الحسن طَيِّب بن إسماعيل المعروف
بالحاضِن، وأبا سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمُسْلِم السجِلْماسيّ. واستكتب أبا
اليُسْر إبراهيم بن محمّد البغداديّ الشَّيْبانيّ. وولّى على بيت المال أبا جعفر
الخَزَرِيّ، وعلى ديوان الخراج [أبا القاسم] بن القديم، وعلى السّكّة [أبا بكر
النَيْلَسُوف المعروف بابن] القَمُّوديّ، وعلى [العطاء عَبْدون بن حُباسة، وعلى
قضاء مدينةَ رَقّادة أَفْلَح بن هارون الملوسيّ. وأقرّ على] عمالة القَيْرَوان الحسن
ابن أبي خِنْزِير، وعلى القضاء بها المَرْوَزيّ. [وامر أن تُقلع من المساجد والمواجل
والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها؛ وكتب عليها اسْمَه]. وأظهر [عبيد الله]
التشيّع [القبيح، وسبّ أصحاب النبيّ — صلعم — وأزواجه، حاشى عليّ بن أبي
طالب، والمِقْداد بن الأسْوَد، وعمّارَ بن ياسِر، وسَلْمان الفارسيّ، وأبي ذَرّ
الغِفاريّ؛ وزعم أنّ أصحاب النبيّ — عم — ارتدّوا بعده غير هاؤلاء الذين
* سمّيناهم. ومنع المَرْوَزيُّ الفقهاءَ أن يفتي أحدهم إلّا بمَذْهَبٍ زعم أنّه مذهبُ P. ١٥٩
جعفر بن محمّد؛ منه سُقوطُ الحِنْث[3] عمّن طلّق بالبَتّة، وإحاطةُ البنات بالميراث،

---

1) *Cor.*, X, 35. — A. et B. ne donnent que les deux premiers mots du verset, suivis de الآية. 2) A. et B. résument ainsi ce qui suit: وجعل لنفسه حُجّاباً وكُتّاباً.

وأشياء كثيرةٌ يطولُ ذكرُها. ومدحت الشعراء عُبَيْدَ الله بالكفر، فاستجازَهُ.
وكان فيما مُدح به شِعْرٌ لمحمَّد البديل، كاتِب أَبى قُضاعة، وفيه [بسيط]:

حَـلَّ برقّـادة المَسِيحُ   حَلَّ بهـا آدَمُ وَنُـوحُ
حـلَّ بها أَحمدُ المصفَّى   حلَّ بها الكبشُ والذبيحُ
حـلَّ بها الله ذو المعَالِى   وكـلُّ شىء سِوَاهُ ريحُ

— لعنه الله، وغضب عليه، وأَخزِى القائل والمقول فيه! — وكانت أَيمان كُتامة
أَوَّلَ دخولهم إفريقية: «وحَـقِّ عالمِ الغَيْب والشهادة، مَوْلانا المهدىِّ الذى
برقَّادة!» حتَّى كتب بعضُ أَحداث القَيْرَوان هذَيْن البيتَيْن، وتلطَّفوا فى وصولها
الى عُبَيْد الله من حيثُ لا يعلم، وهى [مجتثّ]:

الجورَ قـد رضينـا   لا الكفر والحماقَهْ!
يـا مدَّعِى الغيوب   مَنْ كاتِبُ البِطاقَهْ؟

فاشتدَّ ذلك عليه لمَّا وصل اليه، وكشف سرًّا عن كاتب ذلك، فلم يقع له على
خبر. وفيها، خالَفَ ببلد كُتامة بَباب مع قبائل من البربر، واجتمع اليه عددٌ
عظيمٌ، فكتب عُبَيْد الله الى من تمسَّك بطاعته من كُتامة، يأْمرهم بمحاربتهم.
فقُتِل أَكثرُهم، وأُخذ بَباب أَسيراً، وقُرِئَ كتاب الفتح بمدينة القَيْرَوان. ورجعت
قبيلة زَناتة الى تِيهَرْت، وحاصروا دَوَّاس بن صُولات فيها، فأَخرج اليهم عُبَيْد الله
قائداً يُعرف بشيخ المشايخ، فهزم زناتة، وقتل كثيراً منها. وفيها خرج أَبو القاسم
يوم الفطر الى المصلَّى بمدينة رقَّادة، وصلَّى بالناس، وخطبهم، وخرج معه أَبو عبد
الله الشيعىُّ وجماعة * قوَّاد كُتامة، وهو أَوَّل عيد صلَّى فيه بإفريقية، وقُرِئَ P. ١٦٠
بذلك كتابُ عُبَيْد الله على مِنْبَر القَيْرَوان وأَعمالها].

وفيها، خرج أَبو عبد الله الشيعىُّ [مع جماعة من قوَّاد كُتامة ودُعاتهم] الى
أَرض المغرب، [لما ظهر فيه من الالتياث، وفساد الطُّرُق، وقيامَ القبائل على
عُمَّالهم]، فافتتح المُدُن، وقتل، وسبى. [ووردت له كُتُبٌ كثيرةٌ بالفتوح،

فقُرِئت بإفريقية. وفيها، مات جَبَلة بن حَمُّود بن جَبَلة الصَّدَفيّ، مولى الإمام عثمان ابن عفّان – رضه – وكان فقيهاً زاهداً، من رجال سَحْنون وممّن نبذ الدنيا وتركها؛ وكان أبوه من خدَمة السلطان وأهلِ الأموال؛ فنابذه فى حياته، ثمّ تبرّأ من تركِته بعد وفاته؛ وكانت تركتُه نحو ثمانية آلاف مثقال. وفيها، مات دِعامة ابن محمّد الفقيه؛ وكان من رجال سَحْنون، ووَلِيَ القضاء بصِقِلِّيَة فى أيّام بنى الأغْلَب. وفيها، مات محمّد بن عَبْدُون القاضى، وأحمد بن محمّد بن الأغْلَب التميمىّ، وعبد الله بن أبى المِنْهال. وفيها، صلّى أبو القاسم يومَ الأضحى بالناس، وخطب؛ وقُرِئَ بذلك كتابُ عُبيد الله بالقَيْرَوان. وفيها، مات محمّد بن خالد القَيْسىّ المعروف بابن الطَّرْزىّ[1]؛ وكان من رجال سَحْنون؛ ومات أبو السُّمَيْدَع المؤدِّب النحوىّ. وفيها، قُتل بمدينة رقّادة أحمد بن يحيى بن طَيِّب المُتَطَبِّب الفقيه بقول أهل العراق.

وفى هذه السنة[2]، وصل [أبو عبـد الله الشيعىّ] الى [مدينة] تَنَس [ونزل بالموضع المعروف بالثَّوْر]، وذلك يوم الجمعة لثلاث بَقِينَ من ذى الحجّة. [ف]جمع (الى نفسه) وجوه كُتامة، وتكلّم معهم فى أمر عُبَيْد * الله، وعمل معهم على خلعه، وقال لهم: «إنّ أفعاله قبيحةٌ[3]، ليست تشبه أفعال المهدىّ الذى كنتُ أدعو اليه. وأخشى أن أكونَ قد غَلِطتُ فيه، وعرض لى مـا عرض لإبراهيم الخَليل – عم – إذ جنّ عليه الليلُ؛ فرأى كوكباً؛ فقال: «هذا رَبِّى!» ويجِبُ علىّ وعليكم امتحانُه وكَشْفُه عن العلامات [الموجودة فى الامام، المعروفة عند النُّقباء.» وزعم لهم بأنّ الرواية أتتْ أنّ بين كَتِفَى] المهدىّ [مكتوباً: «المهدىُّ رسولُ الله»، كما بين كَتِفَى النبىّ – صلّى الله عليه – خاتَمُ النبوّة، وأنّ المهدىّ يأتى بالآيات البيّنات، ويطبع بخاتمه فى الجَنْدَل]. فعقد معَ جماعـة

١٦١ .

1) Orthographe fournie par les *Ṭabaḳāt ʿulamāʾ Ifrīḳiya*, éd. Ben Cheneb, p. ١٦٤.

2) A. et B.: ... وفيها كان تغيّـر أبى عبد الله الداعى على صاحبه عُبَيْد الله وذلك أنّه لما.

3) Seulement dans B.

كُتامة على امتحانه إذا انصرفوا (نَحْوَه) الى رقّادة؛ ودخل معهم فى [هذا] العقد عَرُوبة [1] بن يوسف، (وتعاهدوا على ذلك).

وفى سنة ٢٩٨، تجوّل [2] أبو عبد الله الشيعىّ فى بلاد البربر، وحارب صَدِّينة وزَناتة، وقتل الرجال، وأخذ الأموال، وسبى الذُّرِّيَّة، وأحرق بعض المدُن بالنار؛ [وكتب بالفتوحات الى عُبَيْد الله؛ فقُرِئَت كُتُبُه على الناس]. ثمّ قفل [أبو عبد الله] الى مدينة رَقّادة، [بعد أن تَجوّل بالغرب شهوراً كثيرةً. فلما توصّل أبو عبد الله الى مدينة رقّادة]، أخبر عَرُوبةُ بن يوسف عُبَيْدَ الله الشيعىّ بما كان من أبى عبد الله فى جانبه وقتَ وصوله الى مدينة تَنَس، وما عمل عليه مع جماعة كُتامة من خلعه؛ فالتزم عبيدُ الله الاحتراسَ منه [فى سرّ [3] أمره. وفيها، ولى أبو جعفر البغدادىّ ديوانَ الكَشْف، مشتركاً مع عِمْران بن أبى خالد بن أبى سلام. وفيها، مات من الفُقهاء المَدَنيّين، من أصحاب سحنون، يحيى بن عَوْن * بن يوسف، وعبد الله بن الوليد المعروف بابن المدقى [4]؛ P. ١٦٢ وكان فقيهاً من أهل الانقباض والخير. وفيها، مات أبو اليَسَر إبراهيم بن محمّد الشَيْبانىّ البغدادىّ المعروف بالرِّياضىّ، يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى؛ ودُفن بباب سالِم؛ وكان ظريفاً، أديباً، مُرسِلاً، شاعراً، حَسَن التآليف؛ وقدم الأندلس على الإمام محمّد بن عبد الرحمن – رحمه الله! – بكتاب اخترقه اليه على ألْسِنَة أهل الشأم؛ فتقبّله الإمام محمّد، وأنزله، ووسّع عليه، ووَصَلَه، واطّلع على أنّ الكتاب مُخْتَرَقٌ مَصْنوع؛ فلما أراد أبو اليسر الانصراف، دُفع اليه كتابٌ مختومٌ جواباً عن كتاب أهل الشأم فيما أرَى. فلما جاز البحر، فكّ أبو اليسر الكتاب ليقرأه؛ فإذا هو بياضٌ ليس فيه إلّا: « بسم

1) Leçon fournie par B.; paraît préférable à غرويه lu par Dozy. Cette leçon, qui sera adoptée dans les pages suivantes, est d'ailleurs également fournie par Ibn al-Aṯīr et Ibn Ḫaldūn. 2) A. تحوّل. 3) G. شرّ.

4) الفُنْدُقى ? (D.). L'ethnique de ce personnage ne figure pas à la suite de son nom dans les passages d'Abu 'l-ʿArab où il est mentionné.

الله الرحمن الرحيم!» فعلم أنّ تمويهه لم يجُز. وأنّ الذى أُعطى وحُبِىَ عن بكرم وفضل وعِلْم فى عينه ملوك الأندلس ورجاله؛ وحدّث بما عرض له، وعجب الناسُ منـه. وكتب أبو اليسر لبنى الأغلب حتّى انصرمت أيّامهم؛ ثمّ كتب لعُبَيْد الله حتّى مات. وله مؤلّفات حسانٌ فى فنون من العلم، ومُسْنَدٌ فى الحديث، وكتابٌ فى القرآن سمّاه «سِراج الهُدَى». وله «كتاب لَقيط المُرْجان»، ورسالة «الوحيدة المؤنِسة»، و«قُطْب الأَدَب»، وغير ذلك من الأوضاع. وفيها، استكتب] عُبَيْد الله أبا جعفر [محمّد بن أحمد بن أحمد بن هارون] البغداديّ، [بعد أبى اليسر، وقرّبه، وأدناه]، واستعان به على أمر أبى عبد الله وأبى العبّاس وجماعة كُتامة؛ فكان منه فى ذلك رأىٌ جميلٌ ونفعٌ عظيمٌ. [وكان أبو جعفر ذا دهاء وفهمٍ حسنٍ؛ ودخل الأندلس فى أيّام الإمام عبـد * الله — رحمـه الله! — فصحب الناس، وجالس أهل الأدب؛ وكان بعد ذلك يحافظ مَن جاز بـه، قاصداً الى الحجّ، من خُلَطائه بقُرْطُبَة، ويُكْرِمُهم].

P. ١٦٣

وفيها، خالفت هَوّارة باطرابُلُس، وقدّموا على أنفسهم أبا هارون الهوّارىّ؛ وزحف أيضاً جماعةٌ من زناتة ولماية[1] وغيرهم من القبائل الى مدينة إطْرابُلُس، مُحاصرين لأهلها. فأخرج اليهم عُبَيْدُ الله الشيعىُّ أبا زاكٍ تَمّام بن مُعارِك [الأجّانىّ]، وكان يذهب مذهب أبى عبد الله فى الغدر بعُبَيْد الله والخلع له. فأراد أن يُبعِده [لما كان يحاوله عُبيد الله من قتل أبى عبد الله؛ وجيّش مع أبى زاكٍ جيشاً عظيماً؛ فحاربهم أبو زاكٍ حتّى هزمهم وفرّق جموعهم، وقتل كثيراً منهم؛ وبعث برؤوسٍ كثيرة وآذانٍ مفرطة لمن قتل؛ فنُصبت برقّادة].

---

1) A. et B. لواتة. Le passage est ainsi résumé par le *Bayān*: وفيها حاصر إطرابلس هوارة وزناتة ولواتة وغيرهم من القبائل. فأخرج اليهم أبا زاكٍ تمّام بن معارك فى جيش عظيم؛ فحاربهم حتى قتلهم. وكان مذهبه مذهب أبى عبد الله فى الغدر بعبيد الله والخلع له؛ فأراد ان يبعده.

ذكر قتل عُبَيْد الله (الشيعيّ) لأبى عبد الله الشيعىّ وأبى زاكٍ

وذلك أنّ عُبَيْد الله كتب الى [ماقنون بن دَبَارة الأَجَّانى] عامِله باطْرابُلُس، يأمره بقتل أبى زاكٍ إِتمام بن مُعارِك الأَجَّانى على بَنِيَّةٍ بناها ونيَّةٍ نواها فى قَتْله وقَتْلِ أبى عبد الله الشيعىّ بعده.] فبعث عامل [إِطْرابُلُس فى أبى زاكٍ،] وكان عَمَّه، ثمّ عرض عليه كتاب عُبَيْد الله [اليه] يأمره بقتله. فلما قرأه أبو زاكٍ، قال له: «يا عمّ! نَفِّذْ ما أُمِرْتَ به!» (فقدّمه،) فضرَبَ عُنُقَه، وكتب الى عُبيد الله بخبر قتله مع حَمَامٍ وصل الى رَقّادة من ساعته، *[وذلك يوم الثلاثاء] غُرَّة ذى الحجّة [سنة ٢٩٨]. فلما وصل الخبر الى عُبيد الله (الشيعىّ)، أمر عَرُوبة [1] ابن يوسف [الملوسىّ] [2]وجَبْر بن نُمارِسب الميلىّ[2] أن يكمنا خلف قصر الصَّحْن، [3]فإذا مرّ بهما أبو عبد الله الشيعىّ وأخوه أبو العبّاس[3]، طعنوهما بالرماح حتّى يموتا. فكَمِنا (لَهُما) هناك مع جماعة من كُتامة. وبعث عُبيد الله فى أبى عبد الله وأبى العبّاس ليحضُرا طَعامَه على [جارِى] عادتهما [معه]. فلما مرّا بالموضع الذى فيه الكمين، خرج عليهما، فصاح أبو عبد الله بعَرُوبة: «لا تفعَلْ يا ولدى!» فقال [له] عَرُوبة: «أمَرَنى بقتلك مَنْ أَمَرْتَ الناسَ بطاعته، (وانخلَعْتَ له من المُلْكِ بعد تَوْطِئَتِه)!» ثمّ طعنه [بيده] طعنةً واحدةً خرّ منها صَرِيعاً، ووقعت فى أبى العبّاس تسع عشرة طعنةً، وذلك يوم الثلاثاء وقت الزوال، مُسْتَهِلّ ذى الحجّة. ومكثا صَرِيعَيْنِ [على صَفّ الحفير المعروف بالبَحْر] الى بعد الظُّهر، ثمّ أمر عُبيد الله بدفنهما، [فدُفنا فى الجنان،] وقال: «رَحِمَكَ الله! أبا عبد الله! وجازاك فى الآخرة [بقديم سعيْك]! ولا رَحِمكَ [الله] أبا العباس! فانّك صَدَدتَه عن السبيل، وأوردتَه مَوَارِد الهلاك!» ثمّ قرأ: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً، فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ

P. ١٦٤

---

1) A. غرويه. 2—2) A. et B.: وآخر معه.

3—3) A. et B. فإذا قرب منهما الداعى وأخوه المخطوم.

ويحسبون أنهم مهتدون[1]»]. وكتب الى الشيعة بالمشرق فى أمرهما: «أمّا بعد، فقد علمتم[2] محلَ أبى عبد الله وأبى العبّاس من الإسلام. فاستزلّهما الشيطان، فطهّرتُهما[3] بالسيف! والسلام.» [وحدّث الثقة أنّ أبا عبد الله نام يوماً بحضرة أصحابه، * وعنده جماعةٌ من دُعاة كُتامة، فتحرّك فى نومه، فانكشفت سوءتُه، فنظر بعضهم الى بعض، ولم يقدموا أن يستروه. فمدّ عَرُوبة بن يوسف يده الى الملحفة التى كانت عليه، فستره بها. وانتبه أبو عبد الله، فقال: «من سترنى إذا انكشفت؟» فقالوا له: «عَرُوبة!» فقال: «هو والله! قاتِلِى!» فجعل عَرُوبة يبكى بين يَدَيْه، ويقول له: «يا سيّدى! مُرْ بقتلى!» فقال له: «لا سبيل الى ذلك! لكنّك، والله! قاتِلِى!» فكان الأمر كما ذكر.] P. ١٦٥

واحتجب عُبَيْد الله عن كُتامة أيّاماً، ثمّ أمّنهم وأدخلهم على نفسه مُفْتَرِقين على حَـذَرٍ منهم، ثمّ عمل على قتل جماعة منهم، فقتلهم بأصناف من القتل. [4]وفيها، خرج سى بن دوقان ورجاء بن أبى قِنّة[4] الى لواتة [فى عسكر ضخم]، فقتلوهم، وغنموا أموالهم، وسبوا ذراريهم، [وقُرِئَ بذلـك كتابُ عُبيد الله بالقَيْرَوان وأعمالها.]

وفى سنة ٢٩٩، أخرج عُبيد الله الى المغرب جماعةً من قُوّاده لمُحاربة زَنانة، فى عساكر عظيمة، فكانت بينهم وبين زنانة وقعةٌ عظيمةٌ بمَوْضع يُعرف بفلك مديك، قُتل فيها من زنانة عَدَدٌ لا يُحصى. وفيها، فُتِحت مدينة تِيهَرْت، وكان[5] أهلُها قد ثاروا على دَوّاس عاملِها، وأرادوا قتله[6]، فهرب [منها] الى تِيهَرْت القديمة، وتحصّن بها. وقُتل [فيها] أكثرُ أصحابه، وكانوا فى نحو ألف فارس. واستدعوا محمّد بن خَزَر، فقدم عليهم، وأدخلوه البلد، وولّوه، وبرزوا

1) *Cor.*, XLIII, 36—37. 2) A. et B. علمنا. 3) A. et B. فضربتهما.

4—4) A. et B. ثمّ عمل سفرة.

5) A. et B.: وفى سنة ٢٩٩، كانت وقعة بين عساكر عبيد الله وبين زنانة، قتل فيها من زنانة خلقاً كثيراً. وكانت أيضاً ملحمة بتيهرت، وذلك أنّ...

6) A. et B.: الوثوب به.

اليه بأمّ دَوّاس وعياله و[أكثر] سلاحه، ثمّ خذَلُوه وخَذَلَهم، فزال عنهم، وانصرف الى موضعه. ثمّ أخرج عُبيد الله العساكر الى *تِيهَرْت فى أعداد عظيمة وخلق لا يُحصى كثرةً، فنزلت عليها يومَ الجمعة لانسلاخ المحرَّم، وحورب أهلها ثلاثة أيّام. ثمّ أخِذوا بالكَيْد، ودخلت العساكر تِيهَرْت يومَ الثلاثاء لأربع خلَوْن من صفر، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والذُّرِّيّة، وانتهبوا الأموال، وحرّقوا المدينة بالنار. وبلغ عَدَدُ القَتْلَى بها ثمانية آلاف رجل. ثمّ ولّى عُبيد الله تِيهَرْت مَصالة بن حَبُوس بن مُنازِل بن بَهْلُول المِكْناسىّ. وانصرف دوّاس ابن صُولات الى مدينة رَقّادة. وقتله عُبَيْدُ الله بعد ذلك. P. ١٦٦

[وفيها، كانت بالقَيْرَوان زَلازِلُ وهدّات، وخُسِفَ بقرية فى الساحِل، تُعرف بالنباس.] وفيها، كانت وقعة كُتامة بالقَيْرَوان [يوم الثلاثاء لعشر بَقِينَ من شعبان، فقُتِل منهم فى الأزِقّة والأسواق أكثر من ألف رجل]، وذلك أنّ كُتامة كانوا يَسْئَلُون عُبيد الله أن يُطلق أيديهم على نهب القَيْرَوان، وكان يُسَوِّفهم فى ذلك، ويُعلِّق أطماعهم به. وَهُمْ يتحاملون على أهل القَيْرَوان بالتطاوُل والأذَى. حتّى شَرِقَ الناسُ بهم، فقاموا عليهم فى بعض الأيّام، بسبب استطالةِ رجلٍ من [جند] كُتامة على رجل من تِجَار أهل القَيْرَوان. فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم السلاح، وأرادوا نَهْبَ الحوانيت. [فصاح أهل الأسواق: «النفير! النفير!»] فقُتل من كُتامة أكثر من ألف رجل. وركب أحمد بن أبى خنْزير، صاحبُ مدينة القَيْرَوان، فسكَّن الناس، وأمر بتغْييب القَتْلَى، فطُرِحوا فى المَراحِيض. ولَحِقَ مَنْ كان حَوالَىْ رقّادة من كُتامة ببلادهم. فلمّا حصلوا بها، أظهروا الخلاف [على عُبيد الله]، وقدّموا على أنفسهم *حَدَثاً يُعرف بالمارِطىّ[1]، واسمُه كادو بن مُعارك، وجعلوه قِبْلةً يُصلّون اليه، وزعموا أنّه المَهْدِىُّ المُنْتَظَر، وكتبوا كتاباً فيه شريعةٌ زعموا أنّها نزلت عليه[2]. فتغلّب على جميع P. ١٦٧

1) Cette leçon, fournie par le *Bayân*, semble préférable à الماوطى adopté par Dozy, d'après G. 2) On a suivi ici la version fournie par B.

الزاب، وقَوِىَ أمْرُهُ، واشتدّتْ شوكتُه. فأخرج اليه عُبيد الله قوّاداً حاربوهم. [وهرب اليهم أحد القوّاد، وهو صُولات بن جنة، فى نحو مائتى رجل.] ثمّ أخرج [عُبيد الله] ابنه أبا القاسم [الى بلد كُتامة لمحاربة المارِطىّ، ففصل من رقّادة يومَ السبت لخمس بَقِين من شهر رمضان.] فافتتح [مدينة ال]قُسْطَنْطِينة[1] من أرض كُتامة [وغيرها]. وكانت له على المارطىّ وقائعُ. [وهرب من قوّاد أبى القاسم الى المارطىّ رجالٌ، ثمّ أمّنهم أبو القاسم ولاطَفهم حتّى انصرفوا اليه.

وفيها، قُتل بالقَيْرَوان قومٌ اتُّهموا بالمَيْل مع أبى عبد الله الشيعىّ، إذ نوى الغدر بعُبيد الله، منهم محمّد بن أبى سعيد المِيلىّ، صاحبُ السوق، وعبدُ الله ابن محمّد المعروف بابن القَدِيم، ومحمّد بن أبى رَجّال الباغائىّ، وأبو الوَهْب بن عمرو بن زُرارة العَبْدَرىّ، وجماعةٌ من بنى الأغْلَب وقوّادهم. وقُتل أبو إبراهيم المعروف بابن البِجاوىّ القُرَشىُّ الفِهْرىُّ، وهو القائم على إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب مع أهل تونُس. وفيها، وُلد أبو الطاهر إسماعيل بن أبى القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ وولى إفريقية سبعَ سنين.] وفيها، مات زيادة اللهُ [بن] عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغْلَب] الهارِب [من إفريقية] الى مِصْرَ، [ودُفن ببيت المَقْدِس.] (وكان، لما فرّ عن القَيْرَوان بعياله وماله وألف صِقْلَبىّ، ترك جاريةً، فغنّتْ له، مُحَرِّكَةً على حَمْل نَفسها [منسرح]:

* لَمْ أنْسَ يَوْمَ الوِداعِ مَوْقِفَها وجَفْنُها فى دَمْعِها غَرِقُ
وقَوْلَها، والرِّكابُ واقِفةٌ: «تَتْرُكُنى سَيّدِى وتَنْطَلِقُ!»[2]

P. ١٦٨

قال المُظَفَّرىُّ[3]: فحطّ حِمْلَ مالٍ، وحملها فى مكانه. وقال عَرِيب: فدمعت عيناه، واشتغل عنها بما هو فيه، فتركها. ووصل الى مِصْرَ، فبقى عند عيسى النُّوشَرىّ صاحِبِها ثمانية أيّام، ورحل الى الرَّقّة، فمُنِع الدخولَ الى بَغْداد، وأُمِرَ بالانصراف الى مِصْرَ، فسمّه بعضُ عبيده، فمات.

1) B. قسطيلية. 2) Voir *supra*, p. ١٤٧, avec une variante à chacun des deux vers. 3) A. الطّبرى.

[وفيها، مات من الفقهاء المَدَنيّين، وأهل العلم باللّغة والنحو وفصاحة اللّسان، عبدُ الله بن محمّد التّميميّ المعروف بالبَيْدىّ[1]، وهو من وَلَد عبّاد بن كَثِير، مات ابن سبع وثمانين سنة.]

وفى سنة ٣٠٠، خالَفَ أهلُ مدينة إطرابُلُس على عُبيد الله الشيعىّ[2]، إذ كان قد استعمل عليهم ماقنون بن دبّارة الأجّانى؛ فبسط أيدى بنى عمّه من كُتامة على الناس، وتطاولوا الى الحرم؛ فتحرّك السواد، ومدّوا أيديهم الى من لقوا من كُتامة؛ فقتلوهم. وهرب ماقنون. وأغلق أهلُ إطْرابُلُس أبواب المدينة، وقتلوا من كان داخِلَها من كُتامة، وقدّموا على أنفسهم محمّد بن إسحاق، المعروفَ بابن القرلين، ولحق ماقنون بعُبيد الله[3]. فأخرج اليهم جيشاً، وحارَبَهم شهوراً.

وفيها، قفل أبو القاسم الشيعىُّ [من بلد كُتامة] الى رقّادة، ومعه المارطىُّ الثائر وأصحابه [أسرى]؛ [4]فطُوِّفوا بالقَيْرَوان[4] على الجمال. [وعليهم القلانس الطوال المُشَهَّرة بالقرون * والمصافع]؛ فقُتلوا بـ[مدينة] رقّادة. [وفيها، خالفت جزيرة P. ١٦٩ صِقِلّيَة، وثاروا بالحَسَن وعلىّ ابنَىْ أحمد بن أبى خِنْزير العامِلَيْن عليها، وطردوهما، وانتهبوا دورَها. وأراد أهلُ صِقِلّيَة أن يُقَدِّموا على أنفسهم أحمد بن زيادة الله بن قُرْهُب؛ فامتنع عليهم، وهرب منهم، وتوارى عنهم فى غار؛ فاجتمع وجوه أهل البلد اليه، وسألوه التّأمُّر عليهم، وأوثقوه من أنفسهم أنّهم لا يخذلونه. فتولّى أمرهم، وكتب الى المُقْتَدِر ببَغْداد بأن يكون داعياً له. وقائماً بأمره بجزيرة صقلّيَة؛ فأنفذ المُقْتَدِر ذلك له، وبعث اليه بألويةٍ سودٍ، وخِلَعٍ سودٍ، وطوقِ ذهب؛ ووصل ذلك الى أحمد بن زيادة الله بن قُرْهُب؛ فسرّ به، وأظهر الحزم والجدّ فى أمره.]

وفيها، خرج أبو القاسم [بن عُبيد الله] لمُحاربة إطْرابُلُس. [وفصل من

1) Peut-être faut-il rétablir: البَيْدَق?

2) B. ajoute الملقّب بالمهدىّ كذباً وزوراً.

3) *Bayān*: وقتلوا كلّ من كان بها من كُتامة، وعدّوا ذلك أكبر جهاد. وخرج والى عبيد الله منها: فلحق به...

4—4) *Bayān*: وأُدْخلوا مشهّرين.

رقّادة يوم الأحد لليلتين خلتا من جمادى الأولى. ووجّه اليها عُبيد الله فى البحر خمسة عشر مركباً حربيّة. فلما وصلت الى إطْرابُلُس، أخرجوا اليها مراكبهم، فحرّقوا الأسطول، وقتلوا من فيه. وسار أبو القاسم فى البرّ نحو إطرابُلُس، فأوقع بأهل هَوّارة، ثمّ نزل على إطرابُلس، فحارَبها] وحاصرَها حتّى أكلوا المَيْتة، فرغبوا [الى أبي القاسم] فى الأمان، فأمّنهم إلّا ثلاثة أنفس [اشترط التحكّم فيهم: وهم محمّد بن إسحاق القُرَشىّ، ومحمّد بن نَصْر، ورجلٌ يُعرف بالحوحمه[1]. فدخل إطْرابُلُس وتحكّم فيها. ثمّ قفل بالعسكر الى رقّادة، وبين يديه الثلاثة الّذين تقدّم ذِكْرُهم، فطُوِّفوا بالقَيْرَوان على الجمال بالقلانِس، ثمّ] قتلوا. و[فيها،] قتل أبو القاسم [بمدينة إطْرابُلُس، عند افتتاحه لها،] من كان معه من بنى الأغْلَب [وقوّادهم].

P. ١٧٠ وفيها، خرج عبيد الله من *[مدينة] رقّادة الى تونُس [وقَرْطاجَنّة] ونواحى البحر، يرتاد موضعاً ليتّخذه دارَ مَمْلكته. فوقع اختياره على جزيرة جَمّة، فابتدأ بنيانها، وهى التى تُسمّى المَهْديّة.

[وفيها، ولى أبو جعفر محمّد بن أحمد بن هارون البغدادىّ ديوان البَريد، فلم يزل يتولّى ذلك الى أن هلك. وفيها، قُتل بالقَيْرَوان محمّد بن أبى أيّوب المعروف بأبى العاهة، وكان ممّن رُفع عليه أنّه يُحاوِل القيام على عُبيد الله، فاختفى، وهُدِمت بسببه دُورٌ، ثمّ خرج بنصيحة أظهرها لعُبيد الله فى أهل القَيْرَوان، فغفل عنه أيّاماً، ثمّ قتله. وفيها، قُتل من التِجّار أبناء الأندلسيّين بالقَيْرَوان أبو جعفر بن خَيْرُون[2]، صاحبُ المسجد الشريف والفَنادِق المجاوِرة للسجن، بسعى كان للقاضى المَرْوذىّ[3] عليه، وشهادةٍ شهد بها أنّ قِبَلَه وديعةٌ كبيرةٌ، فطُولِب بها، وعُذِّب حتّى مات.]

---

1) *Sic* in G.

2) G. حرون (restitution douteuse). On pourrait lire également: جَبْرُون.

3) C'est ainsi qu'il y a lieu de lire cet ethnique, tel qu'il figure dans les *Ṭabaḳāt* d'Abu 'l-ʿArab, p. ٢٣٩. Corriger *supra*, p. ١٥١, l. 20; p. ١٥٢, l. 8 et 10; ١٥٩, l. 15.

وفى سنة ٣٠١، أخرج عُبيد الله الشيعىُّ حُباسة بن يوسف بالجيوش الى المشرق؛ فدخل مدينةَ سُرْت [بالأمان، وهرب من كان فيها من جُنْد بنى العبَّاس؛ وقُرِئَ بذلك كتابٌ فى الجوامع بإفريقية. ودخل حُباسة] مدينة أَجْدابِية بالأمان [أيضاً]، وهرب من كان فيها لبنى العبّاس. ودخل مدينة بَرْقة. [وكان عُبيد الله يمدُّ حُباسة بن يوسف بالجيوش؛] فكلّما دخل مدينةً،

P. ١٧١ قتل أهلها، وأخــذ أموالهم، وعاث فيهم[1]، [وتعلّلَ على * أهل العافية منهم، حتّى لقد أخــذ ببَرْقة جماعةً كانوا يلعبون بالحمام؛ فأضرم لهم ناراً، وأجلسهم حَوَاليها، وأمر بأن تُقطع لحومُهم وتُشوى، ثمّ يُطعمونها؛ وقذفهم بعد ذلك فى النار، وقال: «إن هذه الحمام كانت تأتيهم بالأخبار من قِبَل بنى العبّاس!» وبرّح ببَرْقة: «من أراد العطاء والرزقَ الواسعَ، فليأتِ!» فاكْتَتَبَ عنده جماعةٌ، وأمر العُرَفاء من كُتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من اولئك المُكْتَتِبين عنده؛ ثمّ أمرهم أن يحضروا بالغداة لأخــذ الأرزاق. فلما حضروا، قتل جميعَهم، وكانوا نحواً من ألف رجل؛ فأمر بجمع جُثَثِهم، ووضع عليها كُرْسيًّا، وجلس فوقه؛ ثمّ أدخل وجوهَ أهل البلد؛ فنظروا الى ما هالهم من كثرة القَتْلى؛ ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب. فلما مثل أهل البلد بين يَدَيْه، سبّهم، وقال: «إن لم تحضرونى غــداً مائة ألـف مثقال، قتلتُكم أجمعين!» فأحضروه إيّاها.] ووردت على حُباسة عساكر عظيمة من مِصْر لمُحاربته؛ فدارت بينهم حربٌ عظيمةٌ، [كانت فيها ردعات على حُباسة]؛ ثمّ انهزمت جيوشُ مِصْرَ، واتّبعهم حُباسة، وقتل كثيراً منهم.

وفيها، قتل حُباسة بن يوسف حارثاً ونزاراً ابنَىْ حمّال المَزاتىّ، فى نفر من أبنائهم وبنى عمّهم، بمدينة بَرْقة، وباع نساءهم، وأخذ جميع أموالهم، إذ كان عُبيد الله الشيعىُّ قد خطر بهم فى حين قدومه من مِصْرَ؛ فادّعى أنّهم سرقوا له حِمْلَ مالٍ ومتاعٍ. فلما طالب ذلك عندهم، قام اليه رجلٌ منهم؛ فشتمه ولطمه؛

1) A. et B. ajoutent بكلّ نوع من النَّهْب والقتل.

فكان ذلك سَبَبَ قتل حُباسة لهم، على ما أمره به عُبيد الله وحدّه له. ثمّ إنّ أهل بَرْقة كتبوا الى عُبيد الله بما دار عليهم من حُباسة، وقتْله رجالَهم، وسبائه نساءهم، وأخْذِه أموالَهم؛ فجاوبَهم يعتذر اليهم، ويحلف أنّــه ما أمر بشىء ممّا ذكروه * إلّا فى النفر الثلاثة. وكتب الى حُباسة، يأمره بالرحيل عنهم]. فتوجه P. ١٧٢ بالعساكر نحو مِصْرَ. [فنزل بجَبَل مقة [1]]، وحارب الحصون التى تجاوره حتّى أخذها، وقتل أهلها، وأخذ أموالهم، وسبى ذراريهم.

[خروج أبى القاسم الشيعىّ لمُحاربة مِصْرَ]

وفيها، خرج أبو القاسم بن عُبيد الله من [مدينة] رقّادة، غازياً الى مِصْرَ [فى حشود عظيمة.] وفيها، أحرق محمّد بن أحمد بن زيادة الله بن قُرْهُب أسطول عُبيد الله الشيعىّ بمَرْسَى لَمْطَة، وقتل قائدَه الحسن بن أحمد بن أبى خِنْزِير: قتله محمّدُ بن قُرْهُب ذبحاً بيده، وقطع يدَيْه ورجلَيْه، وأسَرَ من أصحابه [نحو] ستّمائة رجل، [وأحرق جميع الأسطول.] وبلغ عُبيد الله ذلك؛ فبعث جيشاً [للمدافعة عن الأسطول، إذ ظنّ أنّه لم يُحْرَق. فخرج أصحابُ ابن قُرْهُب اليهم، وقاتلوهم حتّى] هزموهم، وغنموا [ما كان فى العسكر. وفيها، مات بالقَيْرَوان أبو بكر محمّد بن عمر بن محمّد بن الحسن البَصْرىّ القُرَشىّ. وفيها، مات بقَصْر الطُّوب، وهو مَوْضِعُ رِباطٍ بجانب سُوسة، أبو يونُس الزاهد؛ ونفر أهــلُ القَيْرَوان لشهود جنازته.]

وفى سنة ٣٠٢ [2]، دخل أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ مدينة الإسْكَنْدَرِيّة، ومعه حُباسة القائد. فألفاها خالية، قد هرب أهلُها فى البحر، بما خفّ من أموالهم؛

1) Lecture douteuse. Le ms. porte بجبل معه (بجبل معه ?).

2) Toute la relation de cette année et des suivantes figure dans le *Bayān* sous une forme résumée et dans un ordre parfois différent. La version de A. est plus développée que celle de B. Il ne semble pas utile de fournir ici toutes les variantes qui sont reproduites dans la première édition.

وأسلموا سائر أثقالهم. فاحتوى أبو القاسم وحُباسة على جميع ذلك. ووصل أبو القاسم الى الفَيُّوم؛ *فعسكر بها حتّى قدم قائد الخليفة مُؤْنِس الفَتَى من العِراق لمُحارَبته. ثمّ ان حُباسة [ابن يوسف] هرب من مِصْر الى أرض المغرب؛ وكان سببُ هربه أنّ أبا القاسم بعث اليه من الفَيُّوم أبا فريدن القائد، وأمره أن يستخلفه على الجيوش ويلحق حباسة به فى الفَيُّوم؛ فأغضبه ذلك، وقال: «لمّا أشرفتُ على أخْذ البلد، يفوز أبو فريدن بخيره وذكره!» فركب حُباسة فى نحو ثلاثين فارساً من بنى عمّه، وخرج هارباً الى جهة المغرب. فكتب أبو القاسم الى عُمّال الطريق [بخبره، وأمرهم] بارتصاده [وأخْذِه إن مرّ بهم. وكتب الى أبيه عُبيد الله بذلك. ونزل مؤْنِس الفتى مِصْرَ يومَ الاثنين للنصف من شهر رمضان؛] فرحل أبو القاسم [من الفَيُّوم، منصرفاً الى] إفريقية بما خفّ من الأموال والكسى والسلاح. فضربت جيوشُ مِصْرَ فى ساقته؛ فأخذت مَضَارِبَه وسلاحاً [كثيرة] وأثاثاً. [ووصل حُباسة الى حوز بَرْقة؛ ثمّ الى نَفْزاوة]؛ فعُثر عليه وعلى أصحابه؛ [فهرب أصحابُه. وأُخذ حُباسة، وقُيِّد]. وحُمِل الى عُبيد الله؛ فحبسه، وحبس جميع أهله. و[فيها]، حاول عَرُوبة الهرب [من تِيهَرْت]، إذ بلغه خبر حُباسة [وهَرْبِه؛ وقيل إنّ حُباسة كاتبه، وإنّه كان يرجو اللحاق بـه *والاعتصام بكونه معه. فلما أُخذ حُباسة، نفر عَرُوبة وخاف]؛ فهرب بماله. فظُفِر به [بجبل أَوْراس]؛ فقُتِل، وبُعث برأسه الى عُبيد الله. فلما وصل [الرأس] اليه، [وعلم التواطؤَ الذى كان بين حُباسة وبين عَرُوبة]، أمر بقَتْل حُباسة وجميع قرابته؛ [فأُخرجوا من السجن]، وقُطعت رؤوسهم، وكُتِبت أسماؤُهم فى بطائق، وعُلِّقت من آذانهم، وأُدخلت الى عُبيد الله؛ فنظر إليها وإلى رأسَيْ حُباسة وعروبة؛ فقال: «مـا أعجبَ أمور الدُّنيا! هذه الرؤوس ضاق بها المَشرِق والمَغرِب، وحَمَلَتْها هذه القُفّة!» وأمر بطرحها بجامع الاسكَنْدَرِيّة سرًّا.

P. ١٧٣ / P. ١٧٤

وفى هذه السنة، مات سعيد بن محمّد بن صُبَيْح الغَسّانىُّ الفقيه؛ وكان قد صحب سَحْنون بن سعيد وحمل عنه عِلْمَه.] وفيها، خالفت مدينةُ بَرْقة؛ وكان أبو

القاسم، لما مرّ بهم فى انصرافه من مِصْرَ، قد هنّؤوه بالسلامة؛ فزعم لهم أنّه إنّما كان طلب حُباسة ليعاقِبَه على فعله بهم، وأمرهم ببنيان ثلم مدينتهم، واستخلف عليهم رجالاً من كتامة. فلما ولّى عنهم أبو القاسم، وعلموا الحالَ التى انصرف عليها من مِصْرَ، بدر الغوغاء الى من كان خلف عندهم من كُتامة؛ فقتلوهم. ووصل أبو القاسم الى مدينة] رقّادة مُنْصَرَفَه عن النَيُوم [يوم الأحد] لعشر خَلَوْن من ذى القعدة.

وفى سنة ٣٠٢، [مات زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأَغْلَب بالرَّمْلة، وترك من المال، فيما ذكر مَن كان بحضرته، ألف مثقال من ضرب سكّته. و] كان بإفريقية [وما والاها فى هذا العام] وباء كثيرٌ؛ فمات * بها من قُرَيْشِ القَيْرَوان أبو المُصْعَب بن زُرارة العَبْدَرىُّ. ومات حِمَاس القاضى ابن مروان بن سِماك الهَمَدانىُّ، وكان فقيهاً زاهداً وَرِعاً. ومات محمّد بن عُبادة السوسىُّ. ومات خَلَف بن مَعْمَر بن منصور من الفقهاء العِراقيّين؛ وكان يروى عن أبيه، عن أسد بن الفُرات، وكان قد تشرّق أوّلَ دخول الشيعة إفريقية، ليعتصم بذلك من مطالبة الشيعة لوَلَدِه بمال كان غمس يده فيه عند هرب زيادة الله من رقّادة؛ وكان والده مَعْمَر بن منصور قد سمع من ابن فَرّوخ، ومن أسد ابن الفُرات؛ وكان أصحّ أصحابه سماعاً عنه؛ وكان مَعْمَر يقول بتحليل المُسْكِرِ ما لم يُسْكِرْ منه. وفيها، مات القاضى المَرْوَذىُّ، [وهو محمّد بن عمر،] فى العذاب [برقّادة، ودُفن بباب سالم ليلاً،]؛ وطولب أهلُ القَيْرَوان بماله؛ فامتحن بذلك جماعةٌ من [وجوه أهل القَيْرَوان و] فُضَلائهم [وتجارهم].

P. ١٧٥

وفيها، أخرج عُبيد الله الجيوش الى مدينة بَرْقة مع أبى مَدْيَن بن فَرّوخ اللَّهِيصىّ]. وفيها، ولّى عُبيد الله (بإفريقية الخراج) أبا مَعْمَر عِمْران بن أحمد [ابن عبد الله بن أبى مُحْرِز القاضى؛ فتولّى بوظيف التفسيط] على ضياع إفريقية، بعد ان وزّع جميعَها ونظر الى أوْفَرِ مالٍ ارتفع من العُشور فى سنةٍ وأقلّهِ؛ ثمّ جمع المالَيْن، ووظّف الشَّطْرَ على كلّ ضيعة.

وفيها، اضطرب أمرُ جزيرة صِقِلِّيَة على ابن قُرْهُب، [وأجمع بعضُهم على
P. ١٧٦ خلعه، وكاتبوا عُبيد الله فى أمره؛ فداراهم ابن قُرْهُب * وذكَّرهم بأيمانهم لــه؛
فلم يُليّن ذلك منهم حتّى] صارت بسببه فتنةٌ بصِقِلِّيَة من طائفةٍ كانت معــه،
وطائفةٍ كانت عليــه. فأراد ابن قُرْهُب جواز البحر الى الأندلس؛ واكترى
مراكب، وشحَن فيها متاعاً كثيراً. فحال أهلُ صِقِلِّيَة بينه وبين ما أراد، وانتهبوا
ما كان له فى تلك المراكب، وأسروا ابن قُرْهُب، وابنَه، وقاضيَه [المعروف
بابن الخامىّ؛ وقيّدوا أجمعين،] وبعثوا الى عُبيد الله. وكتب أهلُ [جزيرة]
صِقِلِّيَة أن يوجّه اليهم عاملاً وقاضياً، [وأنّهم لا يحتاجون الى رجال ولا مَدَد]؛
واشترطوا فى كتابهم إليــه اشتراطاً أغضبه عليهم، وأغراه بهم، وحرّك منــه
لمحاصرتهم، على ما سيأتى ذكرُه إن شاء الله تعالى.

وفى سنة ٣٠٤، [فى المحرّم منها،] وصل ابن قُرْهُب وأصحابه الى [مدينة
سوسة مُصَفَّدين فى الحديد. وكان] عبيد الله [الشيعىُّ بها. فأوصل ابن قُرْهُب
الى نفسه، وقال له: «ما حملك على الخلاف علينا وجحد حقّنا؟» فقال له:
«أهل صِقِلِّيَة ولّونى، وأنا كارهٌ، وخلعونى، وأنا كارهٌ!» فانصرف عُبيد الله
بهم الى رقّادة، وأمر بابن قُرْهُب وأصحابه؛] فضُربوا بالسياط، وقُطعت أيديهم
وأرجلُهم على قبر الحسن بن أبى خِنْزير [بباب سالِم، وصُلبوا هناك. وفى شهر
ربيع الأوّل من هذه السنة، كمل سور المهديّة، ونُصبت أبوابُها.] وفيها، أخرج
عُبيد الله الجيوش والأساطيل الى صِقِلِّيَة، [وقدّم عليها أبا سعيد المعروف
P. ١٧١ بالضَّيْف.] فحاصرهم شهوراً، وقتل منهم *[جُملاً،] وأجال كُتامة على من ألفى
فى أرباض المدينة من النساء والذُرّيّة؛ [فعبث بهم،] وافترع [الجوارى] الأبكار.
وكتب أبو سعيد الضَّيْف الى عُبيد الله بالفتح فيهم؛ فأمدّه بمراكب ورجال كثيرة.]
فلمّا رأى ذلك أهل صِقِلِّيَة، رغبوا [اليه] فى الأمان، [على أن يدفعوا اليه مَن
كان شايَعَ ميا أحدثوه.] فأمّنهم، وهدم سور المدينة، [وأخــذ سلاحهم وخيلهم
ورقيقهم، وفرض عليهم مغرماً، وبعث بمن أُخذ منهم الى عُبيدِ الله فى مراكب؛

فانكفأ بهم فى البحر.] وولّى [أبو سعيد الضَّيْف على جزيرة] صِقِلّيّة سالم بن أبى راشد، و[أبقى] معه جماعةً من كُتامة، [وانصرف الى القَيْرَوان.

وفى هذه السنة، فُتحت مدينة بَرْقة على يدى أبى مَدْيَن الموجَّه اليهم بعد أن أفنت الحربُ أكثرَ أهلها مدَّة ثمانية عشر شهراً، حوصروا فيها؛ وأُحرق قومٌ منهم بالنار؛ واستصفى أبو مَدْيَن أموالهم، وبعث بجماعة منهم الى عُبيد الله؛ فامر بقتلهم. وفيها، مات محمّد بن أسود بن شُعَيْب القاضى الصَدِّينىّ. وفيها، مات مَيْمون بن عمر الفقيه، ومحمّد بن أحمد الصَّدَفىُّ الزاهدُ.] وفيها، خرج مَصالة ابن حَبُوس من تِيهَرْت لمُحاربة سعيد بن صالح بن [سعيد بن] إدريس، صاحب نَكور؛ فدارت بينهم حروبٌ كثيرةٌ.

وفى سنة ٣٠٥، افتتح مَصالة (بن حَبُوس)، قائدُ عُبيد الله (الشيعىّ)، مدينة نَكور، وقتل بها سعيد بن صالح [رئيسها]؛ وذلك يوم الخميس لثلاث خَلَوْن من المحرّم. وانتهب مصالة مدينة نكور، وسبى * النساء والذُّرِّيَّة؛ ثمّ انصرف ١٧٨ الى تِيهَرْت، وكتب بالفتح الى عُبيد الله، وبعث اليه برأس سعيد بن صالح ورُؤوس أصحابه؛ فطُوِّفت بالقَيْرَوان. ثمّ إنّ بنى صالح خرجوا فارّين بأنفسهم الى الأندلس، [معتصمين بما تناهى اليهم من فضل أمير المؤمنين الناصر — رضه — وحسن مذهبه فى كلّ نازعٍ اليه ومعتصمٍ بـه]؛ فنزلوا بمرسى مالَقة، وعهـد بإنزالهم والتوسُّع عليهم؛ [وبعثَ اليهم بضروب الكسوة وكلّ ما احتاجوا اليه من المرافق؛ وخُيِّروا فى القدوم الى قرار السلطان أو المقام فى ذلك المكان؛ فاختاروا المقام على بِرّه وحِبائه.] وكان مَصالة قد استخلف على نَكور رجلاً يُقال له ذَلُول. وانصرف الى تِيهَرْت؛ فافترق عن ذَلُول من كان معه، [وبقى فى فلّ من المَشارِقة.] فقصده صالح بن سعيد بن صالح من مرسى مالقـة؛ فقتله، وقتل أصحابـه ولزم نَكور، وهادى أميرَ المؤمنين بالخيل والجمال وغير ذلك.

(تلخيص أخبار أمراء مدينة نَكُور من حين بنائها على الجملة الى هذه السنة المؤرّخة

وذلك أنّ صالح بن منصور، المعروف بالعَبْد الصالح، كان دخل أرض المغرب فى الافتتاح الأوّل زمنَ الوليد بن عبد الملك؛ فنزل فى بنى تَمْسامان، وعلى يَدَيْه أسلم بَرْبَرُها؛ وَهُمْ صنْهاجة وغُمارة. ثمّ ارتدّ أكثرُهم لما ثَقُلَتْ عليهم شرائعُ الإسلام، وقدّموا على أنفسهم *رجلاً يسمى داوود ويُعرف بالمزيدىّ[1] وكان من نَفْزة، وأخرجوا صالحاً من بينهم. ثمّ أفاء الله بالإسلام عليهم، وتابوا من شِرْكهم. وقتلوا داوود المزيدىّ، وردّوا صالحاً. فبقى ذلك الى أن مات بتَمْسامان؛ وكان له من الولد ثلاثة: المُعْتَصم. وإدريس: أمّهما صَنْهاجيّة، وعبدُ الصمد؛ فولّوا المعتصم، ومكث فيهم يسيراً، ومات. فولّوا على أنفسهم إدريس. ثمّ مات. وولى سعيد بن إدريس؛ وهو الذى بنى مدينة نَكُور. ومنها الى مدينة زُواغة، التى كانت للحسن بن أبى العيش، مسيرةُ خمسة أيّام. وكان لها أربعة أبواب: منها باب سُلَيْمان، وباب بنى وَرْيَاغَل، وباب المصلّى، وباب اليهود. وبها جامعٌ كبيرٌ. وأكثر خشبهم الأَرْز. وبها حمّامات كثيرة، وأسواق عامرة ممتدّة. وهى بين نَهْرَيْن، أحدهما اسمُهُ نَكُور، وبه سُمِّيت المدينة. ودخلها المَجُوس سنة ٢٤٤، وتغلّبوا عليها، وانتهبوا من كان فيها إلاّ من خلّصه الله بالفرار؛ وأقام المَجُوس بها ثمانية أيّام، وخرجوا منها. وبينها وبين البحر خمسةُ أميال. وقامت البرانس[2] على سعيد بن إدريس؛ فأظفره الله عليهم، وهزمهم، وقتل رئيسهم. ثمّ رجع من بقى منهم الى الطاعة. ومات سعيد بن إدريس بعد أن ملكهم سبعاً وثلاثين سنة.

وولى ابنه صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور. وكان لسعيد من الولد منصور، وحمّاد، وصالح، وزيادة الله، والرشيد، وعبد الرحمن

P. ١٧٩

1) B. الزيدى.   2) B. البرابر.

الشهيد، ومعاوية، وعثمان، وعبد الله، وإدريس. وكان عبد الرحمن فقيهاً بمذهب مالك، وحجّ أربعاً، وعبر البحر الى الأندلس برسم الجهاد؛ فقتل الثائرُ[1] ابنُ حَفْصُون كلَّ من كان معه، وتخلّص هو بنفسه الى مُرْسية، وحضر غزوة أبي العبّاس القائد، واستشهد فيها. وقام على صالح أخوه إدريس فى بنى وَرْياغَل وجَزْناية؛ * فالتقوا بجبل جَزْناية؛ فانهزم صالح، وانتهب إدريس عسكره، واستمرّ الى مدينة نَكُور ليدخلها؛ فامتنع أهلها الى أن أتاهم صالح صاحبها فى خاصّته؛ فدخلها فى جوف الليل، ولم يعلم أخوه إدريس بذلك؛ وكان قد نزل عليها، وطمع فيها. فلما كان فى غدٍ، أقبل إدريس على فرسه، وهو لا يعلم بأمر أخيه؛ فأدخلوه المدينة؛ وأَرْجَلَه فِتْيانُ صالحٍ عن دابّته، وأتوا به الى أخيه؛ فأمر بحبسه. ثمّ أشار عليه قاسمٌ الوشتاتىُّ[2] بقتله؛ فأمر فتًى من فتيانه يُقال له عَسْلون؛ فقتله.

P. ١٨٠

وامتنعت مِكْناسة على صالح، وحبسوا مَغارِمَهم. فكتب اليهم يتوعّدهم؛ وختم الكتاب، وأدخله فى مخلاة، وشدّها على حماره؛ وبعثه مع ثِقَته، وقال له: «إذا توسّطتَ مِكْناسة، فأَتْرُك الحمار بما عليه وأنصرِفْ!» ففعل. فوجد مكناسة حمارَ صالح، وقرأوا كتابه؛ فتمادَوْا على امتناعهم عليه. ثمّ انصرف رأيهم الى جمع ما كان عليهم؛ فجمعوه، وجلّلوا الحمار بمِلْحَفة، وأتوا صالحاً بالحمار وبمغارمهم، واستَعْفَوه؛ فعافاهم. وبقى صالح بن سعيد أميراً الى أن تُوفّى بعد أن ملك أزيد من عشرين سنة.

وولى بعده ابنه سعيد بن صالح. فلما توطّد الأمر له، دخل عليه عَبِيدُهم الصَّقالِبة؛ فسألوه العِتْق؛ فقال لهم: «انتم جُنْدُنا وعَبِيدُنا، لا تدخلون فى وِرْثنا. فما طَلَبُكم للعِتْق؟» فألحّوا عليه فى ذلك، وناله جفاء منهم، وخلعوه، وقدّموا أخاه عُبيد الله وعمّه الرِّضى المُكَنَّى بأبى علىّ. وزحفوا بهما الى القصر؛ فحاربهم سعيد من أعلى القصر بمن كان معه وبالنساء. وقامت عليهم العامّة؛

1) B. اللعين. 2) A. et B. الوَشْنانىّ (?).

فأخرجوهم من البلد، وهزموهم. فتحصّنوا بقَرْية[1] سبعةَ أيّام؛ ثمّ ظفر بهم سعيد. وكان عمّه الرِّضى صِهْره؛ فحبسه مع أخيه عُبيد الله، وقتل من خرج معهما من بنى عمّه، منهم الأغْلَبُ، وأبو الأغْلَب. فقام سعادة *الله بن هارون، وهو ابن عمّ الأغْلَب، فقال: «قتل ابن عمّى وأبقى عمّه وأخاه!» فألّب[2] عليه بنى يَصْلاتَن، وعقد أمره معهم. وسعادةُ الله مع سعيد بمدينة نَكُور. ثمّ خذله سعادةُ الله، وانحاز الى بنى يَصْلاتَن بمن معه؛ فانهزم سعيد، وأُخذت بُنودُه وطُبولُه، وقُتل من مواليه نحو ألف رجل، وأتوا مع سعادة الله حتّى حاصروا سعيد بن صالح بنَكُور. ثمّ كانت الكَرّة لسعيد عليهم؛ فهزمهم. وأسر ميمون بن هارون أخا سعادة الله. وسار الى تَمْسامان. فأحرق دياره. وخرّبها، وانصرف الى نَكُور. وخرج سعادة الله بعد ذلك الى بَطُوية وبنى وَرْتَدِى، وزحف بهم الى زَنانة؛ فحاربهم وهزمهم؛ وانقادت له جميعُ تلك البلاد. ثمّ انصرف الى مدينة نَكُور؛ فأقام بها مُصافِياً لسعيد المذكور.

P. ١٨١

ولما تغلّب عُبيد الله الشيعىّ، كتب الى أهل المغرب، يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتديّن بإمامته. وكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح. وفى أسفله أبياتاً كثيرة. منها [طويل]:

فإن تَسْتَقيموا أسْتَقِمْ لِصَلاحِكُم ... وإن تَعْدِلُوا عنّى أرى قَتْلَكم عَدْلا
وأعلو بسَيْفى قاهراً لسُيوفِكم ... وأُدْخِلُها عَفْواً وأمْلَؤُها قَتْلا[3]

فأجابه شاعرُهم؛ فقال [طويل]:

كَذَبْتَ وَبَيْتِ الله لا تَعْرِفُ العَدْلا ... ولا عرفَ الرّحمٰن مِنْ قَوْلِكَ الفَضْلا
ومـا أنت إلاّ كـافِرٌ ومُنافِـقٌ ... تَمِيلُ مع الجُهّالِ[4] فى السُّنَةِ المُثْلا
وَهِمّتُنـا العَلْيـا لدين مُحَمَّدٍ ... وقَدْ جَعَلَ الرَّحْمٰنُ هِمَّتَكَ السُّفْلا

---

1) A. et B.: بغرفة (voir *Corr.*, p. 20). 2) B. فجمع. 3) A. et B. عدلا.

4) Ainsi dans A. et B. — Dozy propose de lire, avec al-Bakri et Ibn Haldun: تُمَيِّلُ للجُهّال.

فكتب عُبيد الله الشيعىّ الى مصالة قائده على تِيهَرْت، يأمره بالنهوض الى مدينة نَكُور، ويأمره بمُحاربة سعيد بن صالح المذكور. فخرج مَصالة من تِيهَرْت فى غُرّة ذى الحجّة من السنة الفارطة عن هذه المؤرّخة. فنزل من مدينة نَكُور على مسيرة يوم. فخرج *اليه سعيد، فحاربه ثلاثةَ أيّام مُكافيًا له. وكان مع سعيد P. ١٨٢ رجلٌ من أعلام البربر، يُقال له أحمد بن العبّاس من بنى يَطُوفَت، دَعَتْهُ نفسُه الى أن يقصد محلّة مَصالة فى سبعة فوارس، واقتحم على مَصالة؛ فتصايح الناسُ، وأُخذ أحمد أسيراً ومن معه؛ فأمر مَصالة بضرب أعناقهم؛ فقال له أحمد: «ليس مِثْلى يُقْتَلُ!» فقال مَصالة: «لِمَ؟» قال: «لأنّك لا تطمع فى سعيد إلّا بسببى!» فاستبقاه. وقرّبه حتّى أنِس به؛ ثمّ أعطاه جيشاً، فقصد به جانباً كان يَعْلَمُ الغِرّةَ منه، حتّى دخل عَسْكَرَ سعيد من حَيْثُ لا يُظَنُّ به. ففرّق جمعه، وغَشِيَ سعيداً ما لم يتأهّب له؛ وترادفت عليه العساكر، ونظر أمراً لا يُستطاعُ المُقامُ معه؛ فبعث الى مدينة نَكُور، فأخرج كلَّ من كان فى قصره وما معهم، وساروا الى جزيرة فى مرسى نَكُور، ومعهم صالح بن سعيد، وإدريس، والمعتصم. وقَاتَلَ سعيدٌ حتّى قُتِلَ واستُبيح عسكرُه. ودخل مَصالة مدينةَ نَكُور؛ فقتل رجالها، وسبى النساء والذّرارى. وفى ذلك يقول بعضُ الشعراء [رجز][1]:

لَمّا طغى الأَرْذَلُ وابنُ الأَرْذَلِ
فى عصبة من الطُغاة الجُهّلِ
قال: نَكُور دون ربّى مَعْقِلى!»
أتاه محتومُ القضاء الفَيْصَلِ
من الإلاهِ المُتعالى الأعْدَلِ
حَطْمَ أهْلَ كُفرِها بالكَلْكَلِ
وجاء رَأْسُ رَأْسِها المُنَدَّلِ

على قنا من الرماح الذُّبَّلِ
ذو لِمَّةٍ شعثاء لم تُفْتَلِ
ولحيةٍ غبراء لم ترجَّلِ

P. ١٨٣ * وركب من نجا من ذُرِّيَّة سعيد البحرَ الى مالَقة، فاستقرّوا بها لقربها من بلدهم، ورجائهم العَوْدة اليه. وبقى مَصاله فى نَكُور نحو ستّة أشهر، ثمّ استخلف عليها ذَلُول. فكان من أمره ما تقدّم ذكره، وذلك أنّه، لمّا افترق عن ذَلُول أصحابهُ، سمع بذلك بنو سعيد بمالَقة، فعبروا البحر فى مراكب مختلفة، فى ليلة واحدة، واتّفقوا على أنّ مَنْ وصل اليها قبْلُ، فالولايةُ له، ثِقَةً منهم برعيّتهم. وكانوا إدريسُ والمعتصمُ وصالحٌ بنى سعيد. فوصل صالح من ليلته، فتسامع البربر بقدومه، فتسارعوا اليه، وعقدوا له الإمْرة، ولقّبوه باليَتِيم، وزحفوا الى ذَلُول وأصحابه، فقتلوهم أجمعين. وكتب صالح بالفتح والنصر الى أمير المؤمنين الناصر، فأمر بإمداد صالح بالأخبية والآلات والأسلحة والبنود والطبول، فتوطّد الملك بالمغرب لصالح بن سعيد. وبقى إخوته فى البحر شهراً[1] يتردّدون فيه، الى أن وصلوا بعد ذلك الى نَكُور. وهى فى وقتنا هذا مدينةُ المَزِمَّة أو قريباً منها.)

[وفى هذه السنة، تمّ شأنُ القاسِميَّة بالقَيْرَوان، وانتقل اليها التجار وأهل الصناعات، وذلك فى شهر ربيع الأوّل. وفيها، مات أبو جعفر أحمد بن محمّد القُرَشىُّ المعروف بالمغربانى[2]) من ولد عقبة بن نافع الفهرىّ، وكان من أهل الزهد والعبادة، وله سَماعٌ كثيرٌ من سَحْنون وغيره. وفيها، مات القاضى بقَفْصة، وهو مالك بن عيسى بن نَصْر، وكانت له رحلتان فى طلب الحديث، أقام فيهما عشرين سنة، وكان به بصيراً، وفى علمه نافذاً. وفيها، مات بمدينة رقّادة من قُرَيْشِ إفريقية أبو الفضل محمّد بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد السلام، من ولد عبد الملك بن مروان — رحمه الله! — وكان قد تولّى جباية إطْرابُلُس وتونُس لِيَلِجَ مع القوم ويبقى معهم، فتوصّل * بذلك الى أخذ نعمته، P. ١٨٤

1) A. شهرين.   2) *Sic* dans G.

ومات فى عذاب الشيعة. وفيها، أُخِذ أهلُ الضياع بأعمال إفريقية بمغرم سُمِّىَ التَّضْبيع. وزعموا أنّه من بقايا التَّقْسيط.]

وفى سنة ٢٠٦، خرج أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ الى مِصْرَ فى سَفْرته الثانية؛ وذلك [يوم الاثنين] مستهلّ ذى القعدة، بعد أن حشد من كُتامة جُمَلاً كثيرة ومن عَرَب إفريقية وبَرْبَرِها؛ [وخرج معه خليل بن إسحاق، وأبو غانم الكاتب، وغيرهما من رجال أبيه. وعزل عُبيد الله عن القَيْرَوان منّ الله بن الحسن بن أبى خِنْزِير، وأخرجه مع ابنه أبى القاسم الى مِصْرَ؛ وولّى عمل القَيْرَوان أبا سعيد الضَّيْف. وفيها، وقعت النار بالقَيْرَوان فى سوقها، ليلةَ الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من ذى الحِجّة.

وفيها، تُوفِّى أبو سعيد محمّد بن محمّد بن سَحْنون، وله سماعٌ من أبيه؛ وغلبت عليه الزهادة والعبادة. وفيها، مات أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن ابن جندب المعروف بموسى القطّان، وكان من رجال محمّد بن سَحْنون، وولى قضاء مدينة إطْرَابُلُس فى أيّام عيسى بن مسكين؛ وعزله إبراهيم بن أحمد عن القضاء وحبسه، وله اثنا عشر جزءاً ألّفها فى أحكام القُرآن. وفيها، مات بمدينة بَرْقة أبو مَدْيَن بن فَرّوخ اللَّهيصىّ؛ وكان قائدَ الشيعة بها.]

وفى سنة ٢٠٧، كان بإفريقية، [وما والاها الى مِصْرَ،] طاعونٌ شديدٌ وغلاء سعرٍ، مع الجور الشامل [من الشيعة]، والتعلّل على أموال الناس فى كلّ جهة.

وفيها، قدّم أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ سليمان بن كافى، صاحب مُقَدِّمته، الى الإسكندريّة * فى جملة من رجال كُتامة وغيرهم؛ فوجد أهلها غافلين. ٥ فلما أحسّوا بالخيل، وتلاحَقَ بهم أبو القاسم بجيوشه، أخْلَوْا المدينة وتركوها. [فدخلها أبو القاسم الشيعىّ،] وانتهب أموال أهلها، وكتب الى أبيه بالفتح. ثمّ قدم سليمان بن كافى بالجيوش الى الفَيُّوم؛ [فدخلها] بالسيف، وقتل أهلها، وانتهب أموالها، وسبى الذُّرِّيّة، [وجبى الخراج. وأقبلت العساكر من إفريقية، يتلو بعضُها بعضاً؛ فاجتمع الى أبى القاسم عَدَدٌ يجلُّ عن الإحصاء. فتنقّل من

محنته عن الاسكندريّة الى الفيّوم، ونزل بالأشمونَيْن في رجب. وألفى الأطعمة في الأنادر لم تُخزن، فانتهبها العساكرُ.] وعلت الأسعار بمصر [وبالعسكر. ووقع الوباء في الناس.] وجلا كثيرٌ منهم. [وكانت مِصْرُ في ذلك الحين خالية من الجند، فاجتمعوا، وتشاوروا في أمرهم، فردّوه الى محمّد بن عليّ المادرائي وأخيه أبي زنبور، فكتبا الى أبي القاسم سرًّا، يعرفانه بغيبة الجند وضعف البلد، وأظهرا له المسارعة الى طاعته، وسألاه الاستئناء عليهم لما يتوقّعونه من العوامّ. وكان مَذْهَبُهما أن يكتفَّ عنهم حتّى يأتيهم الرجالُ من بغداد. وكتب المادرائي الى المقتدر بنزول العساكر عليهم. وفي هذه السنة، أقبل ثمل الفتى بالمراكب الشاميّة، مُغيثاً لأهل الإسكندريّة. فألفى الشيعيّ بها أسطولاً، فحاربه ثمل حتّى تغلّب على الأسطول بمن فيه، وذلك يومَ الأحد لاثنتي عشرة ليلة بَقِيَت من شوّال، وأسر جملةً من رجال كُتامة، ثمّ نهض ثمل بالأسرى الى الفُسْطاط، فطوّفهم على الجمال مشهّرين. وفيهم جماعةٌ من قوّاد الشيعيّ المشهورين بالبأس. P. ١٧

وفيها، مات القاضي محمّد بن محفوظ القَمُوديّ بإفريقية، وكان ضعيف الرأي، جائرَ الحكم.] وولى القضاء بالقَيْرَوان إسحاق بن أبي المِنْهال. [وفيها، هبّت بالقيْرَوان ريحٌ مظلمةٌ صَفْراء، دامت أيّاماً، وسدّت الأفق حتّى كان الرجلُ لا يرى جليسَه، وأتبعها الوباء الذى تقدّم ذكره. وفيها، مات أحمد بن على بن دودان الفقيه، وكانت له رحلةٌ، سمع فيها من يونُس والمُزَنىّ. ومات محمّد بن أحمد بن يحيى بن مهران الفقيه، من رجال محمّد بن سَحْنون. ومات أبو سليمان داوود بن مسرور الغسّانيّ، وكان مُتَزَهِّداً فاضلاً. ومات محمّد بن عبد الله ابن القاضي أحمد بن مُحْرِز. ومات بمدينة تونُس من قُرَيْش محمّد بن أحمد بن عبد الله بن سعيد بن خالد بن عُبَيْد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان — رضه —، وكان يتّقب بالبَعْرة، وكان طرأ على إبراهيم بن أحمد من المدينة، ودخل الأندلس مرّتين.

و[في هذه السنة،] قُتل [بالقَيْرَوان] عَرُوس المؤذِّن [بمسجد ابن عيّاش

الفقيه]، بعد أن ضُرب بالسياط وقُطع لسانُه، إذ شهد عليه قومٌ من المَشارِقة بأنّه أذّنَ ولم يقُلْ: «حيَّ على خير العَمَل!» [وكان من المتزهّدين، يطحن بيده، ويعمل الحلفاء، ويتعيّش من ذلك. وفيها، مات من الفقهاء بالقَيْرَوان عبد الله بن محمّد بن يحيى الرُّعَيْنىّ من أصحاب سَحْنون، ومحمّد بن موسى التميمىّ من شيوخ العِراقيّين، وإسحاق بن إبراهيم بن أبى عاصم الفارسىّ، وأبو جعفر أحمد بن منصور مولى بنى تَيم، وكان يُعرَف بابن المُقْرَعة *الغاسِل، وسمع ١٨٧ .P بمكّة ومصر. ومات جماعةٌ من التجار ومن خدم السلطان ومن الأطبّاء، ممّن يطولُ الكتابُ بذكره.]

وفى سنة ٣٠٨، سار مَصالة قائدُ عُبيد الله [الشيعىّ] نحو المغرب [بالجيوش]. فلما بلغ قريباً من نَكُور، خرج صالحُ بن سعيد عن مدينة نَكور، وتحصّن بجَبَلٍ هناك، [يُعرف بجبل أبى الحُسَيْن]. ودخل مَصالة المدينة، وضبطها. [ثمّ] سار [منها] الى جهة فاس. وكان بها حينئذٍ يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، فى أهله ورجاله. فلما قرب منهم، أرادوا مدافعته. فحاربهم أيّامًا حتّى هزمهم. ودخل مَصالة (مدينة) فاس وضبطها. (وقال شاعِرُهم، [1] وقد عرّض بها [1]) [بسيط]:

دَخَلْتُ فاساً ولى شَوْقٌ الى فاسِ   والجُبْنُ [2] يأْخُذُ بالعَيْنَيْنِ والرأْسِ
فلَسْتُ أدخلُ [3] فاساً ماحَيِيتُ ولَوْ   أُعْطِيتُ فاساً بما فيها من الناسِ)

[وفيها، قُتل أبو سعيد موسى بن أحمد بمدينة القَيْرَوان زيادَ بن خَلْفُون المُتَطَبِّبَ، مَوْلى بنى الأغْلَب؛ وكان عالماً بالطبِّ، حَسَنَ الذهن فيه؛ وكان عُبيد الله قد احتاج الى زياد، وقرّبه من نفسه، وحذّره من أبى سعيد، لاختلاف كان وقع بينهما، وأمره أن لا يدخل القَيْرَوان إذا كان أبو سعيد بها؛ فالتزم زياد ذلك الى أن بات ليلةً بالقَيْرَوان، وأبو سعيد برقّادة؛ وكانت له عيونٌ عليه؛ فبعث اليه مَنْ دخل عليه دارَهُ، وقتله بها.

1—1) Manque dans A. 2) Leçon de Bakrī. — A. et B.: والحَيْنُ. 3) B. أذْكُرُ.

وفى هذه السنة، انتقل عُبيد الله الشيعىُّ بعياله [1]وأمواله ونَقَله الى المهديّة[1]، [P. ١٨٨] [يوم *الخميس] لثمانٍ خلون من شوّال، بعد أن كمل قصرُه بها، وقصرُ ولده [أبى القاسم]، وسورُ المدينة، وبعضُ دُورِ رجاله؛ ولم يكمل الكلُّ. [[2]]وكانت فى هذه السنة بالقَيْرَوان ورفّادة أمطارٌ كثيرةٌ، هدمت المبانى؛ فاضطرّ عُبيد الله الى استعجال التنقُّل. فقالت شعراء إفريقية فى انتقاله واستبطانه من الشعر ما ذكرنا أبياتاً منها ليُسْتَدَلّ بما فيها على ما كان يستحلُّه ويجوز عنه من الأشعار [وافر]:

ليهنك أيُّها الملِك الهمامُ ... قدومٌ فيه للدهر ابتسامُ
حططتَ الرَّحْلَ فى بلد كريم ... رَعَتْهُ لك الملائكةُ الكرامُ
لَئِن عَظُمَ [الحَرَامُ][3] وما يَلِيهِ ... كما عظمتْ مشاهِدُه العظامُ
لقد عظمَتْ بأرض الغرب دارٌ ... بها الصلوات تُقْبَل والصيامُ
هى المَهْدِيّةُ الحرمُ الموقَّى ... كما بتِهامة البلدُ الحرامُ
كأنّ مقامَ إبراهيم فيه ... ثرى قدمَيْك إن عدم المقامُ
وإن لثم الحجيجُ الركنَ أضحى ... لنا بعِراص قَصْرِكم التثام
لئن شاب الزمان وشاب مُلْكٌ ... دعائمه إذا عُجِمَتْ حُطامُ
لَمُلْكُكَ أيُّها المهدىُّ مُلْكٌ ... غلامٌ والزمان به غلامُ
لك الدنيا ونَسْلِكَ حيث كُنْتُمْ ... فكلُّكُمُ لها أبداً إمامُ

وفى هذه السنة، قُتِلَ بالقَيْرَوان من قُرَيْشٍ تَيْمٍ علىُّ بن محمّد بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن هاشم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصِّدِّيق — رحمه الله! — قتله أبو سعيد موسى بن أحمد، إذ اتّهمه برفع كتاب الى عُبيد

1—1) A. et B.: وجميع مملكته الضخمة الى مدينته التى بناها وسمّاها بالمهديّة.

2) A. et B. donnent ainsi ce qui suit: وهنّاه الشعراء بذلك واستغرقوا فى مدحه حتى كادوا يكفرون ممّا لا ينبغى ذكره من تسوية المهديّة بمكّة وغير ذلك.

3) Voir *Corr.*, p. 21.

P. ١٨٩ الله بأنّ أهلَ * القَيْرَوان عقدوا مع أبى سعيد هذا على الخلاف، فحكمه عبيد الله فيه وحبسه، ثمّ خُنق حتّى مات. وفيها، مات من قُوّاد بنى الأَغْلَب أبو جعفر أحمد بن تَمِيم، ومن الفُقهاء سعيد بن حكمون، وكان زاهداً. وتوفّى إبراهيم ابن يونس، المعروف بابن الحسّاب، مولى موسى بن نُصَيْر، وكان يلقّب حارِثَ حِسْبَةٍ، وولى أحكام القَيْرَوان وقضاء مدينة رقّادة. وتوفّى من الفقهاء العراقيّين أحمد بن عبد الرحمن اللخمىّ، سمع من محمّد بن وَهْب وغيره. وتوفّى منهم أحمد ابن عبدون بن وَهْب. وتوفّى الربيع بن هشام التميمىّ، وكان من الزُهّاد المتعفّفين.]

وفى سنة ٣٠٩، فتح مَصالة بن حَبُوس [مدينة سِجِلْماسة]، وانتهب أموالها، وقتل بها أحمد بن مِدْرار، [وولّى عليها المُعْتَزّ بن محمّد بن مِدْرار]، وانصرف.

وفيها، أظهر مُنِيب [1] بن سليمان المكناسىُّ الداعى التشريقَ بجانب تِيهَرْت، وتحليلَ المحرّمات. وقيل إنّ عُبيد الله وجّهه وغَيْرَه الى الأطراف، وأمرهم بإظهار التشريق، فإن وجدوا الناس محتملينَ له، ومُغْضِين عليه، نشروه عند العامّة، وأظهروه. فلما كشف مُنِيب بجَبَل وَنْشَرِيش ما أمره عُبيدُ الله به، وكان الرجل يدخل الى حَلِيلةِ جاره، فيَطَأُها وزَوْجُها حاضِرٌ ينظُرُ اليه، ثمّ يخرج، فيَبْصُقُ فى وجهه، ويَصْفَع قفاه، ويقول له: «تَصَبَّرْ!» فإذا صبر، [عُدّ كامِلَ الإيمان، و]سُمّى من * الصَّابِرة. فقام عليهم الناسُ، وقتلوا بعضهم، [فكفّوا. و[فيها] ١٩٠ وصل أبو القاسم الشيعىُّ الى المهديّة [يوم السبت] مستهلّ رجب، مُنْصَرَفَه من الفَيُّوم، وكانت سفرتُه [هذه] سنتَيْن وثمانية أشهر.

و[فيها]، أمر عُبيد الله بحبس [نحو] مائتى رجل أظهروا التشريق [2] بالقَيْرَوان

---

1) Ce personnage est nommé شبيب dans A. et B., qui donnent ainsi ce passage: وجّه عبيد الله دُعاته الى الأطراف ليظهروا بها تحليل المحرّمات: وكان ذلك من أمنيته. قال ابن القطّان: كان منهم شبيب بن سليمان بجبل وَنْشَرِيش، أمرهم أن يدخل الرجل الى حليلة جاره الخ. 2) A. et B. تحليل المحرّمات.

وباجة وتونُس، وجاهروا بتحليل المحرَّم، وأكلوا الخنْزِير، وشربوا الخمر فى رمضان جهاراً. وعلم بذلك الخاصُّ والعامُّ حتى عُيِّرَ بـه أبو القاسم أيّام كونه بالفَيُّوم، وكثُر القولُ من الناس فى هـذا؛ فكتب [عُبيد الله] الى عُمّاله بهذه المواضع بأن يرفعوهم اليه مُقَيَّدين؛ ثمّ حُبِسوا؛ فمات أكثرُهم بالسجن، وكلُّهم مشهورٌ بإفريقية: منهم أحمد البَلَوىُّ النخّاس بالرَّقيق، كان يُصَلِّى الى رقّادة أيّامَ كَوْنِ عُبيد الله بها، وهى منه فى المَغْرِب؛ فلما انتقل عُبيد الله الى المهديّة، وهى منه فى المشرق، [صلّى اليها. و]كان يقول: «لَسْتُ مِمَّنْ يعبُدُ مَنْ لا يُرَى!» [وكان يتصدّى لعُبيد الله، ويقول له: «أَرْقَ الى السماء! كَمْ تقيمُ فى الأرض وتمشى فى الأسواق!»] وكان يقول لأهل القَيْرَوان فى عُبيد الله: «إنه يعلم سرَّكم ونَجْوَاكم[1]!» [فتقرّب اليه رجلٌ يوماً، وهو يقول ذاك؛ فاخذ أُذنه، ونطق فيها: «عُبيد الله الذى تقول زانٍ، ابنُ الزانية! فإن كان يعلم ما قلتُ لك، فلينتصر!» فصاح صيحةً عظيمةً، وقال: «يا مسكين! إنّـه حليمٌ لا يعجل!»] ومنهم إبراهيم بن غازى؛ وكان يأكل فى شهر رمضان *جهاراً، P. ١٩١ ويركب الكبائر؛ وكان فى أيّام بنى الأغْلَب من المُتزهّدين المُرابطين بقَصْر الطُّوب المجاوِر لسُوسة؛ وقد كان أهلُ سُوسة أرادوا تقديمه لصلاة الجماعة.

وفيها، تصدّى جماعةٌ من أهلِ القَيْرَوان بالنساء والذُّرِّيَة لأبى القاسم، وشكوا اليه سرًّا جورَ أبى سعيد وأصحابِ المَحارِس، ووصفوا إفسادهم وغارتهم على أموالهم؛ فاستأذن لهم على أبيه؛ فدخلوا كافّةً، وشكوا اليه بما شكوا به الى أبى القاسم، وأبو سعيد جالسٌ عنده؛ فحلف لهم عُبيد الله أنّـه ما علـم بظلمهم، وأمرهم بالانصراف، ووعدهم بالإنصاف. وأمر أبا سعيد برفع كاتبه وقومٍ من أصحاب المَحارِس اليه. فحبسهم عُبيد الله، وأطلق كاتبَه.]

و[فيها]، أمر عُبيد الله بأن يكون طريقُ الحاجّ على المهديّة، لأداء ما وَظّفَ عليهم من المَغارِمِ [فى الشطور]، وألّا يتعدّى هذا الطريقَ أحدٌ. [وكان

---

1) A. et B. ajoutent: لعنه الله ولعن عبيد الله!.

من أمثال أهل القَيْرَوان فى أيّام بنى الأغْلَب، عند مطالبة شىء مُمْتَنِع: « إذا أردتَّ الحجّ، فَخُذْ على بندون!» وبندون هذه قَرْيَةٌ فى طريق حَمّة؛ والطريق القصدة إنّما هى على مِصْرَ. فلما عهد عُبيد الله بأن تكون طريقُهم على المهديّة، صار المَثَلُ القديمُ حقًّا.

و[فيها،] أمر عُبيد الله بقتل (أبى علىّ) حسن بن مُفَرِّج الفقيه، ومحمّد الشَّذُونىّ الزاهد، إذ رُفع عليهما اليه بتفضيل بعض الصحابة على علىّ. | وفيها، مات بمدينة سُوسة أبو الغُصْن نَفْش الفقيهُ؛ سمع من سَحْنون ومن عَوْن بن يوسف وغيرهما؛ وتوفّى محمّد بن هَيْثَم بن سليمان بن *حَمْدون القَيْسىّ الفقيهُ، ومحمّد ومحمّد ابنا عبد السلام بن إسماعيل من بنى عبد الملك بن مروان — رحمه الله! —|

P. ١٩٢

وفى سنة ٣١٠، قدم مَصالة بن حَبُوس [الى] المهديّة [على عُبَيْد الله|. فأقام بها أياماً. ثمّ صرفه الى تِيهَرْت. [فخرج اليها فى شعبان. وفيها، قُرِئَ كتابٌ لعُبيد الله الشيعى فى جامع القَيْرَوان، بوقعةٍ كانت بين فَلاح بن قَمُون وبين جُنْد مِصْرَ بذَاتِ الحمام. وفيها، قُتل بجَبَل أوْراس أبو مَعْلُوم فَحْلُون الكُتامىُّ، من قوّاد عُبيد الله؛ وكان قد أخرجه الى هذا الجبل؛ فكلّف أهْلَه فوق وسعهم، وأمرهم برفع عيالاتهم الى المهديّة؛ فأظهروا الطاعة له، وشرعوا فيما أمرهم به. فلما كان فى بعض الليالى، وثبوا عليه وعلى جند كُتامة الذين كانوا معه؛ فقتلوهم أجمعين.

وفيها، خالفَتْ نُفوسة على عُبيد الله، وقدّموا على أنفسهم أبا بَطّة؛ فاجتمع اليه عددٌ كثيرٌ، واشتدّت شوكته. فأخرج اليهم عُبيدُ الله علىَّ بن سَلْمان الداعى فى جمع كثير. فلما قرب منهم، بيّتوه؛ فقتلوا من أصحابه، وانهزم الباقون، وتفرّقوا عن علىّ بن سلمان؛ فسار علىٌّ الى إطْرابُلُس، وكتب الى عُبيد الله بذلك؛ فكتب عُبيد الله الى علىّ بن لُقْمان عامِلِه على قابِس بأن يقتل كلَّ من مرّ به من المنهزمين؛ فقتل منهم جماعةً. وأمدّ عبيدُ الله علىَّ بن سلمان بالجيوش، وأخذ فى حصار نُفوسة بعزم. وفيها، غزا مسعود الفتى بلد الروم فى البحر، فى عشرين

شِينيًّا، فافتتح مدينة أَغَاثَى، وسباها، وانصرف الى المهديّة. وفيها، توفّى محمّد بن سلاّم بن سيار البَرْقىّ الهَمَدانىّ، وكان متفقّهاً على مذهب الشيعة. وتوفّى من قُرَيْش أحمد بن يحيى بن خالد السَّهْمىّ، بعد أن جاوز التسعين، وكانت له رحلةٌ، وسمع من أبى * سِنْجَر مُسْنَدَه.] P. ١٩٣

(وقام حَسَن بن علىّ الحسنىّ مع البربر، فأتى الى فاس، [1]وبها ريحان[2] الكُتامىّ[1] قائداً عليها من قِبَل عُبيد الله الشيعىّ، فأخرجه منها، واستبدّ بها، ثمّ غَدَرَه حامِدُ بن حَمْدان، وأدخل ابنَ أبى العافية، وكان يتولّى لبنى أُميّة، فبقى بها الى أن أرسل الشيعىّ قائدَيْه مَسْرُوراً وجَوْهراً. ففرّ أمامهما. وبقى فيها قائدُ الشيعىّ الى أن أخرجه بنو إدريس، ورجع مُلْكُها لهم، حتّى حاربها عسكرُ الناصر الأمَوىّ صاحِبِ الأندلُس وملَكَها. وفيها، مات أبو جعفر الطَّبَرىُ — رحمه الله!)

وفى سنة ٣١١، [عزل عُبيد الله إسحاق بن أبى المِنْهال عن قضاء مدينة القَيْرَوان، يوم السبت لعشر بَقِينَ من جُمادى الآخرة، وأخرج اليه عُبيدُ الله مَنْ قال له: «لم نعزلْك عن حرجةٍ، وإنّما عزلناك للينك ومهانتك!» وأولى قضاء [مدينة] القَيْرَوان محمّدُ بن عِمْران النَّفْطىّ، وكان قبل ذلك على قضاء [مدينة] إطْرابُلُس، فجمع بها أموالاً كثيرةً من الرِّشى والأحباس، ورفعها الى عُبيد الله، فكانت له وسيلةً اليه.

وفيها، أُوقع علىّ بن أبى سَلْمان بأهل نُفوسة، ودخل حِصْنَهم، وهدمه، وقتل الرجال، وسبى الذُّرِّيَّة، وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بَقِيَتْ من شعبان. [وفيها، ضُرِبَ محمّدُ بن العبّاس الهُذَلىّ الفقيهُ بالدِّرّة فى الجامع عُرْياناً، وصُفع قفاه حتّى جرى الدم من رأسه، وبُرِّحَ عليه فى أسواق القَيْرَوان إذ شهد عليه قومٌ من المشارِقة بأنّه يطعن على السلطان ويفتى بقول مالِك. وفيها، دخل مَسْرور بن سليمان بن كافى الواحات من صَعِيد مِصْرَ، وهُما حِصْنانِ فى * قنار ورمال، وكان عليها عامِلٌ لصاحب مِصْر، يُعرف بالكرمازى[3]، فهزمه P. ١٩٤

1—1) A. وفيها أقبل الكتامى.   2) B. زنجان.   3) *Sic* dans G.

مسرور، وأسر ولده وابن أخيه. واستحوذ على الموضع؛ ثمّ وقع الطاعون فى أصحاب مسرور؛ فأخرب الحصنَيْن، وقلع ثمارها، وانصرف الى برْقة.

وفى هذه السنة، مات بالقَيْرَوان من العدول وأهل السُّنّة والخير محمّدُ بن شيبة بن حسّان؛ وكان شيبة من القوّاد الداخلين إفريقية مع يزيد بن حاتم. وفيها، مات بتونس أبو جعفر محمّد بن تميم التميميّ، وكان من قوّاد زيادة الله؛ فهرب الى أبي عبد الله الشيعىّ ودخل معه إفريقية. وفيها، مات أبو الفضل أحمد بن جعفر بن موسى الصُّمادِحىّ.]

وفى سنة ٣١٢، خرج مَصالة بن حَبُوس من تيهَرْت الى زَناتة؛ فأداخ بلدهم، وقتل، وسبى؛ وأخرج خيلاً الى [بعض] نواحى ابن خزَر؛ وكان فيها أكثرُ حُماته ووجوهُ رجاله؛ وبقى مَصالة فى نفر من أصحابه. فبلغ ذلك ابن خزَر؛ فقصد نحو مَصالة، ودارت بين الفريقَيْن حرب عظيمةٌ، قُتل فيها، مَصالة، وانهزم أصحابه؛ وذلك يوم الجمعة لعشر بَقِينَ من شعبان. [وفيها، خرج جعفر ابن عُبيد الحاجب فى أُسطول كبير الى صِقِلِّيَة، يريد غزو الروم؛ فشتى بصِقِلِّيَة تلك السنة، ولم يَلْقَ العدوّ.]

وفى هذه السنة، مات [بالقَيْرَوان القاضى محمّد بن عمران] النَّفطىّ، [فى شهر ربيع الأوّل؛ وكان يرتشى على الأحكام، ويستهتر فى ضروب من المنكر.] فولّى [عُبيد الله القضاء مكانه إسحاق] بن أبى المِنْهال مرّةً ثانيةً، [وكتب فى عهده: «وإنّما كنّا عزلناك للينك ومهانتك! ورَدَدْناك لدينك وأمانتك!» وفيها، مات محمّد بن حَفْص الفَهِمُ؛ وكان من أهل الفضل والدين، وأمَّ بالناس * الأشفاع بجامع القَيْرَوان فى أيّام بنى الأغلب؛ ثمّ ولى صلاة جامع رقّادة؛ وكان يرتزق فى كلّ شهر عشرة مثاقيل؛ فأحضره المَرْوذىّ عند نفسه، وقال: «لا يَمُرُّ بنا إلّا ولىّ من أولياء أمير المؤمنين. فادخلْ الى بعض الدُّعاة، يأخذ عليك البيعة، وتبقى على خُطّتك!» وإنّما أراد أن يتشرّق معهم، ويدخل فى الكفر مَدْخَلَهم. فقال له: «أنظِرْنى اليومَ أشاورُ نفسى.» فأنظره؛ ثمّ أتاه

١٩٥ .

من الغد ، وقد كره الدخول معهم فى شىء ممّا هم عليه؛ فعُزِل عن الصلاة.

وفيها ، قُرِئ كتابُ عُبيد الله بالقَيْرَوان وأعمالها بدخول مَسْرور بن سليمان ابن كافى الواحات ، وملْكِه لها؛ وتأريخُه يوم الخميس لثمان ليال بَقِينَ من المحرّم.

وفى سنة ٢١٣ ، غزا أبو أحمد جعفر بن عُبيد الحاجب بلد الروم من صِقِلّيّة؛ فافتتح أماكِنَ كثيرةً ، [منها مدينة وَارِى ،] وقتل بها ستة آلاف مُقاتل ، وأخرج منها عشرة آلاف سبيّة ، [وأسر بها بَطْرِيقاً صالَحَهُ عن نفسه ومدينته بخمسة آلاف مثقال؛ وانصرف الى صِقِلّيّة؛ فوصل اليها لأربع بقين من شهر ربيع الآخر]؛ وكتب الى عبيد الله [الشيعىّ] بالفتح. [ثمّ قدم جعفر بعد ذلك الى المهديّة ، وأوصل جميع الغنائم الى عُبيد الله الشيعىّ. فذكر بعضُ رجاله أنّه دخل عليه ، وبين يديه جَوْهَرٌ كثيرٌ ، وديباجٌ سنىٌّ ، واموالٌ. فقال له : « يا مولاى ! ما رَأيتُ كاليوم منظراً ! » فقال له عُبيد الله : « هذا من الغنائم التى أُصيبت بوَارِى ! » فقال له الرجل : « إنّ منْ أدّي هذا لأَمِينٌ ! » وأراد أن يثنى بذلك على جعفر الحاجب. فقال له عُبيد الله مُبادراً : « والله ! ما أعطانى من الجَمَل إلاّ أُذُنَيْه ! »] وفيها ، ولى [أحمد بن بَحْر بن علىّ بن صالح ، المعروف ب]ابن أخى كِرام ، مَظالِمَ القَيْرَوان ، [وجلس للنظر يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ من جُمادى الأخيرة. P. ١٩٦

وفيها ، مات بمدينة سُوسة محمّد بن بسْطام بن رَجاء الضَّبّىّ الفقيهُ؛ وكانت له رحلةٌ سمع فيها من ابن عبد الحكم وغيره. ومات عبد العزيز بن شَيْبة؛ وكانت له رحلةٌ أيضاً سمع فيها من بُندار ، وأبى موسى الزمن ، وأبى حفص القلاّس؛ ولم يتخلّف هذا المتوفّى وارثاً؛ فورثه عُبيد الله؛ وكان له مسجدٌ يجاوِرُ دارَه وفُنْدُقَه؛ فأغلق الناظرُ فى المواريث لعُبيد الله بابَ المسجد ، ووصّله بالدار والفُنْدُق.] (وفيها ، ابتدأ عبيدُ الله الشيعىُّ ببناء مدينة المَسِيلة ، وسمّاها المُحَمَّدِيّة ، على يَدَىْ علىّ بن حَمْدون الجُذامىّ المعروف بابن الأنْدَلُسىّ ، فى وسط أرض بنى بِرْزال وبنى كَهْلان ، على قُرْب من هَوّارة. وكانت على وادٍ؛ ولها سورانِ ، تليهما ساقيةٌ من هذا الوادى.)

[وفى سنة ٢١٤، عزل عُبيد الله الشيعىُّ عن عمالة القَيْرَوان نسيماً فَتاه، وضَمّه الى المهديّة، وحُبس عند جَوذَر الفتى؛ وقُبض على أمواله. وكان نسيمٌ سريعَ الغضب والضرب بالسوط. وولّى عُبيدُ الله عمالة القَيْرَوان صابراً الفتى، مولى ابن قُرهُب]. وفيها، زحف ابن خَزَر الى تِيهَرْت وحارَبَها؛ فانهزم عنها؛ وأخرج عُبيدُ الله فى أثره موسى بن محمّد الكُتامىَّ فى جماعة من القوّاد. [فلما صاروا بطُبْنة،] دخل محمّد بن خَزَر الصحراء، وأبقى أخاه [عبد الله] مع وجوه رجاله بوادى مَطْماطة؛ فدارت بينه وبين جند الشيعىّ حربٌ عظيمةٌ. *كان ١٩٧ الظفرُ فيها والغلبةُ لابن خَزَر. [ثمّ أخرج عُبيد الله اليه إسحاق بن خليفة وأصحابه.] وخالفَتْ على الشيعىّ لَماية، وما جاوَرَها من القبائل. واستمدّوا بابن خَزَر. [فكتبوا الى عُبيد الله مستمدّين؛ فأمدّهم بجيش كثير؛ فهزموه. وأرسلت هذه القبائل الى محمّد بن خَزَر؛] فولّى عليهم أخاه عبد الله. ودارت بينه وبين جيوش الشيعىّ وقائعُ كثيرةٌ. [وفيها، مات مُؤْنِس البَغْداذىُّ المُغَنِّى، مولى موسى ابن بُغا، بالمهديّة فجأةً.]

وفى سنة ٢١٥، خرج أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ من المهديّة، يُريد المغرب، يوم الخميس لتسع ليالٍ خَلَوْنَ من صفر. وكانت طريقُه على القَيْرَوان؛ [ثمّ نزل الأُرْبُس. فأقام بها أيّاماً، حتّى اجتمعت اليه العساكر.] فسار الى باغاية، ثمّ الى كُتامة، وتقدّم الى جبل فيه بنو بِرْزال، [وقوم من مَكْلاتة.] فامتنعوا عليه؛ فحاربهم حتّى فُتح لـه عليهم، وتوجّه الى مَدْغَرَة، ثمّ الى سوق إبراهيم. فأقام فى تلك الجهة أكثر من شهرٍ، لكلب الشتاء وكثرة الوحل. [فحكى بعضُ رجال عُبيد الله أنّه كان قاعداً بين يَدَيْه، هو وطائفةٌ من خدمته وصحبه، وقد توقّفت كُتُبُ أبى القاسم عن الورود، حتّى ساءت الظنون من جهته؛ فورد كتابُه على أبيه بحضرهم. فلما فتحه وقرأه، بكى. قال: فخُفْنا أن يكون حدثَ أمرٌ، وهَمَمْنا بالبكاء معه حتّى افتتح الكلام؛ فقال: «اللّهُمّ! إنكَ تعلم أنّى ما أردتُ بإخراجه الى المغرب إلاّ رضاك، ونصرةَ دينك، وإذلالَ أعدائك! وما

يسهل علىّ أن أُفارِقَه يوماً واحداً.» قال: ثمّ التفت الينا، فقال: «هذا مولاكم يذكر فى *كتابه أنّه أقام فى مَناخ واحد شهراً كاملاً، عليه المطر كلّ يوم بالغدوّ والآصال، و[أنّه] مشى عِقاباً كثيرةً راجلاً، إذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها، ويقتات كلّ يوم ببيضة أو نحوها لكثرة الذباب فى العسكر!» [وفيها، خرج صابر الفتى الى صِقِلِّيَة لغزو بلد الروم، فى أربعة وأربعين مركباً؛ فأصاب فى غزاته هذه، وسبى، وقتل.] P. ١٩٨

وفيها، قُتل بِرَمْلَةِ المهديّة مُعَلَّى بن محمّد الملوسىّ الداعى، بعثه أبو القاسم من المغرب مقيّداً. فأمر [عُبيد الله] بضرب عُنُقه.

وفيها، قُتل بمَصْمُودةِ الساحِلِ، من أحواز طَنْجة، حامِيم المُفْتَرِى، ابنُ مَنِّ الله. وكان قد تنبّأ بالجبل المنسوب اليه، وأجابه بَشَرٌ كثيرٌ من البربر الجُهّال، [وشهدوا له بالرسالة. وقد كان سنّ] لهم صوم يوم الخميس؛ فمَنْ أكل فيه، غُرِم خمسة أثوار؛ وصوم الاثنين؛ فمن أكل فيه غُرم ثورَيْن، ونحو هذا من الباطل والحماقات. (وممّا قيل فيه [طويل]:

وقالوا افْتِراءً إنّ حامِيمَ مُرْسَلٌ	اليهمْ بدِينٍ واضِحِ الحقِّ باهِرِ
فقُلْتُ: كذَبْتُمْ! بدّد الله شَمْلَكم!	فما هو إلّا عاهِرٌ وابنُ عاهِرِ!
فإن كان حامِيمُ رَسولاً، فإنّنى	بمُرْسِلِ حَامِيم لأوّلُ كافِرِ!
رَوَوْا عن عجوز ذاتِ إفْكٍ بهيمةٍ	تَجاوَزَ فى أسحارِها كلُّ ساحِرِ
أَحاديثَ إفْكٍ حاكَ إبليسُ نسْجَها	يُسِرّونها[1] واللهُ مُبدى السرائرِ!)

P. ١٩٩ وفى هذه السنة، توفّى محمّد بن سَلْمون القطّان بإفريقية؛ وله *سماعٌ كثيرٌ من رجال سَحْنون. وتوفّى من التجار وأهل العدالة حاتِم بن عبد الرحمن بن حاتِم، سمع من سَحْنون، ورحل الى العِراق.]

وفى سنة ٣١٦، زحف أبو القاسم الشيعىّ [الى قبائل البربر بالمغرب؛ فنزل

1) Leçon de Bakrī. — A. et B.: بشرتهم.

ببرقجانة [1] على حصنها [المعروف بـ]ـأغزر [2] يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرّم؛ [فقاتلهم]، ونقب السور عليهم حتّى سقط؛ وهلك ممّن كان تحته وفوقه عددٌ كثيرٌ. فلما نظروا الى الغلبة، أحرقوا الأمتعة، وعرقبوا الدوابّ والمواشى، وقاتلوا الشيعة حتّى قُتلوا، وأُسِرَ منهم من استأسر وانتهب ما فى الحصن. وأجابت هوّارة ولماية الى طاعة الشيعة؛ فأمّنهم أبو القاسم، ثمّ سار الى جهة تيهرْت؛ فأقام بها نحوَ شهرٍ. [وتقدّم منها الى تامغلْت؛ فأقام بها شهرين، مناظراً لابن خزَر، وهو حينئذ بموضع يُقال له أوْرَن.] ثمّ نكب أبو القاسم الى [مدينة] طُبْنة، وانصرف الى المهديّة دون أن يلقى ابن خزَر. وقيل إنّ سبب انصرافه [إنّما كان لكتابٍ ورده من قِبَل ابنه قاسم، يعلمه أنّ الناس تحدّثوا بمبايعة عُبيد الله لابنه أحمد المُكنّى بأبى علىّ، وأنّه] صلّى بالناس عيدَ الفطر [وعيد الأضحى.] فأقلقه ذلك، [وقدم المهديّة].

وفيها، غزا صابر من صِقلّية الى بلد الروم؛ فافتتح موضعاً يعرف بالغيران وقلعة الحَسَب، واحتوى على ما فيهما، وزحف الى سَلِير؛ فصالحه أهلها بمال وديباج. ثمّ توجّه الى نابُل؛ فصالحوه أيضاً بمال وثياب. ثمّ صدر الى صِقلّية.

وفيها، مات محمّد بن أحمد بن أبى زاهر، من الفقهاء * بالقيْرَوان؛ وعبد الله المعروف بالعيْنىّ، وكان من المتعبّدين. وفيها، ابتدأ غلاء السعر بالقيْرَوان]. P. ٢٠٠

(وفيها، كان ابتداء أمر أبى يزيد مَخْلَد بن كَيْداد الزّناتىّ، وهو رجلٌ أخذ نفسه بمذاهب النّكّار، يُحلّل دماء المسلمين وفروجهم، ويسبّ علىّ بن أبى طالب — رضه —. وكان أوّلَ أمره بتَقْيُوس، يُعلّم الصبيان، ويعتقد الخروجَ على السلطان، ويحتسب على الناس فى كثير من أفعالهم، وعلى جُباةِ الأموال. فغيّر فى هذا العام على عامل تَقْيُوس، وأمر بقتله؛ فقتله أهل تَقْيُوس؛ ففزع أبو يزيد عند ذلك، وخرج الى الحجّ. فلما وصل الى إطرابُلس، وصل كتابُ عُبيد الله فى طلب قوم من البربر؛ فهرب هو وصاحِبُه أبو عمّار الأعمى؛ وكان على

1) Restitution proposée, au lieu de ببرقة des mss. 2) A. et G. اغرر.

مذهبه وضلاله. فكرّا الى تَقْيُوس؛ فورد كتابُ عُبيد الله فى طلبه [1] فيها. فما زال يَفِرُّ [1] ويستَتِرُ، الى أن ظهر أمره بعد ذلك).

وفى سنة ٣١٧، كان بالقَيْرَوان وأعمالها وَبَاءٌ عظيمٌ، وغَلاء سعرٍ؛ [فبلغ قفيزُ قمح بالكَيْل القُرْطُبىّ مِثقالَ ذهبٍ]. وفيها، تغلّب محمّد بن خَزَر على الزّاب كُلّه، ومَلَكَه جُمْلةً [2]. وفيها، بنى بنو محمّد المدينة المعروفة بحَجَر النَّسْر. وفيها، سار موسى بن أبى العافية الى مدينة نَكُور، وصاحبُها يومئذٍ المؤيَّدُ بن عبد البَدِيع ابن إدريس بن صالح بن منصور. فحاصرَه فيها حتّى تغلّب عليها، واستباحها، وغنم ما فيها، وقتل المؤيَّدَ، وهدم أسوارَها. ثمّ سار يريد بنى محمّد بن سليمان ابن عبد الله؛ وعَمِيدُهم يومئذٍ الحسن بن عيسى المعروف بابن *أبى العَيْش، P. ٢٠١ صاحبُ جَرَاوة؛ وهى أشرف مدائن ذلك الجانب. فنزل عليها، وحاصر ابن أبى العَيْش فيها حتّى أوفى على أخْذها. فلما أحسّ ابن أبى العَيْش بالغلبة، خرج فى الليل، هارباً بأهله وولده ومن تبعه، ونجا الى مرسى جَرَاوة المعروف بأكّاس [3]. فدخل منه البحر، وعاذ [4] بجزائر مَلْوية. ثمّ سار الى جزيرة أرَشْقُول، وهى منيعةٌ لا تُرام؛ فتحصّن فيها بأهله وولده ومواليه. وجال موسى بن أبى العافية بتلك الجهات [5]، وأخذ مدينة تربية [6] ومدينة أرَشْقول. وهرب كلُّ من فى ذلك الجانب من آل محمّد بن سليمان، وخلص الموضع لموسى بن أبى العافية، وأخلى منه قوّاد بنى خَزَر وعمّالهم، وصار فى ملكه من أحواز تِيهرْت الى السوس الأقصى.

[وفيها، غزا صابر الفتى غزوته الثالثة، والتقى فى البحر بالسردغوس، وهم فى سبعة مراكب، وصابر فى أربعة مراكب؛ فانهزم السردغوس. وفتح صابر مدينة ترمولة، وسبى فيها سبياً كثيراً؛ ثمّ انصرف الى المهديّة. وفيها، مات بالقَيْرَوان من الفُقهاء أحمد بن نَصْر بن زياد، سمع من محمّد بن سَحْنون ومن ابن عَبْدُوس

1—1) Illisible dans A. (voir *Corr.*, p. 23). 2) G. وملك جملة.

3) A. et B. ajoutent: وأظنّه موضع تيكيساس اليوم, ce qui est une erreur manifeste.

4) A. ووصل; B. وصار. 5) G. بذلك البلد. 6) ? — A. et B.: مرينة.

ومن يوسف بن يحيى المَغامىّ؛ وكان عالماً بالمناظرة، مليئاً بالشاهد، صحيح المذهب، سليم القلب. قال محمّد بن حارث [1]: حضرتُه يوماً، وعنده جماعةٌ من المُناظرين فى المسائل، حتّى دخل عليه محمّد بن عبد الله بن مَسَرَّة القُرْطُبىُّ P. ٢٠٢ فى حين تَوَجُّهِهِ الى الحجّ؛ فسلّم، وجلس جانباً [2]، وهو يجيل بصره فى وجوه المتكلّمين. قال: فلم أشُكَّ أنّه من أهل العلم، ولم أكُنْ عرفتُه باسمه. فلما أظهر الشيخ أحمد بن نصر القيام، قال له: «يا شاب! جلستَ منذ اليوم. فهَلْ من حاجةٍ تذكرها؟» فجاوبه محمّد بن مَسَرَّة بكلام حسن بليغ، وقال له: «رأيتُكَ مقتبساً من نورك، ومستمدًّا من علمك!» وجاوبه أحمد بن نصر أيضاً بجواب حسن. ثمّ قام، وقُمْنا بإثره. وفيها، مات محمّد بن محمّد بن خالد القَيْسىُّ المعروف بالطُّرْزىّ؛ وكان ولى المَظالِم بالقَيْرَوان؛ ولما أراد إبراهيم بن أحمد توليته المَظالِم، اعتذر اليه بأن فيه حياءً ولينُ جانبٍ وقلّةُ فقهٍ؛ فقال له إبراهيم: «أمّا الحياء واللين، فإذا أمرتَ ونَهيتَ، زالا عنك. وأمّا قِلّة الفقه، فشاوِرْ الفقهاء فى أحكامك!» وولّاه؛ فلم يكن بالقَيْرَوان حاكمٌ أشدَّ صرامةً منه.]

وفى سنة ٢١٨، خرج حُمَيْد بن يَصَّل من المهديّة الى تِيهَرْت بغير إذْنِ عُبيد الله، وبنى قلعةً هنالك [3]، [وردَّ حمّاد بن هاشم الى بلده، وصاهَرَه، وأصلح بينه وبين سيار بن عبد الوهّاب.] فكتب عُبيد الله الى يَصَّل بن حَبُوس أن يوَجِّه حُمَيْداً الى المهديّة، ولا يؤَخِّرَه ساعةً. فرجع حُمَيْد اليها، ولم يَلْقَ من عُبيد الله سُوءاً. [وفيها، نزلت الأمطار بالقَيْرَوان، وصلحت الاحوال، ورخصت الأسعار، بعد ضيقٍ شديدٍ كان فيه الناسُ، وغلاء، ووباء]. وفيها، مات بالمهديّة هشام بن الربيع التميمىُّ؛ وكان من أهل الخير [والفضل؛ وناله من عُبيد الله الشيعىّ عقابٌ، وضُرِبَ بسبب ابن القديم. وأوصى ألّا يُدفن فى المهديّة؛ فسيق الى القَيْرَوان، ودُفن بها].

1) Le récit qui suit figure effectivement, sous une forme un peu plus développée, dans les *Ṭabaḳāt ʿulamāʾ Ifrīḳiya*, éd. Ben Cheneb, p. ١٥٩—١٦٠.

2) G. حيناً.   3) G. بنى سوها (*sic*).

(*ذكر[1]) مدينة جراوة)

كانت مدينة جراوة عليها سُورٌ مَبْنِى بالطُّوب. وبخارجها عيونٌ مالحةٌ، وداخلَها آبارٌ كثيرةٌ طَيِّبةٌ عَذْبةٌ؛ وحَولَها أرباضٌ من جميع جهاتها؛ وفيها قَصَبةٌ مانعةٌ؛ وبها خمسُ حمّامات، وجامعٌ، له خمسُ بَلاطات. أسّسها[2] أبو العَيْش عيسى بن إدريس سنة ٢٥٧؛ ووليها بعده ابنُه الحسن بن أبى العَيْش فى سنة ٢٩١، وخرج منها الى حصن المنصورة[3] فى سنة ٣١٩؛ ثمّ عاد اليها فى سنة ٣٢٣؛ ثمّ انتقل منها الى تِلِمْسان فى سنة ٣٢٥. وكان لها أربعة أبواب، وحَوْلَها فحوصٌ للزرع والضرع[4]؛ وحولَها قُرَى مَدْغَرة على البحر. وفى الجبل بنو يَزْناتَن، ومن جهة الشرق بنو يَفْرَن من زَنانة، ومن جهة الغرب قبائلُ زَوَاغة وغيرُهم.

ذكر مدينة تِيهَرْت

وأمّا مدينة تِيهَرْت[5]، فأسّسها عبدُ الرحمن بن رُسْتُم بن بَهْرام؛ وكان مولًى لعثْمان بن عفّان — رضه! — وكان خليفةً لأبى الخَطّاب أيّامَ تغلُّبه على إفريقية. ولما دخل ابنُ الأشْعَث القَيْرَوان، فرّ عبد الرحمن الى الغرب بما خفّ من أهله وماله؛ فاجتمعت اليه الأباضيّة، وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم؛ فنزلوا بموضع تِيهَرْت، وهى غيضةٌ بين ثلاثة أنهار؛ فبنوا مسجداً من أربع بَلاطات؛ واختطّ الناسُ مساكِنَهم، وذلك فى سنة ١٦١[6]. وكانت فى الزمان الخالى مدينةً قديمةً؛ فأحدثها الآن عبد الرحمن بن رُسْتُم، وبقى بها الى أن مات فى سنة ١٦٨؛ وقد تقدّم ذكرُ ذلك[6].

---

1) A. ajoute صفة. 2) Lecture de Bakrī, p. 142. A. et B. أسّسه.

3) A. المقصورة. 4) A. والمزرع. Manque dans B.

5) Dans le développement qui suit, les mss. portent les deux orthographes, soit تيهرت, soit تاهرت.

6—6) Manque dans B.

ذكر من ملك مدينة تِيهَرْت من حين ابتدائها من بنى رُسْتُم وغيرهم[1]

أوّلهم[2] عبدُ الرحمن بن رُسْتُم: كانت مدّتُه بها سبعة أعوام. ثمّ * وليها ابنه عبدُ الوارث، فكانت مدّتُه بها عشرين سنة، وتُوفّى سنة ١٨٨. ثمّ وليها ابنه أبو سعيد أفْلَح بن عبد الوارث، ومات سنة ٢٠٥. ثمّ وليها أيضاً ابنه أبو بكر بن أفْلَح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رُسْتُم، فاختَلَف عليه الأمرُ، وأخرجه أهلُها من تِيهَرْت، ثمّ أعادوه الى أن مات فيها. ووليها بعده أخوه أبو اليَقْظان محمّد بن أفْلَح، فكانت مدّتُه سبعاً وعشرين سنة، ووفاتُه فى سنة ٢٨١. ووليها بعده أبو حاتِم يوسف بن أبي اليَقْظان، فأقام فيها عاماً، واختلف عليه الناسُ، واضطرب أمرُه، فخرج الى حِصْن لَوَاتة، وقامت بينه وبين أهل تِيهَرْت حروبٌ عظيمةٌ. ووليها بتقديم أهلها يعقوبُ بن أفْلَح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن ابن رُسْتُم، فأقام والياً أربعةَ أعوام، ثمّ خلعوه وقدّموا أبا حاتِم بن أبى اليَقْظان، فأقام ستّةَ أعوام الى أن قتله بنو أخيه سنة ٢٩٤. ثمّ وليها يَقْظان ابن أبي اليَقْظان، فقتله أبو عبد الله الشيعىُّ، فى خبر طويل، مع جماعةٍ من أهل بيته، وذلك فى شوّال سنة ٢٩٦. وانقطع مُلْكُ بنى رُستم من تِيهَرْت فى هذا التأريخ.

P. ٢٠٤

وليها فى أيّام الشيعة أبو حُمَيْد دَوّاس اللَّهِيصىُّ، ولّاه أبو عبد الله الداعى[3] حين خروجه منها الى سِجِلْماسة. فأقام فيها سُتّةَ أشْهُر، حتّى أتَتْهُ العساكر من إفريقية، فافتتحها فى سنة ٢٩٩. ووليها مَصَالة بن حَبُوس المِكْناسىُّ. الى أن قتله محمّد بن خَزَر الزَّناتىُّ فى شعبان سنة ٣١٢، فكانت ولايتُه بها ثلاث عشرة سنةً. ووليها بعده أخوه يَصَل[4] بن حَبُوس الى أن * تُوفّى سنة ٣١٩. ثمّ وليها

P. ٢٠٥

---

[1] Ce titre manque dans B. [2] B. فأوّل من وليها.

[3] Manque dans A. [4] B. مصل.

أبو مالك بن يغمُراسن بن أبي شَحْمة اللَّهيصيُّ؛ فقام عليه أهلُ البلد، وأخرجوه سنة ٣٢٣. ووليها أبو القاسم الأحْدَب ابن مَصَالة بن حَبُوس؛ فقدّموه على أنفسهم؛ فأقام عليهم سنةً واحدةً. فلما انصرف مَيْسُور[1] من أرض المغرب الى إفريقية، حاربهم حتّى ظفر بالبلد، وقتل أبا القاسم بن مَصَالة المذكور، وولّى على تِيهَرْت داوود بن إبراهيم العَجِيسيّ؛ فأقام والياً عليها الى أن أخرجه حُمَيْد ابن يَصَل فى جُمادى الأخرة من سنة ٣٢٣، فى أيّام أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْداد اليَفْرنىّ؛ وخرج حُمَيْد بن يَصَل من تِيهَرْت فى سنة ٣٣٣، فى خبر يطول ذكرُه، وجاز الى الأندلس. واحتلّ إسماعيل الشيعىُّ مدينة تِيهَرْت، وولّى عليها مَيْسُوراً النَّتى؛ فاضطرب عليه أهلُ البلد لأنّــه سار فيهم بسيرة غير مَرْضِيّة؛ فاستدعوا محمّد بن خَزَر الزّناتىّ، وابنَه الخَيْرَ، ومن معهما من زناتة؛ فقدموا الى تِيهَرْت فى جمع عظيم، وأظهروا أنّهم ناصِرون لمَيْسُور؛ فخرج اليهم؛ فغدروه وأسروه. ودخل بنو خَزَر وزَناتة مدينة تِيهَرْت، ونزلوا دار الإمارة. ثمّ اضطرب أمرُ أهْلِ تِيهَرْت، وتغلّب عليها يَعْلَى بن محمّد اليَفْرَنىُّ الزّناتىُّ، الى أن قدم جَوْهَر، قائدُ الشيعة، سنة ٣٤٩.

وكانت حَوْلَ تِيهَرْت بساتينُ من أنواع الثِّمار، كثيرةُ الأشجار. وهى شديدةُ البَرْد، كثيرةُ الأمطار. قيل لبعض الظُّرَفاء من أهلها: «كم الشِّتاء عندكم من شهر فى السنة؟» قال: «ثلاثة عشر شهراً!» وقال بعضُ شعراء تِيهَرْت من قصيدةٍ أوّلُها [طويل]:

فَرَاغُ الهَوَى شُغْلٌ وَمَحْيا الهَوَى قَتْلُ ... وَيَوْمُ الهَوَى حَوْلٌ وبَعْضُ الهَوَى كُلُّ

P. ٢٠٦ *وَجُودُ الهَوَى بُخْلٌ ورِسْلُ الهَوَى عدًى ... وقُرْبُ الهَوَى بُعْدٌ وسَبْقٌ[2] الهوى مَطْلُ

سَقَى اللهُ تِيهَرْتَ المُنَـا وسُوَيْقَـةً ... بسَاحَتِها[3] غيثاً يَطِيبُ بـه المَحْـلُ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ والدارُ جامعةٌ لَنَـا ... ولَمْ يَجْتَمِعْ وَصْلٌ لَنا لا ولا شَمْلُ[4]

---

1) B. منصور.   2) B. ووَعْدُ.   3) A. بساكنها.
4) A. وَصلُ.

فلمّا [1]تمادى العيش[1] وانشقّت العصى ... تداعت أهاضيبُ النّوى وهْى تنهلُ
سلامٌ على من لَمْ تُطِق يومَ بيننا ... سلاماً ولاكن فارقت وبها ثُكْلُ
وما هِىَ آماقٍ تفيضُ دموعها ... ولاكنّها الأرواحُ تجرى وتنسلُ

وممّا قيل حين قضى الله بخرابها، وانتقال أهلها عنها وأربابها [طويل]:

خليلىّ عُوجا بالرُسوم وسلّما ... على طَلَلٍ أقوى وأصبح أغبرا
ألمّا على رَسْم بتيهرْت داثرٍ ... عفتْه الغوادى الرائحاتُ[2] فأقفرا
كأنْ لم تكُنْ تيهرْتُ داراً لمعشرٍ ... فدمّرها المقدارُ فيمن تدمّرا .

وتيهرْت القديمة هذه، هى التى خربها الخَيْرُ بن محمّد بن خزَر الزّناتىُّ.)

[وفيها، مات بالقيْروان من قُرَيْش أبو الحسن المُطّلبىُّ أحمد بن محمّد بن عبد الله بن جعفر بن علىّ بن زَيْد بن رُكانة بن عَبْدُود بن هاشم بن عبد المُطّلب، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلَتْ من جُمادى الأولى؛ وكان قد صحب عُبَيْد الله بسِجِلْماسة قبل أن يملك القيْروان؛ فنال بها جاهاً كبيراً فى آخر عمره. وفيها، * مات محمّد بن عثمان الخُراسانىُّ الفقيهُ، صاحبُ الوثائق ٢٠٧ بالقيْروان؛ وكان يذهب مَذْهَب أهل الكوفة؛ ولم يكن ممّن يقول بخَلْق القرآن؛ وله سَماعٌ بمِصرَ من يُونُس بن عبد الأعلى.]

وفى سنة ٣١٩، كاتب موسى بن أبى العافية (صاحبَ الأندلُس) [أميرَ المؤمنين] (عبدَ الرحمن) الناصرَ من العِدْوة (الغرْبيّة)، ورغب فى موالاته، والدخولِ فى طاعته، وأن يستميلَ له أهواء أهل العدْوة المجاوِرين له؛ فتقبّله [أميرُ المؤمنين] أحسَنَ قبولٍ، وأمدّه بالخِلَع والأموال، وقوّى أوده[3]، على ما كان يُحاوله من حَرْب ابن أبى العَيْش وغيره. فظهر أمْرُ موسى من ذلك الوقت [فى العدوة، وتجمّع اليه كثيرٌ من قبائل البَرْبَر،] وتغلّب على مدينة جَرَاوة، وأخرج عنها الحَسَن بن أبى العَيْش بن إدريس العَلَوىّ. ودارت

1--1) B. تفانى الطيب.   2) B. العوافى الغاديات.   3) B. يده.

بينهما مُحارَبات ومُواقَعات. (وبنى الحسن بن أبى العَيْش حِصناً مَنِيعاً بجَبَل، بَيْنَه وبَيْن جَراوة أَربعةُ [1] أميال، وحَوْلَه قُرًى لمَدْغَرة، وبَنِى يَفْرن، وغيرهم من القبائل. وكان لأَبى العَيْش أيضاً وبنيه مدينةُ تِلِمْسان وما والاها، يسكنها مِثْلُ زُواغة ونَفْزة وغيرُ ذالك. وفى ذلك يقول بَكْر بن حَمَّاد [كامل]:

سائِلْ زُواغة عن طعان سُيوفِه ورماحــه فى العارِض المنهلِّلِ
وديار نَفْزة كيف داس حريمَها والخيلُ تمرغ فى الوشيج الذُّلّلِ
غَشَّى مَغيلــةَ بالسيوفِ مُذِلَّــةً وسقى جَراوة من نقيع الحَنْظَلِ

ومن جَراوة [1] الى تِيهَرْت ثلاثة مراحِل، وإلى حِصْن تَامْغَلْت مرحلتان، يسكنه بنو دَمَّر من زَناتة.

ذكر مدينة تِلِمسان: ذُكِر أَنَّ تِلِمْسانَ قاعِدةُ المَغْرِب الأَوْسَط، قالــهُ البَكْرىُّ، وصَحَّحَ قَوْلَه كثيرٌ من الأَخباريّين، ومن كتاب رُجَار * قال: وبين مدينة تِلِمْسان وتِيهَرْت، يَسْكُن بنو مَرِين وجميعُ قبائل زَناتة، منهم تُجِين، ومَغْراوة، وبنو راشِد، ووَرْنِيد، وغيرهم. قال: وأَكْثرُهم فرسان يركبون الخيل، ولهم معرفةٌ بارعةٌ، وحذقٌ، وكِياسةٌ، لا سِيَّما بعِلْم الكَتِف. وهم منسوبون الى جَانَا. قال: وزَناتــة فى أَصل مَذْهَبِهم عُرْبٌ صُراحٌ، وإِنَّما تَبَرْبَروا بالمجاوَرة والمُحالَفة للبَرْبَر. وذكر أَنَّهم ينتسبون الى بَرّ بن قَيْس بن إِلياس بن مُضَر.)

P. ٢٠٨

[ذكر افتتاح مدينة سَبْتة بالعدوة]

وفى سنة ٣١٩ هذه المؤرَّخة، افتتح الناصِرُ لدين الله الأَمويُّ مدينةَ سبْتة [بالعدوة،] (على بحر الزُّقاق من بَرِّ العَدْوة، التى هى نظامُ باب المَغْرِبَيْن، ومفتاحُ باب المَشْرِقَيْن، وهى، على ما قيل، مَجْمَعُ البَحْرَيْن، قاعِدةُ البَرّ والبحر،

1—1) Manque dans B.

واللُّؤلُوَةُ الحالَةُ من الدُّنيا بين السَّحْرِ والنَّحْرِ. وفى فتحها يقول عُبَيْد الله بن يحيى ابن إدريس، يُخاطِبُ الناصِر [طويل] [1]:

بِسَيْفِكَ دانَتْ عَنْوَةً وأَقَرَّتِ ... بَصائِرُ كانت بُرْهَةً قد تولَّتِ
وما قَرُبَتْ أَهْواؤُها إذ تَقَرَّبَتْ ... ولا حُلِّيَتْ بالزىِّ لمّا تَحلَّتِ
ولاكنْ أزالَتْ راسياتِ عُقودِها ... عَزائِمُ لَوْ ترقَى بها الغُصْمُ زَلَّتِ
ودَوْلَـةُ منصورِ اللِّواءِ مُؤَيَّدٍ ... تُدالُ بحمدِ اللهِ من شرِّ دَوْلةِ
فَهٰذا أوانُ النَّصْرِ منها وَهٰذِهِ ... بَشائِرُهُ تُرْوِى الأَنامَ بسبْتَـةِ)

فشكَّها أميرُ المؤمنين (الناصرُ) بالرجال، وأَتْقَنَها بالبنيان، [2] وبنى سورها بالكذَّان [2]، وأَلزَمَ فيها مَنْ رَضِيَه من قوّاده وأجناده؛ وصارت مفتاحاً الى العدوة. (قال عَريب:) وباباً إليها، وثقافاً على المراسى فى ذلك الجانب؛ وقامت * الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر؛ وذلك يوم الجُمعة لثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأوّل من العام المؤرَّخ. و[فيها،] ورد الخبر على عُبَيْد الله بالمهديّة بدخول موسى بن أبى العافية وأَهْلِ سبْتة فى طاعة [أمير المؤمنين] عبد الرحمن [بن محمّد] الناصر، وأنَّ مركباً نزل من الأندلس بمرسى جَرَاوة لموسى بن أبى العافية؛ فهبط اليه الحسن بن أبى العيش، وأخذ ما كان فيه. فكاتَبَه موسى وكاتبَ قاضِيَه، [ووجوهَ أهـل موضعه، وكلّموه فى ذلك.] فلم يصرف اليه [متاعه؛ فزحف موسى الى صاء؛ فأخرج منها عامر بن أبى العَيْش وامَّن أهلها؛ ثمّ زحف الى زُوَاغة؛ فخرج اليه ابنُ ابى العَيْش. فلمّا رأى كثرة مَنْ معه، انصرف عنه بغير قتال؛] وأحرق ابن أبى العافية بسيطَ جَرَاوة، وتجوّل فى البلد أيّاما؛ ودارت بين أبن أبى العَيْش [وبين أبن ابى العافية] مُراسَلات. ورغب ابن أبى العيش فى مُصالحته، وصرف ما كان أخذه له،

P. ٢٠٩

1) On suit ici le texte du ms. B., plus correct que celui de A.

2—2) Manque dans A.

واصطلحا[1]. [ورجع موسى الى بلده؛ ثمّ زحف ابن أبى العافية الى أُوَرْقُور؛ فاستمدّ أهلُ قُلُوع جَارة عليه بابن أبى العَيْش؛ فأمدّهم بخيل، وأغاروا على بعض نواحى ابن أبى العافية، وأخذوا لـه جمالاً كثيرةً، وقاسموا الغنيمةَ ابنَ أبى العيش. فعادت الحرب بين ابن أبى العافية وبين ابن أبى العَيْش، وكاتبَ أهلُ جَرَاوة ابنَ أبى العافية، وضمنوا له دخول المدينة؛ فزحف اليها بمن معه، وأدخله أهْلُها طائعين. ثمّ قصد الى المنصور؛ فدعاهم الى الأمان؛ فأجابه بعضُهم، تغلّب على سائرهم، وقتل بها جماعةً. وقيل إنّه أخذ زوجة ابن أبى العَيْش

P. ٢١ * القُرَشيّة، وأولادَه، وخيْلَه، وسِلاحه، وأحرق المدينة بالنار، وانصرف الى محلّتــه؛ وبعث زوجة ابن أبى العَيْش الى أهلها مع ثِقات من أهل جرَاوة.] فعظم على الشيعىّ ما ورده من هذا الأمر، وأقْلَقه. وكتب الى القبائل فى الغرب يحضّهم على طاعته، [ويمنّيهم إمْدادَه ونَصْرَه].

(ومدينةُ سبتة مدينةٌ أزَليّة، على ضفّة البحر الرومىّ، وهو بحر الزُّقاق الداخلُ فى البحر المُحيط؛ وهى فى طَرَف من الأرض، والبحرُ مُحيطٌ بها من كلّ ناحية إلّا موضعاً ضَيّقاً جِدًّا، لو شاء أهْلُها أن يَصِلُوه بالبحر الآخــر[2]، لفعلوا؛ فتصير من جُزُر البحر. ويُجْلَب الماء الى حَمَّاماتها من البحر. وأهلُها عَرَبٌ وبَرْبَرٌ. ولم تزَلْ دارَ عِلْمٍ. وشرقيّهــا[3] جَبَلٌ مُنيفٌ داخلٌ فى البحر، والبحرُ مُحيطٌ به؛ ويُلْقَط فى بعض نواحى هذا الجبل ياقُوتٌ صغيرُ الجرْم، عَرِيقٌ فى الجَوْدة. وبحرُها يُسْتَخْرَجُ منه المَرْجان، وهو البُسَّذ. واخْتُلِف فى تسميتها بسبتة. فقال قومٌ: سُمِّيَتْ بذلك لإنقطاعها فى البحر؛ تقولُ العَرَب: « سَبَتَّ النَعْلَ» إذا قَطَعْتَهُ. وقال آخَرون إنّ رجلاً من ولد سام بن نُوح -عَمَ!- اسْمُه سَبْتٌ خرج من المشرق لأسبابٍ عَرَضَتْ له؛ فتوغّل فى المغرب حتّى أتى موضعها؛ فاختطّ فيــه موضعاً يَعْمُره. ويذكر أشياخُنا الحديثَ المُسْنَدَ عن وَهْب بن

1) A. ajoute: ثمّ عادت الحرب بينهما، وذلك شىء يطول ذكره هنا.

2) B. الأخضر. 3) A. بشرقيها.

مَسَرَّة [1] الحَجَرِىّ، وذلك أنّ أبا عبد الله محمّد بن علىّ حدّثهم عامَ ٤٠٠ عن وَهْب بن مَسَرَّة [1]، عن بن وضّاح، عن سَحْنُون، عن ابن القاسم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبىّ – صلّعم – قال: إنّ بأقصى المغرب مدينةً تُسَمَّى سَبْتَة، أسّسها رجلٌ صالحٌ اسمُه سَبْت من وَلَد سام بن نوح، واشتقّ لها اسماً من اسمه، ودعا لها بالبركة والنصر. فما رامها أحدٌ بسوء إلّا ردَّ اللهُ بأسه عليه. قال ابن حَمَادُه: قال شيخُنا العالم أبو الفَضْل *عِيَاض بن موسى: وهذا P. ٢١١ الحديث تَشْهَدُ بصحّته التَّجْرِبة؛ فإنّها ما زالت محْمِيَّةً عنـد من وَلِيَها من الملوك، وقلّ ما أَحْدَثَ أحدٌ منهم فيها حدَثَ سُوء إلّا هَلَكَ.

قال العُذْرىُّ: كان ملكٌ من ملوك القُوط بالأندلُس يسمّى تودوش [2]؛ فجاز البحر الى سَبْتة لمُحارَبة البَرْبر، فحاصَرَهم فيها، ثمّ تألّفوا عليه؛ فأمكنَتْه منهم غِرَّةٌ، فقتلهم [3]، ولم يَنْجُ منهم إلّا القليل. ورجع تودوش [2] الى الأندلُس. وبقى البربر فيها الى أن دخلها الروم ثانيةً؛ وكان فيها يَلْيَان. وكان عُقْبة بن نافع – رضَه – لمّا غزا الغَرْب ودوّخه كلّه، وصل الى سَبْتة؛ فخرج اليه يَلْيان بهَدايا وتُحَف، واستلْطَفَه؛ وكان ذا عَقْلٍ وتَجْرِبةٍ؛ فأمّنه عُقْبة، وأقرّه على موضعه؛ ثمّ دخلها العَرَبُ بعد ذلك بالصُلْح؛ ثمّ قام البربرُ بطَنْجة، وزحفوا اليها؛ فأخرجوا من كان فيها، وخرّبوها، وبقيت مَسْكَناً للوحوش مدّةً. ثمّ دخلها رجلٌ من غُمارة، يُسمّى ماجْكس [4]؛ فعمّرها، وأسلم، ورأس فيها؛ وانضافت له البرابِرُ، الى أن هلك؛ ثمّ وليها بعده ابنُه عصامُ بن ماجْكس؛ ثمّ ابنُه مجبر بن عصام؛ ثمّ وليها الرضى بن عِصام، وكان يَحْكُمُ فيها برأىِ فُقَهاء الأندلُس؛ ثمّ دخلها قومٌ من قَلْشانة؛ فاشتروا فيها أرضاً من البربر، وبَنَوْا فيها دوراً وما تثلّم من سورها الذى هو اليومَ السِّيارة؛ وكانوا مع ذلك يؤدّون الطاعة لبنى إدريس،

---

1) B. ميسرة.

2) A.: بردوش. B.: مردنوش.

3) A. فامكنتْهم منه غِرّة فقتلوه.

4) A.: ماجكسن. B.: ماجنكسن.

حتّى افتتحها عبدُ الرحمن الناصرُ، ودخلها قائدُه فَرَج بن عُفَيْر يوم الجمعة لليلة خَلَتْ من شعبان من سنة ٣١٩.

ذِكْرُ مَن ولى سَبْتة لبنى أُميّة: فوليها من قِبَل الناصر فَرَجُ بن عُفَيْر سنة ٣١٩ المذكورة. ثمّ وليها أحمد بن عبد الصَّمَد الإِغْرناطىُّ: ثمّ وليها محمّد بن حِزْب الله سنة ٣٢٢؛ ثمّ عُزِل. ووليها محمّد بن مَسْلَمة فى سنة ٣٢٦ ثمّ عُزل. ووليها ابن مَسْلَمة أيضاً الى سنة ٣٣٠. ثمّ * وليها ابن مُقاتِل الى أن أُسِرَ فى شوّال سنة ٣٣٢، أَسَره عندهم بنو محمّد الأَدارِسة، الى أن لَحِقَهم قاضيها محمّد ابن أبى عيسى فى رمضان سنة ٣٣٣؛ فجنح بنو محمّد الى السِّلْم على يدى القاضى؛ فأطلقوا ابن مُقاتِل، وبعثوا رَهائنَهم الى أمير المؤمنين الناصر بقرطُبة. ولم يزل وُلاةُ الناصر يتداولونها الى سنة ٣٤٦.)

P. ٢١٢

[وفيها، مات أحمد بن أحمد بن زياد الفارسىُّ، صاحب الوثائق بالقَيْرَوان؛ وكان له سَماعٌ ونَظَرٌ؛ وتولّى كتابة السِّجِلّات والأحكام لعيسى بن مسكين؛ وله كُتُبٌ فى الوثائق والشروط وفى مواقيت الصلاة. وفيها، مات بمدينة تيهَرْت يصَل بن حَبُوس صاحبُها؛ فقدّم أهلُها على أنفسهم علىّ بن مصالة، وكتبوا الى عُبيد الله بالخبر؛ فولّى عليهم حُمَيْد بن يَصَل، وأخرجه اليها فى جيش كثيف؛ فوصل اليها فى ذى الحجّة.

وفيها، وُلد أبو تميم معدُّ بن إسماعيل الشيعىُّ يومَ الاثنين لتسع خَلَوْنَ من شهر رمضان بقصر المهديّة.]

وفى سنة ٣٢٠، [أوقع حُمَيْد بن يَصَل بداوود بن مَصَالة، وسِنان، وأبى حَمْلِيل بن برْنو، وقتل جماعةً من أصحابهم، وحصرهم فى حصن أبى حَمْلِيل ثلاثةَ أشْهُر. وقُرِئَ بذلك كتابُ عُبيد الله الشيعىّ على المنابر، تأريخُه يوم الخميس لليلتَيْن خَلَتا من جُمادى الأخيرة. وفيها] سار موسى بن أبى العافية الى محمّد بن خَزَر (أمير زَنانة،) [وطوَى نَحْوَه المراحِلَ؛] فألفاه على حين غفلة؛ ف[قاتله، و]هزمه، وقتل أصحابه. ثمّ انصرف الى جَراوة. [وكان سببُ

ذلك أنّ محمّد بن خزَر كتب الى موسى بن أبى العافية فى أمر ابن أبى العَيْش بما أحفظه، وأظهر أنّه مؤيِّدٌ له عليه. فأنف لذلك موسى، وخرج اليه، وواقعه. وفيها، عُزل عبد الله بن سلمان صاحبُ الوثائق؛ * وكان من عناية أبى جعفر البغدادىّ وَزَنّ بِأُبْنَةٍ[1]، فرفع بذلك عليه خَلِيلُ الشيعىّ، وقال له: «يا مولاى! إنّما يعمل البغدادىُّ فى شترِ هذه الدولة الزاهرة، وإدخالِ العيب فيها! وقد ولّى على قضاء إطْرابُلُس والوثائقِ رجلاً مُسْتَهْتِراً بالمرد!» ورفع اليه قَوْلَ ابن عامر الفَزارىّ فى مَرْد إفريقية أيّامَ بنى الأغْلَب، وفيها، ذكر ابنَ سلمان هذا بقبيح من القول. وأوّلُ الأُرْجوزة:

P. ٢١٣

وروضةٍ تكسو أديمَ الأرضِ
وَشْياً بديعاً من نَباتٍ غَضِّ
منها على الأرواح قاضٍ يَقْضِى
بياضَ بعضٍ واحمرارَ بعْضِ

وفيها:

نارَ ابنُ سلمان على الغزْلانِ
شبيه بَدْرٍ فوق غُصْنِ بانِ
ما إن لـه فى حسنه من ثانِ
كأنّما صِيغ من العِقْيانِ

فلذلك عزله، وولّى قضاء مدينة إطْرابُلُس أحمدَ بن بَحْر، وكان صاحِبَ مَظالِمِ القَيْرَوان وصَلاتِها، باختيار إسحاق بن أبى المِنْهال. وفيها،] أظهر موسى ابن أبى العافية الدّعوة لأمير المؤمنين الناصر، وَقام بها، وذلك فى شعبان، بعد أن تغلّب على نَكُور، ودخلها بالسيف، [وقتل صاحبَها المُؤيَّد بن عبد البَدِيع بن صالح بن سعيد بن إدريس،] وبعد أن حصر [بنى محمّد فى الجبل * المعروف] بحجر النَّسر، حتّى صالحوه [على شىء أخذه منهم؛ وزال منهم.

٢١٤

1) Voir *Corr.*, p. 24.

وفيها، مات بمدينة تونس أبو حَبيب نَصْر الرومىّ؛ وله سَماعٌ من ابن عبد الحَكَم؛ وكان من أهل الحفظ للمسائل.]

وفى سنة ٣٢١، ولى سِجِلْماسة أبو المنصور سِمْغُون[1]. بن المُعْتَز بن محمّد، وهو ابن ثلاث عشرة سنة؛ فمكث فى ولايته شهرَيْن. وقام عليه ابن عمّه محمّد ابن الفَتْح المسمّى بالأمين؛ فحارَبَه، وتغلّب عليه، وأخرجه من سِجِلْماسة، وتملّكها. وكان سُنّيًّا يُظْهِر العدلَ، إلّا أنّه تسمّى بأمير المؤمنين، وتلقّب بالشاكر لله، وضرب بذلك الدنانير والدراهم؛ وذلك سنة ٣٤٢؛ فمكث كذلك الى أن قَرُبَتْ منه عساكرُ أبى تَميم مَعَدّ العُبَيْدىّ.

ذكْر مَنْ ولى سِجِلْماسة من حين فَتَحَها الشيعىّ

ولّى عليها الشيعىُّ المَزَاتىّ[2] المتقدّم ذكْرُه فى سنة ٢٩٨؛ فقتله أهل سِجِلْماسة بعد إقامته خمسين يوماً. ووليها أبو الفتح بن الأمين سنتَيْن وأشهُراً. ثمّ وليها أحمد بن الأمين سنة ٣٠٠، وبقى بها الى أن حاصره مَصَالة بن حَبُوس، وافتتحها عنوةً، وقتله، فى محرّم سنة ٣٠٩. وولّى مَصالة على سِجِلْماسة المُعْتَزّ ابن محمّد من بنى مِدْرار؛ وبقى بها الى سنة ٣٢١ المؤرّخة، وتوفّى. فوليها أبو المنصور المذكور.

وفى سنة ٣٢٢، تُوفّى عُبيد الله المَهْدىّ ليلةَ الثلاثاء للنّصْف من ربيع الأوّل؛ فكانت مُدّتُه أربعاً وعشرين سنةً، وعشرةَ أشْهُر، ونصْفاً. وكان وصوله الى مِصْرَ فى زِىّ التّجار سنةَ ٢٨٩. وظهر بسِجِلْماسة فى ذى الحجّة سنة ٢٩٦، وسُلِّمَ عليه بالإمامة. وانفصل الى رقّادة فى ربيع الآخر من سنة ٢٩٧. وبنى المهديّة، واستقرّ[3] بها *سنة ٣٠٨. ولما انتقل الى المهديّة، دخل رقّادة الوَهْنُ. وانتقل عنها ساكِنوها؛ فلم تَزَلْ تَخْرَب شيئًا بعد شىء، الى أن ولى معدّ بن إسماعيل؛ فخرّب ما بقى منها. P. ٢١٥

1) A. سمغول. 2) B. المرابى. 3) A. واستتر.

ذِكْرَ رَقَّادة : وكانت رَقَّادة دارَ مُلْك بنى الأَغْلَب ؛ ويذكرون أنّ من دخلها لم يزل ضاحكاً من غير سَبَب ، وأنّ أحد مُلوك بنى الأَغْلَب شَرَدَ عنه النَّوْم ؛ فلما وصل اليها ، نام ؛ فسُمِّيَتْ رقّادة ؛ فاستوطنها إبراهيم بن أحمد ، وانتقل اليها من القصر القديم ؛ فبنى بها قصوراً عجيبةً ، وجامعاً ، وحمّامات ، وغير ذلك . وكان تأسيسُها سنة ٢٦٣ ، وتأسيسُ القصر القديم سنة ١٨٤ . وكان ابن الأغلب مَنَعَ بَيْعَ الشراب بالقَيْرَوان ، وأباحه برقّادة ؛ فقال بعضُهم فى ذلك [منسرح] :

يا سَيِّدَ الناسِ وابْنَ سيِّدِهِمْ   وَمَنْ إليه الرِّقابُ مُنْقادَهْ
ما حَرَّمَ الخَمْرَ فى مَدِينَتِنا   وَهْوَ حلالٌ بأرضِ رَقَّادَهْ

ذِكْر المَهْدِيَّة والقَيْرَوان [1] : وأمّا المَهْدِيَّة ، فهى منسوبةٌ الى المهدىّ عُبيد الله الشيعىّ . [2] فانّه ، لما تغلّب على المُلْك ، تلقّب بالمهدىّ ، وسمّى مدينته التى بناها بلَقَبه [2] . وبينها وبين القَيْرَوان ستّون ميلاً . [3] وقويتْ فى أيّامه وأيّام ابنه أبى القاسم ، وحفيده إسماعيل ، وصَدْراً من دولة معدّ بن إسماعيل ، حتّى انتقل منها معدٌّ الى القاهرة ، لما ملك مِصْرَ وبنى القاهرة المُعِزّيَّة ، نسبةً الى لَقَبه المُعِزّ بالله . فضَعُفَتْ إذ ذاك المهديّة الى أن استوطنها المُعِزّ بن باديس آخر أيّامه لمّا خَرِبَت القَيْرَوان بهزيمة المُعِزّ المذكور ، الى أن تُوُفّى بها ؛ ووليها بعده ابنه تميم بن المُعِزّ ، وصارت دارَ ملكه ، وولدُه يحيى بن تميم بعده ، وولده علىّ بن يحيى بعده ، الى أن أخرجهم منها عبد المؤمن بن علىّ بعد المُحاصَرة . وبقيت للإسلام الى الآن . وبها دار صَنْعة الإنشاء العجيبة : يخرج الجَفْنُ معموراً من خلف السور ، فلا يُعلم به حتّى يَفْجأ العدوّ القاصدَ ، فيحبطُ به ؛ فلا يقربها العدوُّ لأجل ذلك .

---

1) Ce titre manque dans A.

2—2) Manque dans A.

3) Ce paragraphe, jusqu'à l'alinéa, ne figure que dans B.

وأمّا القيروان، فكانت أعظم مُدُن المغرب طرّاً، وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالاً، وأوسعها أحوالاً. وكان الغالبُ على أهلها التمسُّك بالخير والتخلّى عن الشُبُهات، واجتنابَ المحارِم، الى أن توالَى الدِّمار[1] عليها بدخول العرب لها، على ما يأتى ذِكْرُه فى موضعه؛ فلم يبْقَ بها إلاّ أطلالٌ دارِسةٌ، وآثارٌ طامِسةٌ. ويُذْكَرُ أنّها سنعودُ الى ما كانت عليه. وهى الآن فى وقتنا هذا، وهو آخر المائة السابعة، قد ابتدأتْ بالعمارة.

وملك عُبيد الله الشيعيُ إفريقيةَ، وجميعَ المغرب، وإطرابُلُس، وبَرْقة، وجزيرة صِقِلّيّة. [2]وكانت عُمّاله على ذلك كلّه[2]. وسيّر[3] وَلَدَهُ وليّ عهده الى مِصْرَ؛ ففتحها.[4] وكانت الكُتُب تنفّذ فى أيّامه باسْم ولده[4]. وكان له ستّةُ أولادٍ: أكبَرُهم وليُّ عهده أبو القاسم عبد الرحمن بن عُبيد الله الشيعيّ المتلقّب * بالمهدىّ. وعُمُره، أعنى عُبيد الله، يومَ مات، ثلاثة وستّون سنةً.

P. ٢١٦

ذكر ولاية أبى القاسم بن عُبيد الله إفريقية[5]

بُويع له يومَ مات أبوه مُنْتَصِفَ ربيع الأوّل من سنة ٣٢٢ المؤرّخة؛ وتلقّب بالقائم بأمر الله. وتُوُفّى يومَ الأحد الثالث عشر لشوّال سنة ٣٣٤. فكانت دولتُه اثنتى عشرة سنةً وسبعة أشْهُر، وعُمُرُه خمسٌ وخمسون سنةً. أولادُه الذكور سبعةٌ. حاجبُه: جعفر بن علىّ. ومن قُضاته ابنُ أبى المِنْهال. ولم يركب أبو القاسم طُولَ إمارته بمِظَلّة. فقام[6] بسيرة أبيه، وأظهر من الحُزْن عليه ما لا يُعْهَد لمثله، وواصل الحُزْن لفَقْده، وأدامه من بعده؛ فما ركب دابّةً من باب قصره مُنْذُ مات أبوه الى أن قُبِض[7] سوى مرّتَيْن. وافْتُتِحَتْ فى أيّامه مدائنُ كثيرةٌ من

---

1) A. توالت الجوائح.   2—2) Manque dans B.   3) A. et B.: وصيّر.

4—4) Voir *Corr.*, p. 24.

5) Ce titre ne figure pas dans A., qui présente une courte lacune.

6) A. قفا.   7) B. هلك.

مدائن الروم بِصِقِلِّيَة[1] وثار عليه عدّةُ ثوّار، [2]فأمكنه الله منهم[2]. وممّن ثار عليه، ابنُ طالُوت القُرَشىُّ، فسار الى ناحية إطْرابُلُس ليأخذها، وهو فى عَدَد كثير، فقاتلوه، وقتلوا جملةً من أصحابه، وزعم أنّه ابنُ المَهْدىّ، فقام معه البربر، واتّبعوه. فلمّا تبيّن لهم أمْرُه، قتلوه، وأتوا برأسه الى القائم بأمر الله. وكان أوّلُ ما بدأ به أبو القاسم الشيعىُّ أن أمر عُمّاله فى سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربيّة. وأخرج مَيْسوراً الفَتَى فى عددٍ عظيمٍ الى المغرب، فانتهى الى فاس، وهزم ابن أبى العافية، وأخذ ابنه أسيراً. وأخرج يعقوب بن إسحاق فى الأُسْطُول الى بلد الروم، فافتتح جَنْوَةَ. وأقرّ أبا جعفر البغدادىَّ على البريد والكتابة، وفوّض اليه كثيراً من أمور المملكة.

وفى سنة ٣٢٢، بعث القائم بأمر الله عسكراً الى بَرْقة، فقوّد عليه زَيْدانَ، وبعث معه عامِراً المَجْنُون، وأبا زُرارة، وجماعةً من •عساكر بَرْقة الذين بها P. ٢١٧ من كُتامة، الى مِصْرَ. فدخلوا الى الإسْكَنْدَرِيّة، فأخرج اليه محمّدُ بن الإخْشِيد جيشاً فيه خمسة عشر ألفاً، فأسر منهم خلقاً كثيراً.

وفى هذه السنة، مات الفَضْل بن علىّ بن ظَفَر، وكان أديبَ دَهْرِه، وظريفَ عَصْرِه، عِلْماً وفِقْهاً وأدباً ووَفاءً.

وفى هذه السنة، وصل مَيْسور الصِّقْلَبىُّ الى مدينة فاس، فخرج اليه صاحبُها أحمد بن أبى[3] بَكْر بن أبى سَهْل الجُذامىُّ، فغدره، وقبض عليه، وبعث به الى المهديّة، فقدّم أهلُ فاس على أنفسهم[4] حَسَن بن قاسم اللَّوَاتىّ، وحاربَ أهلَ فاس مَيْسُوراً سبعة أشْهُر، فلم يَقْدِرْ عليهم، ثمّ حاصَرَ ابْنَ أبى العافية، واستعان ببنى إدريس عليه، واعتنى بهم، ووفّى لهم حقّهم، فانجلى ابن أبى العافية أمامهم

1) Manque dans A.

2—2) B. فقُصِر عليهم وتمكّن منهم.

3) Manque dans A.

4) A. et B.: فقدّموا على أنفسهم أهلَ فاس.

الى الصحراء؛ وصار كلّ ما كان لبنى العافية لبنى إدريس. وكانت الرياسة فيهم لبنى محمّد بن القاسم، وهُمْ حَسَن، وقَنُّون، وإبراهيم[1] المعروف بالرَّهُونىّ. وقَنُّون اسمُه القاسِم؛ وكان يَلْتَزِم مدينة صَخْرة النَّسْر.

ذِكرُ أخبار الأدارِسة – رحمهم الله! – وسَبَبُ دخولهم الى المغرب، وبنائهم مدينة فاس، ومن وليها منهم ومن غيرهم الى هذه السنة

ذكر العُذْرىُّ وغيرُه أنّ إدريس وسليمان ابنَىْ عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علىّ بن أبى طالب – رضهم – فرّوا من الوقعة التى كانت فى أيّام جعفر المنصور، وهى وقعةُ فَخّ؛ وكانوا سِتّ إخْوَة: إدريس، وسليمان، ومحمّد، وإبراهيم، وعيسى، ويحيى. أمّا محمّد، فخرج *بالحجاز، وقُتِل. وأمّا إبراهيم، فقام بالبَصْرة من العِراق، فقُتِلَ فى أيّام المنصور. وأمّا يحيى، فقام فى الدَّيْلَم، فى خلافة الرشيد، وهبط على الأمان، ثمّ سُمّ ومات. وأمّا إدريس، ففرّ الى المغرب؛ ودخل اليه فى أيّامه من الطالِبيّين أخوه سليمان، فاحتلّ بتِلِمْسان، وداوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب؛ ثمّ رجع داوود الى المشرق، وبقيت ذُرّيّته بالمغرب. واحتلّ إدريس بن عبد الله بالغرب سنة ١٧٠، واستوطن وَلِيلَى؛ وكانت أزَلِيَّةً. وكان وصولُه مع مولاه راشد؛ ثمّ نزل على إسحاق ابن عبد الحميد سنة ١٧٢؛ فقدّمه قبائل البربر، وأطاعوه. وبلغ خَبَرُه هارونَ الرشيدَ؛ فدسّ اليه من سمّه. وكان المدسوس اليه رجلٌ يُقال له الشّمّاخ؛ فسمّه، وهرب الى المشرق. ومات إدريس فى سنة ١٧٥؛ فقام بأمر البربر مَوْلاه راشِدٌ. وترك إدريس جاريةً بربريّةً اسمُها كَنْزة؛ فولدت له غُلاماً سُمّىَ باسْمِ أبيه.

P. ٢١٨

فولى إدريس بن إدريس سنة ١٨٧، وهو ابنُ إحدى عشرة سنةً؛ وقيل:

1) A. ajoute ici: وكان إبراهيم.

أكثر من ذلك ؛ وبايعه جميعُ القبائل. وكانت عدوة القرويّين غِياضاً ، فى أطرافها بيوتٌ من زُواغة ؛ فأرسلوا اليه ، ودَبّرَ فى البناء عندهم. فكان ابتداء بناء مدينة فاس سنة ١٩٢ ، وذلك عدوة القرويّين. وغزا إدريس بن إدريس نفْزة ، ووصل الى تِلِمْسان ؛ ثمّ رجع ، ووصل الى وادى نَفِيس ؛ فاستفتح بلاد المَصَامِدة ، وتُوفّى مسموماً سنة ٢١٣. واختُلِفَ فى كَيْفِيّة موته. قال ابن حَمَاده ، والبَكْرىُ ، وغيرهما : ترك من الولد اثنى عشر ؛ وهُمْ : محمّد ، وأحمد ، وعبد الله ، وعيسى ، وإدريس ، وجعفر ، ويحيى ، وحَمْزة ، وعبد الله ، والقاسم ، وداوود ، وعمر.

فولى منهم محمّد بن إدريس ؛ ففرّق البلاد على إخوته بأمر جدّته كَنْزة ؛ فأعطى القاسم • طَنْجة وما يليها ، وأعطى عمر صِنْهاجة الهَبْط ، وغُمارة ؛ وأعطى P. ٢١٩ داوود هـ رة تامْليت ؛ وولّى عيسى ويحيى وعبد الله بلاداً أُخَرَ. [1]وبقى الصغارُ من إخوته[1]. فثار عليه عيسى ، ونكث طاعَتَه ؛ فكتب الأميرُ محمّد بن إدريس الى أخيه القاسم ، يأمره بمحارَبَته ؛ فامتنع ؛ وكتب أيضاً الى أخيه عمر ؛ فأجابه ، وسارع الى نصرته ؛ وكان تقدّم بين عمر وعيسى تَنازُعٌ. وتُوُفّى عمر ببلد صِنْهاجة ، ونُقِلَ الى فاس ؛ وهو جدُّ الحَمّوديّين. ثمّ تُوُفّى الأميرُ محمّد بن إدريس — رحمه الله! — فولى يحيى بن محمّد بن إدريس ؛ فولّى يحيى أعمامَه وأخوالَه أعمالاً ؛ فولّى حُسَيْناً القِبْلة من مدينة فاس الى أغْمات ؛ وولّى داوودَ المشرق من مدينة فاس : مِكْناسة ، وهَوّارة ، وصَدّينة ؛ وولّى القاسم غَرْبىّ فاس : لماتة[2] ، وكُتامة. وتَشاغَلَ يحيى عمّا كان يحقّ عليه من سياسة أمره. فَمَلَكَ إخوته أنْفُسَهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : «إنّما نحن أبناء أبٍ واحدٍ ؛ وقد تَرَوْنَ ما صار اليه أخونا يحيى من إضاعة أمره.» فقدّمهم البربرُ على أنفسهم تقديماً كُلّيّاً. وكان يحيى مُنْهَمِكاً فى الشراب ، مُعْجَباً بالنساء ، ذُكِرَ أنّه دخل يوماً

1—1) Manque dans B.

2) Ainsi dans A. et B. Peut-être faut-il lire لماية.

الحمّام على امرأةٍ؛ فتغيّر عليه أهلُ فاس؛ فكان ذلك سَبَبَ هلاكه؛ فهرب الى عدوة الأَنْدَلُس؛ فمات بها. وكانت زَوْجُه بنت[1] على بن عمر جدّ الحَمُوديّين.

ثمّ ولى علىّ بن عمر بن إدريس، وذلك أنّه، لما هلك يحيى، أتى صِهْرُه علىٌّ هذا، فدخل عدوة القَرَويّين وملكها؛ وانتقل الأمْرُ عن بنى محمّد بن إدريس الى بنى عمر بن إدريس. ثمّ قام عليه عبدُ الرزّاق الخارجىّ الصُّفْرىّ من مَدْيُونة؛ فدارت بين علىّ وعبد الرزّاق حروبٌ كثيرةٌ، الى أن هزمه الخارجىُّ، واستولى على فاس. ومرّ علىٌّ الى أَوْرَبة، وملك عبدُ الرزّاق عدوة الأَنْدَلُسيّين، ولم *يملك عدوة القَرَويّين؛ فبعثوا الى يحيى بن القاسم بن إدريس P. ٢٢٠ الذى يُعرف بالعَوّام[2] وقدّمه على أنفسهم أهلُ عدوة القَرَويّين؛ ثمّ ملك بعد ذلك عدوة الأَنْدَلُسيّين، وأخرج منها عبدَ الرزّاق فى خبر طويل. وطالت أيّامُ يحيى هذا بفاس وما والاها من البلاد والأقطار[3] والقِلاع، الى أن قتله رَبِيعُ بن سليمن سنة ٢٩٢.

ثمّ ولى يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن إدريس، وذلك أنّه، لما مات يحيى بن القاسم، تقدّم الى فاس يحيى بن إدريس، وملكها. ورجع الأمرُ الى بنى عمر بن إدريس خمس عشر سنة، الى أن قَدِمَ مَصَالة بن حَبُوس فى سنة ٣٠٧، وذلك أنّ مَصَالة قد قدِمَ الغَرْبَ فى حَرَكَته[4] الأُولى سنة ٣٠٥؛ فابتدأ بالإحْسان والإكرام لموسى بن ابى العافية، وقدّمه على ما استولى عليه من بلاد الغرب. وكان يحيى بن إدريس، صاحبُ فاس، يُغير عليه، ويقطع عنه أَمَلَه. فلما رجع مَصَالة فى سنة ٣٠٧، أقام بالغَرْب خمسة أعوام؛ فكان ابن أبى العافية يسعى فى ضِرار يحيى وحَنَقِه عند مَصَالة لِمَا تقدّم بين موسى ومَصَالة من المَوَدّة، ولِمَا كان بين موسى ويحيى بن إدريس من العداوة. فعزم مَصَالة على القبض على يحيى؛ فلم يزل يتحيّل عليه، حتّى أقبل الى مُعَسْكَره؛ فغدره،

---

1) A. رِبْنْتُه زوج
2) Leçon de B. — A. العدّام.
3) A. والأنضار.
4) On suit la leçon de Bakrī. — A. الردّة; B. المرّة.

وقبض عليه، وانتزع ما كان بيده، وأمره باستجلاب ماله، فأحضره، وأخرجه[1] من فاس، وولّى فاساً عاملَ مصالة. وانفصل مَصالة من الغرب، وبقى موسى ابن أبي العافية فى الغرب أميراً.

ثمّ قام حسن بن محمّد سنة ٣٢١[2]، وهو حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، الملقّبُ بالحَجّام، فأوقع بموسى بن أبي العافية. وكان بينه وبين رُؤساء القبائل وقعةٌ شنيعةٌ، لم يكن بالغَرْب بعد دخول * إدريس الكبيرِ ٢٢١. مِثْلُها، قُتِلَ فيها من البربر نحوَ ألْفَىْ قتيل، وقُتِلَ لموسى فى جملتهم وَلَدٌ يُسَمّى مِنْهَل. وملك حسن هذا فاساً وما يليها نحوَ سنتَيْن. ثمّ قام عليه أهْلُ فاس، وغدروه، وقدّموا حامِدَ بن حَمْدان الهَمَدانىّ، وكان يُعْرَفُ باللَّوْزىّ، وهى قرية بإفريقية نُسب اليها تُسمّى لَوْزة. فأخذ حامِدٌ حَسَنَ بن محمّد. وسجنه، وأرسل الى موسى بن أبي العافية، فأتاه بجيوشه، ودخل فاساً، وتغلّب عليها، وأراد قَتْلَ حَسَنٍ لأجل ابنه مِنْهَل الذى كان السَبَبَ فى قتله، فدافعه حامِدٌ عنه، وكره المُجاهَرة بقتله. ثمّ سُمَّ بعد ذالك، وقيل: أخرجه حامِدٌ على السُور، فسقط عنه، وانكسرت رِجْلُه، [3]ووصل الى عدوة الأنْدَلُسيّين، فمات بها[3]، رحمه الله!

واستولى موسى بن أبي العافية على مُلْك فاس وبلاد الغَرْب بعد موت حَسَن الحجّام. وسُمِّىَ بذلك لأنّه حارَبَ بنى عمّه، فضرب رجلاً بحَرْبة صادفَ بها موضع المحجم، ثمّ صادَفَ ضربةً أخرى لشخصٍ آخر فى موضع المَحاجم أيضاً، وكذلك ثالثةً. فقال ابن عمّه احمدُ: «صار ابنُ عمّى حجّاماً.» فسُمّى بذلك.

ومن قوله [طويل]:

وَسُمِّيتُ حَجّاماً ولَسْتُ بِحاجِمِ ... وَلاكِنْ لِضَرْبى فى مَكانِ المَحاجِمِ

ولما استولى ابن أبي العافية على فاس، قتل عبدَ الله بن ثَعْلَبة بن مُحارِب

---

1) A. فأحضره له. 2) A. et B. ٣١٣ (Bakri: ٣١٦). 3—3) B. حتّى مات.

الأَزدىّ، وقتل أخاه محمّد؛ وهرب والدُهما ثَعْلَبة بن مُحارِب الى قُرْطُبة. وأراد موسى بن أبى العافية قَتْلَ حامِد الذى كان السَّبَبَ فى دخوله فاساً؛ فهرب منه، وحَصَلَ فى المهديّة. وأجلى موسى بنى إدريس أجمعين عن مواضعهم؛ وصاروا فى مدينة حَجَر النَّسْر مقهورين؛ وهو حِصْنٌ مانِعٌ، بناهُ إبراهيم بن محمّد بن القاسم * بن إدريس. وعزم موسى على مُحاصَرتهم فى هذا الحصن واستئصالهم [1]؛ P. ٢٢٢ فأخذ عليه فى ذلك أكابِرُ أهْلِ المغرب، وقالوا له: «قد أجْلَيْتَهم وأفقَرْتَهم! أتُريدُ أن تقتلَ بنى إدريس أجمعين، وأنت رجلٌ من البربر؟» فانكسر عن ذلك، ولاذ عنهم بعسكره، وتخلّف لمراقبتهم [2] قائدُ أبو قَمْح؛ فكانت محلّته قريباً منهم؛ فضيّق عليهم؛ واستخلف ابن أبى العافية ابنَه مِدْيَن على فاس؛ فبقى بها حتّى قدم حُمَيْد بن يَصَال. ولمّا وصل حُمَيْد الى بلاد الغرب، ولّى على فاس حامِدَ بن حَمْدان. وكان ولدُ موسى، لما سمع بقدوم حُمَيْد وحامِد، هَرَبَ من فاس. وتظاهَرَتْ بنو إدريس على قائد موسى بن أبى العافية؛ فهزموه، وغنموا أكثر عسكره. وذلك سنة ٣١٧. ثمّ قام بفاس أحمد بن بكر بن أبى سهل الجُذامىّ؛ فقتل حامِدَ بن حَمْدان، وبعث برأسه الى موسى بن أبى العافية، وبرأس ولده؛ فبعث بهما موسى الى قُرْطُبة، مع سعيد الزَّرَّاد. وكان حُمَيْد بن يصال، لما رجع من بلاد الغرب الى إفريقية، ترك موسى بن أبى العافية بغير عَهْدٍ من أمير إفريقية؛ فكان ذلك سَبَباً لسجنه بإفريقية، الى ان هرب الى الأندلس. وكان موسى يَميلُ لصاحب قُرْطُبة من أُمراء بنى أُميّة.

*

وفى سنة ٣٢٤، خرّب علىّ بن حَمْدُون المعروف بابن الأندلسىّ مدينة المَسِيلَة. وكان بينها وبين طُبْنة مَرْحَلَتانِ. وكان بقرب المَسِيلَة مدينةٌ للأوّل تُسَمَّى الزَّمّانِيَّة، يطلُّ عليها جَبَلُ أوْراس؛ وهو مسيرةُ سبعة أيّام، وفيه قِلاعٌ كثيرةٌ، يسكنها هَوّارة؛ وهُمْ على رأى الخَوارِج؛ وفى هذا الجبل كان مُسْتَقَرُّ

1) Manque dans A. 2) B. وخلّف لمُحاصرتهم.

الكاهنة؛ وفيه ظهر أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد، وقام *على أبي القاسم الشيعيّ. P. ٢٢٣
وفي سنة ٣٢٥، قدّم أبو القاسم بن عُبَيْد الله الشيعيّ على صِقِلّيّة خليل بن إسحاق؛ فعَمِل بها ما لم يعمله أحدٌ قبلَه، ولا بَعْدَه من المسلمين؛ أهلكهم قتلاً وجوعاً، حتّى فرّوا الى بلاد الروم، وتنصّر كثيرٌ منهم[1]. وبقي بصِقِلّيّة أربعة أعوام. ولما قدم منها سنة ٣٢٩، قال يوماً، مفتخراً بظلمه، في مجلسٍ حَضَرَهُ جماعةٌ من وجوه الناس تكلّموا فيه معه في أمورٍ شتّى، ثمّ جرى ذِكْرُ خروجه الى صِقِلّيّة، فقال: «إنّي قتلتُ ألف ألف: يقولُه المُكثِر، والمُقَلِّل يقول: مائة ألف، في تلك السفرة!» ثمّ قال: «لا والله إلاّ أكثرَ!» فقال له أبو عبد الله المؤدِّب: «يا أبا العبّاس! الك في قَتْلِ نَفْسٍ واحدةٍ ما يكفيك!» وكان خليل هذا يُكنَى أبا العبّاس؛ وكان عُبيد الله الشيعيّ يُصْرِفه في الأعمال، وجِبايات الأموال، ومحاسَبة[2] الدواوين[2] والعُمّال. ثمّ وقعت فيه أقوالٌ؛ فكرهه عبيدُ الله، وأبغضه؛ ولولا ابنه أبو القاسم لأهلكَهُ. ومن قول خليل في عُبيد الله الشيعيّ[3] وتوغُّلِهِ فيه[3] [كامل]:

إنّ الإمامَ أقامَ سُنّـةَ جَدّهِ   للمسلمينَ كَمـا حذوتَ نِعالَها
أحيَى شَرائعَـهُ وَقوَّم كُتْبَها   وفُروضَها[4] وحَرامَها وحَلالَها

وكان الأمير أبو القاسم بن عُبيد الله أمر ببناء مدينة المَسِيلة سنة ٣١٣، وجعل المُتَوَلّي لبنائها ابنَ الأندلسيّ، واستعمَلَه بعد ذلك عليها، الى أن هلك في فتنة أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْداد، سنـة ٣٣٦؛ وبقي ابنُه جعفر في المَسِيلة، وصار أميراً على الزّاب كلّه، الى أن خرج عنها في سنة ٣٦٠ في فتنة زِيرِي بن مَناد. والشيعةُ تُسَمّي المَسِيلة المُحَمّديّة. قال المَرْوذيّ[5] [سريع]:

ثُمَّ الى مدينـةٍ مَرْضِيّـةْ   أُسّتْ عَلَى التّقْوَى مُحَمّدِيّةْ

---

1) A. أكثرهم. 2—2) Manque dans B. 3—3) Manque dans B, qui donne à la place: لعنهما الله. 4) B. وفروعها. 5) B. المروى

P. ٢٢٤ * وأمّا مدينة أشير، فبناها زيرى بن مَناد الصِّنْهاجىّ؛ والدليل على ذلك ما أنشده عبدُ الملك بن عَيْشون [رجز]:

يا أيّها السائلُ عن غرْبِنا[1] وعن مَحلِّ الكُفْر أشيرِ
عن دارِ فِسْقٍ ظالمٌ أهْلُها قد شُيِّدَتْ للكُفْر والزُورِ
أسّسها المَلْعونُ زيريُّها فلعنةُ اللهِ على زيرى

وخرّبها يوسف بن حمّاد الصِّنْهاجىّ، واستباح أموالها، بعد الأربعين والأربعمائة.

وفى ٣٢٧، قام بالمغرب الأقصى، ويُقالُ له السُّوس[2] الأدنى، وهو موضِعُ تادِلا وتامَسْنا، أبو الأنصار بن أبى عُفَيْر البَرْغَواطىّ بعد موت أبيه؛ وكان يَفِى بالعهْد والوعْد. وسأذْكُرُ بعضَ أخبارهم، إن شاء الله تعالى.

ومن أخبار أبى يزيد مَخْلَدَ بن كَيْداد اليَفْرَنىّ الزَّناتىّ

هو مَخْلَد بن كَيْداد بن سَعْد الله بن مُغيث بن كَرْمان بن مَخْلَد بن عثمان ابن وُريمت بن تبقراسن[3] بن سميدار، بن يَفْرَن، ويَفْرَن هو أبو الكاهنة؛ وتنتسب الى جانا بن يحيى زَناتةَ كُلُّها. قال ابن حَمادُه: كان أبو القاسم الشيعىّ، لما مات أبوه عُبَيْد الله، أظهر مَذْهَبَه، وأمر بسَبِّ الغارِ والعباء[4] وغير ذلك من تكذيب كِتاب الله تعالى؛ فمن تكلّم، عُذِبَ، وقُتِلَ. واشتدّ الأمْرُ على المسلمين. ثمّ إنّ أبا يزيد هَبَطَ من جبل أوْراس، يدعو الى الحقّ بزعمه، ولم يعلم الناس مَذْهَبَه[5]؛ فرَجَوْا فيه الخير والقيام بالسُّنّة؛ فخرج على الشيعة، ودخل إفريقية، وخرّب مُدُنَها ودوّخها، وقتل من أهلها ما لا ينْحَصِرُ.

وفى سنة ٣٣٢، اشتدّ أمرُ أبى يزيد بإفريقية حتّى فرّ أمامَهُ أبو القاسم الشيعىّ الى المَهْدِيّة من رقّادة. وكان أبو يزيد أحَدَ أئمّة الأباضيّة النُكّار

---

1) A. حربنا. 2) A. اليوم. 3) B. تنفراس.

4) Voir *Corr.*, p. 25—26. 5) Manque dans B.

بالمغرب. قال الرقيق: وقرأ على عمّار الأعمى. وكان يركب الحمار. ويسمى شيخ المؤمنين. قال *ابن سعدون: فبعث الله على أبي القاسم الشيعي محمد ٣٣٥ ابن كيداد الخارجيّ، فقهره، وقتل جنوده، وقام المسلمون معه. وخرج الفقهاء والعُبّاد مع أبي يزيد لحربه، وسمّاهم ابن سعدون فى كتابه رجلاً رجلاً. فركبوا معه، ونهضوا الى القيروان، فدخلها فى صفر العام، وأظهر لأهلها خيراً وترحم على أبي بكر وعمر — رضهما — ودعا الناسَ الى جهاد الشيعة. وأمرهم بقراءة مذهب مالك. فخرج الفقهاء والصلحاء فى الأسواق بالصلاة على النبيّ — صلعم — [1]وعلى أصحابه، وأزواجه[1]، حتّى ركزوا بنودهم عند الجامع. فلما كان يوم الجمعة، اجتمعوا بالمسجد الجامع، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح، ومعهم البنودُ والطبولُ. منها بندانِ أصفران[2]، مكتوبٌ فى أحدهما البسملة و«محمد رسولُ الله»، وفى الآخر «نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ، على يدى الشيخ أبي يزيد! اللّهمّ! انصُرْ وليّك على من سبّ أولياءك!»، وبندٌ آخر مكتوبٌ عليه: «قَاتِلُوا أَيِمَّةَ ٱلْكُفْرِ» الآية[3]، وبندٌ آخر فيه مكتوبٌ: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ[4]»، وبندٌ آخر مكتوبٌ فيه بعد البسملة أيضاً: «محمد رسولُ الله، أبو بكر الصِّدّيق، عُمَر الفارُوق» وبندٌ آخر، وهو السابع، فيه: «لا إِلَـٰهَ إلّا الله! محمّد رسولُ الله! إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا.»[5] فلما اجتمع الناسُ، وحضر الإمامُ، وطلع على المنبر، خطب خطبةً أبلغ فيها، وحرّض الناسَ على جهاد الشيعة، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، ثمّ لعن عُبيد الله الشيعيّ وابنه، ثمّ [6]نزل، فخرج، و[6] خرج الناس معه لقتال الشيعة الفُجّار[7].

1—1) B. donne à la place: والرضى عن أبي بكر وعمر وسائر الصحابة.

2) B. أحمران.

3) *Cor.*, IX, 12.

4) *Cor.*, IX, 14.

5) *Cor.*, IX, 40.

6—6) Manque dans A.

7) Manque dans A.

فلم يزَلْ قاهراً لهم، غالباً عليهم، قاتلاً لجنودهم، حتّى لم يَبْقَ لهم من بلاد إفريقية
* إلّا اليسيرُ. P. ٢٢٦

ولما رأى أبو يزيد أنّه قد استولى على الأمر، أو كادَ، وأنّ الشيعىّ قد كاد يبيد، أو بادَ، قال لجنوده: «إذا التقيتُمْ مع القوم، فانكشفوا عن أهل القيْرَوان، حتّى يتمكّن أعداؤكم من قتلهم؛ فيكونوا هُمُ الذين قتلوهم، لا نَحْنُ! فنستريحُ منهم!» أراد أن يتبرّأ من مَعَرّة قتلهم عند الناس، وأراد الراحةَ منهم، لأنّه، فيما ظنّ، إذا قُتِل شيوخُ القيْرَوان وأيمّةُ الدين، تمكّنَ من أتباعِهم، فيَدْعُوهم الى ما شاء، فيتّبعونه. فقُتِل من صُلَحاء القيْرَوان وفُقَهائها مَنْ أراد اللهُ بسَعادته وشَهادته. وسقِطَ فى أيدى الناس، وقالوا: «قَتَلَ أولياء الله شُهَداء!» ففارَقوه، واشتدّ بُغْضُهم له، [1]أعنى لأبى يَزيد[1]. ومات أبو القاسم الشيعىُّ محصوراً.

وفى سنة ٣٣٣، قتل أبو يزيد مَيْسَرة الفَتَى، قائدَ أبى القاسم الشيعىّ؛ وكان بين أبى القاسم وأبى يزيد حروبٌ كثيرةٌ. وفيها، كانت الوقعة المشهورة بينهما فى وادى المِلح، قُتِلَ فيها من أصحاب أبى القاسم عددٌ لا يُحْصَى.

وفى سنة ٣٣٤، تُوُفِّى أبو القاسم بن عُبيد الله الشيعىُّ، القائمُ بأمر الله، وذلك يومَ الأحد لثلاث عشرة خَلَتْ من شوّال من السنة المذكورة؛ فكانت مدّتُه اثنتىْ عشرة سنةً.

ولاية[2] إسماعيل بن أبى القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ

كُنْيَتُه: أبو الطاهِر. لَقَبُه: المنصور. وكان والدُه وَلّاه عَهْدَه فى رمضان وَدَعا له على المنابِر بإفريقية. وكان مَوْلِدُه بالمهديّة سنة ٣٠٢. وولى، وسِنّه اثنان وثلاثون سنةً. وكان فصيحاً بليغاً.

1—1) Manque dans B. 2) A. إمارة

وفى سنة ٣٣٥ ، وصل أبو يزيد الى المهديّة. ثمّ نهض الى سُوسة ؛ فناوشه أهْلُها ؛ فقِيلَ فيه [وافر]:

P. ٢٢٧

* أَلَمَّ بسُوسةَ وبَغَى عليْها ... وَلاكِنَّ الإلهَ لها نَصِيرُ
مدينةُ سوسة المغْرِب ثَغْرٌ ... يَدِينُ لها المَدائنُ والقُصورُ[1]
لقَدْ لُعِنَ الّذِينَ بَغَوْا عَلَيْها ... كَما لُعِنَتْ قُرَيْظَةُ والنَّضِيرُ
أَعَزَّ الدِّينَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... بِسُوسةَ بَعْدَما الْتَوَتِ الأُمورُ

فرفع أبو يزيد عنها، ورجع الى المهديّة. فلما وصلها، دفع حتّى ضرب برُمحه فى بابها؛ فدخل راجلٌ[2] القصرَ على إسماعيل؛ فوجده يلعب بسِلْباحة فى الصهريج. فقال له: «تلعبُ، وأبو يزيد يركُزُ رُمحه بالباب!» فقال له: «أَوَقَدْ فَعَلَ؟» قال: «نَعَمْ!» قال: «والله! لا عاد اليها أبداً! وقد جاء حَتْفُه! كذا رَأَيْنا فى كُتُبنا!» ثمّ أمر فى الحين بالركوب والخروج اليه.

وفى سنة ٣٣٦ من الهجرة، أمر المنصور أبو الطاهر ببناء صَبْرة، واختطّها، وسمّاها المَنْصُوريّة. قال البَكْرِىُّ: ولم تزل المَهْدِيَّة دارَ مُلْك بنى عُبيد الى أن سار منهم أبو الطاهر الى القَيْرَوان بعد قتله لأبى يزيد؛ وبنى مدينة صَبْرة، واستوطنها؛ وخَلَتْ أكثرُ أرباض المهديّة وتهدّمت. ونقل أبو الطاهر سُوقَة القَيْرَوان الى صَبْرة. وكان لها أربعة أبواب. وبينها وبين القَيْرَوان نَحْوَ نِصْفِ مِيلٍ. [3]وكان من المهديّة الى مدينة سَلَقْطة ثمانية أميال؛ ومنها زحف أبو يزيد الى المهديّة أيّامَ حصاره[3]. وكانت محلّة أبى يزيد بتَرْنُوط. وفى كُتُب الحِدْثان: «إذا ربط الخارجىُّ خيْلَه بتَرْنُوط، سَبَقَ لأهل السَّوَاد محلولٌ ولا مربوطٌ!» و«وَيْلٌ لأهل السَّوَاد من محلّة ابن كَيْداد!» وامتحن أهلُ باجة أيّامَ أبى يزيد بالقتل والسبى. وقيل فى أبى يزيد [رجز]:

وبَعْدَها باجةَ أيضاً أفْسَدَا ... وأَهْلَها أَخْلَى ومنها شَرَّدَا

1. Ce vers manque dans B. 2) B. رَجلٌ. 3—3) Manque dans B.

P. ٢٢٨ *ولما عزم المنصور على مُقاتلته [1] ومُحاربتـه، أعطى جنوده، وحشد حشوده، وخرج اليه فى عساكره. فمرّت الهزيمة على أبى يزيد. وأمر إسماعيل الناس باتّباعه الى أن دخل بلاد كُتامة. فتعلّق بالجبل المعروف بحِصْن أبى يزيد، وأُثْخِن بالجراح، وقُبض عليه حيًّا؛ فجُعل فى قَفَص من حديد، [2]وجيء به الى[2] المنصور [3]الى المهديّة[3]. فقتله، وصلبه على الباب الذى ضرب فيه برُمْحه. [4]قال القُضاعىّ: مات أبو يزيد فى محرّم من سنة ٣٣٦ المذكورة. قال: [4]وأمر بسَلْخه، وحَشْوِ جلده قطناً، وصَلْبِه. وقال ابن حَمّادُه: ولما ظفر بأبى يزيد، نهض الى القَيْرَوان؛ فدخلها فى هذه السنة؛ فقتل من أهلها خَلْقاً، وعذّب آخَرين؛ ولم يزالوا معه فى الامتحان الى أن هلك. [5]قال القُضاعىّ: وكان انتقال المنصور الى المنصوريّة فى سنة ٣٣٧ [5].

وفى سنة ٣٣٩، تحرّك أبو الطاهر المنصور بن أبى القاسم بن عُبيد الله الشيعىّ الى بلاد المشرق، وردّ الحَجَر الأسود الى مكانه من الرُّكْن من بيت الله الحَرام، وذلك بعد خمسة أعوام من دولة المُطيع. وكان الذى اقتلعه سليمان ابن الحسن القَرْمَطىّ – لعنه الله! – فى سنة ٣١٧، فى أيّام المقتدر العبّاسىّ – رحمه الله! – والذى تولّى قَلْعَه بيده بأمر القَرْمَطىّ جعفر بن أبى عِلاج – لعنه الله! – ولما مات القَرْمَطىّ، وجّه إخوَتُه الحَجَرَ؛ فرُدَّ الى موضعه فى هذه السنة؛ ووَضَعَهُ بيده حُسينُ بن المَرْوذىّ الكنانىّ وكان غَيْبَةُ الحَجَر من يوم قَلْعِهِ الى يوم رَدِّه اثنين وعشرين سنةً أو نَحْوَها. وَرِىء الحَجَرُ الأسودُ، فى أيام ابن الزُّبَيْر، ناصِعَ البياض إلاّ وَجْهَه الظاهر. وكان اسْوِدادُه من لَطْخ المُشركين له بدَمِ القَرابين، ولِمَسّهم له بأيديهم، مع طُول الدهر. قال الذَّهَبىّ [6]: حضرتُ يومَ قَلْعِه. ويومَ رَدِّه.

---

1) Manque dans B, qui s'exprime ainsi : على مُحاربته لما قيل له قد وصل الى الباب.

2—2) A. وجاء به   3—3) Manque dans B.

P. ٢٢٩ وفى سنة ٣٤٠، ولّى أبو الطاهر إسماعيل العُبَيْدىّ ولدَه مَعَدًّا المُكَنّى بأبى تميم عَهْدَه. وخرج أبو الطاهر مُتَنَزِّهاً الى جَلُولا، ورجع منها مُعْتَلّاً، وصلّى عيد الفطر مريضاً.

وفى سنة ٣٤١، تُوفّى أبو الطاهر إسماعيل، المُلَقَّب بالمنصور، ابن أبى القاسم، المُلَقَّب بالقائم، ابن عُبَيد الله المهدىّ؛ وذلك مُنْسَلَخَ شَوّال من العام، وله تسعٌ وثلاثون سنة. فكانت ولايتُه سبع سنين وخمسة عشر يوماً. [1] حاجِبُه جعفر ابن علىّ [1].

ثمّ ولى المملكة مَعَدٌّ بن إسماعيل المُعِزُّ لدين الله العُبَيْدىّ

وهو مَعَدٌّ بن إسماعيل بن أبى القاسم بن عُبَيد الله. كُنيتُه: أبو تميم. لَقَبُه: المُعِزُّ لدين الله. مولدُه: بالمهديَّة فى رمضان من سنة ٣١٩. وولى، وله اثنان وعشرون سنة. وهو أوّلُ من ملك مِصْرَ من بنى عُبَيْد؛ وذلك أنّه، لما تُوفّى كافُور الإخْشِيدىُّ أميرُ مِصْرَ، بعث المُعِزُّ لدين الله القائدَ أبا الحسن جَوْهَراً الى مِصْرَ. وكان جَوْهَرٌ غُلامَ والِدِه إسماعيل، وأَصْلُه رُومىٌّ، جَلَبَهُ خادِمٌ اسمُه صابِرٌ؛ ثمّ انتقل الى خَفِيفٍ الخادِم، فحمله الى إسماعيل المنصور؛ فظهر عنده؛ فأرسله المُعِزُّ بالعساكر الى مِصْرَ، فافتتحها يومَ الثلاثاء لسبع عشرة ليلةٍ خَلَتْ من شعبان. وهرب أعيانُ الإخْشِيديَّة من مِصْرَ الى الشأم [2] قبل وصول جَوْهر [2]. وأُقيمت الدعوة للمُعِزّ يومَ الجمعة الموفّى عشرين لشعبان من سنة ٣٥٨، فى الجامع العتيق؛ وكان الخطيب أبو محمّد الشَّمْشاطىُّ. ودُعِىَ له بمكّة فى مَوْسِم هذه السنة؛ ودعا أبو مُسْلِم العَلَوىُّ بالمدينة للمُعِزّ. وسار جعفر بن فَلاح الى الشأم، وقبض على الحسين بن عبد الله، وأنفذه الى جَوْهَر؛ *فأنفذ جَوْهَرٌ P. ٢٣٠ الحسينَ المذكورَ مع جماعة من الإخْشِيديَّة مع هديّةٍ الى المُعِزّ؛ فوصلت الى إفريقية مع ولده جعفر فى رجب من سنة ٣٥٩.

1—1) Manque dans P.

وفى سنة ٣٤٣، فُلِجَ خطيبُ القَيْرَوان على المِنْبَر، ومات؛ وتَمَّمَ الخطبةَ أبو سفيان الفقيهُ.

وفى سنة ٣٤٤، وُلِدَ للمُعِزّ أبى تَمِيم وَلَدٌ سمّاهُ نِزاراً.

وفى سنة ٣٤٦، وُلِّيَ مدينةَ سَبْتة والٍ من قِبَل الناصر عبد الرحمن، أميرِ الأَنْدَلُس؛ وأَمَرَهُ بتحصينها وبناء سُورها؛ فبناه بالكَذَّان.

وفى سنة ٣٤٧، دخل جوْهرٌ قائدُ أبى تَمِيم الى الغَرْب، واستولى على مدينة فاس. ثمّ توجّه الى تِيطّاوِن، ووصل الى مَضِيق سَبْتة؛ فلم يقدر عليها، ورجع عنها، وقصد بعساكره الى سِجِلْماسة؛ ففرّ أمامَه صاحِبُها محمّدُ بن الأمير[1] الفَتْح[2]، وتحصّن فى حِصْنٍ على اثنى عشر ميلاً من سِجِلْماسة، بأهله وماله وبعض أصحابه. وكان يُلَقَّبُ الشاكِرَ لله؛ وقد تقدّم بعضُ خبره. واستولى جَوْهَرٌ على سِجِلْماسة؛ فملكها. وخرج محمّدُ بن الفَتْح من الحِصْن فى نفرٍ يسيرٍ، ليتعرّف الأخبار، مُسْتَتِراً. فغدره قومٌ من مَدْغَرة عَرَفوه، وأتوا بـه الى جَوْهرٍ؛ فقتله فى رجب. وبقى جَوْهَرٌ فى الغَرْب نَحْوَ سنةٍ، وتوجّه الى إفريقية.

وفى هذه السنة، وصل الى قُرْطُبة الحَسَنُ بن قَنُّون، من بنى إدريس، فارًّا بنفسه أمام جَوْهَرٍ قائدِ أبى تَمِيم المذكور. وكان بنو محمّد بن القاسم من بنى إدريس بن إدريس – رحمهم الله! – أجمعوا على هَدْمِ تِيطّاوِن؛ فهدموها؛ ثمّ ندموا على ذالك. وسرعوا فى بنائها؛ فضَجَّ أهْلُ سَبْتة لذالك، لأنّ بِناءها ضَرَرٌ بهم؛ فبعث اليهم عبدُ الرحمن الناصر جيشاً برَسْمِ مُحارَبة بنى محمّد، فوَدّ على الجيش أحمد[3] بن يَعْلَى. وكتب الناصرُ الى حُمَيْد بن يَصَّال[4]، صاحبِ تِيكِيساس وتلك الجهاتِ كُلّها، أن يُعِينَ القائدَ *المذكورَ على بنى محمّد؛ فتخلّى بنو محمّد عن بناء تِيطّاوِن لمّا اجتمع العسكرانِ عليهم، وبعثوا أولادَهم مَرَاهِنَ الى قُرْطُبة.

P. ٢٢١

1—1) A. الأمين.   2) B. أبى الفتح.

وفى سنة ٣٤٨، وصل كتابُ صاحب سَبْتة الى أمير الأَنْدَلُس عبد الرحمن الناصر، يُعَرِّفُه بما فُتِحَ عليه فى عسكر جَوْهَرٍ قائدِ الشيعىّ.

وفى سنة ٣٤٩، وجّه أبو تَمِيم المُعِزُّ لدين الله القاضى الى أيمّةِ المساجد والمؤذِّنين، يأمُرُهم إلاّ يؤذِّنوا إلاّ ويقولوا فيه: «حىّ على خَيْرِ العَمَل» وأن يَقْرَؤُوا: «بسم الله الرحمن الرحيم!» فى أوّلِ كُلِّ سورةٍ، ويُسَلِّموا[1] تَسْلِيمَتَيْنِ، ويكَبِّروا على الجنائز خمساً[2]، ولا يؤخِّروا العَصْرَ، ولا يُبَكِّروا بالعشاء الأخيرة، ولا تصيحَ امرأةٌ وراء جنازةٍ، ولا يقرأ العُمْيَانُ على القبور إلاّ عند الدَّفْن.

وفى سنة ٣٥٠، تُوُفّى حُسينُ بن أحمد بن إبراهيم بن محمّد بن إدريس الحَسَنىُّ بقُرْطُبة، وكان رهيناً بها. وخلّف ابنَيْن يُسَمَّيانِ محمّداً وحُسَيْناً، فلم يزالا مستقرَّين بقُرْطُبة الى خلافة الحَكَم، فبَعَثَهما الى إخوانهما، فوصلا فى رجب سنة ٣٥٩، واستقرّا ببلادهما بالغَرْب.

وفى سنة ٣٥١، أخذ الرومُ مدينةَ المَصِيصة ومدينةَ طَرَسُوس، واستولوا عليهما.

وفى سنة ٣٥٢، وفد على الحَكَم المُسْتَنْصِر بالله أبو صالِح زَمُّورٍ البَرْغَوَاطِىُّ رَسُولاً من أمير بَرْغَوَاطة أبى منصور عيسى بن أبى الأنصار، وذلك فى شهر شَوّال من هذه السنة. وكان المُتَرْجِم عنه باللّسان العربىّ عيسى بن داوود المَسْطَاسىُّ. فسأله الحَكَمُ عن نَسَب بَرْغَوَاطة وَمذهبهم، فأخبره.

خَبَر بَرْغَوَاطة[3]

ومن أخبار بَرْغَوَاطة ما خَبَّرَ زَمُّورٌ أنّ طَرِيفاً كان أبا مُلوكهم. وهو من وَلَد شِمْعُون بن يعقوب بن إسحاق – عليهم السلام! – قال: وكان طَرِيفٌ من أصحاب مَيْسَرَة مَلِك المَغْرِب الذى تقدَّم ذِكْرُه، فلما قُتل مَيْسَرة، وافترق أصحابُه، احتلّ طَرِيف ببلاد تامَسْنَا * فقدَّمه البَرْبَرُ على أنْفُسهم، فوَلِىَ أمْرَهم، P. ٢٢٢

1) Mon...

وكان على دين الإسلام؛ وإليه تُنْسَبُ جزيرةُ طَرِيف. فبقى أميراً عليهم، الى أن هلك. وترك أربعة أولاد. فُوِلِىَ الأَمْرَ من بعده صالِحُ بنُ طَرِيف؛ وكان مولدُه سنة ١١٠ من الهجرة؛ فتنبّأ فيهم، وشرع لهم ديانةً، وسمّى نَفْسَه صالِحَ المؤمنين، وعَهِدَ الى ابنه إلْيَاس بديانته، وأمره إلاّ يُظْهِر ذلك إلاّ إذا قَوِىَ أَمْرُه، وحِينَئذٍ يدعو الى مَذْهَبه، ويقتل من خالَفَه فيه من قومه. وأمره بموالاة أمير الأَنْدَلُس. وخرج صالِحٌ الى المَشْرِق، وزعم أنّه يعود اليهم فى دولة السابع من ملوكهم؛ وزعم أنّــه هو المَهْدِىُّ الأَكْبَرُ الذى يخرج فى آخر الزمان لقتال الدَّجّال، وأنّه يملأ الأرض عدلاً كما مُلِئَتْ جوراً؛ وتكلّم لهم فى ذلك بكلام كثير نَسَبَه لموسى — عم — ولسَطِيح الكاهِن وغَيْرِه.

ثمّ وُلِىَ بعده إلْيَاس بن صالِح بن طَرِيف؛ فأظهر ديانةَ الإسلام والعَفاف، وبقى أميراً خمسين سنةً الى أن هلك. وترك جماعةً من الأولاد. فوُلِىَ ابنه يُونُس بن إلْيَاس، وذلك بعد ما وصل من المَشْرِق، وحجّ؛ ولم يَحُجَّ أَحَدٌ من أهل بيته. فأظهر ديانةَ جَدِّه، ودعا اليها، وقتل من لم يدخل فيها، حتّى أخلى ثمانيمائة مَوْضِع من مواضع البَرْبَر؛ قيل إنّه قتل منهم سبعة آلاف ونحو السبعمائة. وهلك بعد أن ملك نَحْوَ أربعين سنةً؛ وخرج الأمر عن بنيه. وقام أبو غُفَيْر محمد بن مُعاذ بن اليَسَع بن صالِح بن طَرِيف؛ فاستولى على ملك تلك البلاد، ودَانَ بديانة آبائه. واشتدّت شَوْكتُه، وعَظُمَ أمره. وكانت له وقائع فى البَرْبَر مشهورةٌ، منها وقعة تامَغْزا[1]، أقام القَتْلَ فيها ثمانية أيّام؛ ومنها وقعة بَهْت، عجز الإحصاء عن عَـدِّ من قتل فيها. وكانت لأبى غُفَيْر من الزَّوْجات أربــعٌ وأربعون؛ وكان له من الأولاد بعَدَدِهِنّ. ومات بعد أن ملك * تسعاً وعشرين سنة. ثمّ وُلِىَ عبدُ الله بن أبى غُفَيْر، وهو أبو الأنصار، وذلك عند تمام المائة الثالثة؛ وكان سَخِيًّا ظريفاً، يَفِى بالوَعْد والعَهْد، ويحفظ الجارَ ويُكافِئه على الهَدِيّة بأَضْعافِها. وصِفَتُه: أَفْطَسُ، شديدُ الأُدْمة فى الوجه، ناصِعُ بياضِ الجِسْمِ،

P. ٢٢٣

طويلَ اللِّحْيَة. وكان يلبس السَّراويلَ والمِلْحَفَة، ولا يلبس القميصَ، ولا يعتمّ إلّا فى الحرب؛ ولا يعتمّ أحدٌ من قومه إلّا الغرباء عندهم. وكان فى كلّ عام تُحْشَدُ ويُظْهِرُ أنّه يغزُو لمن يَلِيهِ من القبائل؛ فيهادونه، فيترك حرَكَتَه. فملك فى دعة نحو اثنين وأربعين سنة.

ثمّ وَلِيَ أبو منصُور عيسى بن أبى الأنصار، الذى بعث زَمُّوراً هذا الى المُسْتَنْصِر بالله الأمَوىّ سنة ٣٥٢؛ وهو عيسى بن أبى الأنصار عبد الله بن أبى عُفَيْر محمّد بن مُعاذ بن اليَسَع بن صالِح بن طَرِيف. وكان سِنُّهُ إذ وُلِيَ اثنين وعشرين سنة؛ فسار بسيرة أبيه، ودان بديانته. واشتدّت شَوْكَتُه، وعَظُمَ سلطانُه. وكان أبوه قد وصاه عند موته بموالاة أمير الأنْدَلُس، وقال له: «أنْتَ سابِعُ الأمراء من أهل بيتك، وأرجو أن يأتيك جَدُّك صالِحٌ كما وعد.» انتهى ما اختصرتُه من كلام زَمُّور.

وقال أبو العبّاس المَذْحِجىُّ[1] إنّ يُونُسَ القائمَ بدين بَرْغَواطة أصْلُه من شَذُونة، من جِهَة وادى بَرْبَاط؛ وكان قد رحل الى المشرق فى عام ٢٠١ مع عبّاس [2]بن ناصِح، وزيد بن سِنان[2] الزَّناتىّ صاحبِ الواصِلِيَّة، وبَرْغُوث بن سعيد [التّرارىّ، وجدّ بنى عبد الرزّاق، ويُعرفون ببنى[3]] وَكيلِ الصُّفْرِيَّة، ومناد صاحِبِ القلعة المَنادِيَّة، قريباً من سِجِلْماسة، وآخَرَ ذَهَبَ عنّى اسمُه. فأربعةٌ منهم فَقُهوا فى الدين. ادّعى يُونُس صاحبُ بَرْغَواطة النُّبُوَّة. قال: وكان يُونُس شَرِبَ دواءً للحِفْظِ؛ فحَفَظَ كلّ ما سَمِعَهُ، وطلب *عِلْمَ النجوم والكِهانة، ونَظَرَ فى الجِدال، وانصرف؛ فنزل بين هؤلاء القوم؛ فرأى جَهْلَهم. وكان يُخْبِرُهم بأشياء قبل كَوْنِها، ممّا يَدُلُّ عليه التنجيم؛ فيكون كما قال. أو قريباً منه؛ فعظُم عندهم. فلما رأى ذلك منهم، وعلم ضُعْفَ عقولهم وكثرةَ جَهْلِهم، [أظهر ديانته، ودعا الى نبوّته، وسمّى من اتّبعه برباطىّ؛ ثمّ أحالوه] بألْسِنَتِهم. ردّوه

* p. ٢٢٤

1) B. المُرَجّحِىّ. 2—2) Manque dans B. 3) Rétabli, de même qu'un peu plus bas, d'après le texte plus complet d'âl-Bakri.

« برغواطى ». وكان يونس قد قتل خلقاً كثيراً من البربر. حتّى أطاعوه، وعلى دينه تابعوه. وقال سعيد بن هشام المصمودىّ فى وقعة بهت قصيدة طويلة. منها [وافر]:

قِفِى قَبلَ التفرّقِ فاخبِرينا	وقُولى واخبرى خبراً مُبِينا [1]
هُمومُ البرابرِ خسِرُوا وضَلُّوا	وخَابُوا لا سُقُوا ماءً معِينا
يقُولون : النبىُّ أبو عُفَيْرٍ	فأخْزَى اللهُ أمَّ الكاذبينا
ألَمْ تَسْمَعْ ولَمْ تَرَ يومَ بهتٍ	على آثارِ خَيْلِهِم رَنِينا
رَنِينَ الباكِيات بِهِم ثَكالَى	وعَاوِيةٍ ومُسْقِطةٍ جَنِينا
هُنالِكَ يُونُس وبنو أبيهِ	يُوالُونَ البَوارَ معَظّمِينا [3]
فلَيْسَ اليومَ ردّتكم ولاكِنْ	لَيالِىَ كُنْتُمُ مُتَبَيْسرِينا [4]

يعنى بقوله « متبيسرين [4] » من المياسرة أصحاب ميسرة. فأمّا الضلالُ الذى شرعَ لهم، فإنهم يقرّون بنبوّة صالح بن طريف، وأنّ الكلام الذى ألّفَ لهم هو وحىٌ من الله تعالى، لا يشكّون فيه — تعالى اللهُ عن قولهم! — وفرضَ لهم صومَ رجب، وأكْلَ رمضان، وخمسَ صلوات فى اليوم، وكذلك فى الليلة، والضّحِية اليومَ الحادى عشر من المحرّم، وفى الوضوء غَسْلَ السُّرّة والخاصِرتَين. ثمّ الاستنجاء والمضمضة. وغَسْلَ الوجه، ومسحَ القفا، وغسْلَ الذراعَين والمنكبَين، ومسحَ الرأس * ثلاثَ مرّات، ومسحَ الأذنَين كذلك، [5] ثمّ غسْلَ الرِّجْلَين من الرُّكْبَتَين [5]. وبعضَ صلاتهم دون سجود، وبعضُها على كيفيّة صلاةِ المسلمين. وهُم يسجُدون ثلاثَ سجدات [6] متّصلات، ويرفعون وجوههم وأيديهم من الأرض مقدارَ نِصْفِ شِبْر. ويقرءون نِصْفَ قرآنهم فى وقوفهم، ونِصفَها فى ركوعهم، ويقولون فى تسليمهم بكلامهم: « الله فوقَنا! لم يغِبْ عنه شىءٌ فى الأرض، ولا

P. ٢٢٥

1) Ce second hémistiche est dans B.: يقول صادقِى ولا تُكذّبينا.

2) B. بأمر.   3) B. مُقَطّعِين.   4) A. متميسرينا.

5—5) Manque dans B.   6) B. صلوات.

فى السماء!» ثمّ يقولون: «مُقُرْ بَاكُشْ[1]» خمساً وعشرين مرّة، وتفسيره: «الكبيرُ الله!» ويقولون: «ايسمن باكُش[2]» تفسيره: «بسم الله!» وغير هـذا[3]. ويتزوّج الرجلُ منهم ما استطاعَ من النساء، ويطلق ويُراجع ما أحبّ. ويُقتَلُ السارقُ بالإقرار والبيّنة. ويُرْجَم الزانى، ويُنْفَى الكاذِبُ، ويُسمّونه المُغيِّرَ. والديّةُ عندهم مائةُ رأس من البقر. و[رأسُ][4] كلّ حيوانٍ عليهم حَرَامٌ؛ ولا يؤكَلُ الحوتُ عندهم إلاّ أن يُذكَّى؛ والديكُ والبيضُ عندهم حرامٌ؛ والدَّجاجُ مكروهةٌ إلاّ أن يُضطَرّ اليها. وليس عندهم أذانٌ، ولا إقامةٌ؛ وَهُمْ يكتفون فى معرفة الأوقات بصراخ الدِّيَكة، ولذلك حرّموها. ويتبرّكون ببُصاقه أى: بُصاقُ صالح. وكانوا أعْلَمَ الناس بالنجوم[5]. وكانوا أجْمَلَ الناس رجالاً ونساءً. وقُرْآنهم الذى وَضَعَ لهم صالحٌ ثمانون سُورةً، أكْثَرُها منسوبةٌ الى أسماء النبيّين، أوّلُها سورة أيّوب، وآخرها سورة يُونُس. وغيرُها من أسماء الأنبياء — عمّ — وفيها سورةُ فِرْعَوْن، وسورةُ الدِّيك، وسورةُ الجَراد، وسورةُ الجَمَل، وسورةُ هارُوت ومارُوت، وسورةُ الحَشَر، وسورة غرائب الدّنيا. وفيها [6]علْمٌ عَظِيمٌ[6] عندهم. ٢٣٦

ولم يزل كثيرٌ من القبائل على مَذْهَبِهم الى عام ٢٥٣.

رَجَعْنا الى نَسَق التأريخ: كان الحَكَم أميرَ[7] الأنْدَلُس وَلِىَ الخلافةَ بها سنة ٣٥٠. فطاع له المغرب كلُّه. وتمّم بناء سُور سَبْتَة فى عام ٣٥١.

وفى سنة ٣٥٢، كتب الحَكَمُ المُسْتَنْصِرُ بالله سِجِلاً الى أهل سَبْتة، رَفَعَ عنهم فيه جميعَ الوَظائفِ المَخْزَنيّةِ والمَغارِمِ السُّلْطانيّةِ. قال ابن حَمادُه: رأيتُ هذا السِّجِلَّ عند القاضى عِياض — رحمه الله! — موَرَّخاً بشهر صَفَر من العام المذكور، ذكر فيه: «وما وَقَعَ عليها من المُوَنِ السُّلْطانيّة فى التَّقْسيط، فهو مضروبٌ على شَرَفِ إشبيلِيَة.»

---

[1] On a conservé la vocalisation du ms. A. — B.: مَقْرْ باكشْ. [2] B. احيمن باكشَ.

[3] B.: وغير ذلك من الباطل, puis omet tout le développement qui suit.

[4] Mot rétabli d'après Bakri. [5] Reprise du texte dans B.

[6—6] B. كبير. [7] B. مَلِك.

وفى سنة ٣٥٤، تُوفِّى أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى. وكان مَوْلِدُه بالكوفة سنة ٣٠٣؛ وعُمُرُه إحدى وخمسون سنةً؛ [1]وكان أشْهَرَ من أن يُذْكَر[1].

وفى سنة ٣٥٧، تُوفِّى الأُستاذ كافُور بمِصْرَ.

وفى سنة ٣٥٨، بعث المُعِزّ أبو تَمِيم مَعَدّ بن المنصور العُبَيْدىّ أبا الحسن جَوْهَراً الى مِصْرَ، لمَّا تُوفِّى كافور الإخْشيدىّ أميرُ مِصْرَ. فلما وصلها جَوْهَرٌ، فتحها فى شعبان.

وفى سنة ٣٥٩، أنفذ جَوْهَرٌ الى المُعِزّ لدين الله هَدِيَّةً جميلةً صُحْبَةَ وَلَده جَعْفَر فى رَجَب.

وفى سنة ٣٦٠، وصل الحسن بن أحمد القَرْمَطىّ الى دِمِشْق، وقتل جعفر ابن فَلاح. وتغلَّبَتْ القَرامِطة على دِمِشْق، وصاروا الى الرَّمْلة.

وفى سنة ٣٦١، خرج أبو تَمِيم من المَنْصوريَّة راحلاً الى المَشْرِق، فى أواخر شوَّال، لثمانٍ بَقِينَ منه؛ واستخلف على إفريقية أبا الفُتُوح الصِّنْهاجىّ.

P. ٢٢٧

* ابتداء الدولة الصِّنْهاجيَّة بإفريقية.

ولاية أبى الفُتوح يوسف بن زِيرى بن مَناد الصِّنْهاجىّ إفريقية

لما خرج أبو تَمِيم من إفريقية الى المَشْرِق، استخلف يوسفَ المذكورَ وأمر الكُتَّاب أن يكتبوا الى العمَّال وولاةِ الأشْغال بالسَمْع والطاعة لأبى الفُتوح. ورحل أبو تَمِيم الى مِصْرَ؛ فاحتلَّها، وأمَّن أهلها، واتَّخذها دارَ مُلْكه. وبقى أبو الفُتوح أميراً على إفريقية والمَغْرِب كلِّه. قال القُضاعىّ: لما وصل أبو تَمِيم الى الإسْكَنْدَريَّة، توجَّه اليه من مِصْرَ القاضى، والشهودُ، وأعيانُ أهل البلد، مهنِّئين، وداعين، ومسلِّمين. ثمّ استقرّ بقَصْر المُعِزّ فى السابع لرمضان.

1—1) Manque dans B.

وفى سنة ٣٦٤، وصل القَرْمَطِىُّ الى الطَّوَاحِين، فى جُمادى الأُولى، وانهزم فى شعبان من هذه السنة.

وفى سنة ٣٦٥، تُوفّى أبو تَمِيم المُعِزّ لدين الله العُبَيْدِىّ، فى يوم الجمعة الحادى عشر لربيع الآخر؛ فكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة، وخمسة أشْهُر، وأيّاماً، منها مُقامه بمِصْرَ سنتان وسبعة أشْهُر.

ولاية العزيز بالله نِزَار

فوَلِىَ الإمارة بمِصْرَ العزيزُ بالله نِزَار، المُكَنَّى بأبى المنصور، ابنُ مَعَدّ المُكَنّى بأبى تَمِيم. وُلِدَ بالمَهْدِيّة فى محرَّم سنة ٣٤٤؛ ووُلِّىَ العَهْدَ بمِصْرَ فى العاشر لربيع الأوّل سنة ٣٦٥. وسُتِرَتْ وفاةُ أبيه، وسُلِّمَ عليه بامير المؤمنين[1]. وقد ذكرنا بعض أخباره فى أُمراء مِصْرَ فى «أخبار المَشْرِق.»

وفى جُمادى الأخيرة من سنة ٣٦٥[1] بعث أبو الفُتوح أميرُ إفريقية الى العزيز بالله هدِيّةً، فشيّعها. وعادَ أبو الفُتوح الى رَقّادة؛ فخرج اليه أهلُ القَيْرَوان؛ فتلقّاهم بأحسن قَبُول، وأنزلهم أجْمَلَ * نُزول وبعد ذلك عزم أبو الفُتوح على الانتقال الى قَصْر أبى صالِح؛ فخرج لتوديعه القُضاةُ والشيوخ [2]لثلاث بقين من رجب من السنة المؤرّخة[2]. P. ٢٢٨

وفى ذى الحِجّة، أمر أبو الفُتوح العامِلُ على إفريقية واليه عبدَ الله بن محمّد الكاتبَ أن يُقيم أُسْطُولًا بالمهديّة مُعَدّةً من الرجال والسلاح. فخرج عبدُ الله الى المهديّة، وأخذ فى حَشْد البَحْرِيّين فى كلّ بلد، وأمر أن يُؤْخَذَ كلُّ مَنْ لُقِىَ منهم بالقَيْرَوان وغيرها[3] وملأ بهم السُّجون. وأدْرَكَ خاصّةَ البلد وعامّتهم من الخوف ما لزموا له البيوت؛ وانتهى حالُهم [4]الى أنّه[4]، إذا مات أحدٌ عندهم، لا يُخْرِجُهُ إلاّ النساء.

1—1) Manque dans B. 2—2) B. فى آخر رجب. 3) On a suivi ici B. — A.: وأمر فى القَيْرَوان أن يؤخذ كلّ من بقى منهم. 4—4) Manque dans A.

وفى سنة ٣٦٦، خرج الأُسْطولُ من المهدية فى أوّل المحرّم؛ فتعذّرت الريح عليها، فأقاموا حتّى فَرَغَتْ أزوادُهم[1] وعدموا الماء؛ فهرب جميعُ من فيها من النّواتية والبحريّة، وصاروا الى البرّ؛ فنهبوا ما فى المراكب من عُدّةٍ وسلاحٍ، وهربوا الى كلّ ناحية. فجعل عبد الله الطّلَبَ عليهم[2]؛ فمن ظُفِر به، قُتِلَ.

[3]وفى هذه السنة، تُوفّى زيادةُ الله بن القُدَيْم فى سجن عبد الله بن محمّد الكاتب؛ وقيل إنّه قتله بأنواع من العذاب[3]. وفى هذه السنة، نادى عامِلُ إفريقية والقيْرَوان، وهو عبدُ الله الكاتِب؛ فاجتمع الناسُ اليه؛ فأخذ من أعيانهم نحوَ الستّمائة رَجُــلٍ مِن أغنيائهم وأغْرَمَهم الأموالَ بالتّعْيِين: يأخُذُ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار، ومن آخر ديناراً واحداً. فاجتمعت له بالقيْرَوان أموالٌ كثيرةٌ. وعمّ هذا الغُرْمُ سائرَ أعمال إفريقية [4]ما عدا الفقهاء والصُّلَحاء والأُدَباء وأولياء السلطان[4]؛ وكان الذى جبى من القيْرَوان نيّفاً على أربعمائة ألف دينار عيناً. وبقى الأمر كذلك فى الطّلب، الى أن وصل الأمر من مِصْرَ الى أبى الفُتوح برفع الغُرْم عن الناس؛ فأطلقهم عبدُ الله الكاتبُ فى أواخر شوّال.

P. ٢٣٩ * وفى سنة ٣٦٧، بعث عبدُ الله الكاتِبُ عاملُ إفريقية هذا المالَ[5] الى مَلِك مِصْرَ العزيز بالله بأمر أبى الفُتوح صاحبِ إفريقية من قِبَل العزيز بالله، وكتب على كلّ صُرّة اسْمَ صاحبها. فكان خروجُ هذا المال من المنصوريّة لخمس بقين من جُمادى الأخيرة. ولما وصل المال الى مِصْر، ردّ العزيز بالله بعضَ الصُرَر لأربابها. ❊

وفى هذه السنة، أنعم العزيزُ بالله على أبى الفُتوح بإطْرابُلُس ونواحيها. فقدّم عليها أبو الفُتوح يحيى بن خَليفة المِلْيانىّ؛ فأقام بها شهوراً؛ ثمّ عزَلَهُ.

وفيها، زحف خَزْرُون بن فُلْفُل بن خَزَر الزّناتىّ الى سِجِلْماسة، فى عَدَد عظيم؛ فخرج اليه المُعْتَزّ؛ فاقتتلوا قتالًا شديداً؛ فقُتِل المُعْتَزّ، لخمس بقين من

---

1) A. ajoute فى البحر. 2) A. يطلبهم.

رمضان. وملك [1] خَزْرُون سِجِلْماسة، وأَخذ فيها اموالاً جليلةً. وبعث خَزْرون
برأس المُعْتَزِ الى الأَنْدَلُس واستحكم بها مُلْكُ زناتة وأَتباعهم.

وفى هـذه السنة، وصل أَبو الفتوح صاحِبُ إفريقية الى سَبْتة، فحاصَرَها.
وبعث اليه ابنُ أَبى عامِر برأس جعفر بن علىّ، أَراد أَن يُرْضِيَهُ بذلك. وكان
ابن أَبى عامِر [2]قد قتل جعفر بن علىّ بن حَمْدُون المعروفَ بابن الأَنْدَلُسىّ.
ويأتى خَبَرُ قتلهِ فى أَخبار ابن أَبى عامِر من أَخبار الأَنْدَلُس[2].

وفى سنة ٣٦٨، خرج العزيزُ من مِصْر الى الشأْم فى عَدَدٍ عظيمٍ، ونزل
بالرَّمْلة. وكان بين يدَيْه أَلف بَنْد وخمسمائةُ طَبْل. وكان جَوْهَرٌ قائدُه خرج فى
العام الفارط الى الشأْم، فهزمه افتكين [3] التُرْكىُّ، ورجع الى مِصْر مفلولًا. فخرج
العزيزُ بالله فى هذه السنة بنفسه. فلما نزل الرَّمْلة، خرج اليه التُّرْكىُّ. فكانت
بينهم حروبٌ عظيمةٌ، فانهزم التُّرْكىُّ، وأُخِذَ أَسيراً، فسِيقَ الى العزيز بالله بحَبْل
فى عُنُقه. ولما وصل الى مِصْر، عفا عنه، ومات بعد ذلك.

وفى هذه السنة، * دخل أَبو الفتوح صاحِبُ إفريقية من قِبَل العَزيز بالله
بلادَ الغَرْب، واستولى عليها، وهدم مدينة البَصْرة، ومحا رَسْمَها بعد طُول مُدَّتها
وكثرةِ عِمارتها. [4]وكان رحيلُ أَبى الفُتوح من إفريقية الى الغَرْب يوم الأَربعاء
لخمس بَقِين من شعبان من سنة ٣٦٨ [4]، فوصل بجيوشه الضَّخْمة [5] الى فاس،
فاستولى عليها، وملك سِجِلْماسة وبلاد الهَبْط كلّها، وطرد من جميعها عُمَّال بنى
أُمَيّة. ثمّ رحل الى سَبْتة فى طَلَب من لجأَ اليها من زَناتة. فلما أَشرف عليها،
تأَمَّلَ الوصولَ اليها، فرأَى من تحصينها ومنعتها ما لا يُستطاعُ إدراكُه [6] إلّا
بالمراكب البحريَّة، فرجع عنها، ولم يُعْوِزْهُ من بلاد المغرب غيرُها. فرجع [7]
يُريد البَصْرة، وكان فيها عِمارةٌ عظيمةٌ بالأَنْدَلُس والبَرْبـر. فلما دخلها، أَمر
بهَدْمها، ونَهَبَ ما كان فيها من الأَموال والأَمْتِعة وجميعِ الأَسباب. فاستحالت

P. ٢٤٠

1) A. وحكم, corrigé par Dozy (*Corr.*, p. 27) en وحطم.
2—2) B. seulement: قد قتله. 3) A. et B. افتيكن. 4—4) Manque dans B.
5) Manque dans B. 6) B. [illegible]

الجيوشُ والأُمَمُ[1] عليها؛ فصارت كأنْ لم تَغْنَ بالأمس. [2]فلم تكن بَصْرةٌ بالمغرب الى الآن؛ ودثر رسمُها. وكانت قديمةً أزليّةً. وقد تقدّم ذِكْرُها[2]. ثمّ صار منها الى أَصِيلاَ.

ذِكْرُ مدينة أَصِيلاَ

وأمّا أَصِيلاَ، فهى محْدَثةٌ. وكان سَبَبُ بنائها أنّ المَجُوسَ خرجوا بساحلها، وزعموا أنّ لهم بها أموالاً وكُنوزاً، ترَكَها لهم الأوائلُ الذين كانوا يسكُنون السواحِلَ وأخرجهم منها عامّةُ القبائل. فلما نزلوا فى البرّ لأخـذِ أموالهم، اجتمع البَرْبَرُ لقتالهم؛ فقالوا: «لم نأتِ لحربٍ؛ وإنّما لنا كُنوزٌ فى هذا الموضع. فكُونوا ناحِيةً حتى نستخرِجَها، ونُشارِكُكم فيها.» فاعتزل البربرُ عنهم لما سمعوا ذلك منهم. P فحفر المَجُوسُ مواضِعَهم، واستخرجوا دُخْناً كثيراً عَفِناً. فلما رآه البربرُ، ظنّوه ذهباً؛ فبدروا اليهم. وهرب الرُّومُ الى مراكبهم. فأصاب البربرُ الدُّخْنَ؛ فندموا، ورغبوا الى المَجُوس فى الرجوع واستِخْراجِ المال؛ فأبوا، وقالوا: «قد نَقَضْتم العَهْدَ!» وساروا الى الأنْدَلُس؛ فحينئذٍ خرجوا بإشبيلية على ما يأتى ذِكْرُه فى أخبار الأنْدَلُس. فاتّخَذَ الناسُ موضِعَ أَصِيلاَ رِباطاً، وانتابوا اليه من جميع الأمصار. فكانت تَقُومُ فيه سُوقٌ جامِعةٌ ثلاث مرّات فى السنة: فى رمضان، وفى العَواشر، وفى عاشُوراء[3].

ومما قيدتُهُ واختَصَرْتُهُ من «كتاب المَسَالِك والمَمالِك» لمحمد بن يوسف القَرَوىّ - رحمه الله! - قال: ومن المُدُن القديمة على ساحِل بحر الغَرْب، أَصِيلاَ، وهى فى سَهْلةٍ من الأرض، كانت مدينةً للأُوَل. ثمّ غلَب عليها البَحْرُ. ثمّ بُنِيَتْ بعد ذلك؛ وكان سَبَبُ بنائها أنّ المَجُوس خرجوا فى مَرْساها مرّتَيْن: أمّا الأُولى، فإنّهم قصدوا اليها، زاعمين أنّ لهم بها مالاً وكُنوزاً؛ فاجتمع البربر لقتالهم حَسَبَما ذكرتُ ذلك؛ وأمّا خروجُهم الثانى، فانّ الريح قَذَفَتْ [4]بهم اليها[4]،

1) Manque dans B. 2—2) Manque dans B.

وعطبَتْ لهم اجفانٌ كثيرةٌ عليها، حتّى كان يُعرف ذلك الموضع بباب المَجُوس. وكان مَوْضِعُها مِلْكاً لقبائل لَوَاتة. فابتناها قومٌ من كُتامة. فأوّلُ ما ابتدروا[1] بـه مسجداً. ثمّ بنى لَوَاتة مسجداً ثانياً، وشاع أمرها. فبنى الناس شيئاً بعد شئٍ، فقصدها التِجار من الأمصار بضروب المتاجِر فى أوقات معلومات لأسواق الغُبار.

فأوّلُ من قَدِمَ عليها من الملوك القاسمُ بن إدريس، فانّه ملكها، وقامت دعوتُه بها الى أن تُوفّى — رحمه الله! — ثمّ وليها ابنُه إبراهيم بن القاسم، فجرَتْ بينه وبين عمر بن حَفْصُون الثائر بببَشْتَرُ من الأندَلُس مُراسلات ومُكاتبات فى شأن النفاق على الخليفة بقُرْطُبة الأمَوىّ، الى أن هلك. ثمّ وليها ابنُه حُسين ابن إبراهيم بن القاسم، * فاضطرب أمرُه، وضَعُفَتْ طاعتُه، وكانت مُدَّتُه خمساً وعشرين سنة فى قبائل لَوَاتة. وكان أخوه أحمد المُتَوَلِّى لأمر كُتامة، وكان يُعرف بأبى الأذُنَيْن. وكان صاحبَ البَصْرة حينئذٍ أخوهما عيسى ابنَ إبراهيم بن القاسم، الى أن قتله أبو العَيْش چَنُّون[2] من بنى إدريس — رحمه الله! — فتزوّج أخوه أحمد الملقّبُ بأبى الأذُنَيْن زَوْجتَه، وملك مكانَه. وقيل إنّ زَوْجتَه سَمَّتْه، فقتَلَتْه. فصار أمْرُ كُتامة وأمْرُ البَصْرة الى يحيى بن إبراهيم بن القاسم المعروف بابن برهوية، فاختلفت عليه كُتامة، وكان ذلك سببَ دخول بنى محمّد بَلَدَ كُتامة وهُوَّارة وتلك الناحية، واستجاشوا بحسن بن محمّد المعروف بالحَجّام، فقام بأمرهم، وهلك القاسم بن حسن بن القاسم بن إدريس صاحبُ أصِيلاَ.

ودخل بنو محمّد من بنى إدريس مدينةَ أصِيلاَ، فاستأثر بها حسن الحجّام دون بنى عَمّه، فولّى عليها رجلاً من خاصّته يُقال له حَجّاج بن يوسف، فأحسن السيرة فيهم، الى أن هلكَ. فطلب ولايتَها رجلٌ من أهلها يُقال له محمّد بن عبد الوارث، فعدا طَوْرَهُ فيها. ويُقال إنّه أصاب بأصِيلاَ كَنْزاً بداره، ونمى ذلك الى حسن المعروف بالحجّام، فطمع فى ذلك المال، وعزَلَه عن أصِيلاَ.

---

1) A. ابدؤوا. 2) Orthographe fournie par B. — A

ثمّ وليها إبراهيم بن الغَلّ المِكْناسىُ، وكان ساكناً بها، بعدما اعطى مالاً لحسن الحجّام. فلما وصل الى أَصيلاَ، سار محمّد بن عبد الوارث الى حَسَن بمال كثير، فعزل إبراهيمَ وأعاد ابن عبد الوارث. فسار إبراهيم بهديّة الى حسن، فعزل محمّداً وولّاه عليها. ثمّ عزل إبراهيمَ وولّى محمد بن عبد الوارث. وكانت عُزْلَتُهما وولاَيَتُهما نَحْوَ ستّتَيْن، الى أن استقرّ فيها محمّدٌ هذا، وسُمّىَ فَارَ الصَّهْرِيج، يَعْنُون الكَنْزَ الذى أصاب فيه. وتبيّن لابن عبد الوارث رَغْبَةُ حسن P. ٢٤ * فى ماله، فأعطاه. واستقامت له معه جميعُ أحواله مُدّةً. ثمّ عزله، وولّى إبراهيم ابن الغَلّ المذكورَ، فبقى بها الى أن حصر ابنُ أبى العافية بنى محمد فى حَجَر[1] النَّسْر، فأتاه أهلُ أَصيلاَ. وطلبوا منه والياً من قِبَلِه، فولّاها سعيد[2] بن الشيخ الإشبيلىّ. وهرب إبراهيم بن الغَلّ الى مَدْيَن بن موسى بن أبى العافية، فوفد عليه، وهاداه، وانقطع اليه، فولّاه أَصيلاَ، فأحسن السيرة. ورفق بالرعيّة. وانصرف الى تَسُول. بعدما استخلف على حرب بنى محمد رجلاً من أصحابه يُعرف بأبى قَمْح، فحاصرَهم حصاراً شديداً. فلما ضاق عليهم الامر، هجموا عليه ليلاً. فهرب أبو قَمْح. وملك بنو محمد محلّتَه. واجتمعت قبائلُ كُتامة بقلعةٍ هناك، فزحف اليهم بنو محمد الأدارِسةُ، فحاربوهم حتى دخلوا القلعة. وقتلوا من كان فيها. فكان أوّلَ فتح بنى محمد بن إدريس الحسنىّ.

وبلغ ذلك الى أهل أَصيلاَ، فكتبوا الى ابن أبى العافية. وذلك فى سنة ٣٢٣[3]، فى حين خروج مَيْسُور الى أرض المَغْرِب. فجاوبهم موسى بن أبى العافية، وأمرهم أن يتحصّنوا فى بلدهم. وكتب الى قبائل كُتامة. ولُواتة، وهَوّارة، وصِنْهاجة، يأمرهم بمَعُونتهم على البنيان، فانقسموا على سُور المدينة. وبَنَوْه فى ستّة أشهر. فهرب وجوهُ القبائل الى أَصيلاَ، واجتمع بها مَلَاءٌ عظيمٌ منهم، فزحف اليهم بنو محمّد الأدارِسة بعساكرهم، فكانت بينهم حربٌ عظيمةٌ، فاستمدّوا ابن أبى العافية، فاعتذر اليهم، وقال لهم: «اكتبوا الى أمير المؤمنين! فأنا وأنتم

1) A. et B.: حصن. 2) B. سهد. 3) A. (éd. Dozy): ٣٢٢ (faute d'impression).

رعيّته وتحت طاعته»! فكتبوا الى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر. وكانت مدينة سَبْتة تحت طاعته. فبعث اليهم الرُماةَ الأَنْجادَ، واتّصل ذلك ببنى محمّد، فحشدوا الأحشاد. وزحفوا الى أَصِيلاَ، فحارَبوها أربعين يوماً. فخاف * وجوهُ P. ٢٤٤ أهلها، فجازوا الى الأَنْدَلُس. ودخل بنو محمّد أَصِيلا، وذلك سنة ٣٢٦ً، وملكوها، فأمّنوا من بقى بها من أهلها. وعاد من جاز الى الأَنْدَلُس اليها.

وحَوْلَها من القبائل لَوَاتة فى القِبْلة، ومن هُوَّارة قومٌ يُعرفون ببنى زِيَاد، بينهم كَدْيَةُ رَمْلٍ عاليةٌ. قال إبراهيم بن محمّد الأَصِيلىُّ من قصيدة له [وافر]:

سَقَى غَرْبِىَّ أَرْضِ بنى زِيَادٍ سَحَائبُ ما يَجِفُّ لها غُرُوبُ
ولا زالَ النَعِيمُ يَعُمُّ قَوْماً إزاؤُهُمْ من الشَرْقِ الكَثِيبُ

وحوْلَها من القبائل من جهة الغرب هُوَّارة الساحل.

ذِكْرُ مَنْ وَلِىَ مدينةَ البَصْرة

أُسِّسَت البَصْرة فى الوقت الذى أُسِّسَتْ فيه أَصِيلاَ. وعلى ثمانية أميال منها جَبَلٌ يُقال له صَرْصَر، كثيرُ المياهِ والثِمارِ، يسكُنُه مَصْمُودة. وأوّلُ من مَلَكها إبراهيمُ بن القاسم [1] بن إدريس نَحْوَ أربعين سنة، ثمّ وليها ابنه عيسى ابن إبراهيم، ثمّ أخوه أحمد بن إبراهيم [1]، ثمّ بَرْهُون بن عيسى بن إبراهيم، ثمّ أحمد بن القاسم بن إدريس، ثمّ بَرْهُون بن عيسى ثانيةً، ثمّ سعيد، غلامُ المُظَفَّر من قِبَلِ مَصالة بن حَبُوس، ثمّ حسن بن محمّد بن الحجّام، ثمّ محمّد بن يحيى بن القاسم ولدُ [2] الجُوطىّ، ثمّ عيسى بن أحمد المعروف بأبى العَيْش، ثمّ أحمد بن القاسم ثانيةً، ثمّ والٍ [3] من قِبَل ابن أبى العافية، ثمّ أبو العَيْش بن أحمد ثالثةً، ثمّ أحمد بن أبى العَيْش الى سنة ٣٤٧.

1—1) Manque dans B. 2) B. وَلَد.

3) A. et B. والياً (Dozy, *Corr.*, p. 27, propose واليان).

وكانت مدينة يُتال لها كُرْت، فى جَبَل يُسمّى به الى وقتنا هذا، خرّبها بنو محمّد، وهى كانت قاعِدةَ أحمد بن القاسم، الذى يقول فيه بَكْر بن حمّاد [كامل]:

P. ٢٤٥ *إن السَّماحةَ والمُرُوءةَ والنَّدَى جُمِعُوا لأحمد من بنى القاسِمِ
وإذا تَفاخَرَتِ القبائلُ وانتَمَتْ فافْخَرْ بفَضْلِ محمّدٍ وبفاطِمِ
وبجعفَر الطّيّارِ فى دُرَجِ العُلَى وعَلِىّ العَضْبِ الحُسامِ الصّارِمِ
إنّى لَمُشْتاقٌ إلَيْكَ وإنّما يَسْمُو العُقابُ إذا سَمَا بقَوادِمِ
فابْعَثْ الىّ بمَرْكبٍ أسمُو به علّى أكونُ علَيْكَ أوّلَ قادمِ
واعْلَمْ بأنّك لَنْ تَنالَ مَحبّةً إلّا ببَعْض مَلابِسٍ ودَراهِمِ

فبعث اليه ببغلةٍ سنيّةٍ وصِلَةٍ جَزْلةٍ. وكان له فيه أمداحٌ كثيرةٌ.

وكان على وادى وَرْغة حِصْنٌ كبيرٌ يسكُنُه البربرُ. فسكن عندهم شخصٌ من الحَضَر، فقال فى نفسه [طويل]:

ألَاهَلْ أتى أهْلُ المدينةِ أنّنى بوَرْغَةَ بين الأعْجَمِينَ غَريبُ
إذا قلتُ شيئاً قِيلَ: ما ذا تُريدُه؟ لَهُمْ بَيْنَ أحرازِ الوُجوهِ قُطُوبُ

وكان هُناك حِصْنٌ أيضاً يُعرف بسُوق عُكّاشة، قريبٌ من وَرْغة، لمحمّد بن حسن من بنى إدريس — رحمهم الله! — وجَنْيارة حِصْنٌ كبير فى جَبَل يُعرف بالجَبَل الأشهَب، وهى لبنى حَصِين. وفى ذلك الجَبَل قُرًى كثيرةٌ. وهو بمقربة من فاس. ومن أصِيلاً الى مدينة فاس خمسةُ أيّام على طريق البَصْرة. ويَلِى أصِيلاَ من جهة الشرق مدينةُ طَنْجة. وكان صاحبُ طَنْجة القاسم بن إدريس. ومن طَنْجة الى فاس على طريق أصِيلا ستة أيام. وفى مدينة فاس عَدْوَتانِ. أُسِّسَتْ عَدْوة الأنْدَلُسيّين سنة ١٩٢ [1] من الهجرة، [2] أسّسها أهلُ رَبَض قُرْطُبة إذ فرّوا من الحَكَم الرَّبَضىّ، وأُسِّسَتْ عَدْوة [2] القَرَويّين بعدها بسنةٍ. قال الشاعر [بسيط]:

يا عَـدْوَةَ القَرَوِيّينَ التى كَرُمَتْ   لا زالَ جانِبُكَ المَحْبُورُ مَمْطُورَا
لا أَمْسَكَ اللهُ عنها صَوْبَ نِعْمَتِهِ   أَرْضٌ تَجَنَّبَتِ الآثـامَ والزُّورَا

ولما خرب أبو الفُتوح يوسف بن زِيرِى الصِّنْهاجىُّ أميرُ إفريقية *مدينةَ البَصْرة، ٢٤٦ رحل بعساكره الى بلد بَرْغَوَاطة. وكان مَلِكُهم صالِح بن عيسى بن أبى الأنْصار، وكان فصيحاً شاعِراً، فأطاعوه حتّى جعلوه نبيّاً، وشرع لهم شريعـةً، فاتّبعوه. فضلّ، وأضَلَّهم. فغزاهم أبو الفُتوح، فكانت بينهم حروبٌ لم يَجْرِ قبْلَها مِثْلُها، كان الظفرُ فيها لأبى الفُتوح. وقتل اللهُ الكافِرَ ابنَ عيسى، وانهزمت عساكر بَرْغَواطة، فقُتِلوا قتْلاً ذريعاً، وسُبى من نسائهم وذراريهم ما لا يُحْصَى عَدَدُهم. وأرسل أبو الفُتوح سَبْيَهم الى إفريقية، فلَقِيَهم عامِلُه عبدُ الله الكاتبُ، مع أهل القَيْرَوان والمنصوريَّة. وملك أبو الفُتوح بلاد الغَرْب. فكانت السِّجلّات تَرِدُ عليه من مِصْرَ، فتَصِلُه على البَرِيد الى فاس أو غيرها، ثُمَّ يُرْجِعُ بها الى عامِل إفريقية، فتقْرأُ بعد مُدّةٍ من تأريخها. وأقام أبو الفُتوح فى بلاد الغَرْب، وهو قد ملكها، وأهْلُ سَبْتة منه خائفون، وزَناتة مُشَرَّدُون. وذلك من سنة ٣٦٨ المؤرَّخة الى سنة ٣٧٢.

وفى سنة ٣٦٩، تُوفِّى أحمد بن أبى خالـد، الطبيبُ الكبيرُ المعروفُ بابن الجَزّار.

وفيها، كانت الحُمْرة التى ظَهَرَتْ فى السماء ليلةَ الأربعاء لخمس خَلَوْن من ربيع الأوّل، فخرج الناسُ الى المساجد للضَّجيج والتضرُّع الى الله تعالى. وفى غَدِ تلك الليلة، هرب كَبّاب ومغنين[1] ابنا زِيرى بن مَنَاد من قَصْر أخيهما السلطان أبى الفُتوح الذى كانا فيه محبوسَيْن، وقد لَبِسا ثيابَ النساء. وخرجا فى نِسْوةٍ دَخَلْنَ اليهما لزيارتهما، فوَجَدا عبيدَهما قد أعدّوا لهما خيلاً وسلاحاً، فركبا، ومضيا نَحْوَ المَشْرِق، حتّى وصلا مِصْرَ، فأنزلهما العزيزُ بالله، وخلع عليهما، ووَصَلَهما. وبَقِيا هُنالِك بقيّةَ هذه السنة.

---

1) B. معنين.   2) B. ومعنيناً.

وفى سنة ٣٧٠، صرف العزيز بالله كبّاباً ومغنياً[2] ابنَىْ زيرى الى أبى الفتوح يوسف بن زيرى أمير إفريقية، وأمره أن يعفو عنهما، ولا يتعرّض *لهما. P. ٤٤٧ فعفل ذلك. وفيها، تمكّنت حالُ يعقوب بن يوسف بن كِلّس معالعزيز بالله؛ فأذلّ كُتامة، وقهرهم. وقدّم التُّرْكَ والإِخْشيديّة، وعزل الوزراء جَوْهَراً وغَيْرَه.

وفى سنة ٣٧١. دخل سَبْىُ البَرْغَوَاطِيّين الى المنصوريّة، يومَ السبت لثمان خَلَوْن من ربيع الأوّل. فرأى أَهْلُ إفريقية من السَّبْىِ ما لم يَرَهُ أَحَدٌ منهم لكثرته. وطِيفَ بهم فى المنصوريّة والقَيْرَوان.

وفى هذه السنة، وصل باديس بن زيرى من مِصْرَ برسالةٍ الى أبى الفُتوح، يأمره بتَخَيُّر ألف فارس من إخوته الأبطال صِنْهاجة، منهم حَبُوس ومَاكْسَن، وزَاوِى، وحَمَامة، بنو زيرى، وبنو حَمَامة بن مَنَاد، وزَاوِى بن مَنَاد، ونُظَرائهم. فكتب اليه من بلاد الغَرْب يُعَرِّفه بتغلّب بنى أُمَيَّة أمراء الأَنْدَلُس على بلاد الغَرْب، وأنّ الدُّعاء لهم فيه على المَنابِر، وأنّــه قد خرج لمُحاربتهم بهؤلاء الرجال الذين سمّاهم أميرُ المؤمنين؛ فإن عزم على بَعْثِهم اليه، تَرَكَ الغَرْبَ، وسار بنفسه فى جُمْلَتهم. فلم يُعِدْ اليه جواباً فيهم.

وفى جُمادى الأُولى من هذه السنة، كان بالمهديّة زَلازِل دامت الشهرَ كلَّه وعشرة أيّام بعده، تُزَلْزِلُ فى كلّ يوم مرّات، حتّى هرب أكثرُ أهلها، وأسلموا ديارهم وما فيها.

وفى سنة ٣٧٢، قُتِلَ أمير صِقِلّيَةَ أبو القاسم علىُّ بن حسن الحسنىُّ فى مُقابلته مع الإِفْرَنْج. وكانت ولايتُه بها إحدى عشر سنةً. ثمّ وُلِىَ ابنُه جابرٌ سنةً واحدةً.

وفى سنة ٣٧٣، اشترى عبدُ الله بن محمّد الكاتِبُ عامِلُ إفريقية العَبِيدَ السُودان، وجعل على كلّ عامِلٍ مِن ثلاثين عبدًا الى ما دون ذلك؛ وكذلك على أصحاب الخَرَاج ووُجوهِ رجاله. فاجتمع له منهم أُلوفٌ، وأسكنهم بالمنصوريّة. وفيها، عمل عبد الله بيْتَ الحديد، وملأه أموالاً؛ ثمّ عَمِلَ بيْتَ خَشَب وملأه أموالاً أيضاً. واستخلف على المنصوريّة جَعْفَرَ بن حَبِيب، وخرج الى المهديّة على

*ذكر وفاة أَبي الفُتوح يوسف بن زيرِى بن مَنَاد الصِّنْهاجيّ

P. ٢٤٨

وفى هذه السنة، تُوفّى أَبو الفُتوح عند قفوله من قتال بَرْغَواطة، وقد انفصل من سِجِلْماسة؛ فمات بموضع يُقال له واركسفو، يومَ الأَحـد لتسع بَقِين من ذى الحجّة؛ وذالك أَنّ ابن خَزْرُون الزَّناتيّ ضرب على سِجِلْماسة؛ فدخلها، وأَخذ ما كان فيها من الأَموال؛ وكان بها عامِلُ أَبى الفُتوح؛ فأَتاه الخبرُ بذالك؛ فرحل اليها؛ فاعتلّ فى طريقه بقُولَنْج؛ فمات بالموضع المذكور. فأَوصى لأَبى زَعْبَل ابن هشام. وكان من خاصّته؛ فأَرسل الى المنصور يُعرّفه بوفاة والـده أَبى الفُتوح.

ولاية أَبى الفَتْح المنصور بن أَبى الفُتوح إِفريقية

وُلِىَ الإِمارة فى أَوائل سنة ٣٧٤ بمدينة أَشِير. وتُوفّى يوم الخميس لخمس خَلَوْنَ من ربيع الأَوّل من سنة ٣٨٦؛ فكانت مدّتُه اثنتى عشر سنة؛ ودُفن بالمنصورية. وكان كريماً، سَمْحاً، جَوَاداً، صارِماً، عازِماً. قال الرَّقيق: وقد ذكرتُ سيرتَه، وحروبَه، وعطاياه فى كتابٍ مُفْرَدٍ لأَخبارِ جَدّه وأَبيه وأَخباره. وكان لقبُه عُدّة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله.

وفى هذه السنة، وهى سنة ٣٧٤، بعث المنصور أَخاه يَطُوفَتَ[1] من مدينة أَشير، لمّا بلغه موتُ أَبيه، وأَمره أَن يَطوِى المراحِل الى القَيْرَوان والمنصورية بَرسْمِ القبض على عبد الله بن محمّد الكاتِب، وكان بالمهديّة؛ ونائباه على المنصورية جعْفَر بن حَبِيب، وعلى القَيْرَوان بَرْهُون العامِل؛ فصَبَّحهم يَطُوفَت سَحَرَ يوم الثلاثاء منتصف المحرّم. فنظر يَطُوفَت الى الخزائن مُغْلَقةً وإِلى بيت المال *مُقْفَلاً؛ فأَخذ المفاتيح، وفتح بيت المال وبيت السلاح، وفرّق على أَصحابه؛ وركّب من كان مُتَرَجِّلاً من الصِّنْهاجيّين بالمنصوريّة. ثمّ خرج، والتقى مع عبد

P. ٢٤٩

[1] Vocalisation fournie par B.

الله الكاتب فى بعض الطريق، فوثب عليه، وأرْجَلَه عن فرسه، وانْتُهِبت أسبابُه، واعْتُقِل بالمنصوريّة أيّاماً. ثمّ أمر المنصور بإطلاقه. ورَفَعَ يَدَه عن البلد. ثمّ عاد الأَمرُ الى عبد الله، فأمر بالقُضاة ووُجوهِ الناس من شيوخ القَيْرَوان وغيرهم، وتوجّه معهم برسم التَّهْنِئَة والتَّعْزِيَة للمنصور. فوصلوا اليه، وسلّموا عليه بمدينة أشير. فقال لهم المنصور: «لقد شَقَّ علىّ تَعَبُكم فى حَرَكتكم، غَيْرَ أنّ سُرورى فى رُؤْيَتِكم.» ثمّ شكر عبدَ الله الكاتبَ، وذَمَّ فِعْلَ أخيه بـه، ثمّ أمر عبدَ الله الكاتبَ أن يدفـع للوافدين عليه عشرة آلاف دينار ضِيَافةً[1]. فدَعَوْا له، وانصرفوا. ثمّ استدعاهم بعد ذلك، وقال لهم: «إنّ أبى وجدّى أخذا الناسَ بالسيف قَهْراً، وأنا لا آخُذُهم إلّا بالإحسان. وما أنا فى هذا المُلْك ممّن يُوَلَّى بكتاب ويُعْزَل بكتاب، لأنّى ورثْتُه عن آبائى وأجدادى، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حِمْيَر!» [2]أو كلاماً هذا معناه[2]، ثمّ أمرهم بالانصراف مع عبد الله الكاتب، فكانت مدّة مَسيرهم ورجوعهم خمسة وثلاثين يوماً.

وفى رجب، قَدِمَ المنصور الى رَقّادة، فتلقّاه عبدُ الله الكاتب فى خَلْق عظيم من أهل القَيْرَوان، فأظهر للناس الخَيْرَ، ووعدهم بكلّ جميل. وأتاه العُمّال بالهديّة والأموال، وأعطاه عبد الله هدايا جليلةً. ثمّ أخذ المنصور فى جِهاز هديّةٍ بعثها الى مِصْرَ مع زَرْوال بن نَصْر. فقيل إنّ قيمة ما كان فيها من الأمْتِعة والدوابّ والطُّرَف[3] ألفُ ألفِ دينار عَيْناً. وأقام المنصور برَقّادة، فأمر بعمل سَرْج مكلّل بالدُّرّ والياقوت، فخرج به الى العيد فى أحسن زىّ، وخرج اليه من القَيْرَوان *خلْقٌ عظيمٌ، فصلّى بالمُصَلّى، وخطب القاضى ابنُ الكُوىّ[4]، وانصرف المنصور الى قصره. ووُلِدَ له وَلَدٌ سمّاه باديس بن المنصور، ليلةَ الأَحَد لثلاث عشرة من ربيع الأوّل من هذه السنة.

وفيها، أعطى المنصور لأخيه يَطُوفَت العساكرَ، ووجّهه الى مدينتى فاس

---

1) A. ضيافتهم. 2—2) A. وكلام فى هذا المعنى كثير.

3) Manque dans B. 4) A. [illegible]

وسجلماسة، يطلب ردّها وردّ تلك البلاد الغَرْبيّة، إذ كانت خرجت عن طاعة صِنْهاجة عند وفاة أبى الفُتوح؛ فوصل الى مدينة فاس. وكان بها زِيرى بن عَطِيّة الزناتىُّ المُلَقَّب بالقَرْطاس [1]. فلما أحسّ بوفادة يَطُّوفَت بن أبى الفتوح، عاجَلَ بالخروج اليه والهجومِ عليه، فقاتله قتالاً شديداً، حتى انهزم يَطُّوفَت. وظفرت زَناتة بِصنْهاجة، فاتّبعوهم. وقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً، وأسروا آخرين؛ وهرب الباقون الى تيهَرْت. وهزم فى هذه الوقعة قائدان له، اسمُهما ابنُ شعبان وابن عامِل؛ فسُمِّرَ ابنُ شعبان على باب فاس؛ وقُتِلَ ابنُ عامِل شَرَّ قِتْلةٍ. وبقى زِيرى بن عَطِيّة مالِكاً لفاس وما حَوْلَها. ولما بلغ المنصور هزيمةُ أخيه، من المنصوريّة يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من ذى الحجة برسم الغَرْب، خرج ومعه عبدُ الله الكاتِب؛ واستخلف عبدُ الله على القَيْرَوان ابنَه يوسف؛ ثمّ رجع عبدُ الله بعد ذلك بعِمالةِ إفريقية كلّها. وبعث المنصور الى أخيه يَطُّوفَت بجيش آخر، فتلقّاه بتيهَرْت. ولم يتعرّض المنصورُ بعد ذلك الى بلاد زَناتة.

وفى سنة ٣٧٥. أمر ابو الفَتْح المنصور أن يُعْمَلَ بالقَيْرَوان [2] أبوابٌ من حديد، وأمر ببناء قصره الكبير. [3] وفيها، كان مَوْلِدُ أبى علىّ منصور (وقيل: المنصور) ابن نِزار العزيزِ بالله، بمدينة القاهرة، فى يوم الخميس لسَبْعٍ بَقِين من ربيع الأوّل [3].

وفى سنة ٣٧٦، ظهر أبو الفَهْم الخُراسانىُّ الداعى؛ واجتمع اليه خَلْقٌ كثيرٌ من كُتامة. وكان يوسف بن * عبد الله الكاتب قد أعطاه مالاً وخَيْلاً؛ فتوجّه P. ٢٥١ بذلك لبَلَد كُتامة، فدعاهم، فأجابوه. وتقرّرَتْ [4] أمورُه عندهم، حتّى صار يركب الخيل. ويجمع العساكر. ويعمل البنود، ويضرب السِكّة؛ فعظم أمرُه، وشاع خَبَرُه. وفيها، جدّ يوسف بن عبد الله الكاتِب فى بناء قصر المنصوريّة للمنصور أبى الفَتْح، فبلغ إنفاقُه فيه قبل تمامِهِ مائةَ ألف دينار.

---

1) A et B. آقرطاس. 2) A. بجامع القيروان.

وفى سنة ٣٧٧، وصل المنصور أبو الفتح صاحبُ إفريقية الى المنصوريّة؛ فنزل فى قصره الذى بُنِيَ له؛ وأتى معه عبدُ الله الكاتب وجميعُ[1] عساكره، ووجوهُ بنى عمّه ورجاله. وفى هذه السنة، كان مَقتَلُ عبد الله الكاتب وابنه يوسف؛ وذلك أنّ عبد الله بن محمّد الكاتب بلغ مع المنصور بن أبى الفتوح ما لم يَبلُغه أحَدٌ من قرابته وأهلِ بيته ودولته؛ وانحصرَتْ أمورُه كلّها تحت قَبْضَته، فجمع الأموال، ورتّب الاحوال[2] والأعمال. وأعطى السياسةَ والرياسةَ حقّها. فحسده كُبَراء أهل الدولة، وألقى عنه حَسَنٌ ابنُ خالَتِه الى المنصور أموراً من القَدْح فى دولته، وأنّه كان السَّبَبَ فى خروج الداعى الثائر أبى الفَهْم بكتامة، وأنّه كان يُصغِّر خَبَرَه حتّى تَفاقَمَ أمْرُه، وغير ذلك من الأسباب المُهْلِكات. وكان عبد الله الكاتبُ، لِثِقَتِهِ بنفسه، لا يُدارى أحداً من أولاد زيرى ولا أكابِرِ الدَّوْلة. فلما أحَسّوا من المنصور بَعضَ التغيُّر عليه، أكثروا من «اعتزِل عن عَمَل إفريقية، واقتَصِرْ على الكتابة! وكلُّ من تولّى مُتَصرِّفٌ بين يديك وتحت أمرك!» فكان جوابُه أن قال: «القَتْلة ولا العُزْلة!» فلما كان يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ من رجب، غَدَا الى دِيوانٍ كان قد بناه؛ فجلس فيه لانتظار رُكوب المنصور، وبيده جُزْءٌ من القُرْآن، يقرأُ فيه، حتّى قيل له: «قد رَكِبَ!» فأطلقه، وركب فَرَسَه برَسْم لقائه، وهو يقول [طويل]:

P. ٢٥٣ *وَمَنْ يأمَنِ الدُّنيا يكُنْ مِثْلَ قابِضٍ   على الماء خَانَتْهُ فُروجُ الأصابِعِ

فلما وصل اليه المنصور، نزل عبدُ الله اليه، وسلّم عليه؛ ثمّ وقف؛ فدار بينهما كلامٌ كثيرٌ، لم يقف أحَدٌ على صِحّتِهِ؛ ثمّ طَعَنَهُ المنصورُ برُمحه؛ فجعل أكمامَه على وَجْهه، وقال: «على مِلّة الله ومِلّةِ رسولِه!» لم يُسْمَع له غيرُ ذلك. وضربه عبدُ الله أخو المنصور برُمْح بين كَتِفَيْه؛ فسقط الى الأرض ميّتاً. ثمّ أوتِيَ بابنه يوسف؛ فضربه المنصورُ ومَاكْسَنُ بن زيرى؛ فسقط ميّتاً. وكان عبد الله، لما تنكّر له المنصور، لا يزال يتمثّل بهذا البيت [طويل]:

---

1) A. وجموع.   2) Manque dans B.

أَرَى أَلْفَ بانٍ لا يَقُومُ لِهادِمٍ   فَكَيْفَ بِبانٍ حَوْلَهُ[1] أَلْفُ هادِمِ.

وكان يتمثّل أيضاً بقوله [كامل]:

لى مُدَّةٌ لا بُدَّ أَبْلُغُها   حتّى إذا قَضَيْتُها مِتُّ

لَوْ صارَعَتْنى الأُسْدُ ضارِيَةً   لَصَرَعْتُها ما لَمْ يَجِ الوَقْتُ.

ولما مات عبدُ الله وابنُه، دار العسكرُ على الناس؛ فانتهبوهم، وسلبوهم، وقطعوا الطُرُقَ؛ فأخذوا كلَّ من وجدوا من المُسافِرين وغيرِهم، ومالوا الى وادى القصّارين وإلى باب تونُس، أحَدِ أبوابِ القَيْرَوان؛ فنهبوا ما كان عند القصّارين؛ فذهبَتْ فى ذالك اليوم أموالُ المسلمين، وقُتِل خَلْقٌ ممّن دافع عن نفسه وماله. ودُفِن عبدُ الله فى الإِصْطَبْل دُونَ غَسْلٍ ولا كَفْنٍ. وولى أعمالَ إفريقية من قِبَلِ أبى الفتح المنصورِ يوسفُ بن أبى محمّد؛ وكان عامِلاً على قَفْصة؛ فأعطاه البنودَ والطبولَ وخلع عليه، وولّاه إفريقية مكانَ عبد الله، يومَ الخميس لخمس بَقِينَ من شعبان من السنة المؤرَّخة.

وفى سنة ٣٧٨، تحرّك أبو الفتح المنصورُ بعساكره الى بلاد كُتامة. فمرّ على مِيلة، وأمر بخرابها، وهَدَم سورَها، وأمر أهلها بالمَسِير منها الى باغاية؛ فاجتمعوا وساروا اليها. فلقِيَهم ماكْسَن بن زِيرِى بعسكره؛ فأخذ ما كان معهم من *مال وغيره. وكان المنصورُ فى هذه الحرَكة لا يمرُّ بمَنْزِلٍ ولا قَصْرٍ ولا دارٍ إلّا أمر بهَدْمه. ولما وصل المنصور الى كُتامة، حارَبُوه؛ فظفر بهم، وقتلهم، واستأصلهم. وهرب الثائرُ أبو الفَهْم الى جَبَلٍ وَعْرٍ؛ فأرسل اليه المنصورُ مَنْ أخذه. فلما صار بين يديه، أمر به؛ فلُطِمَ لَطْماً شديداً، ونُتِفَتْ لِحْيَتُه، حتّى أشرف على الموت.

P. ٢٥٣

مَقْتَل الثائر أبى الفَهْم

وذلك أنّه، لما صار بين يدَيْه، وعمل به ما تقدّم ذكرُه، أمر بخروجه، وقد

بقيت فيه حُشاشةٌ من الرُوح. فأخـذه بعضُ رجاله، فنحره، وشقّ بطنه، وأُخرِجَتْ كَبِدُه، فشُوِيَتْ وأُكِلَتْ. وأخذه عبيدُ المنصور، فشرّحوا لحمَه، وأكلوه، حتّى لم يَبْقَ إلّا عِظامُه مُتجرِّدةً، وذلك يومَ الثلاثاء لثلاث خَلَوْنَ من صفر. وقُتِلَ بسببه وَالِي مِيلة وجماعةٌ من كُتامة. ونزل بكُتامة الذُلُّ والهَوانُ. وبقيَتْ مِيلة خَراباً. ثُمّ عُمِّرَتْ بعد ذلك. ورحل أبو الفتح المنصورُ قافِلاً الى المنصورية والقيْرَوان. وفى هذه السنة. دخل الوادى الى المنصورية وهدم دُورَها.

وفى سنة ٣٧٩. وصل الى المنصور سعيدُ بن خَزْرُون الزَّناتىُّ من الغَرْب، فأعطاه، وأرضاه، وقال له يوماً: «يا سعيد! هَل تعرف من هو أكرم مِنّى؟» قال: «نعم!» قال!» «ومن هو؟» قال: «أَنا!» قال له المنصور: «ولِمَ ذلك؟» قال: «لأنّك جُدتَ علىّ بالمال. وجُدتُ أنا عليك بنفسى!» فولّى سعيداً هذا مدينة طُبْنة. وقَدِمَ عليه بعد ذلك جماعةٌ من الزَّناتيّين، فأكرمهم، وأعطاهم، وزوّج المنصورُ ابنتَه من وَرُو بن سعيد.

وفى هذه السنة، خالَفَ أبو البَهار بن زِيرِى، فزحف اليه المنصورُ الى تِيهَرْت، ففرّ أبو البهار أمامه الى الغَرْب. ودخـل عسكرُ المنصور تِيهَرْت، فنهبوا وقتلوا، ثمّ أمّنهم بعد ذلك. ورجع المنصورُ عن تبع عمّه أبى البَهار، وولّى على تِيهَرْت أخاه يَطُّوفَت ومضى المنصورُ الى مدينة أَشِير. وكتب P. ١٨٧ أبو البهار الى ابن أبى عامِر، يسألُه الدخول فى طاعته، وأن يكتب له الى زِيرِى بن عَطِيّة الزَّناتىّ صاحبِ فاس أن يكون عنه، وكان ابن عَطِيّة مُوَالِياً ومُصَافِياً لابن أبى عامِر، فكتب ابنُ أبى عامر الى أبى البَهار: «إن كنتَ على نيّةٍ فيما وصَفْتَه عن نفسك، فأَرْسِلْ الىّ ابنكَ، يكونُ رَهِينةً عندى، وأفعلُ معك[1] ما أَحْبَبْتَه.» فوجّه اليه ابنَه فى مَرْكَبٍ مع مَيمون المعروف بابنِ الدّابّة كاتِبه. فعُطِبَ المَرْكَبُ، وماتا جميعاً فى البحر. فوجّه اليه ولدَه الآخر، فوصل اليه، فوجّه ابنُ أبى عامِر

1) A. لك

لأبى البَهار أموالاً وكُسًى، وكتب الى زِيرى بن عَطِيّة فى حقّه أن يُعاضِده، ويَنْصِره[1]، ويكونَ معه. فلما بلغ ذلك أبا البَهار، وصل الى فاس. واتّفق مع زِيرى بن عَطِيّة صاحِبِها.

وأمّا العامِلُ على إفريقية، يوسفُ بن أبى محمد المتقدِّم الذكر، فكان مُشتغِلاً بالأكْل والشُرْب؛ فإذا دخل الوَرْدُ، اصطبح عليه؛ فلا يَظْهَرُ حتّى يَفنى الوَرْد وينقطِعَ. وكان يجلسُ فيه، وينامُ عليه؛ فسُمِّىَ شَيْخَ الوَرْد. وأسلم الأمورَ لابن البُونى؛ فكان أهلُ الحاضرة معه فى أمنٍ وعافيةٍ. وأهلُ البادية فى عَذابٍ وغَرامةٍ. وكان جبّاراً عَنِيداً. وسَمْحاً جَوَاداً؛ وكان يخرج فى كلّ سنة. فيدورُ على كُوَر إفريقية، ويُجْبى الأموال، ويأخذ الهدايا من كلّ بلد، ويرجع. قال الرَّقيق: كُنّا إذا دُرْنا مع يوسُف بن أبى محمد على البلدان، واستطاب موضعاً، وأعجبه حُسْنُه، أقام فيه مُصْطَبِحاً الشَّهْرَ والشَّهْرَيْن. وأبو الحسن البُونىُّ يُجْبى الأموال، ويقبض الهدايا. ويقوم بأمور أخِلّة[2] يوسف وعسكره. وكان يعطى لخاصّة يوسف فى كلّ يوم خمسةَ آلاف دِرْهَم، وينفق على يوسف لمَطْبختِه وفاكِهَتِه نَحْوَ هذا المال المذكور.

٣٥٥ وفيها، تُوفّى عامِلُ صِقِلّية عبدُ الله بن محمد بن أبى الحسن. وولى ابنُه يوسف؛ فكان الناسُ فى أيّامه على أفضل ما يَشتهون؛ واستقامت له الأمور، وأداخ بلاد الروم، وظهر من كرمه وجوده وعدله ما هو معدومٌ فى كثير من البلدان.

وفى سنة ٣٨٠. تُوفّى المَرْصَدىُّ، صاحبُ خَراج القَيْرَوان. وأمر أبو الفَتْح المنصور بولاية محمّد بن عبد القاهر بن خَلَف الخَراجَ مع سَلامة بن عيسى؛ فجَلَسَا معاً فى ديوان خَراج المنصوريّة.

وفى سنة ٣٨١. تُوفّى القائدُ جَوْهَر بمِصْرَ؛ وهو الذى فتحها. فلم يَبْقَ شاعِرٌ بمِصْرَ إلاّ رَثاه. وذكر ما فتحه شَرْقاً وغَرْباً. وفيها؛ وصل المنصورُ الى

---

[1] B. ينصره.   [2] A. خلة. Dozy, *Corr.* p. 27 propose de lire دَخْلة.

المنصوريّة، ودخل قصره الجديد؛ فخرج اليه أَهْلُ القَيْرَوان، يتلقّونه؛ فأَدناهم، وأثنى عليهم، ووعدهم خيراً. ثمّ رُفِـعَ له فى عَبْدٍ من عَبيده أنّـه قذف بعض الصّحابة – رضهم –؛ فأمر بقتله وصَلْبِ جثّته، ونُودِىَ على رأسه بمدينة القَيْرَوان.

وفى سنة ٣٨٢، طُهِّر أبو مَناد باديس بن أبى الفَتْح المنصور بنصر والله، وأَهْدَى[1] اليه جماعةٌ من الناس على قدر أحوالهم. وفيها، ترك المنصور البقايا للرّعايا. وفيها، قبض على البُونىّ وابنه، وطلب منهما مالاً كثيراً؛ فأنكراه؛ وكان المنصور قدّر أنّه يأخُذُ منهما أموالاً يفتخر بها على أضيافٍ كانوا عنده فى يوم طَلَبها، وقال لهم: «لو أنّ عَبْداً من عَبيدى[2] طُلِبَ منه بيوتُ مالٍ، لَوُجِدَ ذلك عنده!» فصادَفَ إنكارُ البُونىّ ذلك المَحَلَّ؛ فأمر بذبحِ البونىّ. وعزل يوسف بن أبى محمّد عن عِمالةِ إفريقية، وولّى مكانَهُ محمّدَ بن أبى العَرَب[3] الكاتب. وفيها، وصل سِجِلٌّ من العزيز بالله بولاية العَهْد لأبى مَناد باديس بن المنصور؛ فسُرَّ المنصورُ بذلك، وجاءته الهَدَايا من البُلْدان، ومن كلّ جهة ومكان. وفيها، كان وصولُ سعيد بن خَزْرُون من مدينة طُبْنة الى المَنْصُوريّة؛ فلَقِيَه المنصورُ، وعانَقَه؛ ثمّ دخل معه * الى قصره، وأنزله، وأجرى عليه الأرزاق الواسعة. فاعتلّ سعيد بن خَزْرُون أيّاماً، ومات فى أوّل رَجَب؛ فكفّنه المنصور بسبعين ثَوْباً. وفى هذه السنة، وصلت هَدِيّةٌ من بَلَد السُودان، فيها زرافةٌ؛ فخرج المنصور حتّى دخلَتْ بين يَدَيْه. وفيها، وصل الى المنصور فُلْفُل بن سعيد بن خَزْرُون بعد موت أبيه؛ فأعطاه ثلاثين حِملاً من المال، وثمانين تَخْتاً من أنواع الكِسَى، وخيلاً بسُروج محلّاة، وعشرة من البُنود الجُدُد المُذَهَّبة، وردّه الى مدينة طُبْنة أميراً عليها.

P. ٢٥٦

وفى سنة ٣٨٣، خرج باديس بن المنصور الى مدينة أَشِير. وفيها، وصل الى المنصور كتابُ أخيه يَطُّوفت، يُخْبِره بوصول عمّه ابى البَهار اليه؛ فكتب اليه

---

1) A. وأسدى Dozy a lu à tort وأسدى الى جماعةٍ de même, au début de la

المنصور أن يبعثه، فكان وصولُ أبى البهار الى المنصوريّة ليلة الاثنين مُنْتَصَفَ شعبان، فأعطاه المنصور كسًى، وجوارِى، وفُرُشاً، وسُرَّ به أعْظَمَ سُرورٍ، وأنزله أحْسَنَ نُزولٍ.

وفى سنة ٣٨٤، كان دخولُ أبى مَناد باديس بن المنصور الى المنصوريّة من جهة الغَرْب، وهى أوّل حَرَكة، فتلقّاه أبوه بالعساكر وأهل القَيْرَوان وغيرهم. وفيها، كان وصولُ الهَدِيَّة من مِصْرَ مع جَعْفَر بن حَبيب، ومعه فِيلٌ عظيمٌ.

وفى سنة ٣٨٥، مات الأمير عبد الله بن يوسف بن زِيرِى بن مَناد. وفيها، كان خروجُ القائد يوسف بن أبى محمّد عامِلاً على مَتّيجة. وفى جُمادى الأخيرة، وصل قاسم بن حجّاج الى المنصوريّة من مِصْرَ بروؤس الروم الذين قتلهم مارِقٌ الكُتامىُّ بحَلَب.

وفى سنة ٣٨٦، تُوفّى أبو الفَتْح المنصورُ عُدَّةُ العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله بن زِيرِى بن مَناد الصِّنْهاجىُّ فى يوم الخميس لثلاث خَلَوْنَ من ربيع الأوّل، ودُفِنَ بقصره الجديد الخارج عن المنصوريّة. وكانت أيّامُه أحْسَنَ أيّام.

إمارة أبى مَناد باديس بن أبى الفَتْح بن أبى الفُتوح يوسف بن زِيرِى بن مَناد ٢٥٧

ولمّا صارت الأمور اليه، أتاه الناس من كلّ ناحية بإفريقية للعزاء[1] والتهْنِئَة. وكان بنو زِيرِى وبنو حَمامة قد همّوا بأمورٍ، وخالفوا[2] على من كان معهم[2] على ما عقدوه، فما تركهم عَبيدُ باديس وعَبيدُ أبيه الى شىء ممّا أرادوه. ووصل أبو بيباش[3] يَطُّوفَت بن أبى الفُتوح الى المنصوريّة للعزاء والتهْنِئَة، ثمّ رجع الى طُبْنة وجِهَةِ الغَرْب فى أواخر شعبان. وفى هذه السنة، تُوفّى أبو

1) A. et B.: الغزاة

المنصور نِزار العَزيز بالله العُبَيْدىّ صاحبُ مِصْرَ فى حَوْض الحمَّام، وكانت به عِلّةُ الحَصَا، وشرب دواءً فى الحوض، وأدركه أجَلُه فيه، فمات. وولى مكانَه أبو علىّ، وَلِىُّ عهده، المُلَقَّبُ بالحاكم بأمر الله. وكان أبو مَناد قد هيَّأَ هديّةً ليبعثها للعزيز، فبرزت الهديّةُ من المنصوريّة الى رَقَّادة مع جعفر بن حبيب لِستّ خَلَوْنَ من رمضان. وكان العزيز بالله قد بعث سِجِلاًّ الى أبى مَناد، يأمره فيه برفع القاضى محمّد بن عبد الله بن هاشم الى مِصْرَ، فوصل السِّجِلُّ، والقاضى مريضٌ، فأمره أبو مَناد بالخروج مع الهديّة، فاعتذر بعلّته، فبعث الى دار محمّد بن أبى العَرَب [1] وجماعة رجال الدولة، وذلك لثلاث خَلَوْنَ من ذى القعدة، ووقف العسكر بباب أبى الربيع وظنّوا أنّ أهل القَيْرَوان يمنعه منهم، ويَحُولون بينه وبينهم، فهجموا عليه، وحملوه بِبِساطه الذى كان مريضاً عليه فى ثيابه التى يلبسها فى داره، لأنّهم فاجَؤوه. وخرجوا به محمولاً، وقد اجتمع عند داره خلقٌ عظيمٌ، ولم ينطق أحَدٌ منهم. ومشوا به الى رَقَّادة، وخَلْفَه غُلامٌ نصرانىٌّ يُمْسِكُه، وأولادُه *وقرابتُه يمشون خَلْفَه. واغتمّ بمسيره سائر الناس، وظهر عليهم الحزنُ والأسفُ لفقده. وكَثُرَ الدعاءُ له والثناءُ عليه. ثمّ جاءت الأخبار بوفاة العزيز بالله، فأمر أبو مناد برجوعه الى داره مُكَرَّماً مُعَظَّماً. وفى هذه السنة، مات أبو محمّد بن أبى زيد — رحمه الله!

P. ٢٥٨

وفى سنة ٣٨٧، تواترت الأخبار بموت العزيز بالله. وفيها، رجع القاضى الى داره، وهو مريضٌ، فازداد مقدارُه عند الناس. وفى صفر، عقد أبو مَناد ولايةَ أشير لحمّاد بن أبى الفتوح يوسف بن زيرى بن مَناد، فخرج عاملاً عليها، وأعطاه خيلاً كثيرةً وكسىً جليلةً، ثمّ اتّسعت عمالتُه، وكثرت عساكرُه، وعظم شأنُه. وفى ربيع الآخر، وصل القاضى الباهرىّ من مِصرَ الى المنصوريّة، فبرز أبو مَناد بعساكره عليه، وخرج بجميع رجاله اليه، فرأى ما لم يرَ مثله. ووصل المذكورُ بسِجِلَّيْنِ، فقُرِئَا بجامع القَيْرَوان والمنصوريّة: أحَدُهما بولاية أبى مَناد،

---

1) B. ابن العربى.

وتَلْقِيبِه نَصِير الدولة، والثانى بوفاة العزيز بالله وخلافةِ الحاكِم بأَمر الله، والجواب عن وفاة المنصور عُدَّة العزيز بالله. وكان معه سِجِلٌّ ثالثٌ بأَخْذ العَهْد على باديس وجماعة بنى مَناد للحاكِم. فجلس أَبو مَناد ودعا وجوهَ الصِّنْهاجِيّين وأَخذ عليهم البيعة. ثمّ رجع القاضى الشريف الباهِرىُّ الى مِصْرَ، بعد أَن وصله أَبو مَناد بمال جليل. وفى هذه السنة، خرج نَصِير الدولة الى المُصَلَّى بِزِىٍّ جليلٍ، وهَيْئَةٍ حَسَنةٍ، وبين يَدَيْه الفِيلُ، وزرافتانِ، وجَمَلٌ أَبيض ساطعُ البياض، لم يَرَ الناس مثله قَطُّ.

وفى سنة ٣٨٨، وصلت الى نَصِير الدولة هَدِيَّةٌ من مِصْرَ تشتمل على الجَوْهَر والأَعلاق النفيسة؛ فتلقّاها، ودُخِلت بين يدَيْه الى المنصوريّة. وفيها، كانت وقعةٌ بمِصْرَ بين التُّرْك والكُتاميّين، وكان الظفرُ للتُّرْك عليهم.

وفى سنة ٣٨٩، زحف * زِيرِى بن عَطِيَّة صاحبُ فاس وما والاها من بلاد الغَرْب الى مدينة تِيهَرْت؛ فنزل عليها وحاصرها. وكان يَطُّوفَت بن يوسف بن زِيرِى صاحبَها؛ فكتب الى ابن أَخيه أَمير إفريقية، يستمدّه؛ فبعث اليه محمّد ابن أَبى العَرَب. P. ٢٥٩

ذكر هزيمة عسكر إفريقية،
واستيلاء زِيرِى بن عَطِيَّة عليه، وظهورِ زَناتة على صِنْهاجة

لمّا وصل كتابُ يَطُّوفَت إلى باديس نَصِير الدولة، أَمر نَصِيرُ الدولة محمّدَ ابن أَبى العَرَب الكاتبَ بالخروج بالعساكر الى زَناتة؛ فكان تبريزُه فى مُنْتَصَف صَفَر من هذه السنة. ونهض بالعساكر حتّى بلغ أَشير، وبها حَمّاد بن يوسف بن زِيرِى، عاملاً عليها، ومعه عسكرٌ عظيمٌ؛ فأَقام بها يسيراً؛ ثمّ رحل، ورحل حمّاد معه بعسكره، حتّى وصلا الى تِيهَرْت؛ فاجتمعا بيَطُّوفَت، ومعه أَيضاً عسكرٌ عظيمٌ؛ وكان اجتماعُهم بتِيهَرْت غُرَّةَ جُمادى الأُولى. وكان بتِيهَرْت زِيرِى بن

عطيّة نازلًا بموضع يُقال له آمَسَّار[1]، على مرحلتَيْن من تِيهَرْت؛ فزحفوا اليه. فكانت بينهم حربٌ شديدةٌ وكان مُعْظَمُ عسكر حَمَّاد الوتَلْكاتيّين[2]؛ وكان قد أساء عِشْرَتَهُم. فلما حَمِيَ الوَطيسُ واشتدَّ البأسُ، وَلّوا مُنْهَزِمين؛ فاتّبعهم جميعُ العساكر الإفريقيَّة. فرامَ ابن أبي العَرَب رَدَّ الناس؛ فلم يقدر؛ فولّت الهزيمةُ على الجميع، حتّى وصلوا الى أشير، وقد أسلموا مَحَلّاتِهم ومَضارِبَهم، وكلَّ ما فيها من الأموال والسلاح وغير ذلك؛ فاحتوى زِيرِى بن عَطِيَّة وإخوانُه على جميع ما ذكرنا. وقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ، وأُخِذ أسارى كثيرةٌ؛ فوعدهم بجميل، ثمّ أطلقهم عند وصوله الى تِيهَرْت؛ فمضوا حتّى وصلوا الى * أشير. وبقى ابن أبي العَرَب وحَمَّاد ويَطُّوفَت بأشير. وبقى زِيرِى بن عَطِيَّة الزناتىّ على تِيهَرْت. وكانت هذه الوقعة والهزيمة يومَ السبت لأربع خَلَوْنَ من جمادى الأولى من هذه السنة. ووصل الخبر الى المنصوريَّة لعشر بَقِينَ منها؛ فخرج نَصيرُ الدولة صاحبُ إفريقية من المنصوريَّة للقاء زِيرِى بن عَطِيَّة يوم السبت لليلتَيْن خَلَتا من جُمادى الآخِرة، ورحل حتّى وصل الى طُبْنة؛ فبعث فى طلب فُلْفُل بن سعيد بن خَزْرون الزَّناتىّ؛ وكان على طُبْنة؛ فخاف منه، وبعث يعتذر له، ويسأله أن يكتب له سِجِلًّا بولاية طُبْنة؛ فكتبه له، وبعث به اليه؛ ورحل عنه نَصير الدولة بَادِيس. وتمادى فى رحيله. فلما بلغ فُلْفُلًا أنّه قد أبعد عنه، ضرب على جِهَةٍ من جهاته؛ فأكل ما حَوْلها، ونهب، وأفسد، ومضى الى باغاية؛ فناصَرَها، وأفسد تلك الجهاتِ كلَّها، وأكل ما وَالاها، ونَصيرُ الدولة فى هذا كُلِّه مُتَمادٍ على سيره، حتّى وصل أشير. ولما وصل الى المَسِيلة، رحل زِيرِى بن عطِيَّة عن تِيهَرْت. فصمَّم اليه نَصير الدولة. ثمّ وصله الخبر أنّه توجَّه الى ناحية فاس؛ فعند ذلك رجع نَصير الدولة الى تِيهَرْت وأشير؛ واستخلف يَطُّوفَت على تِيهَرْت ابنَه أيُّوبَ فى أربعة آلاف فارس. وبلغ نَصيرَ الدولة ما فعل فُلْفُلُ ابن سعيد؛ فأرسل من أشير عساكِرَ تقدَّمت اليه؛ ثمّ رحل بَعْدَهم. ومعه أبو

البَهار بن زيرى، حتّى وصل الى المَسيلة. فعيَّدَ بها عِيدَ الفِطْر. ووصل الى أبى البهار فيه الخَبَرُ بأنّ إخوَتَهُ ماكْسَن وزَاوى ومَغْنين نافقوا بأشير، وأنّهم قد قبضوا على يطُوفت؛ فرحل أبو البَهار هارباً فى بنيه ورجاله وعياله. ورحل نَصيرُ الدولة ثالِثَ شوّال الى إفريقية. فلما بلغ الى بَلَزْمة، بلغه أنّ فُلْفُل بن سعيد تمادى الى القَيْرَوان؛ فرحل الى باغاية؛ فعرّفوه ما قَاسَوْهُ * من قتال فُلْفُل وأنّه حاصرهم P. ٢٦١ خمسة وأربعين يوماً؛ فرحل من باغاية فى طلب فُلْفُل؛ فالتقى معه لعشر خَلَوْنَ من ذى القعدة؛ فكانت بينهم حروبٌ لم يُسْمَعْ بمثلها. وكان قد اجتمع لفُلْفُل من البَرْبَر[1] ما لا يُحصى عَدَداً وكثرةً[1]؛ فانهزم فُلْفُل الى جَبَل الحناش، [2] حَسَبَما اذْكُرُه[2]؛ واتّبعته صِنْهاجة والعَبيد. فلما رأوه تمادى مُنْهَزِماً، رجعوا عنه، ونهبوا محلّته. وقُتِلَ فى ذالك اليوم نَحْوُ سبعة آلاف من زَناتة. وأرسل نَصير الدولة كتاب الفتح الى مدينة القَيْرَوان.

وفى سنة ٣٩٠، خرج نَصير الدولة فى طَلَب فُلْفُل بن سعيد. فلما علم فُلْفُل انّه لا طاقة له بلقائه، هرب الى الرّمال، وافترق جَمْعُه. فرجع نَصير الدولة الى إفريقية، ومعه أبو البَهار بن زيرى، وقد اعتذر له ممّا فعل إخوانه؛ فقَبِل عذره. ثمّ رجع فُلْفُل الى إطْرابُلُس، وتمادى نَصير الدولة الى أن وصل قَصْرَ الإفْرِيقِيّ؛ فبلغه حينئذٍ أنّ بنى زيرى رجعوا الى الغَرْب خوفاً منه، وأنّه لم يَبْقَ مع فُلْفُل منهم سوى مَاكْسَن وابْنِهِ مُحْسِن؛ فرجع نَصير الدوله الى المنصوريّة حَضْرَتِهِ. وفى أوّل رجب من هذه السنة، خرج نَصير الدولة الى رَقّادة، متوجّها لقتال زيرى بن عَطِيّة الزّناتى أمير الغَرْب، لما بلغه أنّه أتى الى أشير. ثمّ جاء الخبر برحيل زيرى بن عَطِيّة الى الغَرْب؛ فرجع نَصير الدولة الى المنصوريّة.

وفى سنة ٣٩١، خرج نَصير الدولة فى طلب فُلْفُل ثانيةً. ووصل كتابُ يوسُف بن عامِر عامِل قَابِس، يذكر فيه أنّ فُلْفُلاً رحل الى إطْرابُلُس من على قابس لستٍّ بَقِينَ من رجب. ولما وصل فُلْفُل الى إطْرابُلُس، خرج اليه فُتُوح

[illegible]

ابن علىّ وجماعة أهلها، فتلقّوه، وأدخلوه البلد، فاستوطنها من ذلك الوقت.
وفى هذه السنة، وصل رسولُ حمّاد بن يوسف العزيز بالله، يذكر أنّه زحف الى عمّه ماكسَن بن زيرى ومن معه، فقُتل ماكسَن وَوَلداهُ محْسن وباديس بعد حروب شديدة. *وذلك بعد ثلاث خَلَونَ لرمضان المعظَّم. وفيها، تُوفّى زيرى P. ٢٦٢ ابن عَطِيَّة الزناتىّ، صاحب فاس والغرب كلّه، وذلك فى الثانى عشر من رمضان المذكور من السنة المؤرّخة، بعد قتل ماكسَن بتسعة أيّام.

بعض أخبار زَناتة ودَوْلتهم بالغَرْب الى حين ظُهور المُرابطين

وذلك أنّ زَناتة كانت تقُوم بدعوة الأمويّين، لِمَا تقدّم لهم من هِجْرة جدّهم خزَر بن صُولات، وإسلامه على يد عُثمان بن عفّان — رضه — وكانت صِنْهاجة تقُوم بدعوة العُبَيْدِيّين. ووقع بينهم حروبٌ كثيرةٌ. وقام ببلاد الغَرْب زيرى بن عَطِيَّة الخزَرىّ المغْراوىّ. وملك فاساً وغيرَها. وصار أميرَ زَناتة كلّها فى ذلك الوقت. وكان يَدْعُو لبنى أُمَيّة فى دولة هشام المؤيّد، إذ كان المُقيم لها ابنَ أبى عامر حاجبَه. وهو يُحارب أعداءه وأضداده صِنْهاجة أُمراء إفريقية. قال ابن حمّاده: وكان قد وصل الى قُرْطُبة. واجتمع مع ابن أبى عامر سنة ٣٧٩. وكان بأرض الغرْب فى خِدمته من تلك السنة ومُوالاتِه مع سَعَة مُلْكه وبُعْد صِيتِه، الى أن فسد ما بينهما سنة ٣٨٧، ووقع بينه وبين المُظَفَّر حُروبٌ يطُولُ ذِكْرُها.

قال ابن حيّان: ثمّ إنّ زيْرى بن عَطِيَة المغْراوىّ نكث على ابن أبى عامر بعد الحبّ الشديد، والوفاء الأكيد، وطعن على ابن أبى عامر سَلْبه لملك هشام. وامتعض لهشام المؤيّد، وغلبة ابن أبى عامر عليه، فأنفذ له ابنُ أبى عامر واضحاً فتاهُ فى جيش كثيف، فقاومه[1] بالمغرب. ودارت بينهم حروبٌ عظيمةٌ. ثمّ أردفه ابنُ أبى عامر بولده عبد الملك، وهبط هو الى الجزيرة الخضْراء يمدّهم بالقوّاد

---

1) Blanc dans B.

والأجناد. وبرز عبد الملك من طَنْجة الى زيرى، ودارت * بينهم حروبٌ لم P. ٢٦٣
يُسمع بمثلها فى الحروب الغابرة[1]، أَجْلَتْ عن هزيمةِ زِيرى واستئصالِ رجالِه
وحالِه. ونجا هو مُثْخَناً بالجراح. وانبسط مُلْكُ عبد الملك بن أبى عامر على
الغَرْب وما والاهُ الى سِجِلْماسة، وعلى تِلِمْسان وتِيهَرْت. وقفل الى الأَنْدَلُس
سنة ٣٨٩. واستخلف على بلاد الغَرْب واضحاً الغازى[2]، فأقام بفاس مُدَّةً،
وانصرف الى الأَنْدَلُس، وخلف على فاس عبد الله بن أبى عامر، ابْنَ أَخى
المَنْصور؛ ثمّ تَلاهُ إسماعيل بن البوُرىّ؛ ثمّ تَلاهُ أَبو الأَحْوَص مَعْن بن عبد
العزيز، وبقى فيها الى أَن تُوفّى محمّد بن أَبى عامر؛ فصرفها ابنُه عبد الملك
المظفر الى المُعِزّ بن زيرى بن عَطِيّة، وقد استحكمت ثِقَتُه به وحَسُنَ رأْيُه فيه؛
فولّاه على فاس سنة ٣٩٧، على أَن يعطيه المُعِزُّ عِدّةً من الخيل والسلاح،
يحملها كلَّ سنة الى قُرْطُبة؛ وقبض على ابنه المسمّى مُعَنْصَر رهينةً. فاستقامت
طاعةُ المُعِزّ، وأَقام ابنُه بقُرْطُبة الى أَن نشأَت الفِتْنة، وانقرضت الدولة العامِريّة؛
فانصرف مُعَنْصَر الى أَبيه، ومضى أَبوه على رأْيه فى موالاة مَنْ ظهر بالأَنْدَلُس
من المَرْوانيّة، الى أَن هلك بعد صَدْرٍ من الفِتْنة، وأَورث وَلَده حَمامة مُلْكَ
فاس وما والاها.

وقد ذكر الوَرّاق ذلك، وشرحه شرحاً كافياً، وقال: لما تُوفّى زِيرى بن
عَطِيّة فى سنة ٣٩١، أَقام بنو عَمّه ابنَه المُعِزّ مكانَه. وذكر استجداء المُعِزّ للمظفّر
ابن أَبى عامر، وإرساله اليه، وتقليدَ المظفّر له ولاية المغرب، على ما تضمّنه
من خيلٍ وسلاحٍ وغيرِ ذلك؛ ورَهَنَهُ المُعِزُّ وَلَدَيْه حَمامة ومُعَنْصَر. وذكر موت
المظفّر، وتقديمَ أَخيه عبد الرحمن لحجابة هشام المؤيّد، وبلغ المُعِزّ بن زِيرى
ذلك، فاحتفل فى هديّة عظيمة يهديها له، وذلك سبعمائة من الخيل وأَحمالٌ
كثيرةٌ من دَرَق اللَّمْط وجُمْلَةٌ كبيرةٌ من المال، والسلاح، وسائر ما بالمغرب
* من الطُّرَف؛ ووصل قُرْطُبة مع هذه الهديّة فِتْيانٌ من بنى عمّه وجملةٌ من شيوخ ٢٦٤ .

---

1) Correction de Dozy. A. et B.: الغاربة.   2) A. المغارى.

القبائل ووجوه فاس؛ فسُرَّ عبدُ الرحمن بذلك، وشكر المُعِزَّ، وسرَّح ابنَيْه اليه، بعد أن كساها، وأرضاها؛ وكتب للمُعِزّ عَهْدَه بتجديد ولاية الغَرْب كلّه إلاّ مدينة سِجِلْماسة؛ فإنّــه كان قد عقد ولايتها لواضِح الفَتَى قبل ذلك، وولاّها واضِحٌ وَانُودِين بن خَزْرُون اليَفْرَنِىّ وابْنَ عمّه زِيرِى بن فُلْفُل على مالٍ ضَمِناه اليه وعدّةٍ من الخيل والدَّرَق معلومة، وجملةٍ من المال فى كلّ سنة. ورَهَنَهُ كلٌّ واحد منهما ابْنَه. فامتثل المُعِزُّ بن زِيرِى ما أمره به عبدُ الرحمن بن أبى عامر. وبقى المُعِزُّ أميرَ الغَرْب الى أن انْقَرَضَت الدولة العامِرِيّة، ثمّ انْقَرَضَت الدولة المروانيّة وانشقّت عَصَا الأمّة، ومَرِجَ أمْرُ الناس بالأَنْدَلُس، وصار المسلمون شِيَعاً مُتَفَرِّقِينَ، يقتل بعضُهم بعضاً وينهب. وفعل أهلُ المغرب مثل ذلك؛ فكثر فيه الشتّات، وشَنَّ الغارات بعضُهم على بعض. وأقام المُعِزُّ بن زِيرِى يُدارِى أمره، الى أن حانت وفاتُه سنة ٤١٦. وولى مكانَه ابنُه ابو العَطّاف حَمَامة بن المُعِزّ بن زِيرِى بن عَطِيّة؛ وكان له حَظٌّ من المعرفة والأدَب وحسن السياسة؛ فكانت مدينة فاس فى أيّامه هادِنــةً راخيــةً؛ وكان الشعراء يقصدونه من الأَنْدَلُس. وجَرَتْ له حروبٌ كثيرةٌ الى أن حانت وفاتُه سنة ٤٣٢. وولى ابنُه دُوناس بن حَمَامة؛ فقام عليه بنو عَمّه؛ ولم يزل أمرُهم يَضْعُف، ودولتُهم تُدْبِر، الى أن قام بمدينة فاس أميرَانِ بالعَدْوَتَيْن، وكانت الحرب تقوم بينهما. [1]وجَرَتْ بين ذلك أمورٌ وخطوبٌ، لا يحسن ذِكْرُها لشناعتها، إذ الدُّوَل، إذا أدبرت، كُلُّ ما يجرى فيها يقبح ذكره[1]، الى أن شاع خبر خروج لَمْتُونة من الصَّحْراء، واستيلائهم على بلاد المَصَامِدة، [2]وخَلْعهم لملوكهم وناموس عدلهم[2]، ودخل عبد الله بن * ياسين مدينة أَغْمات وما يَليها؛ فخافت زَنَاتة، [3]وأُجفلت عن جهة الشَّرْق حيث مستقرُّها. ولما قُتِل عبد الله بن ياسين، رجعت زَنَاتة الى المغرب، وقتلوا كلَّ من اتّهموه بالميل الى أصحاب اللِّثام؛ فحارَبَهم الصحراويُون. ووجّه أبو بكر بن عُمَر يوسُفَ بن تاشُفِين؛ فحارَبَ رُؤَساء القبائل، واستفتح بلاداً كثيرةً[3].

P. ٢٦٥

1—1) Manque dans B. 2—2) Manque dans B. 3—3) Manque dans B.

وفى خلال ذلك كان الجوعُ الشديد الذى يُعْرَف «بسَنَة[1] أُوقِيةٍ بِدِرْهَمٍ» (من الدراهم الخندوسيّة)[2]، وذلك فى سنة ٤٤٤. ورجع الفَتوح بن مُعَنْصَر الزَّناتىُّ من المَشْرِق، وكسر عَسْكَرَ مدينة فاس سنة ٤٥٤. وفيها كُسِرَتْ مِكْناسة ولَوَاتة: كَسَرَهُما قائدُ أَبى بكر بن عُمَر اللَّمْتُونىّ.

وفى سنة ٤٥٤، وطِئَ بُلُجّين بن مُحَمَّد بن حَمّاد الصَّنْهاجىُّ جميع الغَرْب ودوَّخه بجيوش عظيمة.

وفى سنة ٤٥٩، دخل إبراهيم بن مليح الجَزْنائىُّ مدينةَ فاس. وأَخرج منها مُعَنْصَر بن حَمّاد الى الشَّرْق. ثمّ رجع الى فاس، وقتل كلّ من اتّهمه بالميل الى المُلَثَّمِين. ثمّ رجع يوسُف الى المَغرِب؛ وهرب مُعَنْصَر. وقتل يوسف سَدْرَاتة ودخل مدينة فاس، واستولى عليها وعلى أكثر الغَرْب. هاكذا ذَكَر أَبو مروان عَبْد المَلِك بن موسى الوَرّاق فى كتابه «المِقْباس فى أخبار فاس». وأَمّا يوسف الجَزْنائىُّ، صاحبُ مِكْناسة، فتوفّى سنة ٤١٢. وأَمّا تَوَالَى[3]، فتوفّى بالقَلْعة، وولى ابنُه مَهْدِى فى هذه السنة. وأَمّا ابن أَبى العافية إبراهيم، فتُوفّى فى سنة ٤٥٠، وولى ابنُه عبد الله؛ وكان بنو أَبى العافية أصحابَ تَسُول ومَلْوِيَّة ونَكُور، وهى المَزِمّة؛ وتُوفّى عبد الله سنة ٤٦٠، وولى ابنُه محمّد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبى العافية. وأَمّا تِلِمْسان والزّاب، فكان فيها يَعْلَى الزَّناتىُّ، ومات *فى هذا التاريخ، أو قريباً منه، وقام فيها بنوه. وما وراء الزاب من بلاد P. ٢٦٦ الغَرْب، لم يملكه العبّاسيُّون قَطُّ؛ أمّا تِلِمْسان وأَنظارُها، فوليها محمّدُ بن سليمان ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ — رضه — ومن ولده أَبو العيش عيسى بن إدريس بن محمّد المذكور. وأَمّا فاس وأَنظارُها، فكان فيها شِيعةٌ؛ ثمّ آلَ أَمرُها الى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ — رضه — وأَمّا تامَسْنا، فكان فيها أَولادُ صالح بن طَرِيف على ضلالتهم. وأَمّا سِجِلْماسة، فنزلها عيسى بن سَمْغون، رئيس الصُّفْرِيّة. فهذه هى البِلادُ المتّفقُ عليها؛ وأَمّا المُخْتَلَفُ

1) A. بسبتة. 2) B. الخدوسيّة. 3) A. تولالا.

فيها، فبإفريقية: قيل إنه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً، وبالأَنْدَلُس يوسف الفِهْرِىّ أميراً.

رَجْعُ الخَبَر الى نَسْق التأريخ. وفى سنة ٣٩٢، تُوفّى أبو طالب شيخ المُعْتَزِلة ولسانُهم، وله تسعٌ وسِتّون سنة. وفى هذه السنة، كان خروج يحيى بن علىّ بن الأَنْدَلُسىّ من مِصْرَ بالعسكر؛ فكان وصولُه الى إِطْرابُلُس يوم الجمعة لتسع خَلَوْنَ من ربيع الأوّل. وكان مُتَوَلِّى التدبير فى الوقت زَيْدَان الصِّقْلِّىّ؛ فاختلفت عليه أُمور العسكر مع سُوء عَقْله، وضُعْفِ تدبيره، ووصل الى فُلْفُل؛ فاستخفّ به، واحتقره. وفيها، فى رمضان المعظَّم، تُوفّى المنصور بن أبى عامِر، على ما يأتى فى موضعه.

وفى سنة ٣٩٣، وصل يحيى بن علىّ بن الأَنْدَلُسىّ، ومعه فُلْفُل بن سعيد، وفَتُوح بن علىّ الى مدينة قابِس؛ فحصروا عَطِيّة بن جعفر. وخرج فى تلك الأيّام الى قابِس عشرون رجلاً من الناشبة؛ فعرِّفَ بهم فُلْفُل؛ فبعث فى طلبهم؛ فلما أُتِىَ بهم، ضرب أعناقهم؛ وكان وصولُهم *اليها يوم الاثنين لأربع عشرة خَلَوْنَ من شعبان من هذه السنة. ثمّ انصرفوا راجعين الى إِطْرابُلُس. ولما رأى يحيى بن علىّ اختلال الحال عليه، ولم يَجِدْ ما يعطى لرجاله، عاد ببقيّتهم الى مِصْرَ، بعد ما أخذ فُلْفُل وأصحابُه ما أحبّوه من خيولهم، بين شراء وغَصْب؛ فلما وصل الى صاحب مِصرَ الحاكِم بأمر الله، أراد الإيقاع به؛ وبعد ذلك عفا عنه، وقَبِلَ عُذْره.

P. ٢٦٧

وفى سنة ٣٩٤، قتل الحاكِم بأمر الله مُنَجِّمَهُ البَكْرِىّ بمِصْرَ؛ وكان ضعيفَ العقل، أحمق؛ وكان له بصرٌ بالقضايا. وفيها، قتل الحاكِم جماعةً كبيرةً من وجوه رجاله، وأحرقهم بالنار. وفيها، قُتِلَ المعروف بابن خَرِيطة. وفيها، قُتِلَ ابن الغازِى المُنَجِّم.

وفى سنة ٣٩٥، كانت بإفريقية شدّةٌ عظيمةٌ، انكشف فيها السُتور، وهلك فيها الفقير، وذهب مالُ الغنىّ، وغَلَت الأسعار، وعدمت الأقوات. وجُلِىَ أهْلُ

البادية عن أوطانهم، وخَلَتْ أكثر المنازل، فلم يبقَ لها وارثٌ؛ ومع هذه الشدّة، وباءٌ وطاعونٌ، هلك فيه أكثرُ الناس من غنيّ ومُحْتاج؛ فلا ترى مُتَصرِّفاً إلّا[1] فى عِلاج، أو عيادةِ مريضٍ، أو آخِذاً فى جهاز ميّتٍ، أو تشييعِ جنازةٍ، أو انصرافٍ مِنْ دَفْنٍ. وكان الضُّعَفاء يُجْمَعون الى باب سالم[2]، فتُحْفَر لهم أخاديدُ ويُدْفَنَ المائةُ والأكْثَرُ فى الأُخْدُود الواحد؛ فمات من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يُحصى عَدَدهم [3]إلّا خالِقُهم تعالى[3]؛ وخَلَت المساجدُ بمدينة القَيْرَوان، وتعطّلت الأفران والحمّامات. وكان الناس يُوقدون أبوابَ بيوتهم وخُشُبَ سقوفهم. وجاء خَلْقٌ من أهل الحاضرة والبادية الى جزيرة صِقِلّيّة. وكانت الرُّمّانة بدِرْهَمَيْن للمريض فى ذلك الوقت، والفَرُّوج بثلاثين دِرْهماً. وقيل إنّ أهل البادية أكَلَ بَعْضُهم بَعْضاً. [4]كذا ذكر *أبو إسحاق الرَّقيق[4]. ٢٦٨

وفى سنة ٢٩٦، كثُر الخَصْبُ بإفريقية، ورخصت الأسعار، وارتفع الوباء عن الناس. وفيها، ثار بَبْرقة الوليدُ بن هِشام، وادّعى أنّه من بنى أُميّة من وَلَد المُغيرة؛ وكان ظهورُه فى العام الفارط عن هذه؛ وكان مُعَلّماً بَبْرقة؛ فرأى فى أهل بَرْقة فُرْصةً؛ فانتسب لهم وعرَّفهم أنّ عنده روايات وعِلْماً، وأنّه هو الذى يملك مِصْرَ ويقتلُ الجَبَابِرة؛ وأعانه على ذلك قومٌ من لَوَاتة وزَناتة؛ فنصبوه إماماً، واجتمعوا عليه. ثمّ أقبل البرابر من كلّ ناحية اليه؛ فزحف الى بَرْقة وحاصرها حتّى فتحها، وذلك فى رجب من العام الفارط؛ ثمّ قَوِىَ أمره فى هذه السنة؛ فأخرج الحاكِمُ اليه جيشاً؛ فكان بينهم قتالٌ شديدٌ، الى أن هُزم عَسْكَرُ مِصْرَ وقُتِل قائدُه. وفيها، تُوفّى عامِلُ إفريقية محمّد بن أبى العَرَب. وفيها، قتل الحاكِم قاضيَه وأحرقه بالنار على أكْلِه أموال الأيتام.

وفى سنة ٢٩٧، استفحل أمْرُ الثائر بَبْرقة الوليد بن هشام، وكثرت جموعه

---

1) B. بدا.   2) Manque dans B.   3—3) Manque dans B.
4—4) Manque dans B.

وأتباعُه. فأخذه الحاكمُ بالحيلة، فدعا وجوه رجاله وقُوّاده، وأمرهم أن يكاتبوه ويعرّفوه أنّهم على مَذْهَبِهِ، وأنّه، إن قرب منهم، صاروا فى جملته. فلما تواتر ذلك عليه، وَثِقَ به وزحف بكلّ من معه من قبائل البربر الى مِصْر، فخرجت اليه عساكر مِصْرَ، فهزموه، ولحق بأرض السودان. ثمّ أُخذ أسيراً وأُدخل مِصْرَ على جَمَل، فطِيفَ به بثياب مُشَهَّرة، ثمّ قُتل شَرَّ قِتْلَةٍ فى منتصف شوّال. وفيها، ولى عمالةَ إفريقية القاسم بن محمّد بن أبى العَرَب بعد موت أبيه، فأقرّ رجاله على مراتبهم، واستعان بهم.

وفى سنة ٢٩٨، تُوفّى صاحب المَظالِم بإفريقية محمّد بن عبد الله، وكانت وَطْأتُهُ قد اشتدّت على أهل الرِّيب والفساد بالضرب والقتل وقطْع الأيدِى والأرْجُل، لا تأخذه فيهم لَوْمةُ لائمٍ.

P. ٢٦ *وفى سنة ٢٩٩، هرب أولاد محمّد بن أبى العَرَب من المنصوريّة، يريدون فُلْفُل بن سعيد بن خزرُون الزَّناتىّ بإطْرابُلُس، فأرسل نَصِير الدولة الى صاحب قابِس، يأمره أن يقطع بهم، فلحق بهم المذكور، وأخذ منهم علياً ويوسف، فقطع رُؤوسهما ووجّه بها الى المنصوريّة مُنْسَلَخَ المحرّم. ووصل القاسم بعد ذلك، فعفا عنه.

وفى سنة ٤٠٠، تُوفّى فُلْفُل بإطْرابُلُس بعلّةٍ أصابَتْه. وولى مكانَه أخوه[1] وَرُّو، وأطاعَتْه زَناتة. وفيها، رحل أبو مَناد نَصِير الدولة بعساكر عظيمة الى إطْرابُلُس فى طلب زَناتة، فكان وصولُه الى ظاهر إطْرابُلُس يوم الاثنين لسبع خَلَوْن من شعبان، فتلقّاه أهْلُها مسرورين، داعيين، مستبشرين، فضُربت له فَسَاطِيطُ الديباج والقِبابُ الجليلة، ونزل، فأخذ الناسَ ريحٌ عظيمٌ خرّق جميعَ المضارب ومزّقها وذهب بها. ودخل نَصِير الدولة الى قصر فُلْفُل. وجاءت رُسُلُ وَرُّو بن سعيد أخى فُلْفُل راغبةً فى الأمان والعفو. فعفا عنهم، وأشهد بذلك على نفسه، ثمّ صدر الى المنصوريّة ظافِراً. ووصل النعيمُ بن كَنُّون وطائفةٌ

1) Manque dans A.

معه الى المنصوريّة؛ فأعطام نَصير الدولة، وأفضل عليهم أتمّ الإفضال، وأمر للنعيم بالبنود والطُّبول والبَرَاذِين والسروج، وصرفه الى البلاد التى أعطاه، وقاعِدَتُها قَصْطِيلية؛ فأقام بها مَلِكاً بالطبول والبنود والجيش.

وفى سنة ٤٠١، كان موت عزم بن زِيرِى بن مَناد بالقَيْرَوان. وفيها، تُوفّى القائد جعفر بن حبيب. وفيها، أمر الحاكِم بأمر الله بالحسين بن جوهر قائد القُوّاد وصهرِه القاضى على مِصْرَ عبدِ العزيز بن محمّد بن النعمان؛ فقُتلا جميعاً فى وقت واحد. وفى شوّال من هذه السنة، خالف ابنُ جرّاح على الحاكِم بأمر الله، [1]وبعث رُسله الى أمير مكّة يستدعيه للخلاف عليه معه، فخالف[1]؛ وتسمّى بأمير * المؤمنين. وتابعه على ذلك أهْلُ مكّة وبنو عمّه وغيرُهم؛ وتمادى أمرهم على ذلك بقيّةَ هذه السنة. وفيها، رجع أهْلُ مِصْرَ ومن كان معهم من المغاربة وغيرهم برسم التوجُّه الى مكّة – زادها الله تكريماً وتشريفاً!– وذلك عند وصولهم للقُلْزُم بلغهم ما فعل ابنُ جرّاح وأبو الفُتوح الحسن بن جعفر بن محمّد؛ فلم يَحُجّ منهم أحدٌ؛ ولم يَحُجَّ فى هذه السنة أحــدٌ من الشأم، ولا العِراق، ولا خُراسان، ولا سائر الآفاق، إلّا أهْلُ اليَمَن ونَفَرٌ يسيرٌ ممّن كان بمكّة مُجاوِراً.

P. ٢٧٠

وفى سنة ٤٠٢، قدم المنصوريّة خَزْرُون بن سعيد بن خَزْرُون الزّناتىّ، أخو فُلْفُل المتقدِّم ذِكْرُه. وكان سَبَبَ وصوله اختلافٌ جرى بينه وبين أخيه وَرُو؛ فقصد الى نَصِير الدولة؛ فقبله أحسن قبول؛ وكان معه نحو سبعين فارساً من زَناتة؛ فأنزلهم وأحسن اليهم؛ ثمّ، بعد ذلك بأيّام، أعطاه مدينةً؛ فخرج اليها بالبنود والطبول.

وفى سنة ٤٠٣، وصل الى المَهْدِيّة مَرْكَبٌ فيه هديّةٌ جليلةٌ من الحاكِم الى نَصِير الدولة بادِيس صاحبِ إفريقية، وإلى ولده منصور عزيز الدولة. فتلقّاها المنصورُ مع أهل القَيْرَوان على قَصْر الماء بالبنود والطبول؛ ووصلت سِجِلّات منه الى نَصِير الدولة بإضافة برْقة وأعمالها اليه. وفيها، تُوفّى أبو الحسن القابِسىّ،

1—1) Manque dans B.

الفقيه العالم. وفيها، عزل نَصير الدولة يوسف بن أَبى حَبُوس الصّنهاجىّ عن أَمْر الجيوش وغيرها. وفيها، تُوفّى مُفَرّج بن الجَرّاح ببلاد الشأم، وبقى أَولاده مكانه. وفيها، عاد صاحبُ مكّة الى طاعة الحاكم، وهو الحسن بن جعفر المتقدّم الذكر، الذى قام بها. ودعا لنفسه، وتسمّى بأمير المؤمنين الراشد بالله، ثمّ تاب مما فعل فى هـذه السنة، وصعد المنبر، وتبرّأ ممّا كان ادّعاه، وكتب بذلك الى الحاكم بأمر الله؛ فقبل منه، وأَنفذ اليه *أَموالاً عظيمة، وأَمر الناسَ أَن يسافروا الى مكّة بالطعام وسائر المرافق. P. ٢٧١

وفى هذه السنة، ظهر بإفريقية ثائرٌ اسمُه عبدُ الله بن الوليد بن المُغيرة؛ وكان خاملاً[1]، مُشْتَغِلاً بالتعليم؛ ثمّ دعا الى نفسه؛ فأُخذ وسيق الى القَيْرَوان مع صاحبٍ له. وحُملا على جَمَلَيْن، وطِيفَ بهما؛ ثمّ ضُربت أَعناقُهما، ورُفعا؛ فصُلِبا. ووُجِدَتْ عنده خَرِيطةٌ فيها كتابٌ بخطّ يده لبعض أَشياخ القبائل، يقول فيها: «من عبد الله، أَبى محمّد الناصر لدين الله، أَمير المؤمنين، الى فلان» ثمّ يذكر له أَنَّ تمامَ أَمره وظهورَه يكون بكُتامة، ويأْمره أَن يتلقّاه فى أَوّل صفر من سنة ٤٠٤ فإنّها آخِرُ دولة صِنْهاجة، وبها تَنْقَطِعُ دولتُهم. فتمكّن منه صِنْهاجة كما ذَكَرْنا.

وفى سنة ٤٠٤، وصل سِجِلٌّ من الحاكم الى نَصير الدولة، يذكر فيه أَنّه جعل ولاية العَهْد فى حياته لابن عمّه أَبى القاسم عبد الرحمن بن إلْياس. فقُرِئَ بجامع القَيْرَوان والمنصوريّة، وأُثبت اسمُه مع اسم الحاكم فى البُنود[2] والسّكّة. فعَظُمَ ذلك على نَصير الدولة، وقال: «لولا أَنَّ الإمام لا يَعْتَرِضُ على تدبيرِه، لكاتَبْتُه أَلاّ يَصْرِفَ هذا الأَمْرَ من ولده الى ابن عمّه!»

وفى سنة ٤٠٥، أَخرج نَصير الدولـة هديّـةً جليلةً الى الحاكم، وشيّعها بالطُّبول والبنود عن المنصوريّة؛ فوصلت الى المَهْديّة، وركب البحر بها يَعْلَى بن فَرَج. وكان فيها مائةُ فَرَس ولها سروجٌ مُحلاّةٌ شُدّتْ فى ثمانية عشر حِمْلا أَقفاصاً؛

1) A. متستراً.   2) B. ajoute والطبول.

وكان فيها ثمانية وعشرون حِملاً من الخزّ والسَّمُّور والمتاع السُّوسيّ المُذَهَّب النفيس، وعشرون وصيفةً [1]بارعة الجمال[1]، وعشرةٌ من الصَّقالبة، وغيرُ ذلك. ووَجَّهت السيّدةُ أمُّ مَلاّل أختُ نَصير الدولة الى السيّدة أُخت الحاكم هديّةً أيضاً. ولما وصلت تلك الهدايا الى جهة بَرْقة، أخذها العَرَب، وهرب يَعْلَى ابن فَرَج، وأَسلمها بجميع ما فيها.

وفيها، نادَى مُنادٍ فى القَيْرَوان بانتقال من كان يسكن فيها من الصِّنْهاجيّين * الى المنصوريّة. ثمّ نادى مُنادٍ آخَرُ بعد ذلك بإغلاق الحوانيت بالقَيْرَوان P. ٢٧٢ وفَنادِقها، فأُغْلِقَتْ، ولم يَبْقَ بها إلاّ بعض حوانيت الأَحْباس. وبلغ كِراء حانوت بالمنصوريّة مائتَىْ دِرْهم لبيع الكتّان، وما سُمع بذلك فى كِراء حانوت بالقَيْرَوان، فكان ذلك [2]أوّلُ أسباب[2] خرابها.

وكان الحاكِم لقّب المنصور بن نَصير الدولة بعزيز الدولة، وقُرِئ سِجِلّه بذلك، فأراد نَصير الدولة أن يُرَشِّحه، ويُضيفَ اليه أعمالاً يستخدِم فيها أتباعَه وصنائعَه. وكان نَصير الدولة اتّصل به عن إبراهيم بن سيف العزيز بالله هَنَاتٌ أنكرها عليه، فأراد اختبارَها، فكتب كتاباً الى حَمّاد يأمر فيه بتسليم عَمَل أبى زَعْبَل قَصْر الإفريقىّ ومدينة القُسْطَنْطِينَة الى مُسْتَخْلَف عزيز الدولة، وكان قد خلع على هشام بن جعفر، وأعطاه الطبول والبنود، وأمره بالخروج الى هذا العمل، فخرج بخزائنَ وعُدَدٍ جليلة. وبعث نَصير الدولة الى إبراهيم بن سيف العزيز بالله يشاوِرُه على من يمضى بكتابه الى حمّاد، فتسرّع إبراهيم الى المسير بالكتاب بنفسه، وقال: «لا يَجِدُ مَوْلانا عَبْداً من عَبيدِه أَنْهَضَ بخدمته مِنّى!» وتضمّن ذلك، وأخذ على نفسه المواثيق أنّه لا يُقيمُ فى مضيه وعوده إلاّ أقلّ من عشرين يوماً، فأشار على نَصير الدولة مَنْ يقرب منه بأن يعتقل إبراهيم، ولا يَدَعَه لِمَا يريد من السفر. حتى يرَى ما يكون من طاعة أخيه حمّاد ومُسارعته الى ما يأمره به نَصير الدولة من ذلك، وقال لإبراهيم: «امْضِ الى

1—1) Manque dans A. 2—2) A. سبب.

أخيك حَمّاد. فإنْ صَدَقْتَ فيما قُلْتَ، ووَفَّيْتَ بما وعدتَّ، وإلاَّ فافْعلا ما أَرَدتُّما!» وخرج إبراهيم بن سيف العزيز بالله بماله ورجاله وجميع ذخائره، ولم يَعُقْهُ فى ذلك عائقٌ من نَصِير الدولة وإلاّ فَقَدْ كان خُروجُه بأثقاله وجملة رجاله دليلاً على خلاف ما أظهر؛ وكان خروجه فى شوّال؛ وصَحِبَه هاشِمُ بن جعفر؛ ثمّ أحسّ هاشِم أنّه سيغدره إذا قَرُبَ من أخيه؛ فاعتذر له أنّ حاجةً بقِيَتْ له بباجة، وعدل الى طريقها، ووعده أن يلحقه سريعاً. فنجاه الله من غدره. ومضى إبراهيم حتّى وصل تامْديت، وكتب الى أخيه؛ فنهض اليه حَمَّاد فى عساكر عظيمة؛ واجتمعت كلِمَتُهما، وخلعا أيديهما من الطاعة. P. ٢٧٢

وانتهى ذلك الى نَصِير الدولة؛ فرحل فى أواخر ذى حِجّة، ونزل برقّادة، ووضع العطاء لعساكره، وأخرج عياله وأثقاله وأُخْتَه السيّدة أُمّ مَلَال، وأولاده، وعَبِيده الى المَهْدِيّة، ورحل فى السابع منه. وأمر بالقبض على يوسف بن أبى حَبُوس وإخوته؛ فقُبِض عليه. وكان نَصِير الدولة لم يمضِ له يومٌ من الأيّام إلاّ جَدَّدَ عليه كرامةً وإحساناً، ولا كان يُهْدَى اليه فَرَسٌ أو ثَوْبٌ من ثياب الخلافة إلاّ آثره بذلك على نفسه، مع [1]ما حمل له[1] من الضياع والرِّباع بكلّ كُورة من كُوَر إفريقية. وما زال يَرْفَعُ من قدره، ويزيد فى التنويه بذكره، حتّى نال من أعلى المراتب ما لم يَنَلْهُ بعيدٌ ولا قريب، [2]وسما من رفيع الدرجات ما لم يسْمَ له حميمٌ ولا نسيب[2]. وكان — واللهُ أعلم — تُسَوِّلُ له نفسُه الفَتْكَ بالأمير نَصِير الدولة. وإنّه همّ بذلك مدّةً من الزمان؛ فلم يُعِنْهُ الله عليه، [3]بل خيّب سعيَه..وَرُدَّ فى نحره بغيُه[3]. فتقرّر ذلك عند نَصِير الدولة؛ فقبض عليه. وكان فى قبضه عليه ما أَوْهَنَ اللهُ بــه كَيْدَ الأعْداء، [4]وخَيَّبَ آمالهم، وأضلَّ أعمالهم[4]. ورحل نَصِير الدولة ثانى عيد الأضحى بعسكره لحمّاد المذكور.

وفى سنة ٤٠٦، فى صَدْر المحرّم، وصل عزم وفُلْفُل ابنا حَسُّون بن سنون،

1—1) B. ما أعطاه. 2—2) Manque dans B.

وماكسن بن بُلُقّين، وعَدْنان بن مُعْصَم فى عدّةٍ من الفرسان من عسكر حمّاد.
فخلع عليهم، وأحسن اليهم. وما زال نَصِير الدولة * يرحل مرحلةً بعد مرحلة P. ٢٧٤
الى أن وصل الى تامْدِيت. ثمّ وردت عليه الأخبار بوفاة وَلَده المنصور عزيز
الدولة؛ وذلك أنّه كان فى حين حركته الى المهديّة عرضَتْ له حُمّى، وظهر
به جُدَرِيٌّ؛ فأقام سبعة عشر يوماً. وتُوفّى. فكتم عن نَصِير الدولة أمْرَه خوفاً أن
يبدو منه جزَعٌ، يكون فيه وَهْناً على الدولة فيما هو بسبيله من مقابَلة عدوّه. فبلغ
خبرُه إبراهيمَ وحمّاداً؛ فبعثا اليه، وقالا له: «إنّ ولدك، الذى طلبتَ له ما
طلبتَ، قد تُوفّى!» فما ضَعْضَعَهُ ذلك، ولا أوهنه[1]؛ وكتب الى السيّدة يسألُها
عن ذلك[2]. فورد كتابُها بوفاته والتعزيةِ عنه، ونَصِفُ سلامةَ المُعِزِّ حُسْنَ
حاله. فكان من صَبْر نَصِير الدولة وحُسْن عزائه ما كَثُرَ التعجُّبُ به. وجلَس
مجلِساً عامّاً للعزاء؛ فكان لا يَرَى من أحَدٍ جزَعاً وبكاءً إلاّ سَلاّه وهوّن عليه؛
فزاد ذلك سروراً لأوليائه وكَمَداً لحسدَتَه وأعدائه.

ثمّ رحل من تامْدِيت لستّ خَلَوْنَ من صفر، وتمادى رحيلُه الى أن وصل
المُحَمّديّة، وهى مدينة المَسِيلة؛ فتلقّاه أهْلُها داعِين شاكِرين على ما مَنَحهم من
العدل والأمان، وكشف عنهم من الجور والعدوان. فأقام بها ستّة أيّام. ثمّ
رحل؛ فعبر وادِى شَلَف؛ ثمّ تمادى مَشْيُه حتّى قرُب من عساكر حمّاد وجنوده
من زناتة وغيرهم فى العَدْوة الأخرى من الوادِى. فبات على تحفُّظٍ واحتراسٍ.
ولما كان فى غَدِ نزوله، برز فى عساكره، ومشى عليها، ورتّبها، وأقام كلّ قائدٍ
من قُوّاده فى مركزه. وقدْ تقارب الفريقانِ، وترآءى الجمْعانِ؛ فهزم حمّادٌ،
وانتُهِبَ عسكرُه. فقيل إنّ الذى انتُهِبَ من الدَّرَق عشرة آلاف دَرَقة. وكان
اشتغالُ العساكر النَّصِيريّة برَفْع الغنائم والأموال والأثقال سَبَباً لنجاةِ حمّاد
المذكور، لِتركهم اتباعَه. وأخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يُحصى عَدَداً
* وكثرةً؛ ووُجِد رُقْعتان فيهما: «إنّ الذى عند القائد فلان صندوقٌ فيه ٢٧٥

خمسون ألف دينار وسبعمائة، ومن الوَرِق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ومن الأَمْتِعة خمسون صُندوقاً»، غير ما كان فى بيت حمّاد وخزائنه. قال ابو إسحاق: وُجِدَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْه بَغْلٌ يسوقُه، ففتّشه بعضُ الوُصْفان بين أيدينا، فوجد فى حَشْوِ بَرْذَعَتِه وصُوفِها ثمانية آلاف دينار، ومثلُ هذا ما لا يُحصى كثرةً. وعَرَضَتْ لى أبياتٌ[1] بعد أن صعدنا من الوادِى، وقد لقينا به مشقّةً شديدةً، غير أنّ حلاوةَ الظَّفَر والفَوْز بالسلامة أنْسَى ذلك، وهى [بسيط]:

لَمْ أَنْسَ يوماً بشَلَفٍ راعَ مَنْظَرُهُ ... وقَدْ تَضايَقَ فيه مُلْتَقَى الحَدَقِ
والخيلُ تَعْثُرُ بالهاماتِ خائضةً ... من سائحِ الدَّمِ مَجْرَى قانئِ الفَلَقِ
والبيضُ[2] فى ظُلُماتِ النَّقْعِ بارِقةٌ ... مِثْلَ النُّجوم تَهاوَتْ فى دُجَى الغَسَقِ
وقَدْ بَدا مُعْلَماً باديسُ مُشْتَهِراً ... كالشمسِ فى الجوّ لا يَخْفَى عن الحَدَقِ
وإنَّ راحَتَهُ لو فاضَ نائلُها ... وبأسُها فى الوَرَى أشفوا على الغرَقِ
تَجْلُو عِمامَتُه الحمراءُ غُرَّتَهُ ... كأنّه قَمَرٌ فى حُمْرَةِ الشَّفَقِ
لَوْصُوِّرَ المَوْتُ شَخْصاً ثُمَّ قِيلَ لَهُ ... «أبو مَناد تَبَدَّى» ماتَ مِنْ فَرَقِ

وأصبح نَصِير الدولة يومَ الاثنين لليلتَيْن خَلَتا من جُمادى الأُولى، فبعث فى طلب حمّاد بن باديس بن سيف العزيز بالله، وقد تحصّن فى القَلْعة مع أخيه، فأقاما بها ثلاثةَ أيّام حتّى استراحا وأراحا دوابَّهما ومن كان معهما. فعرّفه إبراهيم بحاجته[3] الى الازدياد من الطعام والمِلْح، فخرج حمّاد فى جميع من كان معه ومع أخيه، فسار بهم حتّى دخل مدينة دَكْمة[4]، وقد كان نقم على أهلها، وكان نَصِير الدولة فى أثره، فتَصايَحَ أهْلُ الموضع بساقته، فاعترضهم بالسيف، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل. فخرج اليهم أحمد بن أبى تَوْبة * فَقِيهُ هذه المدينة وصالِحُها، فخوّفه بالله، ووَعَظَه، وقال له: «يا حَمّاد! إذا لاقيتَ الجموعَ هربتَ منها، وإن قاوَمَتْك الجيوشُ، فَرَرْتَ عنها! وإنّما قُدْرَتُك وسُلْطانُك على

P. ٢٧

1) A. بعد انصرافنا.   2) B. والنَّقْع.   3) B. بالاحتياج.   4) A. et B. دكّة.

أسيرٍ يكون فى يَدَيْك، لا ناصِرَ له عليك!» فلما سمع كلامَه، أمر بضرب عُنُقه. ووقف اليه شيخٌ صالحٌ منها، فقال له: «يا حمّاد! اتّقِ اللهَ! فإنى حُجَجْتُ حَجّتَيْنِ!» فقال له: «أنا أزيدُك عليهما الشهادةَ!» وأمر به، فضربت عُنُقه. ووقف اليه جماعةٌ من التجار المُسافرين، فقالوا له: «نحن قومٌ غُرَباء، ولا نَدْرِى ما جَنَى أهْلُ هذه المدينة عليك!» فقال لهم: «اجتَمِعوا وأنا أُعَرِّفُكم!» ودخل معهم غيرُهم ممّن طمع فى الخَلاص معهم. فلما وصلوا اليه، أمر بهم، فضُربت رقابُهم أجمعين. وأخذ جميع ما كان بتلك المدينة من طعام ومِلْح، وعاد به الى قلعته.

وأمّا نَصير الدولة، فيَوْمَ هزيمةِ حمّاد، أَخْرَجَ بَكّارَ بن جَلالة الوَنْلَكّانىَّ[1]، وكان قد أخذه أسيراً، وكان بكّار كثيراً مّا يَنْطَلِقُ به لسانُه. وكان يوسف بن أبى حَبُوس مُعْتَقَلاً أيضاً عند نصير الدولة، فأُخْرِج بكّار بمحضر يوسف، وحُلِقَتْ لحيتُه، ويوسف ينظر اليه، ثمّ أمر: فحُلِقَتْ لحيةُ يوسف، فصارا مُثْلَةً فى العالَم. قال الرّقيق: لمّا عاينّا يوسف، وقد حُلِقَتْ لحيتُه، تَحَدَّثْنا سِرًّا بيننا، وقُلْنا: «قد كُنّا نَرْجو ليوسف الحياة، لأنّ الملوك تَعْفو بعد العقوبة! وأمّا المُثْلة، فما نَرَى أنّ بعدها إبْقاء!» فلحَنا نَصير الدولة وقال: «ما خُضْتُما فيه؟» فصَدَقْناه سِرًّا، فقال: «ما أَبْعَدْتُما![2]» وبعد ثلاث، أمر بإحضاره، فعدّد عليه مَساوِئَ أفعاله وقبائحَ أعماله، ثمّ أمر به، فجُدِع أنفُه، وقُطِعَتْ أُذُنُه، ورُفِع من بين يَدَيْه. ثمّ أُعيد اليه، فقُطِعَتْ يداه جميعاً. ثمّ أمر به الى موضع اعتقاله، فبات مُشَحَّطاً فى دمائه. فحَكى بعضُ الحَرَس أنّه سَمِعَه يرْغَب أخاه أن يذبحه ويُريحَه، *خيفةَ أن يُخْرَج من الغدِ ويُزاد فى عَذابه أمام أعدائه، فقال له أخوه: «إصبِرْ على قضاء الله وقَدَرِه!» فقال لبعض الحَرَس: «خُذْ بيدى أَخْرُجْ لقضاء الحاجة!» فأخذ بيده، ووقف، فضرب ضربةً عظيمةً بجَبْهَته فى عَمودٍ، فنَدَرَتْ منها عَيْناه، وجَرَى دِماغُه، وخرّ إلى الأرض مَيّتاً. P. ٢٧٧

1) Vocalisation fournie par B. 2) A أنفذتما.

ورحل نَصِير الدولة من وادى شَلَف. قال الرَّقِيق: ومن عجيب ما سمعناه عن مَناخ وادى شَلَف أنّ شيخاً كبيراً من البربر حدّثنا أنّــه يُعْرَفُ بِوَادِى[1] المِحَن، وأخذ يذكُرُ لنا مَنْ هُزِمَ فيه ومَنْ قُتِل فيه من مُلوك زَناتة. وكُنّا على ظَهْر الطريق، فلَمْ نَكْتُبْ ذالك، الى أن قال: آخِرُ مَنْ مات فيه زِيرى بن عَطيَّة، وآخِرُ مَنْ هزِمَ فيه حَمَّاد، وبــه قُتِل يوسف بن أبى حَبُوس، وحُمِلَ منه مُعادِلًا لأخيه ورِجْلاه باديتانِ، ثمّ أمر به فدُفِن هُناك.

وفى هذه السنة، مات وَرُّو بن سعيد فى شوّال، فاختلفت كَلِمةُ الزّناتيّين، ومالت فَرْقةٌ مع خَليفة بن وَرُّو، وفَرْقــةٌ مع خَزْرُون، ابنِ عمّه. وأوقع اللّهُ فيهم الشَّتاتَ.

ذكر وفاة نَصِير الدولة باديس بن المنصور

لما كان يوم الثلاثاء لليلة بَقِيَتْ من ذى القعدة، أمر بالتَمْييز، فبرز كلُّ قائد فى عَسْكَرِه. وجلس نَصِير الدولة فى القُبّة وأمر أيّوب بن يَطُّوفَت بالطواف على العساكر وحسابها، وانتظره حتّى فرغ من حسابها وعَدِّها، فجاءه، فعرَّفه بما سَرَّه وأبهجه. وانصرف الى قصره. ثمّ ركب عشيّةَ هذا اليوم، وهو قد تَناهَى إقبالاً، واستوى حُسْناً وجمالاً. فلعبوا بين يَدَيْه. فكُلّما هزّ رُمْحاً، كَسَرَهُ وأخذ غَيْرَه. ثمّ عاد الى قصره أفْسَحَ ما كان أملاً، وأشدَّ سُروراً وجَذَلاً، فطَعِمَ وشَرِبَ مع خاصّته وقرابته، فعايَنُوا من طَرَبه ما لم * يعهدُوه منه. فلما مضى نحو النصف من ليلة الأربعاء انقضاء ذى القعدة، قضى نَحْبَه — رحمه الله!

P. ٢

وبُعِثَ فى الوقت الى حبيب بن أبى سعيد، وباديس بن حَمامة، وأيّوب ابن يَطُّوفَت. فأُعْلِموا بوفاته خاصّةً من بين جميع صِنْهاجة وغيرهم، فانصرفوا على أن يكتُموا أمره حتّى يجتمع رأيُهم، وأصبح وجوهُ العساكر للسلام على عادتهم، وليس عندهم خبرٌ، وقد عزموا أن يُعْرِفوا الناس أنّه أخذ دواء، وتقدّموا الى

[1] A. بمناخ.

سائر قُوّاد العساكر أن يحضروا بعدّتهم؛ فقد بَلَغَهم أنّ حمّاداً يضرب فى المحلّة؛ فما شَعَروا أن خرج الخَبَر من مدينة المحمّديّة بوفاة السلطان، وأنّهم أغلقوا أبوابهم، وصَعِدوا على أسوارهم. فظهر ما لم يستطيعوا إخفاءه؛ فكأنّما نُودِىَ فى الناس بإشاعته؛ فاضطربت العساكر، وماج بعضُهم فى بعض، وخَشَوْا من اختلاف الكَلِمة؛ فاجتمع رأيُهم على تقديم كَرامة؛ فأخذ عليهم العُهُود، وأمر بالكتب الى بعض البلاد. فلما رأى ذلك عَبيدُ نَصِير الدولة، [1]ومن انضاف اليهم من سائر الحَشَم[1]، أنكروا ذلك، وقالوا: «إنّما قدّمناه ليحوط الرجال ويحفظ الأموال، حتّى يدفع ذلك الى مستحِقّه المُعِزّ ابنِ مولانا نَصِير الدولة!» ومشى ليلاً بعضُهم الى بعض، وتحالفوا على بيعة المُعِزّ. فلمّا تَمّ لهم ما عقدوه، أعلنوا به يومَ السبت لثلاث خَلَوْنَ من ذى الحجّة. وتحالفت العساكرُ على ذلك طائفةً بعد طائفةٍ، واتّفقت آراؤهم على خروج كَرامة الى أَشِير ليحشد قبائل صَنْهاجة وتَلْكاتة، ويعودَ بهم الى المحمّديّة. ثمّ رحلت العساكر بتابوت نَصِير الدولة.

ولاية المُعِزّ بن بَادِيسْ إفريقية[2]

كانت ولايتُه بالمَهْدِيّة فى يوم السبت المذكور من سنة ٤٠٦، وسِنُّه * ثمانى P. ٢٧٩ سنين وأربعة أشهر، وولايتُه بالمَهْدِيّة وبيعتُه بها لتسع بقِينَ من ذى الحجّة. ذلك لمّا وَصَل الخبر بوفاة أبيه، والسيّدة أُمّ مَلّال بالمهديّة، خرج اليها منصور بن رَشِيق، وقاضى القَيْرَوان والمنصوريّة، وشيوخُها، ومن كان بها من الصَّنْهاجيّين. فعزَّوْها فى أخيها. وخرج المُعِزّ بالبنود والطبول، فنزل اليه الناسُ يهنّونه جميعاً؛ وبايعوه، وهنّوه، وعزّوه، وابتهلوا بالدعاء له. وعاد الى قصره. ودخل الناس يهنّئون السيّدة بولايته؛ فصرف أهْلَ القَيْرَوان والمنصوريّة. وبقى المُعِزّ بالمهديّة، يركب فى كلّ يوم، ويعود الى قُبّة السّلام، وينطع الناسُ بين يَدَيْه، وينصرف الى قصره.

1—1) Manque dans B. 2) A. ajoute ومدّته.

وفى يوم السبت بموافقة عيد الأضحى، رحلت العساكر من المحمّديّة بعد أن أضرموا النار فى الأبنية والبيوت والزروب، وقدّموا التابوتَ أمام البنود والطبول. فأشرف حمّادٌ على العساكر، وهى تمرّ كالسيل بين يدى التابوت، فقال لأخيه وخاصته: «مِثلُ هؤلاء يخدمُ الملوكَ! وَصَلْتُ أنا الى إفريقية فى ثلاثين ألف فارس، ما منهم إلاّ مَنْ أحسنتُ اليه، وأنعمتُ عليه. فعُدتُ الى القلعة، وما بقى معى منهم إلاّ أقلّ من ستمائة، وأنا بين أظهرهم أُرجَى! وهذا مَيّتٌ أطاعه هؤلاء كما كان حيّاً!» وكان وصولُ العسكر الى المهديّة لثمان بقِينَ من ذى الحجّة، وبرزت العساكر على باب المهديّة. وركب المُعزّ، فوقف، ونزل الناسُ اليه فَوْجاً فَوجاً حتّى كمل سلامُهم.

وفى سنة ٤٠٧، رحل المُعزّ بن باديس من المهديّة، فكان دخولُه المنصوريّة يوم الجمعة للنصف من محرّم، فدخل أجْمَلَ دخول، وبين يَدَيْه البنود والطبول. واحتلّ بقصره أفْضَلَ حُلول، وقد سُرَّ به الخاصّ والعامّ.

وكان بمدينة القَيْرَوان قومٌ بحومة تُعْرَف بدَرْب المُعَلّى، يتسترون بمَذْهَب الشيعة، من شِرار الأمّة، فانصرفت العامة * اليهم من فورهم، فقتلوا منهم خلقاً رجالاً ونساء، وانبسطت أيدى العامّة على الشيعة، وانتهبت دورَهم وأموالَهم. وتفاقمَ الأمرُ، وانتهى الى البلدان، فقُتل منهم خلقٌ كثيرٌ. وقُتل مَن لم يُعرف مذهبُه بالشُّبْهَة لهم. ولجأ من بقى بالمهديّة منهم الى المسجد الجامع، فقتلوا به عن آخرهم رجالاً ونساء. واجتمعت العامّة على أبى البَهار بن خَلّوف لشدّته عليهم وقهره لسفهائهم، فلجأ الى المنصوريّة، فانتهبوا داره. وبلغ ذلك عساكرَ ابن أخيه، فركب لينصر عمه أبا البَهار، فقتلته العامّة، ومثّلوا به، وقتلوا كلَّ من كان معه. وزحفوا الى المنصوريّة، فهدموها. واجتمع بدار محمّد بن عبد الرحمن نحوَ ألف وخمسمائة رجل من الشيعة، فإذا خرج أحدٌ منهم لشراء قُوتِهِ قُتِل، حتى قُتِل أكثرهم. ثمّ أُخرجوا الى قصر السلطان بعيالهم وأطفالهم. فسرّ المسلمون بما رأوه فيهم، وذلك لمّا ظهرت الكُتُبُ التى وُجدت فى ديار المسالمة، كان

فيها من الكفر والتعطيل للشريعة وإباحة المحارم شئ كثيرٌ، فتحصّنوا فى هذا القصر أواخر جمادى الأُولى وجمادى الثانية. وفى أواخر هذه السنة وصل المُعِزّ ابن باديس سِجِلٌّ من الحاكم، خاطبه فيه بشَرَف الدولة، وركب المُعِزّ بالبنود والطبول.

وفى سنة ٤٠٨، كانت حروبٌ عظيمةٌ بين عساكر شَرَف الدولة المُعِزّ بن باديس وبين عساكر حمّاد، وذلك شئ يطول ذكرُه[1].

وفى سنة ٤٠٩، خرجت طائفةٌ من الشيعة نحوَ مائتى[2] فارس بعيالهم وأطفالهم، يريدون المهديّة للركوب منها الى صِقِلّيّة، وبُعِثَتْ معهم خيلٌ تُشيّعهم. فلما وصلوا إلى قَرْية كامل، وباتوا بها، تنافر أهْلُ المنازل عليهم، فقتلوهم وفضحوا بَعْضَ شَوابّ النساء ومن كان لها منهنّ جمالٌ، ثمّ قتلوهنّ. وفيها كان بإفريقية * غلاءٌ كثيرٌ وحروبٌ كثيرةٌ.

P. ٢٨١

وفى سنة ٤١٠، وصل زاوِى بن زيرِى الصِّنْهاجىُّ من الأَنْدَلُس الى إفريقية فى أهْله ووَلَده وحَشَمه، بعد أن اغترب بها اثنين وعشرين سنةً، وقاسَى حُروبَها وفِتَنَها، واحتوى على نِعَم ملوكها وذخائرهم. فخرج اليه يومَ وصوله شَرَف الدولة المُعِزّ بن باديس بِزِىّ عظيم، فترجّل له الشيخُ زاوِى، ونزل شَرَف الدولة، فسلّم عليه، وسار معه حتّى أنزله بالمنصوريّة.

وفى سنة ٤١١، ورد على المُعِزّ بن باديس أبو القاسم بن اليزيد، رسولاً من الحاكم اليه، بسيف مكلّل بنفيس الجوهر، وخلعةٍ من لباسه لم يَرَ الناسُ مثلها، فلقيه شَرَف الدولة المُعِزّ فى أجمل زِىّ وأكمل هيئة. فقُرِئَ عليه سِجِلٌّ فيه من التشريف ما لم يَصِلْ لأحد قبله، فسُرّ بذلك. وفيها، ورد أيضاً محمّد ابن عبد العزيز بن أبى كُدْيَة بسِجِلّ آخر من الحاكم، جواباً للمُعِزّ عمّا كان فيه من أخبار الأندلس، وانقراضِ الدولة الأمَويّة منها، وقيامِ القاسم بن حمّود فيها، فشكره على ذلك، وبعث اليه خمسة عشر عَلَماً منسوجةً بالذهب. وركب

1) A. أمره.   2) B. مائة.

المُعِزُّ بن باديس، والأعلام المذكورة بين يَدَيْه، يومَ الأحد لليلتَيْن بَقِيَتا من ربيع الآخر. وجاءت سَحابةٌ شديدةُ الرعد، فأمطرتْ حَجَراً لم يرَ أَهْلُ إفريقية مِثْلَه كِبَراً وكثرةً، ووقعت معه صاعقتانِ. وفيها، وصل الخبر بوفاة الحاكم أمير مِصْرَ، وولى الظاهِرُ بَعْدَهُ.

وفى سنة ٤١٢ [1]تُوفّى باديس بن سَيْف العزيز بالله، وصلّى عليه شَرَفُ الدولة، وكان له مشهدٌ عظيمٌ. وفيها[1]، تُوفّيت السيّدة زوجة نَصِير الدولة، وكُفِّنَتْ فيما لم يُذْكَرْ أنَّ مَلِكاً من الملوك كُفِّنَ فى مثله، فحكى من حضره من التجار أنَّ قيمته مائـة ألف دينار، وجُعِلَتْ فى تابوت من عود هندىّ قد رُصِّعَ * بالجَوْهَر. وكانت لها جنازةٌ لم يُـرَ مِثْلُها، دُفِنَتْ بالمهديّة. وكانت مساميرُ التابوت بألفى دينار.

P. ٢٨٢

وفى سنة ٤١٣، تَعَرَّسَ المُعِزُّ شَرَف الدولة. فكان له عِرسٌ ما تهيّأَ قَطُّ لأحدٍ من ملوك الإسلام. وقد شرحه الرَّقِيقُ فى كتابه. وتركْناه اختصاراً.

وفى سنة ٤١٤، وردت الأخبار وتتابعت بإفريقية بأنَّ خَلِيفةَ بن وَرُّو ومن معه رَمَوْا فى البحر مَراكِبَ كثيرةً، وأنّهم رحلوا من إطْرابُلُس فى طلب الفَتُوح بن القائد، وقد كان كاتَبَ شَرَفَ الدولة المُعِزَّ بن باديس فى الانحياش اليه والدخول فى طاعته، فأعطاه مدينة نَفْطة من عمل قَصْطِيلية. فخرج شَرَفُ الدولة، فاجتاز بسُوسة، ثمّ الى المهديّة، وذلك يوم الخميس لأربع خَلَوْن من المحرّم. وأمر بالنداء فى حشد البحريّين، وكتب أن يَلْحقَ به كلُّ من يَتَخَلَّفُ عنه من عساكره ليكونَ رحيلُه منْ المهديّة الى سَفاقُس، ثمّ الى قابِس، قاصداً الى إطْرابُلُس. وأمر بالاحتفاز[2] فى إصلاحِ القطائع وعمارةِ دار الصناعة، وأخذ فى إنشاء العُدَد الحربيّة، فأُنْشِئَ منها فى المدّة القريبة ما لم يَتِمّ مِثْلُه فى الزمن البعيد. ثمّ رأى الوصولَ الى المنصوريّة ليأخذ الناسُ عُدَدَهم وما يحتاجون اليه، فكان وصولُه يوم الاثنين لستّ بَقِينَ من المحرّم من العام.

1—1, Manque dans B. 2) B. بالجدّ.

ووردت الأخبار من المشرق بأنّ أميرَ المؤمنين الظاهِرَ لإعْزازِ دين الله أمر بإحضار سَيْف الدولة ذى المَجْدَيْن حُسَيْنِ بن على بن دَوّاس الكُتَامىّ[1]. فلما دخل القصر، ولم يكن يدخله قبل ذلك حَذَراً على نفسه، أُخْرِجَ من ساعته مقتولاً. فأقام ثلاثــةَ أيّام، ومُنادٍ يُنادى عليه: « هذا جزاء من غَدَرَ مَوَالِيه! » ثمّ دُفِعَ الى عَبِيده، فدفنوه.

ثمّ جاء الخبر فى الوقت بوفاة السيّدة الشريفة بنت العزيز بالله. وصلّى عليها الظاهِر لإعزاز دين الله بِمِصْرَ. *وكانت قد ضبطت المملكة، وقوّمت[2] الأمور بحسن رأى وتدبير. وكان الوزير عمّار فُوِّضَ اليه [3]الأمرُ فى[3] النَّظَر فى الدواوين والأموال والكتابة وغير ذلك من خدمة الخلافة؛ فأمَرَتْ بقتله، فقُتِل. وباشَرَتْ تدبيرَ المملكة؛ فلا يُنْفَذُ أمْرٌ جَلَّ أو قَلَّ إلاّ بتوقيعٍ يخرج عنها بخطّ أبى البيان الصَّقْلَبىّ عَبْدِها. P. ٢٨٣

وفى هذه السنة، وصل محمّدُ بن عبد العزيز، من قِبَل الظاهِر أمير مِصْرَ، بتشريف عظيم لشَرَف الدولة. فقُرِئَتْ به سِجِلاّت ما وصل قَبْلَها مِثْلُها أجَلَّ حالاً ولا أعلى مَقالاً. وزادَهُ لَقَباً الى لَقَبه؛ فسمّاه شَرَف الدولة وعَضُدَها، وبشّره بمَوْلُودَيْنِ وُلِدا لــه: أبو الطاهر، وعبد الله أبو محمّد؛ وبعث اليه مع ذلك ثلاثة أفراس من خيل ركوبه بسروج جليلة وخلعة نفيسة من نفيس ثيابه، ومَنْجُوقَيْن منسوجَيْن بالذهب على قَصَبِ فِضّة، ما دخل إفريقية مِثْلُها قَطُّ، وعشرين بَنْداً مُذَهَّبةً ومنضّضةً. فلقيها شَرَف الدولة وعَضُدُها[4] أجْمَلَ لقاء، وأعطاها حقّها من الإكرام والاعتناء؛ وقُرِئَت السِجِلاّت بين يَدَيْه؛ ثمّ قُرِئَتْ بجامع القَيْرَوان؛ وأمر بنسخها، وأُنْفِذَتْ الى الآفاق؛ فكان لها من السرور ما لا يوصَف. وبعد ذلك، فى هذه السنة، وصله سِجِلٌّ آخر بزيادة لَقَبٍ آخر،

---

1) A. et B. الكنانىّ. Voir *Corr.*, p. 28.

2) Dozy a cru pouvoir lire dans le ms. A. وقوننت (verbe formé de قانون) qu'il propose de conserver (*Corr.*, p. 28). 3—3) Manque dans A. 4) Manque dans A.

تشريفاً لشَرَف الدولة، وأَمر أَن يكاتَب: «من الأمير شَرَف الدولة وعَضُدِها» ويُخاطَبَ بمثل ذلك. فلقيه أحسن لقاء، وخلع عليه، وحمله. وجرَت المُكاتبة من ذلك الوقت بهذا التشريف الجليل.

وفى هذه السنة، اعتلّت السيّدة أمُّ مَلاَّل بنت عُدّة العزيز بالله أيّاماً، والأمير شَرَف الدولة يَصِلَ اليها فى كل يوم عائداً ومفتقِداً؛ فيجلس عندها، ويأذن لرجاله وعبيده يدخلون اليها، ثمّ ينصرفون. فلما كان ليلة الخميس مُنْسَلَخَ رجب، قبضها الله. وصُلِّيَ على جنازتها بالبنود والطبول والعَمّارِيّات، P. ٢٨٤ * والسيّدتان الجليلتان الوالِدةُ والأُخْتُ بحال من التشريف لهذه الجنازة، لم يرَ لمَلكٍ ولا لسُوقةٍ مِثْلُها.

وفوّض الأمير شَرَفُ الدولة جباية الأموال، وولاية العُمّال، والنظر فى العساكر وسائر الأشغال لأبى البهار بن خَلُوف يومَ الثلاثاء لخمس بَقِينَ من جمادى الأولى؛ فحسُنت الأمور، وضُبِطَت الأطراف والثغور. واستقام التدبير. ورأى الأمير شَرَفُ الدولة من حَزْمهِ، وكفايته، وعزمه، وشهامته، ما لم يقم به غيره، ولا وُجِدَ عند سِواه [1] بوَجْهٍ.

وفى سنة ٤١٥، فى صفر منه، وُلد للأمير شَرَف الدولة وَلَدٌ سمّاهُ كَبّاباً [2]. وفى شهر رجب، تزوّجت السيدة أُمُّ العُلُوّ، بنت نَصِير الدولة، أُخْتُ شَرَف الدولة. فلما كان يوم الأربعاء غُرّةَ شعبان المكرّم، زيّنَ الإيوانُ المُعَظَّم للسيّدة الجليلة أُمّ العُلُوّ، ودخل الناسُ خاصّةً وعامّةً؛ فنظروا من صُنوف الجَوْهر والأسلاك والأَمْتِعة النفيسة وأَوانى الذهب والفضّة ما لم يُعْمَلْ مِثْلُه، ولا سُمِع لأحــدٍ من الملوك قَبْلَه. قال أبو إسحاق الرَّقِيق؛ فبهَرَ عيونَ الخلق حالُ ما عاينوه، وأَبْهتَهم عظيمُ ما شاهَدوه؛ وحُمِلَ جميعُ ذلك الى الموضع الذى ضُرِبَتْ

---

1) Lacune dans A.

2) Telle est la bonne leçon fournie par B., au lieu de كباذا de A. — Kabbāb est un prénom sinhağien attesté.

فيه الأبنية والقِباب والأخبية، وحُمِل المَهْرُ فى عشرة أحمال على أبْغُلٍ على كلِّ حِمْلٍ جاريةٌ حَسْناء، وجملته مائة ألف دينار عَيْناً. وذكر بعض حُذّاق التجار أنّه قوّم ما هو لها، فكان زائداً على ألف ألف دينار، [1]وهذا ما لم يُرَ قطُّ لامرأة قَبْلَها بإفريقية[1]. وزُفّت العَرُوس فى يوم الخميس، ومضى بين يَدَيْها عَبِيدُ أخيها شَرَف الدولة وأبيها نَصِير الدولة وجَدّها عُدّة العزيز بالله، ووجوهُ رجال الدولة، فكان يوماً سارت الرُّكْبانُ بمحاسن آثاره، وامتلأت البلدانُ بعجائب أخباره.

وفى هذه السنة، وقف شَرَف الدولة لهديَّة صَنْدَل والى بِسْكَرة، فعُرِضَتْ عليه، وهى ثلاثمائة حصان، ومائة فرس أُنْثَى، وبغلات منها عشرون بسروج *مُحَلّاة، مائة حمْل من المال. فخلع عليه وجدّد له الولاية على بِسْكَرة. ٢٨٥

وفى سنة ٤١٦، تُوفّى أيُّوب بن يَطُّوفَت. وحضر جنازته شَرَفُ الدولة وعَضُدُها، وهو المُعِزّ بن باديس، بالبنود والطبول[2].

وفى سنة ٤١٧، وُلِدَ للأمير شَرَف الدولة وعَضُدها مَوْلُودٌ سمّاه نِزاراً. وكتب الى سائر عُمّاله بالبشارة بذلك.

ذكْر قيام المُعِزّ شَرَف الدولة بالإمارة وقَطْعِه الدَّعْوة العُبَيْديّة الشيعيّة من إفريقية

كان المُعِزّ بن باديس صغيرًا إذ ولى، وهو ابنُ ثمانية أعوام؛ وقيل: ابن سبعة أعوام. رُبّىَ فى حِجْر وزيره أبى الحسن بن أبى الرِّجال[3]، وكان ورعاً زاهداً. وكانت إفريقية كلُّها والقَيْرَوان على مَذْهَب الشيعة وعلى خِلاف السُّنّة والجماعة، من وقت تملُّك عُبَيْد الله المهدىّ لها. فحرّض ابن أبى الرِّجال المُعِزَّ ابن باديس، وأدّبه، ودلّه على مذهب مالِك وعلى السُّنّة والجماعة؛ والشيعةُ

1—1) Manque dans B.

2) La relation de l'année 416 manque dans B. 3) A. أبى الرجّال.

لا يعلمون ذلك، ولا اهلُ القيروان. فخرج المُعِزُّ فى بعض الأعياد الى المصلّى فى زينته وحُشوده، وهو غلامٌ، فكبا به فَرَسُه، فقال عند ذلك: «د أبو بكر وعُمَر!» فسمعته الشيعةُ التى كانت فى عسكره، فبادروا اليه ليقتلوه، فجاءه عَبيدُه ورجالُه ومن كان يكتُمُ السُّنّة من أهل القَيْرَوان، ووُضِع السيفُ فى الشيعة، فقُتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف، فسُمّىَ ذلك الموضع بِرْكَةَ الدّمِ الى الآن. قال أبو الصَّلْت: وصاح بهم فى ذلك الوقت صائحُ الموت، فقُتِلوا فى سائـر بلاد إفريقية. فوافَقَ ذلك ما قالهُ الشُّعَراء فيهم على وجه التطهير[1] لهم، كقول[2] القاسم بن مروان [وافر]:

وسوفَ يُقتَّلُون بكُلِّ أرْضٍ كما قُتِلوا بأرض القَيْرَوانِ

P. ٢٨٦ * وكقول الآخر [رمل]:

يا مُعِزَّ الدين عِشْ فى رِفْعةٍ وسُرورٍ واغتباطٍ وجَذَلْ
أنتَ أرضيْتَ النبيَّ المُصْطَفَى وعَتيقاً فى المَلاعِينِ السِّفَلْ
وجعَلْتَ القَتْلَ فيهم سُنَّةً بأقاصِى الأرْضِ فى كُلِّ الدُّوَلْ

وكقول الآخر [طويل]:

وكانتْ لهم بالشرْقِ نارٌ فأُطْفِئَتْ فما مَلَكُوا بالكُفْرِ شَرْقاً ولا غَرْبا

وحُكِى فى قَتْل الروافِض حكاياتٌ كثيرةٌ ممّا رآه المُعِزُّ فى منامه، [3]وتأويلُ ذلك وغيره ألْغَيْنا هنا عن ذكره[3]. ولم يزل المُعِزُّ يعمل فِكْرَهُ فى قطع الدعوة لهم الى أن كانت سنة ٤٤٠.

وفى سنة ٤٣٠، زحفت جُموعُ زَناتة تُرِيدُ حضرة القَيْرَوان، طمعاً منها فى الملك. فلما بلغ ذلك المُعِزَّ، خرج اليهم بجنوده، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزمت زَناتة، وقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ، وفرّ باقيهم الى الغَرْب.

---

1) A. التطهُّر.   2) A. يقول.

3—3) B. تركنا ذلك خوف التطويل.

وفى سنة ٤٢١، وقعت فى القَيْرَوان بين الأجناد والعامّة فتنة؛ فقُتل من العامّة نحوُ المائتين.

وفى سنة ٤٢٢، كثر الخَصْبُ والرخاء والأمانُ بإفريقية.

وفى سنة ٤٢٣، وصلت من مَلِك السودان الى المُعِزّ هديّةٌ جليلةٌ، فيها رقيقٌ كثيرٌ، وزرافات، وأنواعٌ من الحيوان غريبةٌ.

وفى سنة ٤٢٥، كانت بإفريقية مجاعةٌ شديدةٌ. وفيها، خرج ابو عِمْران الفاسىّ الى الحِجاز. وفيها مات الظاهِر بمِصْرَ، وولى ابنه المُسْتَنْصِر.

وفى سنة ٤٢٦، وصلت الى المُعِزّ بن باديس من مَلِك الرُّوم هديّةٌ لم يرَ مثلُها فى كثرة ما اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخِر وغير ذلك.

وفى سنة ٤٢٧، زحفت زَناتة فى جيوش عظيمة وجموع كثيفة، تُريد المنصوريّة. فلقيَتْها جيوشُ المُعِزّ؛ فظهرت زَناتة عليها؛ فانهزمت؛ ووصلت الى ما بَيْن المنصوريّة والقَيْرَوان. ثمّ تلاقوا فى الغَد من ذلك اليوم؛ فثبتَتْ صِنْهاجة وثبتَتْ زَناتة.

وفى سنة *٤٢٨، كسر المُعِزّ زَناتة، وهزمهم، وقتل منهم خلقاً كثيراً. P. ٢٨٧

وفى سنة ٤٢٩، خرج عسكر المُعِزّ من القَيْرَوان الى الزّاب؛ فقتل من البربر خلقاً كثيراً.

وفى سنة ٤٣٠، كثُر الخَصْب ببلاد إفريقية. وفيها، مات أبو عِمْران الفاسىّ بعد عوده من المشرق.

وفى سنة ٤٣١، دخلت جيوش مَالِطة[1] جزيرة جَرْبة؛ ففتحتها وقتلت كثيراً من أهلها.

وفى سنة ٤٣٢، خرج المُعِزّ الى قَلْعة حمّاد وحاصَرَها مدّة سنتَيْن، وأخذ بمخنق حمّاد فيها.

وفى سنة ٤٣٣، أظهر المُعِزّ الدولةَ العبّاسيّةَ. وورد عليه عَهْدُ القائم بامر

1) Leçon fournie par B., au lieu de مالقة de A.

الله. [1] وفيها، نُكب محمّد بن محمود بن السكّاك، وكان المتولّى لأشغال أمّ المُعزّ، واستولى بها على دولته [1]. وفى هذه السنة، وصل الأمير نِزار بن المُعزّ الى الحضرة، قافِلاً من سفره الذى هزم فيه زَناتة، فأنشده ابن شرَف قصيدته التى أوّلُها [كامل]:

طَلَعَتْ من العَزْى شَمْسُ الدينِ   بالسَّعْدِ والإقبالِ والتَّمْكِينِ

وفى سنة ٤٣٦، مات الجَرْجَرائيُّ [2] بمِصْرَ، وكان الحاكم بأمر الله العُبَيْدى قطع يَدَيْه جميعاً لجنيةٍ جناها، فلم يَجْزَعْ لما أصابه. فقيل إنّه عَصَّب يَدَيْه إثْرَ قطعهما، وانصرف من وقته الى ديوانه، وجلس لخدمته على عادته. فلما تُعُجِّب منه، قال: «إنّ أمير المؤمنين لم يعزلنى، وإنّما عاقبنى بجنايتى!» فلما بلغ ذلك الحاكِمَ، أقرّه على عمله.

وفى سنة ٤٣٧، وردت رُسُلُ المُعزّ الى القَيْرَوان، يُخْبِر أنّه أوقع بلَوَاتة، وقتل منهم عــدداً، وغنم منهم أموالاً، فضُرِبت الطبولُ على ذلك. وفى ذلك يقولُ ابن شرَف من قصيدة أوّلُها [منسرح]:

باليُمْنِ والسعدِ عُدْ وبالظَّفْرِ   مُوَفَّقَ [3] الوِرْدِ غانِمَ الصَّدَرِ

وفيها، بُنى سور المنصورية. وفيها هبّت ريحٌ عاصفٌ بإفريقية، قصفت ما مرّتْ به من الشجر لقوّتها وشدّتها.

وفى سنة ٤٣٨، كانت وفاة نِزار بن المُعزّ بن باديس فى رجب، وكان عُمُره إحدى وعشرين سنة وأشهراً. وفيها، ولّى المُعزّ وَلَدَه الآخر أبا القاسم، وكنّاه العزيز بالله، وهو إذ ذاك ابن ثمانية أشهر، وتُوفّى بعد ذلك، وهو ابن سنة واحدة وثلاثة أشهر. P. ٢٨٨

وفى سنة ٤٣٩، نُكِب حبُوس بن حُمَيْد الصِّنْهاجىّ والى نَفْطة، وطُولب بمال

1—1) Manque dans B. 2) A. الجرجانى. 3) A. موفى.

كثير، ونيلَ بالمكروه والهوان. وفيها، نُكِب أحمد بن حجّاج قاضي قَفْصة، فبادر بعشرة آلاف دينار، وكان مُتَصاونًا.

وفى سنة ٤٤٠، قُطِعَت الخُطْبة لصاحب مِصْرَ، وأُحْرِقَتْ بُنوده. قال ابن شَرَف: وأمر المعِزُّ بن باديس بأن يُدْعى على منابر إفريقية للعبّاس بن عبد المُطَّلِب ويُقطع دعوةُ الشيعة العُبَيْدِيّين، فدعا الخطيبُ للخلفاء الأربعة، وللعبّاس، ولبقيّة العشرة — رضهم!

ذكر السبب فى قَطْع الدعوة العُبَيْدِيَّة من الخطبة بالقَيْرَوان وغيرها

لما رحل بنو عُبَيْد الى مِصْرَ، لم تزل ملوكُ صِنْهاجة يخطبون لهم بإفريقية، ويذكرون أسماءهم على المنابر. وتمادى الأمر على ذلك حتّى قطع أهلُ القَيْرَوان صلاةَ الجُمُعة فِراراً من دعوتهم. وتبديعاً لإقامتها بأسمائهم، فكان بعضهم، إذا بلغ الى المسجد، قال سِرًّا: «اللّهُمَّ اشْهَد! اللّهمَّ اشْهَد!» ثمّ ينصرف، فيصلّى ظُهْراً أربعاً [1]. الى أن تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القَيْرَوان أحدٌ. فتعطّلت الجُمُعة دَهْراً. وأقام ذلك مدّةً الى أن رأى المعِزُّ بن باديس قَطْعَ دعوتهم، فكان بالقَيْرَوان لذلك سرورٌ عظيم.

ذِكْر وُقوع التَّصْريح بلَعْنَتِهم فى الخُطَب بجميع إفريقية وخَلْعِهم [2]

قال ابن شَرَف: وأمر المعِزُّ بلعنهم فى الخُطَب وخَلْعِهم. ولما كان عيد الأضحى، أمر الخطيب أن يسُبَّ بنى عُبَيْد، فقال: «اللّهُمَّ! وَالْعَنِ الفَسَقة الكفار، المارقين الفُجّار، أعداء الدين، وأنصارَ الشيطان، المخالفين لأمرك، والناقضين لعهدك، المتّبِعين غير سبيلك، المبدّلين لكتابك! اللّهُمَّ! وَالْعَنْهم لعناً وَبيلا، وأخْزِهِمْ خِزياً عريضًا طويلا! اللّهُمَّ! وإنّ سيّدنا أبا تميم المعِزّ ٢٨٩

---

1) Voir *Corr.*, p. 28—29. 2) Ce titre manque dans B.

ابن باديس بن المنصور القائمَ لدينك، والناصر لسنّة نبيّك، والرافع للواء أوليائك، يقول مُصْدِقاً لكتابك، وتابعاً لأمرك، مداقعاً لمن غيّر الدين، وسلك غَيْرَ سبيل الراشدين المؤمنين: «يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ[1]!» هاكذا ذَكَرَ بإسقاطِ «قُلْ» وآخرِها. قال: وأمر الأمير أبو تميم المُعِزُّ بن باديس للخطيبَ أن يسبّهم على مِنبَر القَيْرَوان بأشْنَعَ من هذا السبِّ. فلما كان فى الجمعة الأخرى، أبلغ فى ذلك بما فيه شفاءٌ لنفوس المؤمنين.

وفى سنة ٤٤١، تحرّك الأمير أبو تميم الى بلاد المغرب الأقصى؛ وترك ولده أبا الطاهر تميم بن المُعِزّ على حضرة القَيْرَوان بالمنصوريّة. وفيها، بُنِيت المُصَلّى بالمنصوريّة. وفيها، ضُرب الدينار المسمّى بالنجاريّ[2]. وفيها، ركب المُعِزُّ بن باديس المذكور فى أحفل جمع وأحسن[3] زىّ، وخرج الى ظاهر مدينة القَيْرَوان. وأُخْرِجَت السِّباع بين يَدَيْه؛ فأُفْلِت منها سَبُعٌ؛ فانهزم الناسُ أمامه، ووقع بعضهم على بعض؛ فمات منهم نحو المائتَيْن؛ ووثب السَّبُع على رجل من كُتّاب باب الغَنَم يُدعى بالكَرَامىّ؛ فقتله.

ذكر تبديل السكّة عن أسماء بنى عُبَيْد

قال ابن شَرَف: وفى هذه السنة، أمر المُعِزُّ بن باديس بتبديل السكّة فى شهر شعبان؛ فنُقِشَ[4] على الأزواج[4] فى الوَجْه الواحد: «وَمَنْ * يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ[5]» وفى الوَجْه الثانى: لَا إِلَهَ إِلاَّ ٱللّٰه! مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللّٰهِ! وضُرب منها دنانيرُ كثيرةٌ. وأمر أيضاً بسَبْك ما كان عنده من الدنانير التى عليها أسماء بنى عُبَيْد؛ فسُبِكت؛ وكانت أموالاً عظيمة. ثم بثّ فى الناس قَطْعَ سكّتهم، وزوالَ أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله. وقد كان قَطَعَ أسماءهم من الرايات والبنود. وكان

P. ٢٩٠

1) *Cor.*, CIX. 1—2. 2) B. بالنجارى. 3) B. أكمل.

مبتدأ ضَرْبِ السكك بأسماء بنى عُبَيْد الله ورَسْمِها فى الرايات والطّرز سنة ٢٩٦، الى أن قطعها المُعِزُّ المذكور سنة ٤٤١ المذكورة، وذلك مائة سنة وخمس وأربعون سنة.

وفى شوّال من هذه السنة، نادى مُنادٍ بأمر السلطان أبى تميم: إنّه مَنْ تصرّف بمال عليه أسماء بنى عُبَيْد نالَتْه العقوبة الشديدة؛ فضاقت الحال بالفقراء والضعفاء، وغلت الأسعار بالقَيْرَوان. وكان الدينار القديم بأربعة دنانير ودرهمَيْن؛ وكان صَرْفُ الدينار الجديد خمسة وثلاثين درهماً. وفى هذه السنة، نكب القائد عبّاد بن مروان الملقّب بسيف المُلْك؛ وكان من الخاصّة؛ ودفع الى أعدائه؛ وأُمر باستخراج أمواله، والقبض على جميع من استعمله فى أعماله؛ وبعد ذلك، أُلْقِىَ فى سِرْداب مُظْلِم حتّى مات فيه. وفيها، وردت الأخبار بالقَيْرَوان بموت القائد حمّاد بقلعته؛ فقال ابن شَرَف من قصيدة [خفيف]:

لا جُنُودٌ إلاّ جنُود السُّعود   مُغْنِيَاتٌ عَنْ عُدَّةٍ وعَدِيدِ

وفى سنة ٤٤٢، اصطلح أَهْلُ القَيْرَوان وأَهْلُ سوسة؛ وقد كانت جَرَت بينهم وَحْشَة؛ فصنع القَيْرَوانيُون للسُّوسيّين دَعَوات غُسِلَتْ فيها الأَيْدِى بماء الورد، ومُسِحت بمناديل الشرب. وفى هذه السنة، ولى الأمير أبو تميم ولده أبا الطاهر بن المُعِزّ عَهْدَه.

ذكر ولاية العَهْد *لتميم بن المُعِزّ بن باديس

* ٢٩١.

قال ابن شَرَف: وخطب الخطيب يوم الجمعة على جامع القَيْرَوان؛ فدعا للسلطان المُعِزّ بن باديس ولولده أبى الطاهر وَلِىّ عهده؛ ثمّ قال: «اللّهُمّ! اصْلِحْ عبدك ووليك أبا الطاهر تميم بن المُعِزّ، الطاهر من كفر مَعَدّ بن الظاهر!» يعنى صاحب مِصْر. وفيها، كان خروج الفقيه الزاهد الواعظ أبى عبد الله بن عبد الصمد من القَيْرَوان فى شهر رجب؛ ووَكّلوا بـه رجالاً توجّهوا معـه الى

مدينة قابس، وكانت الرفقة خارجةً من القَيْرَوان الى مِصْر؛ فأمر أن ينتظرها بمدينة قابس الى أن يصحبها. وكُوتب عامل قابس بأن لا يترك من يدخل اليه، ولا من يُسلِّم عليه، ولا يخرج من موضع نزوله إلاّ فى يوم سفره؛ فخرج، وهو غير آمِنٍ على نفسه؛ ثمّ قُتِلَ فى طريقه ذلك؛ وكان رجلاً واعظاً، يَعِظُ الناس، فيجتمعون اليه، ويسمعون كلامه؛ وكان له لسانٌ وحِدّةٌ فحذره[1] المُعِزّ. واجتمع عليه بعضُ فقراء القَيْرَوان، واستبشعوا ألفاظاً ذكرها؛ فرفعوا رِقاعَهم الى المُعِزّ بذلك؛ فكان سَبَبَ نَفْيه وحَتْفِه. وكان أبوه يَعِظُ بجامع مِصْر فى ذلك الوقت، الى أن نُعِىَ له ابنُه هذا؛ فحجّ فى تلك السنة؛ فقيل إنّه كان يطوفُ بالكعبة، ويصيح، فيقول: «يا رَبّ! المُعِزّ عليك به! يا رَبّ! عليك بابن باديس!» فكانت[2] الهزيمة على المُعِزّ فى اليوم الثانى من دُعائه؛ وكان ذلك سَبَبَ خَراب ملكه ودمار القَيْرَوان حضرته. فلم يشكّ أحدٌ فى إجابة دَعْوَته.

وفى سنة ٤٤٣، كان لباسُ السواد بالقَيْرَوان، والدعاء لبنى العبّاس. قال ابن شرَف: وفى جُمادى الثانية، أمر المُعِزّ بن باديس بإحضار جماعة من الصبّاغين، وأخرج لهم ثياباً بِيضاً من فُنْدُق الكتّان، وأمرهم أن يصبغوها سُوداً؛ فصبغوها بأحْلَك السّواد؛ وجمع الخيّاطين؛ فقطعوها أثواباً؛ ثمّ جمع الفقهاء والقُضاةَ الى قصره. وخطيبَى القَيْرَوان وجميع المؤذّنين، وكساهم ذلك السواد؛ ونزلوا بأجمعهم. وركب السلطان بعدهم حتّى وصل الى جامع القَيْرَوان؛ ثمّ صَعِدَ الخطيبُ المِنْبَرَ، وخطب خُطْبَةً يأتى فيها على جميع الأمر[3] بأجزل لَفْظ وأحسن مَعْنًى؛ ثمّ دعا لأبى جعفر عبد الله القائم بأمر الله العبّاسى، ودعا للسلطان المُعِزّ بن باديس، ولولده أبى الطاهر تميم وَلىّ عهده من بعده؛ ثمّ أخزى بنى عُبَيْد الشيعة ولعنهم.

---

1) B. فجرده.

2) On suit ici le texte du ms. B.

3) A. الأمراء.

ذكر ما قيل من أخبارهم

قال أبو عبد الله محمّد بن سَعْدُون بن علىّ فى تأليفه[1] فى « تعزِية أهْل القيْرَوان، بما جرى على البُلْدان، من هَيَجان الفِتَن وتَقَلُّب الأزمان »، قال: فيه بابٌ أذْكُرُ فيه أوّلَ من وضع هذه الدعوة التى شرع فيها عُبَيْد الله، [illegible] والسببُ الذى دعاهم لذلك؛ وبابٌ أذْكُرُ فيه تَسْيِيرَهم الرُّكْبان، بـ[illegible] الى البلدان؛ وبابٌ أذْكرُ فيه عُبَيْد الله ونَسَبَه وانْتِماءه الى النبىّ — صلعم — كاذِباً، وسَبَبَ مِلْكِهِ المَغْرِبَ كلَّه. قال: فأوّلُ من نصب هذه الدعوة، جَدُّ عبُيد الله، وهو عبد الله بن مَيْمون القدّاح الأهْوازىّ — لعنه الله! — وكان أبوه ميمون تنتسب اليه فرقةٌ من أصحاب أبى الخطّاب، تُعرف بالمَيْمُونيّة. وذكر من جملة كلامه قال: وكان عبد الله ادّعى لنفسه النُّبوءة؛ فقُصِد لسفك دمه؛ فاختفى؛ ثمّ هرب من وطنه، وفرّ على وجهه، متنقلاً فى البلاد، مستتراً، يستر اسمه ومذهبه لئلاّ يُقتل إن عُرِف، الى أن وافته منيّتُه بأقبح علّةٍ فى الشأم، وأراح اللهُ منه. وأُخذ جماعةٌ من أصحابه؛ فقُتلوا عن آخرهم. ثمّ ذكر دُعاتهم، وما كان منهم مع غُواتهم. قال: فمنهم رَجُلانِ، أحَدُهما يُعرف بالنجّار الكُوفىّ[2]؛ فخرجا من الشأم، وتغلّبا على اليَمَن؛ فأنزل الله عليه * الأُكْلَة؛ فتقطّع قِطَعاً P. ٢٩٢ حتّى مات؛ وخلّف ابناً له؛ فكان يكتب الى أصحابه: « مِن ابْنِ رَبِّ العالمين » — تَعَالى اللهُ عن قوله! — فسار اليه ابن نُصَيْر[3]؛ فأظفره الله به، فقتله، ودخل مدينته؛ فانتهبها، وسباها. وأمّاً الكوفىّ[4]، فرماه الله تعالى بداء فى جوفه؛ فكانت أمْعاؤه تخرج من دُبُره، حتّى مات. وأمّا بالشأم، فذكر جماعةً أبادهم اللهُ تعالى، وكذلك بالبَحْرَيْن أيضاً. ثمّ قال: وإنّما دعاهم لهذا الكفر عبدُ الله ابن مَيْمون القدّاح، لأنّه صحب قَرْمَطاً، ودعاه الى مذهبه؛ فطاوعه على ذلك؛ وقد اشتهر استخفافُهم بالدين؛ وكثرت به الأخبار والأحاديث. وكان ممّن

---

1) A. ajoute وتصنيفه. 2) A. الكومىّ. 3) A. قصير. 4) A. الكومىّ.

اظهر مذهبهم، وأعلن به: أبو عُبَيْد الجنّابيّ [1]، وَقْتَ تغلُّبه على البَحْرَيْن؛ فإنّه وضع عنهم جميع الفرائض، وأحلّ بالزناء، واللواط، والكذب، وشُرْب الخمر، وتَرْك الصلاة. وكذلك صنع الإصْبَهانىّ، وحرّم على الغِلْمان [2] الامتناع ممّن أراد ان يفعل بهم، وجعل حدّ من امتنع منهم الذَّبْحَ — لعنه الله! — وكانت له ليلةٌ تُسمّى الإماميّة، يجمع فيها نساءه ونساءهم؛ فمن وُلِدَ من تلك الليلة يسمّى وَلَدَ الإخوان.

قال: وقد ادّعى الحاكمُ من بنى عبيد الله الرُّبوبيّة، وجعل رجلاً سمّاه بالهادى يدعو الناس الى ذالك، وادّعى معدٌّ منهم النبوءة، وجعل من نادى فوق صَوْمَعة جامع القَيْرَوان: «أشهدُ أنّ معَدًّا رسولُ الله!» فارتجّ البلد لذلك، وداخَلَ أهْلَه الرُّعْبُ؛ فأرسل من سكّن الناسَ؛ وكلُّ من كانوا يرسلونه الى بلدٍ، فإنّما يأمرونه بإظهار الإسلام والخير، حتّى يتمكّن ممّا يريد.

وأمّا نَسَبُ عُبَيْد الله الذى تسمّى بالمَهْدىّ، فإنّ اسْمَه سعيد، وإنّما تسمّى بعُبَيْد الله ليُخفِى أمره، لأنّه كان عليه الطلب من الحسين بن أحمد بن محمّد. وكان لمحمّد * هذا ولدٌ يُلَقَّب بأبى السلَعْلَع [3] بن عبد الله بن مَيْمون القدّاح؛ فبعث بداعِيَيْنِ أخَوَيْنِ الى المغرب؛ فنزلا فى قبيلة تُعرف بكُتامة؛ فدعَوْا أهْلَهَا، فاستجابوا لهما [4]: أحدُهما حُسَيْنٌ، يكّنى بأبى عبد الله الشيعىّ، وسمّوه المُعَلِّم، والآخر سمّوه المُحْتَسِب، وهو أبو العبّاس المخطوم [5]، المتقدّم ذكرُها فأظهرا من أنفسهما الزُّهْد والوَرَع؛ حتّى افتتحا بالكذب والحُرْبة فى بلاد إفريقية. وسار أبو عبد الله الى سِجِلْماسة؛ فأخرج عُبَيْدًا من حبسها؛ فلما اجتمع به، سلّم الأمر اليه، [6] وانسلخ له منه؛ فلم يلبث إلاّ يسيراً وقتله بنو أخيه [6].

P. ٢٠

ولما وصل عُبيد الله — لعنه الله! — إلى رَقّادة، أرسل الى القَيْرَوان من أتاه بأبى إسحاق إبراهيم بن محمّد المعروف بابن البِرْذَوْن وبابن هُذَيْل؛ وكانا من

---

1) B. الحيانىّ. 2) B. الصبيان. 3) B. بالسَلَعْلَع.

العُلَماء الخاشعين لله. فلما وصلا اليه، وجداه على سرير ملكه جالساً، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعىّ الذى ولاّه الملك وسلّم له فيه، وعن يساره أبو العبّاس أخوه. فقال لهما أبو عبد الله وأخوه: «اشهدا أن هذا رسولُ الله!» فقالا جميعاً بلفظ واحد: «والله الذى لا إله إلاّ هو! لو جاءنا هذا، والشمسُ عن يمينه، والقمرُ عن يساره، وينطقان، فيقولان إنّــه رسولُ الله، ما قلنا إنّه هو!» فأمر عُبيد الله — لعنه الله! — عند ذلك بذبحهما وربطهما فى أذناب الخيل، وأن يُشَقّ بهما سِماطُ القَيْرَوان؛ ففُعل ذلك بهما — رحمة الله عليهما! — وقال أبو عبد الله الشيعىّ يوماً لأبى عثمان سعيد بن الحدّاد العالِم: «القرآن يُخْبِر أنّ محمّداً ليس بخاتم النبيين فى قوله «وَلَاكِنْ رَسُولَ ٱللهِ وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّينَ[1]» فخاتمُ النبيئن غيرُ رسول الله. فقال أبو عثمان: «هذه الواو ليست من واوات الابتداء، وإنّما هى من واوات العَطْف، مثل قوله تعالى: *رهُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِر P. ٢٩٥ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ[2]». وقال له مرّةً أُخْرَى: «إنّ الله أخبر أنّ أصحاب محمّد — صلعم — يَرْتَدّون لقوله: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ، انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ[3]؟» فقال أبو عثمان: «هذا إنّما هو على الاستفهام، كقوله — سُبْحَانَهُ —: «أَفَإِين مِتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ![4]

ولما تمكّن عُبَيْد الله الشيعىُّ من المُلْك، قتل أبا عبد الله الداعى، وأخاه، وانتقم اللهُ منهما على يدى مَنْ سَعَيَا له، وقتلا الخَلْقَ بسببه، حتّى أخرجاه من حَبْس سِجِلْماسة، وسلّما اه فى المُلْك، ولم يُقيما معه إلاّ سنةً أو نحْوَها؛ ثمّ سلّطه اللهُ على كبار كُتَامَــة الدين سَعَوْا فى إقامة مُلْكه؛ فقتل جميعهم. ثمّ تمادت دولةُ أبنائه نحو ثلاثمائة سنة، ملكوا من مَضِيق سَبْتَة الى مكّة — شرّفها الله![5] — لأنّ عُمّاله كانوا يَصِلُون الى مَضِيق سبتة، فيعاينوها، ومن هناك يرجعون[5]. وهذا دليلٌ على أنّ هَوَانَ الدنيا على الله وصِغَرَ قَدْرها عنده، إذ

1) *Cor.*, XXXIII, 40. 2) *Cor.*, LIII, 3.

3) *Cor.*, III, 138. 4) *Cor.*, XXI, 35. 5—5) Manque dans B.

مَكَّنَ فيها هؤلاء الكَفَرة الفُجّار يَسومون أولياءَ الله سُوءَ العَذاب ؛ [1] والمعاد القيامة ، والحاكم الله ! [1]

وخرج فى دولة عُبَيد الله شيخٌ للسفَر، ومعه خيلٌ، فباتوا فى مسجد بخيولهم. فقيلَ لهم: «كيف تُدْخِلون خيولَكم المسجدَ؟» فقال لهم الشيخ وأصحابه: «إن أرواثَها وأبوالَها طاهرةٌ، لأنّها خيلُ المَهدىّ». فقال لهم القيّم بالمسجد: «إنّ الذى يُخرج من المهدىّ نَجِسٌ! [2] فكيف الذى يخرج من خيله؟» فقالوا له: «طَعَنتَ على المهدىّ!» وأخذوه وذهبوا به اليه؛ فأخرجه عشيّةَ جُمُعةٍ، فقتله. فلما قرب للموت، دعا عليه، فأجاب الله دُعاءه. فامْتَحَنَه بِعلّةٍ قبيحةٍ يُقال لها حبُّ القَرْع، وهى دُودٌ على صورة حَبّ القَرْع فى آخِرِ مَخْرَجه، تأكل أحشاءه وما والاها؛ فكان يؤتى بأذناب الكباش العظيمة، فيستدخلها فى نفسه، P * لتشتغل عنه الدُّود بها؛ فيَجدُ لذلك بعضَ راحةٍ لشُغْلها بالأذناب؛ ثمّ يُخرج الأذناب، وقد هتكَتْها الدُّودُ، يُدخل أُخرى فى دُبُره؛ ثمّ لم تزل الدُّودُ تأكل حتى انقطعت مَذاكِرُه. وهَلَكَ. ولما هلك، أُوتِىَ بابن أُخْتٍ [3] الغَسّانىّ المُقْرِئ، ليقرأ عند رأسه؛ وكان من أطْيَب الناس قراءةً؛ وحَوْلَ عُبَيد الله أبناؤه يبكون عليه. فقال البغدادىُّ للغسانىّ: «اقرأ». قال: فطلبتُ ما أقرأ من القرآن؛ فلم أتذكّرْ منه إلاّ قَوْلَه تعالى: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيمةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ [4]» إلى آخر الآية. قال: فطلبتُ غير هذه الآية أقرأُه؛ فلم أقدر؛ فكنتُ أُرَدِّدُها حتّى خشيتُ على نفسى أن يفيقوا من بُكائهم، فيتأمّلون قِراءتى، فيقتلونى؛ فتسلّلتُ وخرجتُ.

وذُكِر أنّ الحجر الأسود أرْسَلَه اللعين الجَنّابىُّ [5] الى عُبيد الله بالمهديّة؛ فلم يلبث إلاّ أيّامًا وهلك كما ذكرنا. فلما دُفن، طَرَحَتْه الأرض؛ ثمّ دُفن؛ فطَرَحَتْه الأرض ثلاثًا. فقيل لابنه أبى القاسم: «إنّ هذا لأجْل هذا الحَجَر!

1—1) Manque dans B. 2) A. غبرطاهر. 3) A. أحمد (?).

فآرْدُدْهُ حيث كان!» فأمر بإخراجه وردّه الى موضعه، فعند ذلك استقرّ عُبيد الله فى قبره.

ثمّ ولى ولدُه أبو القاسم من بعده. فلم يزل فى شُغْل وحُزْن، وبعث الله عليه أبا يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد، فقهره وخرج عليه وقتل جنوده، وقام المسلمون معه عليه كما تقدّم ذكره. ولما كان يومُ جُمُعةٍ، طلع الإمام على المنبر، وهو أبو إبراهيم أحمد بن محمّد بن أبي الوليد، فخطب خطبةً بليغةً، وحرّض الناسَ على جهاد الشيعة، ثمّ قال: «اللّهمّ إنّ هذا القرمطىّ الكافرَ المعروفَ بعُبيد ادّعى الرُّبُوبيّة من دون الله، جاحِداً لنعمتك، كافراً برُبُوبيّتك! فآنصرنا اللّهُمّ عليه، وأرِحْنا منه ومن دولته، وأَصْلِهِ جهنّمَ وسَاءتْ مَصِيراً [1]، بعد أن تجعله فى • دُنياه عِبْرةً للسائلين، وأحاديثَ فى الغابرين، وأهْلِكِ اللّهُمّ شيعتَه، وشَتِّتْ كلِمَتَه!» ومات أبو القاسم بن عُبيد الله محْصُورا، وفى نفسه مقهورا. P. ٢٩٧

ثمّ ولى بعده ابنُه إسماعيل، فأظهر للعامّة الجميل. فلمّا استفْحَلَ أمْرُه، وقويت شوكتُه، أراد أن ينتقم من المسلمين فيما تقدّم لهم من حربه وحرب أبي القاسم والده، فحال الله — عزّ وجلّ — بينه وبين ما أراد، وأجاب دعاء المؤمنين فيه، فأهلكه الله بالعطش، حتّى مات.

ثمّ ولى ابنُه مَعَدّ، فادّعى النُبُوءة، وصوّت المؤذِّنُ بذلك فوق صَوْمَعة القَيْرَوان بأمره، فضجّ المسلمون لذلك. فلما بلغه ذلك، داخله الرُّعْبُ، وأرسل الى الناس يُهَدِّنهم، الى أن خرج الى مِصْرَ. فدخلها بالمُنْكَرِ والبَغْيِ، فابتَلاه اللهُ بعِلّة الاستِسْقاء، فكان الذى يقعد عند رأسه لا يَرَى رجلَيْه، وسالت عَيْناهُ، وسقطت أسنانُه، وأراه اللهُ العِبْرةَ فى نفسه. ثمّ مات.

وولى بعده نِزار المُكَنّى بأبى المنصور، فحَدَثَ فى أيّامه من سَبِّ الصحابة — رضهم — ما حَدَثَ. ثمّ تشوّفت نفسه مع أحواله الدنيّة، الى أن يستحضر

---

1) Allusion à Cor. IV, 115.

العلماء من أهل القَيْرَوان. ثمّ حدث عليه بالشأم ما أشغله، فخرج اليها، فلما وصل الى السبر[1]، مات فى مِرحاض الحمّام.

ثمّ ولى بعده الحاكم، فأظهر أكْثَرَ مذهبهم، فكان ممّا أحدث أنّه بنى داراً، وجعل لها أبواباً وطِباقاً، وجعل فيها قُيوداً وأغلالاً، وسمّاها جَهَنَّم، فمن جَنَى جِناية عنه، قال: «أَدْخِلُوهُ جَهَنَّمَ!» وأمر أن يُكتب فى الشَّوارِع والجوامِع بسبِّ الصحابة — رضهم — أجمعين. ثمّ أرسل داعياً الى مكّة، فلما طلع المنبر، وذكر ما ذكر، اقتحم عليه بنو هُذَيْل، فقُطِّعَ قِطعةً قِطْعةً، وكسِر المنبرُ، وفتِّتَ، حتّى لم يجتمع منه شئ. ثمّ أرسل رجلاً خُراسانيًّا من بنى عَمِّه، فضرب الحَجَرَ الأسود بدَبُوس، فقُتل من حينه، وأخذه الناسُ قِطعةً قِطْعةً، * وأُحرق بالنار. P. I

وأرسل — لعنه الله — الى مدينة الرسول — صلعم — مَنْ يَنْبُش القبر المعظّم، فسَمِعَ الناس صائحاً يقول: «القبر يُنْبَش!» ففتّشه الناسُ، فوجدوه وأصحابَه، فقتلوهم. ثمّ إنه ادّعى الرُّبُوبِيَّة من دون الله، وجعل داعياً يدعو الناس الى عبادته، وسمّاه المهدىّ. فكتب داعيه الكتابَ، وكان اسمُه حمزة، وذلك فى سنة ٤١٠، وقُرِئَ بحضرة الحاكِمَ — لعنه الله — على أهل مملكته، ذكر فيه — تعالى اللهُ عن إبطال المُبْطِلين علوًّا كبيراً! — : «الحمدُ لمولاى الحاكِم وَحْدَهُ! باسمك اللّهُمَّ الحاكِم بالحقّ!» ثمّ تمادى، فقال: «توكّلتُ على إلاهى أميرِ المؤمنين — جَلَّ ذِكْرُه! وبه نَسْتَعِينُ فى جميع الأمور!» ثمّ طوّل فى الكتاب بالتخليط: فمرّةً يجعله أمير المؤمنين، ومرّةً يجعله الإلٰهَ، وقال فيه: «وأمرنى بإسقاط ما لا يلزمكم اعتقادُه من الأديان الماضية، والشرائع الدارسة.» وذكر أشياء[2] يطول ذكرها. وكانت له رايةٌ حمراء تحت قصره، فاجتمع اليه خلقٌ نحو خمسة عشر ألف رجل فيما قيل، ثمّ إنّ رجلاً من التُّرْك قتل كاتِبَه حَمْزة، فأظهر الحاكِمُ أنّه أمر بقتله. وكان الحاكِم كثيرَ التصرّف بالليل الى جبل المُقَطَّم على حمار، فخرج ليلاً، فقُتِلَ هو وحماره.

---

1) B. المَنْسِير. 2) B. قبائح.

ثمّ ولى بعده عليّ المتلقّب بالظاهر، فكان مشتغلاً بالشرب، منهمكاً فيه، يلبس ثياب النساء، حتّى يظنّه الناسُ إذا مشى معهنّ امرأةً؛ ثمّ أصابه الاستسقاء، حتّى صار كالعدَل [1]؛ فمات.

ثمّ ولى بعده معدّ الملقّب بالمُسْتَنْصِر، فمرّةً يُظهر السبَّ، ومرّةً يكفّ ويُسكّن الناسَ؛ فإذا مشى فى جنوده، كان بين يديه الشّبّابة ومَنْ ينشد الشعر. وذُكر أنّه أرسل من كتب السبّ فى أستار الكعبة فى ليلةٍ ظَلْماء؛ فأصبح الناس، فوجدوه؛ فضجّ المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسبّ الصحابة — رضهم. قال ابن سَعْدُون: وعلى هذا بَنَوْا أصْل مَذْهَبِهم [2] أنّهم يُظهرون الدين والخير، حتّى يتمكّنوا. قال المؤلّف: انتهى ما لَخّصْتُه * من كتاب ابن سَعْدُون.

P. ٢٩٩

وذكر ابن القَطّان عنهم أنّهم قومٌ من الرافِضة، يدّعُون النَّسَب الى علىّ — رضه —. وأكثرُ اعتقاداتهم كُفْرٌ. ولما مات المُسْتَنْصِر بن الظاهِر، ولى بعده ولدُه الملقّب بالمُسْتَعْلِى، وكان أشْبَهَ من غيره سياسةً، لا ديناً. فلما توفّى هو، ووزيرُه الأفْضَل، استبدّ ولدُه وتسمّى بالآمِر بحُكْمِ الله. وكان جبّاراً عنيداً ظالماً جائراً؛ وكَثُرَ فى زمانه دَعْوَى الباطل، ونَصْرُ الظالم على المظلوم، وإعانَتُه على ظلمه. واستخلص لنفسه فَتَيَيْنِ من الفِتْيان الوضاء [3] الوجوه، اتّخذهما للفاحشة؛ كان رِزْقُ كلّ واحد منهما ألف دينار فى كلّ يوم؛ وكان يعمل النزاهة، ويبيح للناس فيها المحظُورات؛ فلا يشاء مُؤْمِنٌ أن يعاين مُنكَراً مُباحاً إلاّ عايَنَه.

ثمّ ولى بعده عبد المجيد، الملقّب بالحافِظ لدين الله، ابن المُستنصر، بويع فى اليوم الذى قُتل فيه الآمِر، وخُطب له على المنابر؛ ووزر له أبو علىّ أحمد ابن الأفضل أمير الجيوش. ثمّ استولى أبو علىّ على الأمر وجملة الحال من سنة ٥٢٦ الى سنة ٥٣٢: كانت لهم فيها محاولات شنيعةٌ وأُمورٌ فظيعةٌ [4]، منها قَتْلُ الآمِر، وانتزاء قاتِله حِرْزِ المُلوك، وقَتْلُه، واستيلاء ابن الأفْضَل، وقَتْلُه،

1) Manque dans B. 2) A. أصلهم.
3) B. الحسان. 4) A. فضيحة.

ثمّ ولى بعده عليّ الملقّب بالظاهر، فكان مشتغلاً بالشرب، منهمكاً فيه، يلبس ثياب النساء، حتّى يظنّه الناسُ إذا مشى معهنّ امرأةً؛ ثمّ أصابه الاستسقاء، حتّى صار كالعدَل [1]؛ فمات.

ثمّ ولى بعده مَعَدٌّ الملقّب بالمُسْتَنْصِر، فمرّةً يُظهر السبَّ، ومرّةً يكفُّ ويُسكِّن الناسَ؛ فإذا مشى فى جنوده، كان بين يديه الشَّبَّابة ومَنْ ينشد الشعر. وذُكر أنّه أرسل من كتب السّبَّ فى أستار الكعبة فى ليلةٍ ظَلْماء؛ فأصبح الناس، فوجدوه؛ فضجَّ المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسبِّ الصحابة — رضهم. قال ابن سَعْدُون: وعلى هذا بَنَوْا أَصْلَ مَذْهَبِهم [2] أنّهم يُظهرون الدين والخير، حتّى يتمكّنوا. قال المؤلّف: انتهى ما لخّصْتُه * من كتاب ابن سَعْدُون. P. ٢٩٩

وذكر ابن القَطّان عنهم أنّهم قومٌ من الرافِضة، يدّعُون النَّسَب الى علىّ — رضه —. وأكثرُ اعتقاداتهم كُفْرٌ. ولما مات المُسْتَنْصِر بن الظاهِر، ولى بعده ولدُه الملقّب بالمُسْتَعْلِى، وكان أشْبَهَ من غيره سياسةً، لا ديناً. فلما توفّى هو، ووزيرُه الأفْضَل، استبدّ ولدُه وتسمّى بالآمِر بحُكْمِ الله. وكان جبّاراً عنيداً ظالماً جائراً؛ وكَثُرَ فى زمانه دَعْوَى الباطل، ونَصْرُ الظالم على المظلوم، وإعانَتُه على ظلمه. واستخلص لنفسه فَتَيَيْنِ من الفِتْيان الوضاء [3] الوجوه، اتّخذهما للفاحشة؛ كان رِزْقُ كلّ واحد منهما ألف دينار فى كلّ يوم؛ وكان يعمل النزاهة، ويبيح للناس فيها المحظُورات؛ فلا يشاء مُؤْمِنٌ أن يعاين مُنْكَراً مُباحاً إلاّ عايَنَه.

ثمّ ولى بعده عبد المجيد، الملقّب بالحافِظ لدين الله، ابن المُستنصر، بويع فى اليوم الذى قُتل فيه الآمِر؛ وخُطب له على المنابر؛ ووزر له أبو علىّ أحمد ابن الأفضل أمير الجيوش. ثمّ استولى أبو علىّ على الأمر وجملة الحال من سنة ٥٢٦ الى سنة ٥٣٢: كانت لهم فيها محاولات شنيعةٌ وأمورٌ فظيعةٌ [4]، منها قَتْلُ الآمِر، وانتزاء قاتِله حِرْزَ المُلوك، وقَتْلُه، واستيلاء ابن الأفْضَل، وقَتْلُه،

---

1) Manque dans B.
2) A. أصلهم.
3) B. الحسان.
4) A. فضيحة.

وظهورُ عبد المجيد، وما كان من الأُسْقُف من النفر، والأمر بعيادة[1] عبد المجيد وقَتْله؛ ثمّ استيلاء حسين بن عبد المجيد، والقيامُ عليه، الى أن قَتَلَ نفسه بسمٍّ، ورجوعُ عبد المجيد الى الولاية.

رَجَعَ الخَبَرُ. وفى سنة ٤٤٢، وردت الأخبار أنّ محمّد بن جَعْفَر الكُومِىّ[2] ولى * القضاء بمصرَ، ولُقِّبَ قَاضِى القُضاة ودَاعِى الدُّعاة. قال ابن شَرَف: فنعوذُ بالله من سوءِ العاقِبة! لأنّ قاضىَ القوم منهم وعلى مذهبهم، يعنى الشيعة.

P. ٢٠٠

وفيها، وصلت الى القَيْرَوان مُكاتَبةٌ من الأمير جَبارة بن مُختار العَرَبِىّ من بَرْقة بالسَّمْع والطاعة للمُعِزّ بن بادِيس، وأخبر أنّه وأَهْلَ بَرْقة قد أحرقوا المنابِرَ التى كان يُدْعَى عليها للعُبَيْدِيَّة، وأحرقوا راياتهم، وتبرّؤوا منهم، ولعنوهم على منابرهم، ودعوا للقائم بأمر الله العبّاسىّ.

وفى هذه السنة، كان أوّلُ الفتنة بإفريقية.

ذِكْرُ طرَفٍ من الفِتْنة العظيمة ودمارِ القَيْرَوان

قال ابن شَرَف: لما آلَ الأمر الى التّصْريح بلعنة بنى عُبَيْد على المنابِر، وأمر المُعِزُّ بن بادِيس بقتل أشياعهم، أباح بنو عُبَيْد للعرَبَ مَجازَ النِّيل، وكان قَبْلَ ذلك ممنوعاً، لا يجوزُه أحَدٌ من العرَب. ثمّ أمر لكلّ جائزٍ منهم بدينار؛ فجاز منهم خَلْقٌ عظيم، من غير أن يأمرهم بشىء، لعلمه أنّهم لا يحتاجون لِوَصِيّةٍ. فجازوا أفواجاً، وأقاموا بناحية بَرْقة. ومضت الأيّامُ على ذلك مدّةً. ثمّ قدم منهم مُؤْنِس بن يحيى الرِياحىّ على المعزّ. وكان المُعِزُّ كارهاً لإخوانه صِنْهاجة، مُحِبّاً للاستبدال بهم، حاقداً عليهم؛ ولم يكن يُظهر ذلك لهم. فلَطُفَ عنده محلُّ مُؤْنِس هذا، وكان سَيِّداً فى قومه، شجاعاً، عاقلاً؛ فشاوره المُعِزُّ فى اتّخاذ بنى عَمِّهِ رِيَاح جُنداً؛ فأشار عليه بأن لا يفعل ذلك، وعرّفه بقلّة اجتماع القوم على الكَلِمة، وعَدَمِ انقيادِهم الى الطاعة؛ فألَحَّ عليه فى ذلك، الى

---

1) A. et B. بعبادة.   2) B. الكوفىّ.

أن قال له المُعِزّ: «إنّما تريد انفرادك، حَسَداً منك لقومك!» فعزم مونِس على الخروج اليهم، بعدما قدّم العُذْرَ، وأشْهَدَ بعضَ رجال السلطان. ثمّ رحل متوجّهاً نحوهم، فنادى * فى القوم، وحشدهم، ووعدهم، وغبطهم، ووصف لهم كرامة السلطان والإحسان لهم؛ ثمّ قدم فى رَكْبٍ منهم، لم يعهدوا نعمـةً. ولا طالعوا حاضرةً؛ فلمّا انتهوا الى قَرْيةٍ، تنادَوْا: «هذه القَيْرَوان!» ونهبوهـا من حينها. P. ٢٠١

فلما ورد الخبر على القَيْرَوان، عظم الأمر على المُعِزّ بن بادِيس وقال: إنّما فَعَلَ مُؤْنِس هذا ليُصَحِّحَ قَوْلَـه، ويُظْهِرَ نُصْحَهُ!» فأمـر بثقاف أولاده وعياله، وختم على داره، حتّى يعلم ما يكون من أمره. فلمّا بلغ مُؤْنِساً ما فعل بأهله وولده، اشتدّت نكايتُه، وعَظُمَ بلاؤه، وقال: «قَدَّمْتُ النصيحة! فحَاقَ الأَمْرُ بى، ونُسِبَت الخطيئةُ إليّ!» فكان أَشَدَّ إضراراً من القوم. وكان قد علم عَوَرَاتِ القَيْرَوان. ثمّ أخرج السلطانُ اليهم بَعْضَ الفُقهاء، ومعهم مكاتبات وشروطٌ ووَصَايا، وأعلموهم أنّ السلطان قد دفع عِيَالاتِهم لهم، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع الى الطاعة؛ وأرسلوا شيوخاً منهم بذلك؛ [1]ثمّ بعد ذلك نكثوا[1] على السلطان، واستولوا على الفساد بكلّ جهة ومكان.

ذكر هزيمة العَرَب للمُعِزّ بن بَادِيس

لما كان ثانى[2] عيد الأَضْحَى من هذه السنة، كانت الداهية العُظْمَى والمُصيبة الكُبْرَى، وذلك أنّ السلطان عيّد يوم الاثنين، ومشى صباح هذا اليوم الى ناحية قرية تُعرف ببنى هِلَال؛ فلما كان نصف النهار، أتَتْه الأخبار أنّ القوم قد قربوا منـه بأجمعهم. فأمر بالنزول فى أوعارٍ وأوديةٍ؛ فلم يستتمّ النزول حتّى حَمَلَ العَرَبُ عليهم حملةَ رَجُلٍ واحدٍ. فانهزم العسكر؛ وصبر المُعِزّ صبراً عظيماً، الى أن وصلت رماح العَرَب اليه، ومات من العَبِيد بين يَدَيْه خلقٌ

1—1) Manque dans A. 2) Mauvaise lecture de Dozy d'après A.: ثَنِّى.

عظيمٌ فَدَوْه بأنفسهم. وأمّا بنو مَنَاد وجميع صِنْهاجة وغيرهم من القبائل، فإنّهم
P. ٢٠٢ * فرّوا، وانتهبت العرَبُ مضارِبَهم. ودخل العرَبُ مُعَسْكَر المُعِزّ السلطان؛
فحازوه، وفيه من الذهب والفضّة والأمتعة والأسباب والأثاث والخفّ والكراع
ما لا يعلم عَدَدَه الاّ الله. وكان فيه من الأخبية وغيرها ما يتجاوز عشرة آلاف،
ومن الجمال نحو خمسة عشر ألفاً، ومن البغال ما لا يُحْصيه قولٌ. فما خلص
لأحد من الجند عِقَالٌ فما فَوْقَهُ، وسلك أكثرُ الناس الجبل المعروف بَحيْدَرَان؛
فافترقوا فيه. ثمّ رجع بعضُهم على بعض، وليس عند أهل القَيْرَوان خبرٌ بذلك،
إلاّ أنّهم كانوا تحت توقُّع وتشوُّف. فلما كان ثالث العيد، قدم فارسان مع ابن
البَوّاب، وهم قد غلبَتْ عليهم الكآبة وكسوفُ البال، وحالُهم تُغْنِي عن السؤال،
وكثر أيضاً سؤالُ الناس عن السلطان؛ فذكروا أنّه فى حيّز السلامة؛ فلم تَكُ
إلاّ ساعةٌ حتى دخل قصره هو وولدُه. ثمّ تساقَطَ الناسُ بعده آحاداً وجموعاً،
وتخلّف عن الوصول خلقٌ عظيمٌ؛ فمنهم من عُلِمَ خَبَرُه، ومنهم من لم يُعْلَم. ثمّ
ذُكِرَ أنّ العرَب أخذوا خلقاً كثيراً من الصِّنهاجيّين وغيرهم.

قال ابن شَرَف: وكان عَدَدُ العسكر المهزوم ثمانين ألف فارس، ومن
الرَّجّالة ما يَلِيقُ بذلك. وكانت خيلُ العرَب ثلاثة آلاف فارس، ومن الرَّجّالة
ما يَلِيقُ بذلك. وفى ذلك يقول عليُّ بن رِزْق من قصيدة له فى ذلك،
أوّلُها [طويل]:

لَقَدْ زَارَ وَهْناً مِن أُمَيْمَ خَيَالُ وأَيْدِى المَطَايا بالذَّميلِ عِجَالُ

وفيها:

ثَلاَثُون [1] أَلْفاً مِنْكُمُ هَزَمَتْهُمُ ثَلاثُ الافٍ انّ ذَا لَنِكالُ

ووصل العرَبُ الى نواحى القَيْرَوان، وجعل كلُّ مَنْ سَبَقَ الى قريةٍ يُسَمّي
P. ٢٠٣ نَفْسَه لهم، ويُؤَمِّنُهم، ويُعطيهم قَلَنْسُوَتَه أو رُقعةً يكتبها لهم * علامةً، ليُعلم غيره

1) A. ثمانون.

انّه سبقه. وبات الناسُ ليلتَيْن بالقَيْرَوان تحت ما لا يعلمه إلّا الله تعالى من الخوف، لا يدرون ما ينزل بساحتهم. وأقام الناسُ يومَين، لا يدخل اليهم داخلٌ ولا يخرج منهم خارجٌ، وخيلُ العَرَب تسرح حَوْلَ القَيْرَوان فى كلّ جهة ومكان، والناسُ يرونهم عياناً بياناً. وخرج السلطان سابعَ عيد الأضحى بجنوده. وخرج عامّةُ القَيْرَوان معه، فلم يتعدّ بهم المصلّى. ورجع العَرَبُ فى أمانهم الذى أعطوا أهلَ البوادى، وانتهبوا جميعها، وانتقل أهلُها الى القَيْرَوان. وأمر السلطان كافّة الناس بانتهاب الزُروعات المحيطة بالقَيْرَوان وصَبْرَة. وهى المنصوريّة، فسُرَّ المسلمون بذلك، وحسبوها من أرزاقهم. وكان مَصيرُها الى ما قدَّر الله من فسادها وأَكْل البهائم لها[1].

وفى السابع عشر لذى حجّة، ظهرت خيلُ العَرَب على ثلاثة أميال من القَيْرَوان. فنزل السلطان يمشى فيها، ويُوصى أهلها بالاحتفاظ والبناء، وأخذ الناسُ فى بناء دُورهم. وأمر السلطان المُعِزّ أن ينتقل عامّةُ أهل صَبْرة وسُوقتها الى القَيْرَوان، ويخلوا الحوانيت كلّها بصَبْرة، وأمر جميع من بالقَيْرَوان من الصّنْهاجيّين وغيرهم من العسكر، أن ينتقلوا الى صَبْرة، وينزلوا فى حوانيتها وأسواقها، فارتجَّ البلد لذلك، وعظُم الخَطْبُ، واشتدَّ الكَرْبُ. ومدَّ العَبيد ورجال صِنهاجة أيديهم الى خُشُب الحوانيت وسقائفها، واقتلعوها. وخُربت العِمارةُ العظيمةُ فى ساعةٍ واحدةٍ. وبات الناس على خوف عظيم، ثمّ أصبحوا، فعاينوا خيول العَرَب، فأمر السلطان ألّا يخرج العسكر على سور صَبْرة. قال ابن شَرَف: أخبرنى من أثِقُ به، قال: خرجتُ من القَيْرَوان وسِرْتُ ليلاً، فكنتُ أكمنُ النهار، فلم أمُرَّ بقريةٍ إلّا وقد سُحِقَتْ وأُكِلَتْ، أهلُها عُراةٌ أمامَ حيطانها، من رجل وامرأة وطفل، يبكى * جميعُهم جوعاً وبرداً. وانقطع الميرُ P. ٣٠٤ عن القيرَوان، وتعطّلت الأسواق، وأمسك العَرَبُ جميعَ من أسروه، فلم يُطلقوا أحداً إلّا بالفِداء مثل أسرى الروم، وأمّا الضُعفاء والمساكين، فأمسكوهم لخِدْمتهم.

---

1) Lacune de deux mots dans A.

نبذٌ من وقعة بابِ تُونِس، أحدِ أبواب القَيْرَوان

وذلك أنّ العرَبَ دفعت الى هذا الباب؛ فخرج اليهم العامّة، منهم بسلاح، ومنهم من بيده عصا لا يُدفع بها أضْعَفُ الكِلاب؛ فحملت عليهم فُرسان العرَب، وتمكّنت منهم سيوفهم ورماحهم؛ فتساقطوا على وُجوههم وجُنوبهم، وسطحوهم من حدّ أفران الأجرّ الى هذا الباب، ولم يَبْقَ منهم إلّا من حَصَّنَهُ أجَلُه، ولم يتركوا على حيّ ولا ميّت خرقةً تُوارِيه. وخرج أهْلُ القَتْلى عند انصراف العرَب؛ فرفعوا قَتْلاهم؛ فقامت النَّوائح والنَّوادِب بكلّ جهة ومكان من أزِقّةِ القَيْرَوان، تتصدّع لمنظرها وسماعها الجِبالُ. وبقي خلقٌ من الغرباء فى المقتلة، وجُرح من الناس خلقٌ كثيرٌ، ورأى الناسُ ما أذهلهم من قبيح تلك الجراحات؛ فتفتّتت الأكباد، وذابت القلوب والأجساد، لبُنيّات قد سوّدْنَ وُجوهَهُنّ وحلَقْنَ رؤوسَهُنّ على أبائهنّ وإخوانهنّ. فكان هذا يومُ مصائب وأنكادٍ ونوائب [1]. ولم يرَ الناسُ مثله فى سائر الأمصار، فيما مضى من الأعصار. [2] وبات الناس فى همٍّ وغمٍّ. تمّ كلام ابن شرَف مُخْتَصراً [2].

هزيمة صِنْهاجة أيضاً بجَبَل حَيْدَرَان، وهزيمة المُعِزّ بن بَادِيس من وَجْهٍ آخَر

قال أبو الصَّلْت: ثمّ برز المُعِزُّ الى لقاء العَرَب الواصلة من المشرق، وجرّد عساكره، وقدّم عليها ابنَ سَلْبُونْ [3]، وزكنون بن واعلان، وزيرى الصِّنهاجيّ، وعاد هو الى القَيْرَوان. فلما كان عيد النَّحْر، انهزمت صِنْهاجة، وقُتل منها كثير؛ فخرج هو بنفسه اليهم، وانتشبت الحرب بين العرَب وبينه؛ فهزمَتْه العرَب، وثبت المُعِزُّ فى طائفة من عبيده؛ ثمّ عاد الى المنصوريّة. فأحْصَى من

---

1) Manque dans A. 2—2) Manque dans B.

3) Ici débute une importante lacune du ms. A.

قُتل من صِنْهاجة فى هذه الوقعة: فكانوا ثلاثة آلاف وثلاثمائة. ثمّ أقبلت العَرَب حتّى نزلت على القَيْرَوان، ووقعت الحرب هنالك، فقُتل بين رَقادة والمنصوريّة خلقٌ كثيرٌ.

وفى سنة ٤٤٤، ذهب المُعِزّ بن باديس الى رفع الحرب بينه وبين العَرَب، وأباح لهم دخول القَيْرَوان لما يحتاجون اليه من بيع وشراء. وبقى هو مستوطناً المنصوريّة مع من بقى من عسكره. فلما دخلوها، استطالت العامّة عليهم، وأوسعتهم إهانةً وشتماً، فقتل العَرَبُ منهم خلقاً كثيراً. وكان عَدَدُ العَرَب الواصلين من المشرق سبعة آلاف فارس وخمسمائة. وقدّر المُعِزّ أنّ العَرَب عائدون من حيث أتوا، فخرج الأمر له بخلاف ظنّه.

وفى هذه السنة، بنى المُعِزّ سورَ القَيْرَوان، وسورَ زَوِيلَة، وجعل السور ممّا يلى صَبْرة كالفصيل: حائطانِ متّصلان الى صَبْرة، وبينهما نحو نصف ميل.

وأمّا القَيْرَوان، فهى فى بسيط من الأرض، ممدودة فى الجَوْف منها نحو تونس. وفى الشرق نحو سوسة والمهديّة، وفى القبلة نحو سَفَاقُس، ويقرب منها البحر الشرقىّ: فبينها وبين البحر مسيرة يوم، وسائرُ جوانبها أرضٌ طيبةٌ. ولا سبيل للوارد أن يدخل القَيْرَوان إلّا بعد جوازه على صَبْرة. وأمّا صَبْرة، فبناها إسماعيل بن أبى القاسم بن عُبَيْد الله الشيعىّ، المتلقّب بالمنصور، وسمّاها المنصوريّة، واستوطنها سنة ٣٣٧، ثمّ كانت منزل الوُلاة بالقَيْرَوان الى حين خرابها.

وفى سنة ٤٤٥، ولّى المُعِزّ بن باديس ابنه تَميماً مدينةَ المَهْدِيّة. وفيها، نافق على المُعِزّ بن باديس أهْلُ سوسة. وهى مدينةٌ منيعةٌ، حاصرها أبو يزيد شهوراً، ثمّ انهزم عنها، وكان عليها فى ثمانين ألفاً. وفى ذلك يقول سَهْل ابن إبراهيم [كامل]:

إنّ الخَوَارِجَ صَدّهَا عن سُوسةٍ   أبداً طِعانُ السُّمْرِ والإقدام

وفى سنة ٤٤٦، حاصرت العَرَب مدينة القَيْرَوان وضيّقت عليها تضييقاً

شديداً يطولُ ذكرُه. وفيها، أخذ مُؤْنِس بن يحيى سلطانُ العَرَب مدينة باجة، وأطاعه أهْلُها.

وفى سنة ٤٤٧، تولَّى بُلُقّين الصِّنْهاجىُّ قَلْعَةَ حَمَّاد. وفيها، نافَقَ ابن أبى زمان على المُعِزّ بن باديس. وفيها، كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ وجَهْدٌ مُفْرِطٌ.

وفى سنة ٤٤٨، وقع بين عَبيد المُعزّ الساكنين بالمهديَّة وبين عَبيد تَمِيم ابْنِهِ مُنازَعةٌ ادَّتْ الى الاقتتال والمحاربة؛ فقامت عامَّة زَويلة وسائر من كان بها من البَحْرِيّين وغيرهم مُعَاضَدةً لعَبِيدَ تَمِيم؛ فهزموهم، وأخرجوهم من المهديَّة، وقتلوا منهم عدداً كثيراً. وسار الذين بقى منهم، يريدون اللحاق بالقَيْرَوَان؛ فدسَّ تَمِيمٌ خَبَرَهم الى العَرَب؛ فقُتِل منهم فى الطريق خلقٌ كثيرٌ؛ وسَبَبُ هذه المقاتلة قَتْلُ تميم عَبيدَ أبيه بالمهديَّة؛ ويُقال إنَّ الذى قُتل منهم سبعمائـة. وذُكِرَ أنَّ المحرِّك لقتلهم واستيصالهم قصيدةُ محمَّد بن حبيب، التى أوَّلُها [بسيط]:

السَّيْفُ يسبِقُ قَبْلَ الحادِث العَذَلاَ   لا تُغْمِد السَّيْفَ حتّى تَقْتُلَ السَّفَلاَ
نَقِّلْ عِداتكَ من دُنْيا لآخرةٍ   فكُلُّهم ظَنَّ هذا المُلْكَ مُنتقِلاَ

وفى سنة ٤٤٩، خرج المُعِزُّ بن باديس من المنصوريَّة مُنْتَقِلاً الى المَهْدِيَّة، لِليلتَيْن بَقِيَتا من شعبان. وفى أوَّل يوم من رمضان، انتهبت العَرَب مدينـة القَيْرَوَان وخرَّبتها. وكانت من أعظم مُدُن الدنيا. وذكر أبو عُبَيْد أنَّه انتهى ما ذُبِح بها من البقر خاصَّةً فى اليوم الواحد سبعمائة رأس وخمسين رأساً. وقال: فى سنة ٥٣، بُنيت القَيْرَوَان وأُخْلِيَتْ.

وفى سنة ٤٥٠، خَرَجَ بُلُقِّين، ومعه الأثبَجَ وعَدِىٌّ لحرب زناتة؛ فكسرهـا وقتل منها عدداً كثيراً.

وفى سنة ٤٥١، قُتِل منصور البَرْغَواطىّ، صاحبُ سَنَافُس، قَتَلَهُ غَدراً حَمُّو ابن ومليل البَرْغَواطىّ، وولى مكانَه، وذلك يوم السبت الثانى لشوَّال.

وفى سنة ٤٥٢، وقعت بين العَرَب بالقَيْرَوَان وبين هوَّارة حربٌ كان الغلب فيها للعَرَب. وقُتلت هوَّارة بباب الصَّوْم، أحد أبوابها.

وفى سنة ٤٥٣، قتل أَهْلُ نَقْيُوس مائتين وخمسين من العَرَب. وكان سبب ذلك أنَّ العَرَب دخلت الى نقيوس متشوّفةً؛ فسمع رجلٌ منهم رجلاً من أهل المدينة يذكر المُعِزَّ بخير، ويُثنى عليه؛ فقتله العَرَبىُّ؛ وكان مقدَّماً فى المدينة؛ فقام عليهم أَهْلُ البلد، فغزوهم وقتلوا من العَرَب العَدَد المذكور.

وفى سنة ٤٥٤. غدر الناصر بن عَلَنّاس لبُلُقّين بن محمَّد الصِّنْهاجىّ صاحبِ القَلْعة، وكان ذلك أَوَّلَ يوم من رجب؛ وولى مكانَـهُ. وفيها، تُوُفّى المُعِزّ ابن باديس.

بعض أَخبار المُعِزّ بن باديس

كُنيتُه: أبو تميم. ولَقَبُه: أَوّلاً شَرَف الدولة بن أبى مَناد بَادِيس نَصِير الدولة بن أبى الفَتْح المنصور عُـدَّةِ العزيز بالله بن أبى الفُتوح بُلُقّين سَيْف العزيز بالله بن زِيرى بن مَنَاد بن مَنْقُوش الصِّنْهاجىّ. وفى هذه الأسماء والكُنَى، يقول ابنُ شَرَف [خفيف]:

شَرَفُ الدَّوْلَةِ المُعِزُّ بنُ بَادِيسِ النَّصِيرُ المُظَفَّـرُ المِـقْـدَامُ
مَنْ لَهُ فى العُلَى ثَلاثَـةُ آبَاءٍ نَـصِـيـرٌ وعُـدَّةٌ وحُـسَـامُ
وابْنُ زِيرِى أَبو الفُتوح الَّذِى أَعْدَى أَعَـادِيـهِ فى الـوَرَى الإِحْجامُ
وأَبو الفَتْحِ بَعْدَه السَّيِّدُ المَنْصُورُ مَنْ صَوْبُ رَاحَتَـيْـهِ سِجَامُ

مولدُه سنة ٣٩٩. وولى المُلْكَ سنة ٤٠٧، وسِنُّه سبعة أعوام وشهران. وتُوُفّى سنة ٤٥٥. وعُمُرُه ثمانى وخمسون سنة. فكانت مملكتهُ سبعاً وأربعين سنة وفى سنة وتأريخ ولايته، يقول ابن شَرَف [رجز]:

لَمّا انقضتْ من المِئِينَ أَرْبَعُ وبَعْدَهـا سِتُّ سِنين تَتْبَعُ
وأَوّلُ العامِ الشريفِ السابِعُ دَارَالِيهـا أَيْمَنُ طَوَالِـعُ

باسم المُعِزّ المَلِكِ المَيْمُونِ   مُذِلِّ كُفْرٍ ومُعِزِّ الدِينِ [1]
P. ٣٠٥ • فقُلِّد الأمر الشديدَ المَنْعَهْ   مُنْتَهِضاً بحَمْلِهِ ابن سَبْعَهْ

صِفَتُه: أسْمَرُ، جميلُ الوجه، جهيرُ الصوت، حَسَن الخُلُق، بعيد الغَوْر فى الأمور، قتل الشيعة وقطع دعوتهم من إفريقية، ولعن أمَراءهم بنى عُبَيْد على سائر منَابِر إفريقية، ووفَّى لكلّ واحد من الصحابة حقّه، وأقام السُّنَّة، [2] وكانت متروكةً منذ مائة وأربعين سنة [2].

حكاية فى ابتداء دولة صِنْهاجة

لما تغلَّب آلُ عُبَيْد الله على مِصْرَ، وأراد مَعَدُّ بن إسماعيل الرحيل اليها من إفريقية، دعا زيرى بن مَنَاد، وكان له عشرة أولاد؛ فقال له: «أُدْعُ لى بَنِيكَ؛ فقد عَلِمْتَ رأيى فيهم وفيك.» وكان أصْغَرُهم سِنًّا بُلُقِّين. فدعا أولادَه ما عَدَاه، والقَدَرُ لا يُريد سِوَاهُ. وكانت عند مَعَدّ بن إسماعيل أثارةٌ من علم الحَدَثان، قد عرف بها بَصَائرَ أحواله وأهْل الغناء من أعيان رجاله. وكانت عنده لخليفته على إفريقية والمغرب، إذا صار اليه مُلْكُ مِصْرَ، علامةٌ. فنظر فى وجوه بنى زِيرِى، فلم يرَها؛ فقال لزيرى: «هل غَادَرْتَ من بَنِيك أحداً؟» فقال له: «غلاماً صغيراً.» فقال المُعِزُّ: «لا أراك حتّى أراه! فلستُ أُريد سِوَاه!» فلما رآه عرفه، وفوّض اليه من حينه، واستخلفه؛ فاستولى من وقته على الأمور، وزاحمَتْ مَهَابَتُه الأهواء فى الصدور؛ وبَعُدَتْ أسفارُه، واشتهرَتْ أخبارُه، وبلغ بغزواته سَبْتة فى خَبَر طويل. ثمّ أجاب صَوْتَ مُناديه، وخَلَعَها على أعطاف بنيه، حتّى انتهى أمرُهم الى المُعِزّ بن بَادِيس شَرَفِ العَشِيرة، وآخِرِ مُلوكها المشهورة. ومن العَجَب أنّهما تَوَافَقَا فى الاسم والكُنية، أعْنِى المُعِزَّ أبا تَمِيم مَعَدّ بن إسماعيل العُبَيْدىَّ صاحِبَ الحَدَثان، والمُعِزَّ أبا تَمِيم هَذَا.

---

1) Ici prend fin la lacune du ms. A.   2—2) Manque dans B.

فأوّل ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم سلطانه، قَتْلُ الرّافضة، ومُراسلةَ أمير المؤمنين العبّاسىّ يومئذٍ ببغداد؛ فكتب اليه بعهده، * وجاءته الخلعة واللّقب من عنده، رأياً اغترّ ببادیه، وذهل عن عواقبه وبواديـه. واتّصل ذلك بالعُبَيْدىّ بمصرَ، وأمرُه يومئذٍ يَدُورُ على الجَرْجَرائىّ؛ فاصطنعها عليـه، وفوّق سِهامَ مكروهه اليه. وكانت بطونٌ من عامرِ بن صَعْصَعة: زُغْبة، وعَدِىّ والأثبج ورِيَاح، وغيرُهم، تنزل الصّعيد، لا يُسمح لها بالرحيـل، ولا بإجازة النّيـل؛ فأجازهم الجَرْجَرائىّ، وأذن لهم فى المُعزّ أُمنيةً طالَما تخلّت اليها أطماعُهم، وعكفت عليها أبصارُهم؛ فغشّاه منها سَيْلُ العَرِم، ورماه بذلول ابْنَةِ الرَّقِم؛ فشغل المُعزُّ بَعْضَهم أوّلاً بخدمته، وحمّلهم أعباء نِعْمَته، وهم فى خلال ذلك يتمرّسون بجهاته، ويدبّون الى حماته، ويُطِلّون على عَوَراته، حتّى بان لهم شأنُه، وهان عليهم سلطانُه؛ فجاهَرُوه بالعداوة، حتّى جرت بينهم تلك الحُرُوب، التى تقدّم ذكرُها مُخْتَصَراً؛ فأورثته البَوَار، وضربَتْ عليه الحِصار.

P. ٣٠٦

وفى أثناء ذلك، أعطاهم الدَّنيّة، وناشدهم التَّقيّة، واشترط المَهْدِيّة، وزفّ الى أحد زُعمائهم من بناته؛ فأصبحوا لـه أصهارا، وقاموا دونه أنصارا. فلما استحكم بَأْسُه، وأهمّته نَفْسُه، استجاش مَنْ قِبَلَه، واحتمل أهْلَه وثقلَه، وخلّى الملك لمن حَمَاه وحَمَلَه، وجاء أصهارُه يمنعونه ممّن عسى أن يكيده، حتّى بلغ المهديّة؛ فأقام بها أسْقَطَ من الشمس بالميزان، وأهْوَنَ من الفقير على القِيان؛ ولم يكن أحد فى زمانه أشَدَّ بأساً فى الملاحِم، ولا أطْوَلَ يداً بالمكارِم، ولا أعْنَى بلسان العَرَب، ولا أحنى على أهل الأدب.

ومن مشهور كرمه أنّه أعطى المُنْتَصِرَ بن خَزْرُون فى دفعة مائة ألف دينار، الى مـا وصله من مركب نبيل، وزىّ حفيل. وكان مُتَوَقّدَ الذِّهْن، حاضرَ الخاطر، حاذقاً بطرائف الألحان، عالماً بالمنثور والمنظوم من الكلام. ومَدَحَهُ كثيرٌ من الشُعَراء؛ فأجزل لهم العطاء: منهم علىٌّ بن يوسف التونسىُّ، ويَعْلَى ابن إبراهيم الأرْكُشىُّ، وأبو علىّ بن رَشِيق، والقُرَشىُّ، وابن شَرَف، وغيرُهم يطول

الكتابُ بذكرهم، لا سيّما لو ذكرتُ من نَظْمهم ونَثْرهم. وذكر أبو الحسن الخَوْلانىُّ المعروف بالحدّاد، قال: اشتملتْ على كثير من أيّامه ووقائعه وصِفةِ حالـه فى خروجه من القَيْرَوان، وتسليمه للعَرَب مُعْظَم ملكه، فى قصيدة أوّلها [طويل]:

سَرَتْ تتهادَى بَعْدَ ما رَحَـلَ الرَّكْبُ وقَدْ قُلِّدَتْ جِيدَ الدُّجَا الأَنْجُمُ الشُّهْبُ

ومنها:

وَإِنْ خَانَنِى صَبْرى عَلَى ثِقَتِى بِـهِ فَقَدْ خَان مَوْلَانَا العَشَائِرُ والصَّحْبُ[1]

وَلَـوْ شَـاءَ تأليفَ الجنودِ وجَمْعَها لَجاءتْهُ من أقطارها العُجْمُ والعُرْبُ

ولاكنَّه أغْـذى[2] الجُفونَ لِعلْمِهِ بما سَطَّرَتْ فيـه الملاحِمُ والكُتْبُ

ولم يمكث بالمهديّة إلاّ نحو سنتَيْن، وانقضَتْ أيّامُه، ووافاه حمامُه؛ فتُوُفِّى يوم السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٤٥٤. هاكذا ذكر أبو الصَّلْت؛ وقد تقدَّم قولُ ابن شَرَف أنّه تُوُفِّى فى سنة ٤٥٥. أولادُه: تَميم، ونِزار، وعبد الله، وعلوٌّ، وحَمّادٌ، وبُلُقِّين، وحَمامة، والمنصور.

دولة الأمير تَميم بن المُعِزّ ونُبَذٌ من أخباره

مولدُه بالمنصوريّة فى رجب سنة ٤٢٢. وأبرزه والدُه للناس ابْنَ سَنَتَيْن؛ وركب، والعساكرُ وراءه، وطاف مدينتَى القَيْرَوان والمنصوريّة. وولى المهديّة سنة ٤٤٥، عُمُرُه إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة. وأقام بها الى أن خرج والدُه من المنصوريّة متوجّهاً نحوها؛ فلما دنا منها، خرج اليه فيمن معه، وترجّل عند رُؤْيَتِهِ لَهُ، وقبّل الأرض بين يديه، ومشى راجلاً أمامه، وأظهر من طاعته له ما أبان كَذِبَ ما نُسب اليه، وُزوِّر *من النِّفاق عليه؛ فدعا له والدُه، وأمره P. ٣٠

بالركوب، فركب وسار معه الى المهديّة، فنزل المُعِزُّ القَصْرَ، وأقام ابنه تَمِيمٌ متكفِّلاً بأمر الدولة.

وفى سنة ٤٥٥، فتح تَمِيمٌ مدينة سُوسة. وكان أَهْلُها قد نافقوا على أبيه، فعفا عنهم [1].

وفى سنة ٤٥٦، زحف الى المهديّة حَمُّو بن ملِّيل البَرْغَوَاطِىُّ الثائرُ بمدينة سَفَاقُس، بمن استعان من العَرَب. فورد خبره على تميم، فسار اليه، ومعه طائفةٌ كبيرةٌ من زُغْبة ورِيَاح. وكان مع حَمُّو طائفةٌ من عَدِىٍّ والأَثْبَج، فاقتتل الفريقان. ثمّ ولت طائفةُ حَمُّو أَدبارها، فأَخذتْها السيوف، وتولَّتْها الحُتُوف.

وفى سنة ٤٥٧، كُسِر عَسْكَرُ الناصر بن حمّاد، وكان قد خرج فى عَدَد كثير من صِنْهاجة وزَنَاتة وعَدِىٍّ والأَثْبَج، فلقيتْهم رِيَاح وزُغْبة وسُلَيْم، فانهزم الناصر، وقُتل من أصحابه خلقٌ كثيرٌ، ونُهبت أَمواله ومَضَارِبُه، وقُتل أَخوه القاسم بن عَلَنَّاس. وكان من أَعظم الأَسباب فى ذلك ما أَبرمه تَمِيمٌ فى أَمره.

وفى سنة ٤٥٨، جرّد تَمِيمٌ عسكراً كبيراً الى مدينة تُونِس، فأَقام محاصِراً لها، آخِذاً بمخنّقها، أَربعة عشر شهراً، حتّى وقع الاتّفاق بينه وبين ابن خُرَاسَان صاحِبِها، على ما اقتضاه إقلاعُ العسكر عنها.

وفى سنة ٤٥٩، قام بالمغرب الأَقصى محمّد بن إدريس بن يحيى بن على ابن حَمُّود الحَسَنىُّ، استُدْعِىَ من مَلِيلَة، فعبر اليها، وقام به جماعة بنى وَرْتَدِى فى مَلِيلة ونواحيها. وكان قد خُطِب له بالخلافة بمالَقة، وتسمَّى بالمُسْتَعْلِى، فأَقام بها الى أَن تغلَّب عليه بَادِيس بن حَبُوس الصِّنْهاجىُّ صاحِبُ غَرْناطة سنة ٤٤٧، فانقرضت دولة بنى حَمُّود يومئذٍ بالأَنْدَلُس، واختفى بالمَرِيّة الى أَن اسْتُدْعِىَ.

وفى سنة ٤٦٠، حاصر الناصِر بن عَلَنَّاس بن حَمّاد مدينة الأُرْبُس، وكان معه الأَثْبَج من العَرَب، وبقى عليها حتّى * افتتحها، وأَمَّن أَهلها، وقتل عامِلَها ابن مكراز [2]. وفيها، وصل الناصِر المذكور الى القَيْرَوَان مع العَرَب، ودخلها.

P. ٣٠٩

وفيها، استبدّ أميرُ لَمْتُونة بالغَرْب، وطاعت له قبائلُ المَصَامِدَة وبلاد دَرْعة وسِجِلْماسة، وتغلّب على زَنَاتة المستوطنين هنالك.

وفى سنة ٤٦١، عاد الناصِر بن عَلَنَّاس بن حَمَّاد من القَيْرَوان الى قلعته، خوفاً من جموع العَرَب. وفيها، شرع أبو بكر بن عمر اللَّمْتُونىّ فى بناء مَرَّاكُش، على ما يأتى فى موضعه.

وفى سنة ٤٦٥ وصلت الى مدينة سَفَاقُس مراكب شرقيّة، فأخرج اليها السلطان تَمِيم بن المُعِزّ أُسْطُوله من المهديّة، فأفسدها.

وفى سنة ٤٦٦ (وقيل ٤٦٧)، طُرِدَتْ زُغْبة من إفريقية: طردَتْهم رِيَاحٌ منها، وبَاعَت القَيْرَوَان من الناصِر بن عَلَنَّاس بن حمَّاد الصِّنْهاجىّ صاحب القَلْعة.

وفى سنة ٤٦٨، وصلت الى إفريقية عَرَبٌ من بَرْقة، ونزلت حَوْلَ القَيْرَوَان وما والاها.

وفى سنة ٤٦٩، كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ ووباءٌ عظيمٌ، مات فيه من الناس خلقٌ كثيرٌ.

وفى سنة ٤٧٠، اصطلح تَمِيم بن المُعِزّ والناصِر ابن عمّه، وزوّجه بنته بَلَّارَة، وجهّزها اليه من المهديّة فى عساكر عظيمة ومال وأسباب وذخائر.

وفى سنة ٤٧٤، حاصر تَميم مدينة سَفَاقُس، وعاث عسكره فى أجِنَّتها المعروفة بالغابة، وأفسدها. وولّى تَمِيم ابنهَ مُقَلَّداً [1] مدينةَ إطْرابُلُس سنة ٤٧٠.

وفى سنة ٤٧٦، حوصرت المهديّة: نزل عليها مالِك بن علوى فى جموع عظيمة من العَرَب، فخرج اليه السلطان تَمِيم، فهزمه، وأقلع عنها منهزماً، ودخل القَيْرَوَان.

وفى سنة ٤٧٩، حاصر تَمِيم مدينة قَابِس وسَفَاقُس معاً فى زمن واحد، ممّا لم يُسمع بمثله.

---

1) Manque dans B.

وفى سنة ٤٨٠، كسفت الشمس كسوفاً كُلِّيًّا. وجرى فيها ماجرى من نزول الرُّوم على المهديَّة فى ثلاثمائة مركباً حربيَّةً، على ظهورها ثلاثون ألف مُقاتل.

*ذكر دخول النصارى مدينة المهديَّة

P. ٢١٠

وسَبَبُ ذلك، مع قدر الله تعالى، غَيْبةُ عسكر سلطانها عنها، ومُفاجأةُ الروم قَبْل استقدامه اليها، وأخْذُ الأُهبة للقائهم، وخُلُوُّ كافَّة الناس من الأسلحة والعُدَد، وقِصَرُ الأسوار وتَهَدُّمُها، وتكذيبُ تَميم بخبرهم، وسوء تدبيرِ عبد الله بن مَنْكُور مُتَوَلِّي أُمور الدولة فى قصده مخالَفة قائد الأُسْطُول فى الخروج اليهم لِلِقَائِهم فى الماء ومنعهم من النزول فى البرّ. فكان ذلك كلُّه سَبَبَ تغلُّبهم على المدينتَيْن المهديَّة وزَوِيلة، ونهبهم إيَّاها، وقتلهم الناس فيهما، وإحراقهم بالنار ما هو مشهورٌ بالمهديَّة الى الآن. وقد استوعب ذلك أَبو الحسن الحَدَّاد فى قصيدته التى أَوَّلها [منسرح]:

أَنَّى يُلِمُّ الخَيَالُ أَوْ يَقِفُ — وبيْن أَجفْانِنا نَوَى الدَّنَفُ

غَزَا حِمَانَا العدوُّ فى عَدَدٍ — هُمَا الدُّمَا كثرةً أَو الطُّعفُ

عِشْرون أَلفاً ونصفُها ائتَلَفُوا — من كلِّ أَوْبٍ ولَيْتَ ما ائتَلَفُوا

جاؤُوا على غُرَّةٍ الى نَفَرٍ — قد جَهِلَوُا فى الحُرُوبِ ما عَرَفُوا

وهى طويلة.

وفى سنة ٤٨١، مات الناصِر بن عَلَنَّاس بن حمَّاد الصِّنهاجىُّ، وولى ابنُه المنصور.

وفى سنة ٤٨٢، غزا مالِك بن علوى مدينة سُوسة، ودخلها فى طائفة من أصحابه، ولم يتمكَّن له شىءٌ من مُراده فيها، فخرج منها منهزماً، وقُتل جماعةٌ من رجاله، وأسر بعضُهم.

وفى سنة ٤٨٢، غَلَت الأَسعار بإفريقية، وكانت بها مجاعةٌ شديدةٌ.

وفى سنة ٤٨٤، صَلُحت أَحوال إفريقية فى الخِصْب والرَّخاء.

وفى سنة ٤٨٦، حاصر عسكرُ تَميم مدينة قَابِس، وأَقام عليها حتّى فتح رَبَضها.

P. ٣١١ وفى سنة ٤٨٨، كان ما كان من غَدْرِ شَاه مالِك الغُزّىّ * ليحيى بن السلطان تَميم بن المُعِزّ. وسَبَبُ ذلك أَنّ تَميماً خاف الغُزّىّ وأَوْحَش منه نفسه ونفس أَصحابه لكلامٍ قاله؛ فأَضْمَرَ[1] ذلك شاه مالِك فى نفسه، وكان داهيةً مكراً، وخرج يحيى بن تَميم أَثناء ذلك متصيّداً، وفى صحبته نَفَرٌ من أَهل مُؤانسته ومُنادمته. وكان شاه مالِك مع كثير من أَصحابه؛ فظفر به، وقبض عليه وعلى جملة من أَصحابه. ولما بلغ تَميماً ذلك، أَنفذ الخيل فى الغُزّىّ؛ فوجدوه قد فات وسار الى سَفَاقُس ودخلها. فركب صاحبُها حَمُّو بن ملّيل، وتلقَّى يحيى بن تميم مع الغُزّىّ الذى قبض عليه؛ فأَقام عنده أَيّاماً، وكتب الى السلطان تَميم يَلْتَمِس منه عِيَال الغُزّ وأَولادهم. فأَمر تميم بإِنفاذهم اليهم، ودعا يحيى وأَصحابه الى المهديّة.

وفى سنة ٤٨٩، فتح تَميم مدينة قابِس، وأَخرج منها عُمَر بن المُعِزّ أَخاه؛ وقد كان ولّاه أَهْلَها.

وفى سنة ٤٩١، كانت بإِفريقية مجاعةٌ شديدةٌ. وفى هذه السنة، فتح تَميم جزيرة قَرْقَنة[2] ومدينة تونس. وخرجت عَدِىٌّ من إِفريقية أَمام رِيَاح.

وفى سنة ٤٩٣، فتح تَميم سَفَاقُس، وخرج منها حَمُّو بن ملّيل هارباً الى قابِس؛ فقَبِلَهُ صاحبُها مَكّن بن كامِل الدَّهْمانىّ، وآواه حتّى مات.

وفى سنة ٤٩٨، مات المنصور بن الناصِر بن عَلَنَّاس، صاحبُ بجاية والقَلْعة وما والاها، وولى ابنه بَادِيس؛ وأَقام قليلاً، ومات. ثمّ ولى أَخوه العزيز بالله بن المنصور. وفيها، وصل الرُّمَانيُّون الى المهديّة بأَجفان كثيرةٍ حربيةٍ، تُسَمَّى الشَّوَانِى، ومعهم ثمانية[3] وعشرون مركباً. وكان قَصْدُهم أَن يجِدُوا فرصةً

---

1) A. فاضرّ.   2) B قوقبة.   3) A. ثلاثة.

كما وجدهـا الروم المتقدّم ذكرُهم. فقصدوا الى باب دار الصِّناعة، ليمنعوا أُسطول المهديّة من الخروج اليهم؛ فخاب ظنّهم، وخرجت أُسطول المهديّة اليهم؛ فهزموهم وقتلوا * كثيراً منهم.

P. ٣١٢

وفى سنة ٤٩٩، وجّه السلطان تَمِيم أَبا الحسن النِّهْرِىَّ الى جزيرة جَرْبة فى عَدَد جمّ وأُسطول كثير؛ فوجد أهلها قـد أخذوا الأُهْبة لـه، واستعدّوا، واستمدّوا؛ فلم يتمّ له شىء من أَمرها.

وفى سنة ٥٠٠، غُدِرَتْ مدينة بَاجَة، وقُتل فيها خلقٌ كثيرٌ. وفيها، رحل المهدىُّ محمّد بن تُومَرْت القائم بدعوة البَرْبَرَ المُسَمّين بالمُوَحّدِين من جَبَل هَرْغة بأَقصى المَغْرِب الى المَشْرِق فى طلب العِلْم؛ فجاز الى الأَنْدَلُس ووصل قُرْطُبة، وسار منها الى المَرِيّة، ومنها دخل فى مركب الى المشرق؛ وغاب فى رحلته خمسة عشر عاماً.

وفى سنة ٥٠١، ظهر فى أُفُق المَغْرِب كَوْكَبٌ عظيمٌ من ذوات الذَّوَائب، وأقام ليالِىَ كثيرةً. وفيها، مات السلطان تَمِيم بن المُعِزّ؛ فكانت مُدّتــه نحو سبع وأربعين سنة.

بعض أَخبار تَمِيم بن المُعِزّ

كان — رحمه الله! — شهْماً شجاعاً حازماً عازماً، يستصغر صعاب الأُمور، ويستسهل عظائم الخطوب، ويغلب عليه شدّة البطش والمبادرة. وهو أحد فحول شعراء الملوك، وذوِى السَّبْق والتقدّم فى معانيه وبدائعه، حَوَى فيه الجودة والكثرة. وله ديوانٌ كبيرٌ من شعره مشهورٌ؛ فمن قوله [وافر]:

فَإِمَّا المُلْكُ فى شَرَفٍ وعِـزٍّ ... علىَّ التَاجُ فى أَعْلَى السَّرِيــرِ
وإِمَّا المَوْتُ بَيْنَ ظُبَا العَوَالِى ... فَلَسْتُ بِخالِدٍ أَبَـدَ الدُّهُورِ

وله فى غلام اسمه مُدام، من قصيدة طويلة [متقارب]:

مـدامٌ يَطُوفُ بِكـاسِ المُدَامْ فَـلَـمْ أدرِ أيُّهُمَـا أشْـرَبُ
فهَذَا الصديقُ وهـذى الرَّحِيقْ وهـذا الهِلالُ وذى الكَوْكَبُ
وهـذا يَجودُ بأَلْحَاظِهِ لى وهـذى بأَلْبَابِنـا تَلْـعَـبُ
* وما البَدْرُ والنَّجْمُ من ذا وذاك ولاكـنـه مَثَـلٌ يـضْـرَبُ

P. ٣١٣

وكان تَميم بن المُعِزّ جَمِيلاً، وَسِيماً، مُدِيرَ القامة، دُرِّيَّ اللون، أشَمَّ، أبْلَجَ. وكان يكثر من استفراغ بَدَنه، ويرَى أنّ بذلك تَتِمّ صِحّتُه. وكان يستعمل كلّ حارّ من الأغْذِيَة والأدْوِيَة، ويُكثر الاصْطِلاء بالنار، ويدخل الحَمّام الحارّ، ويُكثر الجماع، ويشرب الأدوية القويّة كالمَحْمُودة وغيرها، ويُجاوِز فى ذلك المقدارَ، حتّى جفّ لَحْمُه، وفسدَتْ حَرَكاتُه الطبيعيّة. وأُقْعِد؛ ثمّ مات فى مُنْتَصَف رجَب من سنة ٥٠١؛ فكان عُمُرُه تسعاً وسبعين سنة؛ وولايتُه من يوم وفاة أبيه ستًّا وأربعين سنة وعشرة أشهر ونصْفاً. وخلف من الأولاد الذكور ما جاوز عَدَدُهم المائة. وقيل إنّه كان له من الوَلَد ووَلَدِ الوَلَد نحو ثلاثمائة.

دولة يحيى بن تَمِيم بن المُعِزّ ونُبَذٌ من أخباره وسِيَره

مولده بالمهديّة سنة ٤٥٧. وولى سنة ٥٠١، وعُمُرُه إذ ذاك ثلاث وأربعون سنة. وكان حاذقاً بتدبير دولته، ساهراً فى سياسة رعيّته، كثيرَ المُطالعة لكُتُب السِّيَر والأخبار، أديباً، شاعراً، ذا حظٍّ من اللُّغة والعربيّة صالحٍ. وكان حَسَن الوجه، أشْهَل العينَيْن، أجْهَرَ الصوت. وتُوُفِّى ثانى عيد النَّحْر من سنة ٥٠٩ فجأةً، مقتولاً فى قصره بالمهديّة؛ فكانت مُدَّة مُلْكه ثمانى سنين وستّة أشهر. وخلف من الاولاد ثلاثين ولداً ذكوراً. وممّا حَدَثَ فى أيّامه من الوقائع ما أذْكُرُها مُلَخّصاً، مورَّخة بأوقاتها.

وفى سنة ٥٠٢، فتح يحيى بن تَمِيم قلعة أقليبة. قال ابن القطّان: كان لتميم بن المُعِزّ من الولد ثلاثمائة؛ فنفى يحيى أكبرَهم الى المشرق والمغرب

والأندلس. وكانت ايام يحيى هادنةً وادعةً. وكان يطلب * عَمَل الكيمياء، وجعل ٢١٤
لها داراً تَرِدُها الطَّلَبة، وأجرى عليهم الإنفاق، ومكّنهم من الآلات.

وفى سنة ٥٠٣، جرّد يحيى بن تميم من أُسْطُوله خمسة عشر غُرَاباً للغزو فى بلاد الرُّوم؛ فأُصيب منها سِتّةٌ، وعادت الباقية الى المهديّة.

وفى سنة ٥٠٤، كان بالمغرب زَلاَزِلُ عظيمةٌ، دامت شهر شوّال كلّه. وأميرُ إفريقية يحيى بن تميم بن المُعِزّ.

وفى سنة ٥٠٥، وصل سِوَار رسولُ صاحب مِصْرَ بهديّة الى أمير إفريقية يحيى بن تَمِيم؛ فتلقّاه بغاية الإكرام والاهتمام، وأقام عنده حتّى صرفه، وأصحبه من الدخائر والألطاف ما لا يُحِيطُ به الوَصْفُ.

وفى سنة ٥٠٧، وصلت أُسْطُول المهديّة بسَبْيٍ كثير من بلاد الروم فى ربيع الآخِر؛ فسُرَّ بذلك يحيى بن تميم والمسلمون.

وفى سنة ٥٠٨، ولّى أمير إفريقية يحيى ابنه عَلِيًّا مدينة سَفَاقُس، وولّى اخاه عيسى مدينة سُوسة. وفيها، هجم الرُّومُ على مَيُورَقة، وهى بيد مُبَشّر الفَتَى مَوْلَى ابن مُجاهِد، ودخلوها عنوةً، وقتلوا رجالها، وسبوا ذراريها ونساءها، وذلك بعد حصار شديد؛ ثمّ استرجعها علىّ بن يوسف من أيدى الروم.

وفى سنة ٥٠٩، وصل الى المهديّة رَجُلانِ أو ثلاثة، ذكروا أنّهم من طَلَبة المَصَامِدة، عارفين بصناعة الكيمياء؛ فأُبيح لهما الدخول الى دار العَمَل. فلما أحكما ما أرادا، استأذنا على السلطان يحيى بن تَمِيم. فقال لهما: «أوْقِفانى على الطَّرْح وحقيقة السِرّ!» فقالا: «على أن لا يحضر إلّا انت ووزيرُك!» فحضر هو ووزيرُه وعبدُه أبو خنوس؛ فصنعا البُوط وألقيا الرَّصاص، وأحميا عليه، وجعلا كأنّهما يخرجان الإكْسِير. فأخرجا خَنَاجِيرَهما وقتلا الوزير وأبا خنوس، وأكثرا فى السلطان الجراحات. فبقى يُعانى جراحه حتّى مات. وقالا له حين جرحاه: «أيّها الكَلْب! نَحْنُ أَخَوَاكَ فُلانٌ وفُلانٌ! نَفَيْتَنا وبَقِيتَ * فى ٢١٥
المُلْك!» وثارت الصيحة إذ ذاك؛ فدخل العَبِيد وقُتِلا الرجلانِ للحين.

ومات يحيى يوم عيد الأضحى من سنة ٥٠٩. وكان الأمير يحيى، مدّةَ مرضه إثر هذه النوبة والغدر، نفى ابنه الفُتوح الى قصر زِياد، وأظهر اتّهامَه فى القضيّة. فأقام هناك الى حين وفاة أبيه وولاية، علىّ أخيه. ثمّ نفاه علىّ أيضاً الى المشرق، فتُوُفّى هنالك. وفى هذه السنة، عقد الأمير يحيى نكاح العَزيز بالله بن المنصور، صاحبِ القلعة وبِجَاية، على بنته بَدْر الدُّجَا، وجهّزها اليه.

دولة علىّ بن يحيى بن تَميم بن المُعِزّ بالمهديّة وبعض بلاد إفريقية

لما تُوُفّى الأمير يحيى، اجتمع أهل الدولة على نفاذ كتابٍ الى علىّ على لسان ابيه، وكان علىّ يلى سَفَاقُس، فكتبه الكاتب، وكتب عَلاَمة يحيى وكانت: «الحمد لله وحده!» فوصل الخبر الى علىّ ليلاً، فخرج لوقته، فوصل الى المهديّة ثالث عيد النحر، فدفن أباه فى القصر، ودخل الناس اليه مُعَزّين ومُهَنّئين، وعمره ثلاثون سنة. فاسْتَثْبَتَ له الأمر، واستوسق له الملك. وكان كريماً جواداً، يركن الى الراحة واللذّات، واتّكل على قوم فوّض اليهم تدبير دولته. فعاجلَتْه منيّتُه فى ربيع الآخر من سنة ٥١٥، فكانت دولته خمس سنين وأربعة أشهر واثنى عشر يوماً. وخلّف من الولد الذكور أربعة: الحسن، والعزيز، وباديس، واله (؟) [1].

وفى سنة ٥١٠، أمر بعِمارة الأُسْطُول الى جَرْبة، فحاصروها الى أن أقرّ أهْلُها بالطاعة له، ونزلوا على حُكْمه.

وفى سنة ٥١١، أرجف العوامُّ بأنه سيكون فى رمضان حادِثٌ كبيرٌ، وأنّ السلطان يموت فيه. وفَشَا القولُ بذلك، وانتشر. فأَكْذَبَ اللهُ أحاديثهم. وقال الشعراء فى ذلك كثيراً. فمِنْهُ [طويل]:

---

1) Sic dans A. Manque dans B.

* أشاعوا أباطيلاً وبثّوا زخارفاً دعتهم لها آمالُهم والمطامعُ P. ٣١٦
فلو يستطيع الناسُ من فرطِ حبّهم لضمّتك أحشاءٌ لهم وأضالعُ

ومنها:

وأصبح قولُ المبطلين مكذّباً ومدّ لك الرحمنُ فى أمدِ العمرِ
فأينَ الذى حدَّ المنجّمُ كونَهُ إذا مرّ للصُّوّامِ عشرٌ من الشهرِ

وفيها، وصل رسولُ صاحب مصْر بهديّة الى المهديّة. وفيها، حاصرَ علىُّ بن يحيى مدينةَ قابس، ودوّن بعض قبائل العرَب. فلما بلغ ذلك رافعاً صاحبَها، خرج مُتطارِحاً على وجوه الجيش، راغباً فى الصُّلح؛ فلم يجبْهُ علىٌّ الى ذلك؛ وفى أثناء ذلك، نزل على المهديّة ببيوته، ومن ساعده من عشيرته؛ فخرج من كان بالمهديّة، فهجموا على بيوته؛ فتصايحْنَ نساء العرَب؛ فغارت العرَبُ لذلك، ووقعت الحرب بين الفريقَيْن، والأميرُ على باب زَويلة. ثمّ إنّ علياً دوّن على رافع ثلاثة أخماس العرَب من جيشه؛ فصمد رافع نحوهم، والتقى الجمعان. ثمّ ولّى رافِعٌ قاصداً الى القيْروان. واجتمعت شيوخُ دَهْمان، واقتسموا البلاد بينهم؛ فأعطوا رافعاً مدينة القيْروان. ووصلت العرَبُ المدوّنةُ الى الأمير علىّ بن يحيى؛ فوهبها أموالاً جمّةً، وأمرها بالمسير الى القيْروان. فوقع بينهم وبين رافِع قتالٌ شديد، كان الظهور فيه لحزب علىّ بن يحيى، فى خبرٍ طويلٍ.

وفى سنة ٥١٢، وصل الى الأمير علىّ بن يحيى، من قِبَل صاحب صِقِلّيَة رجّار، رَسُولٌ منه يلْتمِس تجديدَ العقود، وتأكيد العهود، ويطلب أموالاً كانت له مُوَقَّفَةً بالمهديّة، وذلك بعُنُف وغِلْظة. فردّ علىٌّ رسولَه دون جواب، وجبهه بالقول. فتزايدت الوحشة بينه وبين رُجّار؛ فأوسع * شرًّا، وحاوَلَ بعد ذلك مكْراً. قال ابن القطّان: وكان فى هذه السنة غلاءٌ عظيمٌ، ووباءٌ؛ وبلغ رُبْعُ الدقيق بتِلِمْسَان عشرين درهماً. P. ٣١٧

وفى سنة ٥١٣، أغزى إبراهيم بن يوسف، أخو علىّ بن يوسف بن تاشفين،

مَلِكِ الغَرْب، قُورِيَة بالأَنْدَلُس؛ ففتحها الله عليه. وأَميرُ إفريقية عليُّ بن يحيى ابن تَمِيم.

وفى سنة ٥١٤، كانت وقعةٌ بالأَنْدَلُس، انهزم فيها المسلمون؛ وهى وقعة قُتُنْدَة، قال ابن القَطَّان: مات فيها نحو عشرين أَلفاً. وفيها، كان حلولُ ابن تُومَرْت المُتَلَقِّب بالمهدىّ بأَغْمَات، مُحَرِّضاً على الخروج على السُّلطان، وتفريق الكَلِمة المُنْتَظِمَة.

وفى سنة ٥١٥، خرج عليُّ بن يوسف من مرّاكُش الى الأَنْدَلُس؛ فوصلها فى ربيع الأَوَّل؛ وأَخَّرَ ابنَ رُشْد عن القضاء، وولَّى أَبا القاسم بن حَمْدِين؛ ثمّ رجع الى مَرّاكُش. وفيها، تُوُفِّىَ أَمير إفريقية عليُّ بن يحيى بن تَمِيم.

دولة الأَمير الحسن بن علىّ بن يحيى بن تَمِيم بن المُعِزّ بإِفريقية

كان أَبوه فوّض اليه الأَمر فى حياته، وعمره اثنتى عشرة سنة وتسعة أَشهر؛ ومولدُه بمدينة سُوسة فى رجب سنة ٥٠٢. فلما مات أَبوه، دخل الناس اليه مُهَنِّئِين ومُعَزّين بالمُلْك والوفاة؛ وأَنشدَتْه الشعراء؛ وتكفَّل بامر دولته صَنْدَلٌ الخادِمُ، لا لمعرفةٍ ولا سياسةٍ.

وفى سنة ٥١٦، غزا أَبو عبد الله بن مَيْمُون، قائدُ علىّ بن يوسف، مَلِكِ البَرَّيْن، جزيرةَ صِقِلِّيَة؛ فافتتح بها مدينة نِقُوطرة[1] من عمل رُجَار صاحبِ صِقِلِّيَة، وسبى نساءها وأَطفالَها، وقتل شيوخَها، وسلب جميع ما وجد فيها. فلم يشكَّ صاحبُ صِقِلِّيَة أَنّ المُحَرِّكَ لذلك، والمُسَبِّبَ له هو أَمير إفريقية *الحسن بن علىّ، لما تقدّم بينه وبين أَبيه من الوحشة العظيمة؛ فاستنفر أَهل بلاد الرُّوم قاطبةً؛ فالتأَم له ما لم يعهد مثلُه كثرةً. فعلم بذلك الحسن بن علىّ؛ فأَمر بتشييد الأَسوار، واتّخاذ الأَسلحة، وحَشْد القبائل، واستقدام العَرَب. فجاءت الحشود من كلّ جهة ومكان، والناسُ مُتَأَهِّبُونَ لما يطرقهم منهم.

P. ٢١٨

1) A. سقطرة. B. سقوطرة.

وفى سنة ٥١٧، فى أواخر جُمادى الأُولى، وصلت أُسطول الإِفْرَنْج الى جزيرة الأَحَاسِى، وخرج منهم الى البرّ خلقٌ كثيرٌ، وانبسطوا حتّى بعدوا عن البحر أميالاً. وفى اليوم الثانى، جاء الى المهديّة ثلاثة وعشرون شِينِيًّا، فعاينوا العساكر والحشود، ثمّ انصرفوا الى الجزيرة، فوجدوا العَرَب قد كشفوا من كان بها من الرُّوم عن مواضعهم، ومزّقوا مَضارِبهم، فقويت نفوسُ المسلمين بذلك. وكان رُجار قد أمر أُسطوله أن يدخل تلك الجزيرة، ويأخذ قَصْر الدِّيمَاس، وأن يسير الخَيْلُ والرَّجْلُ من هناك على تعبئة فى البرّ الى المهديّة، فدخلوا القَصْر لليلتَيْن خَلَتَا من جُمادى الأُولى، وفى آخر ليلةٍ منه، كبّر المسلمون، ودخلوا الجزيرة، فانهزم الرُّوم الى أجفانهم، بعدما قتلوا بأيديهم كثيراً من خيولهم. وأخذ المسلمون فيما يحتاجون اليه نحو أربعمائة فرس، وآلات كثيرة، وأسلحة. واحاطت العساكرُ بقَصْر الدِّيمَاس، تُقاتِلهُ، وأَهْلُ الأُسطول فى البحر يعاينون ذلك، الى أن طلب الرُّوم الأَمان من السلطان الحسن بن علىّ بن يحيى بن تَمِيم، فلم تُساعِد العَرَب على ذلك. وخرجوا فى مُنْتَصَف جُمادى الآخرة، فأخذتهم السيوف، وقُتلوا عن آخرهم. وكان عَدَدُ الأجفان نحو ثلاثمائة، وعَدَدُ الخيل فيها نحو ألف فارس.

أخبر أبو الصَّلْت قال: أخبرنى عبد الرحمن بن عبد العزيز قال: رايت على باب رُجَار بِصِقِلِّيَة رجلاً من الإِفْرَنْج، طويــلَ اللحية، يتناول * طَرَفَ لحيته بيده، ويَقْسِمُ بالإِنْجِيل أنّه لا يأخذ منها شعرةً حتّى يأخذ ثأره من أهل المهديّة. فسألتُ عنه، فقيل لى إنّه، لما انهزم، جُذِبَ بها حتّى أَدْمَأْتهُ. الى هنا انتهى كلام أبى الصَّلْت فى أخبار المهديَة وأميرها الحسن بن علىّ بن يحيى ابن تَمِيم الى سنة ٥١٧. وبقى الحسن بن علىّ مالكاً للمهديّة وبلاد تلك الجهات الى سنة ٥٤٣. ثمّ خرج باستيلاء صاحب صِقِلِّيَة عليها. P. ٣١٩

وفى سنة ٥١٨، استفحل أمر المهدىّ والمُوَحِّدِين بالغَرْب. وأميرُ إفريقية الحسن بن علىّ بن يحيى. ومات فى هذه السنة العزيز بالله، صاحبُ بِجَايَة، ووَلِىَ

ابنه يحيى. وكان لبنى الناصر بن عَلَنَّاس بن حمّاد بِجَاية والقَلْعة وتلك البلاد وُزَرَاء يُعْرَفون ببنى حَمْدُون، توارثوا وِزَارتهم، منهم مَيْمُون بن حَمْدُون عند يحيى هذا؛ فنشأ ليحيى ولدٌ ولّاه الأمر بعده وفوّض الأُمور اليه فى حياته؛ فجعل الولدُ يستنقص الوزير مَيْموناً، ويقبِّح أفعاله، ويُسَمّيه الشيخَ الكذّابَ. فخاف منه مَيْمونٌ على نفسه، وخاطَبَ أبا محمّد عبد المؤمن.

وفى سنة ٥١٩، كان أمير إفريقية الحسن بن علىّ على حاله. وخرج الطاغية ابن رُدْمِير الى بلاد المسلمين؛ فدوّخها بلداً بلداً، وضيّق عليها.

وفى سنة ٥٢٠، اجتمعت عساكر المسلمين بالأَنْدَلُس؛ فتلاقَوْا مع عدوّ الله ابن رُدْمير؛ وكان قد أذاق المسلمين شرًّا مُذْ سِنين؛ فدارت بين الفريقَيْن حربٌ عظيمةٌ. كان الظفر فيها للمسلمين. ثمّ أُخبر الناسُ أنّ تميماً رجع فارًّا بنفسه؛ فانهزم المسلمون، وركبهم النصارى بالقَتْل، واحتووا على المحلّة بما فيها. وسار تَميم الى غَرْناطة، وانبسطت خيلُ النصارى على المسلمين، يقتلونهم كيف شاؤوا. ونفرّق الناسُ أيْدِى سَبَا، ولجؤوا الى المعاقِل؛ وكانت قريباً * منهم؛ [1] فوقاهم الله شرّهم [1].

P. ٣٢

وفى سنة ٥٢١، وقيل فى سنة ٥٢٠، نهض أبو الوليد بن رُشْد الى مَرّاكُش للاجتماع بعلىّ بن يوسف فى المصالح؛ وعزل تميمٌ عن غَرْناطة.

وفى سنة ٥٢٢، أشار ابن رُشْد ببناء سُور مَرّاكُش؛ فبناه علىٌّ بن يوسف، وانفق فيه سبعين ألف دينار. وفيها، بعث العزيز بالله بن المنصور صاحب بجاية عسكراً الى المهديّة، توّد عليه ابن المُهَلّب؛ فنزل عليها. ثمّ انصرف ناكِصاً على عَقِبه. وفيها، وصل مُطَرِّف بن علىّ بن خَزْرُون الزّناتىُ الى تُونِس، واخرج منها أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحقّ بن خُرَاسَان؛ وقفل الى الحِجاز، وبها مات على ما يأتى. وولى تُونِس فى هذه السنة كرامةُ بن المنصور الصِّنْهاجىّ من قِبَل صاحب بِجَاية.

وفى سنة ٥٢٢، كان الأمير بإفريقية حسن بن علىّ، على ما كان عليه فى السنة قبلها، وصاحبُ بِجَاية يحيى بن العزيز بالله، ووزيره مَيْمُون بن حَمْدُون.

وفى سنة ٥٢٤، قُتل أمير مِصْرَ المُلَقَّب بالآمِر، وكان جبَّاراً عنيداً، قتله الغلام الذى اسمُه حِرْز-المُلُوك، وكان استمدَّ بالوزارة له. وكان الآمِرُ وَلَّى عَهْدَهُ عبدَ المجيد.

وفى سنة ٥٢٧، قال الوَرَّاق فى «مِقْباسه»: بعث الله قوماً تحالفوا على قتل الجبَّار العنيد بمِصْر الملقَّب بالآمِر. قيل إنَّهم قصدوا اليه من بلاد الشأم، احتساباً، وكانوا عشرة أُناس، فأقاموا بمِصْر، وعلموا بيوم ركوبه، وكان، إذا ركب، سُدَّت الحوانيت والديار فى مَمَرّه، ولا يمرُّ فى طريقه أحدٌ سواه، ويجعل نِصْفَ عسكره أمامه، ونِصْفَه وراءه، وفى وسط تلك المسافتَيْن التى أمامه وخلفه فارسانِ، بينهما وبينه ما بينهما وبين العسكر، وحَوْلَه أربعةٌ من عَبيده. فقصد هؤلاء القوم الى طريقه، وفيه فُرْن[1]، فقصدوا الى الفرَّان، ومعهم دقيقٌ، وقالوا له: «نريد منك أن تَخْبِز لنا هذا الدقيق، فإنّا قومٌ غُرَباء مسافِرون.» فاعتذر * لهم بالسلطان، فرغبوه، وشرط عليهم العجلة، ثمَّ أشغلوه بالحديث الى أن مرَّ عليه مقدَّمُ العسكر الأوَّل، فأعنف عليهم فى الخروج. فلما رأوا ذلك، أدخلوه داخِلَ الفُرْن وسدُّوا فمه بغطائه، وغلقوا باب الفُرْن عليهم، الى أن سمعوا حوافِرَ فرسه. فأوَّلُ من خرج من الفُرْن كهلٌ منهم، فجعل يسجد الى الأرض، وينادى: «أنا بالله وبعدل مولانا!» ويسجد مرَّةً بعد أخرى، الى أن ألقى يده فى شكائم الفرس، وأخرج سِكّيناً، وضرب بها بطن الفرس، فسقط الى الأرض، وخرج أصحابه من الفُرْن مُبادرين، فضربوه بسكاكينهم الى أن فرغوا من قتله. وقُتِلوا فى الحين أجمعين. وأراح الله من الفاجِر الطاغِى..وهو الذى أكثر فى زمانه دَعْوَى الباطِل ونصر الظالم[2]، وعمل

P. ٢٢١

1) B. فرّان.

جَهَنَّم يعذِّب فيها الناس، وإباح المحظورات جهاراً فى النزاهات، وغير ذلك من قبائحهم — لعنهم الله، أعنى الشيعة العُبَيْدِيَّة.

وفى سنة ٥٢٨، كان وُلاةُ إفريقية على ما كانوا عليه فى السنة قبْلها.

وفى سنة ٥٢٩، صرخ المُوَحدِّون بموت المَهْدىّ، وسمَّوا عبد المؤمن بأمير المؤمنين. وفيها، ولى قضاء فاس عبد الحقّ بن عبد الله بن مَعيشة؛ فأراق الخمر، وكسر الدنان، وشدَّد على أهلها، وزاد فى الجامع الكبير؛ فكان البناء فيه فى آخر هذه السنة.

وفى سنة ٥٣٠، نزل علىُّ بن حَمُّود على المهديَّة، بعسكرٍ من قِبَل صاحِب بِجَاية العزيز بن المنصور، ومالٍ برسم العَرَب. فنزل بظاهر زَوِيلة، وناشب القتال برًّا وبحراً؛ فأخرج اليهم صاحِبُ المهديَّة أُسْطُوله. فأغذوا من أُسطول بِجَاية غُرابَيْن، وأمر بسجن قائدهما؛ فأمَّا الواحد، فمات من سهم أصابه. ثمّ وصلت العَرَبُ لنصرة المهديَّة؛ فرحل عسكرُ بِجَاية عن المهديَّة بعد إقامته سبعين يوماً. وأمر الحسن بن علىّ قائدَه بقتل القائدَين؛ فقُتل أحدُهما بين يديه، ووُجِد الآخر قد مات من سهم كان أصابه. P. ٢٢٢ * وفيها، جهَّز رُجَار صاحبُ صِقِلِّيَة أُسطُولاً؛ فقصدوا جزيرة جَرْبَة، واستولوا عليها، وسبَوْا أهلها.

وفى سنة ٥٣٢، كان موت عبد المَجيد صاحبِ مِصْر. وكان للشيعة فى تولية خليفة عليهم خبرٌ طريفٌ، يُذْكَرُ فى موضعه.

وفى سنة ٥٣٦، توفّى أبو عبد الله المازرىّ، وأبو الصَّلْت. وفيها أخذ صاحِب المَهْدِيَّة المركب الذى أنشأه صاحبُ بجاية، وبعثه بهديَّة الى صاحب مِصْرَ؛ وسببُ ذلك أنّه كان فى الإسْكَنْدَرِيَّة مركبٌ للحسن صاحب المهديَّة، عطَّله عن السفر صاحبُ الديوان لأنَّه سعى فى الشتات بين الحسن وبين صاحب مِصْر، وقصد المواصلة بين صاحب مِصْر وصاحب بجاية؛ فأقلعت المراكب، وبقى هو محبوساً. واقلع فى جملتها المركبُ البجاءىُّ ببضائعَ عظيمةٍ لها شأنٌ، وأثمان للتجار، وهديّةٍ الى صاحب بجاية. فعمل عليه الحسن، وأخذه، وأمر

بتفريغه. وبقى المركب فارغاً حتّى جاءت صدمة أكتوبر، فانكسر. وفى هذه السنة، خرج جُرْجى من صِقِلِّيَة فى خمسة وعشرين غُراباً، وضرب على مرسى المهديّة، فأخذ جميع ما كان فيه من المراكب، وفيه مركبٌ جديدٌ أنشأه الحسن من خشب المركبُ الذى انكسر لصاحب مِصْرَ.

وفى سنة ٥٢٧، خرج أُسْطُول صاحب صِقِلِّيَة، فضرب على مدينة إِطْرَابُلُس، فخيّبه اللهُ.

وفى سنة ٥٢٨، دَخَلَ مدينة سَفَاقُس، ودخلت فى عمل رُجَار صاحِبِ صِقِلِّيَة.

وفى سنة ٥٤٣، كان تغلُّب الرُّوم على مدينة المهديّة، وخرج منها صاحبُها الحسن بن علىّ بن يحيى بن تَمِيم بن المُعِزّ بن بادِيس بن المنصور بن بُلُجّين ابن زِيرى بن مَنَاد بن مَنْقوش الصِّنهاجىّ بجملته وحاشيته. وتبعه أَهْلُ البلد فارّين بأهليهم. وكان قائدُ رُجَار صاحبِ صِقِلِّيَة جُرْجى بن مِيخَايل الأَنْطَاكىّ، وكان أبوه عِلْجاً من عُلُوج * أبيه تَمِيم. فكان هذا اللعين عارفاً بعورات المسلمين بالمهديّة وغيرها، فلم يزل رُجَار وقائدُه جُرْجى يحيلان على المهديّة بحيلهما، إلى أن استولوا عليها فى هذه السنة. وتُعرف هذه الكائنة الشنعاء بكائنة يوم الاثنين. وبَقِيَتْ بأيدى الرُّوم حتّى افتتحها المُوَحِّدُون، على ما أذكر فى دولتهم. ولما استولى صاحبُ صِقِلِّيَة على هذه المدينة، كانت بإفريقية مجاعةٌ عظيمةٌ، فخاف أَهْلُ تُونس من أهل هذه السواحل من النصارى. وكان صاحب صِقِلِّيَة افتتح سَفَاقُس، ودخل بُونَة، وسبى أهلها، فأخذ أَهْلُ تُونس فى الاستعداد والأُهبة والوقوف بجماعاتهم وقتاً بعد وقت عند باب البحر، بحضر واليهم مَعَدّ بن المنصور، وهو فى الديوان الذى على الباب، فخرجوا يوماً من أيّام عَرْضهم، فوجدوا قارباً يوسق زرعاً، فأنكرت العامّة خروج الزرع من بلدهم فى تلك الشدّة الى موضع تحت مملكة الرُّوم، واجتمعوا على منعه، وضجّت العامّة، وارتفع صياحُهم، فتعرّض لهم رجالُ مَعَدّ بن المنصور، فوضعوا السلاح

P. ٣٢٢

فيهم وفى عَبِيد مَعَدّ واليهم، وقتلوهم قتلةً شنيعةً، وأطلقوا النار تحت بُرْج الديوان؛ فنزل مَعَدّ عنه، واستسلم للعامّة؛ فوقفوا عنه؛ فكانوا يأخذون رجاله وعبيده من تحت ركابه، ويقتلونهم. وبقى مَعَدّ بعد ذلك بتُونِس على حال قهر من العامّة؛ وكتب الى بِجَاية؛ فجاءه غُرابٌ منها؛ فطلع فيه مع بنيه، وسار الى بجاية. ورجع النظر فى تَونِس لقائدٍ من قُوّاد صِنْهاجة مدّةً يسيرةً؛ ثمّ انصرف، وبقى البلد فى حكم العامّة؛ فكانت الفتنة المشهورة فيهم، والقتال بين أهل باب السُّوَيْقة وأهل باب الجَزيرة؛ ومُدَبِّرهم فى تلك المدّة قاضيهم أبو محمّد عبد المُنعِم بن الإمام أبى الحسن — رحمه الله! — ولما اشتدَّ خوفُ أهل تُونِس من صاحِب صِقِلِّيّة وممّا سمعوه * من غضب صاحب بِجَاية واستعدادِه لهم، أخذوا فى تمليك محمّد بن زِيَاد العَرَبى بإرادة قاضيهم. فلما عزموا على ذلك، ووصل ابن زِيَاد الى تُونِس، وخرج القاضى والاشياخُ الى لقائه، صاح رجلٌ من العامّة: «لا طاعةَ لعَرَبىٍّ ولا غُزّىٍ!» وقامت الفتنة. فرجع ابن زِيَاد الى القَلْعة؛ وأراد القاضى الرجوع الى المدينة؛ فمنعَتْه العامّة وأخرجَتْه؛ فسار مع ابن زِيَاد الى القَلْعة، وأقام بها مدّةً طويلةً، الى أن مات — رحمه الله! — ويُقال إنّه كان راقداً فى الصيف فى طاقٍ عُلُوّ؛ فوقع منها ومات؛ ويُقال إنّه رُمِىَ منها. ثمّ إنّ العامّة وجّهوا الى أبى بكر بن إسماعيل بن عبد الحقّ بن خُرَاسَان؛ فوصل الى تُونِس بالليل[1]؛ فرُفِعَ فى قُفّةٍ من السُّور ووُلِّىَ تُونِس؛ فأقام عليها نحو سبعة أشهر؛ ثمّ غدر بــه عبد الله ابنُ أخيه عبــد العزيز، على مــا يأتى. وإذ قــد وقع ذِكْرُ بنى خُرَاسَان، فأذْكُرُ وِلايَتَهم تُونِس على النسق، ومن وليها من غيرهم، الى دخول المُوَحِّدِين إليها، بحول الله تعالى.

P. ٣٢٤

1) Reprise du ms. B.

ذكر وُلِىَ تُونِس من الأُمراء من بعد زوال مُلْك المُعِزّ بن بادِيس منها

لما انتقلَ المُعِزُّ من القَيْرَوَان والمنصوريّة الى مدينة المهديّة، وأسلمها الى العَرَب، واختلّ مُلْكُه بفتنة العَرَب الواصلين من المَشْرِق، كما تقدّم، واستحوذوا على كثير من حواضر إفريقية، وكان منهم فى حصار تُونِس وما يَلِيها من البلدان ما كان، مثل بَاجَة والأُرْبُس وما يَلِيهما، وكان بنو حَمَّاد قد طمعوا فى مُلْك إفريقية، وصارت عمالةُ القَيْرَوان فى أيديهم مُدّةً بمُداخلتهم العَرَب وإحسانهم اليهم، وانقطع مُلْك المُعِزّ عن تُونِس وغيرها، وضعفت دولتهم بالمهديّة عن حمايتها، فمشى أشياخٌ من أهلها الى الناصِر بن عَلَنَّاس، وهو إذ ذاك فى القَلْعة * دارِ مُلْكهم، وناظِمةِ سلكهم، فاستدعوا منه النظر الى مدينتهم وتقديم والٍ من قِبَلِهِ عليهم؛ فأمرهم ان يختاروا شيخاً منهم، يقوم بأمرهم خلالَ ما ينظر اليهم. فيقال إنّهم راموا تقديم كبير منهم؛ فاستعفى وتوقّف. فوليها من قِبَل الناصِر عبدُ الحقّ بن عبد العزيز بن خُرَاسَان؛ فاقام بها والياً الى أن مات سنة ٤٨٨؛ ثمّ وليها بعده ولدُه عبد العزيز بن عبد الحقّ؛ فأقام بها الى أن مات فى سنة ٥٠٠؛ ثمّ وليها ولدُه أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحقّ؛ فبقى والياً عليها اثنين وعشرين سنة، حتى أخرجه عنها مُطَرِّف بن علىّ بن حَمْدُون الى بجاية؛ وكان قد بنى قصراً بتُونِس، سُمّىَ قصر بنى خُرَاسَان؛ وطالت مدّتُه كما ذكرنا؛ فاشتدّت وطأتُه، وخرج عن سيرة الأشياخ الى آثار جَبَابرة المُلوك، وقتل عمّه إسماعيل بن عبد الحقّ، وكان أحقّ منه بالأمرة. وفرّ ولده أبو بكر بن إسماعيل الى بَنْزَرْت؛ فأقام بها خوفاً منه؛ وأخرج جماعةً من أهل تُونِس وأشياخها، ونفاهم الى المهديّة وغيرها؛ واستبدّ برأيه فى أمور تُونس، الى أن وصلت أخباره الى المنصور صاحبِ بِجَاية؛ فجهّز اليه عسكراً قدّم عليه مُطَرِّف بن على بن حَمْدُون؛ فوصل الى تُونِس عام ٥٢٢، فخرج أحمد اليه، واستسلم فى يدَيْه؛ فنقله الى بِجَاية،

P. ٣٢٥

وولّى تَونس كَرَامةَ بن المنصور، من بنى حمّاد، الى أن مات فى سنة كذا وخمسمائة. ثمّ وليها بعده أخوه أبو الفتوح بن المنصور، الى أن مات؛ ثمّ وليها بعده محمّد بن أبى الفتوح؛ فلم تُستحسن سيرتُه؛ فأُخرج عنها؛ ووليها مَعَدُّ بن المنصور، وكان آخِرَهم؛ فأقام عليها الى سنة ٥٤٣، حين استيلاء الرُّوم على المهديّة؛ فخاف أهْلُ تُونس منهم، وثاروا على أميرهم مَعَدّ، كما تقدّم؛ وثارت العامّة بها، وكانت الفتنة المشهورة فيها. ثمّ إنّهم وجّهوا الى بَنْزَرْت، وقدّموا

P. ٣٢٦ *أبا بكر بن إسماعيل بن عبد الحقّ؛ ثمّ غدره عبد الله ابن أخيه عبد العزيز بعد إقامته فى ولايته سبعة أشهر، وأخرجه فى قارب فى البحر؛ فرماه البحر ميّتاً عند قَلْعة ابن غَنبُوش. فيُقال: غَرِقَ؛ ويقال: غُرِّقَ. فوليها عبد الله المذكور نحو عشر سنين، وهو الذى قتل القاضى أبا الفَضْل جَعْفَر بن حَلْوَان، وقتل معه ولده وولد أخته ابن البَنَّاد، لِمَا خَشِىَ أن يجمعوا عليه العَرَب. وفى أيّامه، وجه عبد المؤمن عَبْدَ الله بن سليمان فى قِطَع من أُسْطُول سَبْتة، وأمره بالكشف عن تُونس وقوّتها والمجاورين لها من الأعراب؛ وبعد ذلك بعامٍ، وصل السيّد أبو محمّد عبد الله بن عبد المؤمن الى تُونس، ونازَلَها وحاصَرَ عبد الله بن خُرَاسَان فيها مدّةً؛ ثمّ أقلع عنها الى بِجَاية، وذلك فى سنة ٥٥٣.

وفى سنة ٥٥١، فى شوّال، كان القيام على النصارى بالمهديّة وحصارُهم فيها.

وفى سنة ٥٥٢، استولت الرُّوم على زَوِيلة.

وفى سنة ٥٥٤، دخل عبد المؤمن إفريقية المرّةَ الثانية، ونازَلَ تُونس؛ ثمّ أقلع عنها وحاصر النصارى بالمهديّة.

وفى سنة ٥٥٥، دخل أبو محمّد عبد المؤمن مدينة المهديّة صُلْحاً؛ واستولى الموَحِّدون عليها فى العاشر من شهر محرّم.

وفى سنة ٥٥٨، كانت كائنة يوم السَّبْت بنزول الرُّوم على المهديّة؛ وأخذوا مدينة سُوسة؛ ثمّ خرجوا عنها.

وفى سنة ٥٧٣، كانت كائنة يوم الجمعة بنزول النصارى على المهديّة

ثمّ غدرها ابن عبد الكريم فى ربيع الآخر منها، ودخلها يحيى بن غانِيَة المَيُورقىّ فى شعبان من سنة ٥٧٨، فلم يزل بها هو وأصحابه لَمْتُونة ومَسُّوفَة، يغيرون منها على إفريقية، حتّى تملّكوا بعض بلادها، الى أن دخلها أبو عبد الله الناصر مع المُوَحِّدين، فى جُمادى الأُولى من عام ٦٠٢.

* ذكر الأُمراء والوُلاة بإفريقية لخُلَفاء بنى أُمَيَّة

P. ٣٢٧

عُقْبة بن نافِع. ثمّ أبو المُهاجِر. ثمّ عُقْبة ثانيةً. ثمّ زُهَيْر بن قَيْس. ثمّ حسّان بن النُّعْمان الغَسّانىُّ. ثمّ موسى بن نُصَيْر. ثُمّ محمّد بن يزيد. ثمّ إسماعيل ابن عبد الله. ثمّ يزيدُ بن أَبى مُسْلِم الثَّقَفِىُّ. ثمّ محمّد بن أَوْس الأَنصارىُّ. ثمّ بِشْر بن صَفْوَان. ثمّ عُبَيْدة بن عبد الرحمن السُّلَمىُّ. ثمّ عبد الله الحَبْحاب. ثمّ كُلْثُوم بن عِيَاض. ثمّ حَنْظَلة بن صفْوان. ثمّ عبد الرحمن بن حَبِيب القُرَشىُّ. ثمّ الْيَاس بن حَبِيب. ثمّ حبيب بن عبد الرحمن. فهؤلاء الثمانية عشر هم الوُلاة عليها من بنى أُمَيّة — رحمهم الله!

ووَلِيَها للصُّفْرِيَّة:

عاصِم الوَرْفَجُومىُّ، وعبد المَلِك بن أَبى الجَعْد. وكانت مُدّتُهم سنةً واحدةً وشهرَيْن.

ووَلِيَها لِلإباضِيَّة:

أَبو الخطّاب عبد الأعلى بن السَّمْح، مولى المَعَافِر، وكانت مُدّتُهُ سنتَيْن اثنتَيْن.

ووَلِيَها لبنى العبَّاس:

محمّد بن الأَشْعَث الخُزاعىُّ. ثمّ عيسى بن يوسف القَيْسىُّ. ثمّ الأَغلب بن سالِم التَّميمىُّ. ثمّ الحسن بن حَرْب الكِنْدىُّ. ثمّ الأَغْلَب. ثمّ سالم ثانيةً. ثمّ عُمَر ابن حَفْص المُهَلَّبىُّ. ثمّ يَزِيد بن حاتِم السُّلَمِىُّ. ثمّ داوود بن يزيد. ثمّ رَوْح

ابن حاتِم. ثمّ الفضل بن رَوْح بن حاتِم. ثمّ هَرْثَمة بن أَعْيَن. ثمّ محمّد ابن مُقَاتِل العَكّىّ. ثمّ تَمّام بن تَمِيم التّميمىّ. ثمّ محمّد بن مُقاتِل ثانيةً.

P. ٣٢٨

*ووَلِيَها من بنى الأَغْلَب:

إبراهيم بن الأَغْلَب. وعبد الله بن إبراهيم بن الأغْلَب. والأغْلَب بن إبراهيم بن الأَغْلَب. ومحمّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم. وأَحمد بن محمّد بن الأَغْلَب ابن إبراهيم. وزيادة الله بن محمّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم. ومحمّد بن محمّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم. وإبراهيم بن أَحمد بن محمّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم. وعبد الله بن إبراهيم بن أَحمد بن محمّد بن الأَغْلَب. وزيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أَحمد بن محمّد بن الأَغْلَب بن إبراهيم بن الأَغْلَب، وهو آخِرُ بنى الأَغْلَب بإِفريقية. وكان انقراضُ دولتهم سنة ٢٩٦.

ومن الشّيعة العُبَيْدِيَّة:

أَبو عبد الله الداعى. ثمّ عُبَيْد الله المهدىّ؛ وإليه تنسب العُبَيْدِيّة بمِصْرَ. ثمّ ابنه القاسم بن عبد الله. ثمّ ابنه إسماعيل بن أَبى القاسم، وهو الذى ملك مِصْرَ، ورحل اليها فى آخر أَيّامه.

ومن صِنْهَاجَة القائمين بدعوة العُبَيْدِيّة ومن ولايتهم:

بُلُجّين بن زِيرِى. المنصور بن بُلُجّين. بَادِيس بن المنصور. المُعِزّ بن بادِيس. تَمِيم بن المُعِزّ. يحيى بن تَمِيم. علىّ بن يحيى. الحَسَن بن علىّ؛ وعليه دخلها الرّوم.

تَمَّ الجُزْءُ الأَوَّلُ من البَيَان المُغْرِب،
فى أَخْبَار المَغْرِب، والحَمْدُ لله



Le *manuscrit G. S. Colin* (représenté par le sigle B) [1]) est, lui aussi, de facture maghribine. Il ne porte pas d'indication de date de copie, mais il semble avoir été transcrit à une date bien plus récente que le manuscrit de Leyde. Il comprend deux volumes, le premier correspondant aux deux tomes publiés par Dozy, le second, l'histoire détaillée des Almohades, de l'examen de laquelle il ressort que le texte arabe connu des historiens de l'Occident musulman sous le titre d'*Anonyme de Copenhague*, et publié naguère par A. Huici à Valence n'en constitue qu'une version abrégée. Ce dernier tome du manuscrit correspond évidemment à la troisième et dernière partie du *Bayān*. Le second tome, qui fait défaut, devait contenir, outre la partie que j'ai publiée en 1930, la relation de la dynastie almoravide au Maroc et en Espagne, dont des fragments, appartenant à un exemplaire mutilé de la bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawīyīn à Fès, seront, dans un avenir prochain, publiés par mes soins dans un volume de *Documents inédits d'histoire almoravide*.

En dehors des nombreuses leçons qu'il a fournies pour l'établissement du texte du *Bayān*, le manuscrit B a permis la publication intégrale de l'introduction qu'Ibn ᶜIdhārī a placée en tête de sa vaste chronique. Cette introduction a le mérite d'apporter au lecteur, outre le détail du plan adopté par le compilateur, une liste des sources qu'il a utilisées aussi bien pour l'histoire nord-africaine que pour l'histoire hispano-musulmane. Elle révèle également l'existence d'une compilation historique parallèle, établie pour l'Orient arabe jusqu'à son époque par Ibn ᶜIdhārī, sous le titre d'*al-Bayān al-mushrik*, mais dont on ignore si elle a été menée à bonne fin par l'écrivain, car on n'en retrouve aucune trace dans les bibliothèques, aucune mention non plus dans les chroniques postérieures.

Paris, 10 juillet 1948. E. Lévi-Provençal

1) Le sigle G. désigne dans les notes le manuscrit de Gotha de la *Chronique* de ᶜArīb.

J'ai exposé, il y a une dizaine d'années, les conditions dans lesquelles il me fut donné de retrouver dans une bibliothèque particulière du Maroc et de publier, en 1930, un fragment relativement étendu du *Bayan* d'Ibn ᶜIdhārī, qui constituait la suite normale du tome second de l'édition de Dozy, soit une relation de l'histoire de l'Espagne musulmane s'étendant des années 393 à 460 de l'hégire. J'ai également expliqué comment, par la suite, j'ai eu la chance de découvrir un second manuscrit partiel du même fragment. Je ne veux point reprendre ici le détail de ce mémoire, qui a paru dans les *Mélanges Gaudefroy-Demombynes* (le Caire, Institut français d'Archéologie orientale, MCMXXXV-MCMXLV, pp. 241-258), sous le titre „*Observations* sur le texte du tome III du *Bayān* d'Ibn ᶜIḏārī" et auquel je me borne à renvoyer le lecteur.

Dans ces *Observations*, j'avais indiqué comment j'avais été fortuitement mis sur la trace de l'existence, chez un libraire de Casablanca, d'une copie moderne du *Bayān*, contenant vraisemblablement les deux tiers de l'oeuvre complète, qui, on le sait, fut compilée en 706 (1306) et embrassait toute l'histoire de l'Occident musulman jusqu'à la fin de la dynastie des Almohades. J'avais également fait allusion à l'insuccès de mes démarches pour en obtenir communication à cette époque: heureusement, ce même manuscrit est devenu, depuis un certain temps, la propriété de mon ami et collègue Georges S. Colin. Et c'est d'un commun accord, que nous avons envisagé, l'un et l'autre, la réédition de la partie du *Bayān* publiée par Dozy d'après le manuscrit de Leyde, en conservant le texte établi par le savant hollandais comme texte de base, mais en comblant ses lacunes et en le corrigeant, chaque fois qu'il était nécessaire, au moyen des leçons meilleures fournies par le nouveau manuscrit.

Le *manuscrit de Leyde* a été décrit par Dozy, aux pp. 77-78 de son *Introduction*. C'est une copie maghribine du XVIème siècle, achetée par Golius au cours du séjour que celui-ci fit au Maroc entre 1622 et 1624. Le commencement et la fin y manquent, mais la lacune initiale, comme la lacune finale, n'est, on peut le préciser désormais, que de deux feuillets. Le titre figure à la fin du premier tome, au milieu du manuscrit. Dozy put aisément identifier son auteur, Ibn ᶜIdhārī, à l'aide des citations littérales du *Bayān* qui figurent dans l'*Ihāta* d'Ibn al-Khaṭīb. Nous avons, dans l'appareil critique de la présente édition, adopté le sigle A pour représenter le manuscrit de Leyde, et jugé utile, pour la commodité du lecteur, de faire figurer en marge la pagination de la première édition.

AVERTISSEMENT

En 1848 — il y a exactement un siècle — l'imprimerie E. J. Brill entreprenait la composition du premier volume du texte arabe du *Kitāb al-Bayān al-mughrib* d'Ibn ᶜIdhārī al-Marrākushī, que Reinhart Dozy venait de préparer pour l'impression, d'après l'*unicum* manuscrit conservé à la Bibliothèque de Leyde (n° 67), en y incorporant des fragments étendus de la „Chronique" de ᶜArīb ibn Saᶜd (manuscrit de Gotha n° 261). Les deux volumes du *Bayān*, le premier relatif à l'histoire de l'Afrique du Nord et plus particulièrement de l'Ifrīḳiya, le second à celle de l'Espagne musulmane depuis la conquête arabe jusqu'à la fin de la carrière d'al-Manṣūr Ibn Abī ᶜĀmir, parurent en 1851, sous le titre suivant: „Histoire de l'Afrique et de l'Espagne, intitulée al-Bayano'l-mogrib, par Ibn Adhárí (de Maroc), et fragments de la Chronique d'Aríb (de Cordoue)". Le premier des deux volumes de l'édition était précédé d'une importante introduction en français, comprenant plus de cent pages. En 1883, R. Dozy publia, toujours chez E. J. Brill, un petit volume de *Corrections* à divers textes publiés par lui, et principalement à celui du *Bayān*, mais sans pouvoir s'appuyer, concernant ce dernier ouvrage, sur la découverte et la consultation de nouveaux manuscrits. Une traduction en français du texte de l'édition de Leyde, établie par les soins de l'arabisant E. Fagnan, parut à Alger en 1901-1904. Trop souvent erronée, elle est à refaire, ou tout au moins à amender soigneusement (voir notamment la longue liste de corrections proposées par P. Schwarz, dans les *Mitteilungen des Seminars für Orientalische Sprachen zu Berlin*, t. X (1907), 2 Abt. (Westasiat. Stud.), pp. 242-281). Bien auparavant, en 1860, l'érudit espagnol Fernández González avait publié à Grenade une version en castillan de la partie relative à l'histoire de la Péninsule ibérique.

Bien entendu, les deux volumes de l'édition de R. Dozy sont depuis longtemps épuisés et difficilement accessibles. L'importance du texte aurait pu justifier de notre part une réédition pure et simple, si nous n'avions acquis, depuis quelques années, la certitude de l'existence d'un nouveau manuscrit du *Bayān* et attendu que les circonstances nous permissent de l'utiliser.



HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB
AL-BAYĀN AL-MUGHRIB

PAR

IBN ʿIDHĀRĪ AL-MARRĀKUSHĪ

ET

FRAGMENTS DE LA CHRONIQUE DE ʿARĪB

NOUVELLE ÉDITION PUBLIÉE

D'APRÈS L'ÉDITION DE 1848—1851 DE

R. DOZY

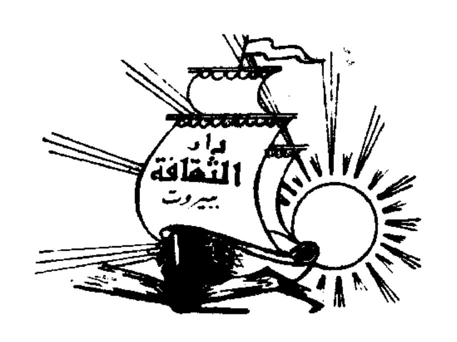
ET DE NOUVEAUX MANUSCRITS

TOME PREMIER

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
DE LA CONQUÊTE AU XIe SIÈCLE

PAR

G. S. COLIN & É. LÉVI-PROVENÇAL



DAR ASSAKAFA

HISTOIRE DE L'AFRIQUE DU NORD
ET DE L'ESPAGNE MUSULMANE

INTITULÉE

KITĀB AL-BAYAN AL-MUGHRIB